

النَّعَيْرُ الْقِرَآنِيَّةُ وَالْبَيْنَهُ الْعَرَبِيَّةُ
فِيمَا هُدِيَ إِلَى الْقِيَامَةِ

تأليف
ابتسام رهون الصفار

طبعة الراب في النجف اشرف



مَكْتَبَةُ
لِسَانِ الْعَرَبِ

www.lisanarb.com

al-Saffār, Ibtisām Marhūn

al-Ta'ābīr al-Qur'āniyah/wa
al-bi'ah al-Arabīyah

الْتَّعَايِيرُ الْهَرَلِيَّةُ وَالْبَيِّنَةُ الْعَرَبِيَّةُ

فِيمَا شَاهِدَ الْقِيَامَةُ

تأليف
ابتسام مهون الصفار

Front

ايار / ١٩٦٦ م

B

محرم / ١٣٨٦ هـ

N. Y. U. LIBRARIES



مكتبة لسان العرب

Near East

P J

6696

. S3

. 1

الطبعة الأولى

طبعه الراي في المعرفة

١٣٨٧ - ١٩٦٧ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ
لِمُكَفَّلَةِ هُجُورٍ

لقد كان القرآن الكريم - معجزة الرسول العربي الديني - حدثاً عظيماً في حياة العرب أحدث انقلاباً في حياتهم السياسية والفكرية والادبية ذلك لأن اللغة الغربية كانت في أوج ازدهارها ، وتقادها فجأة القرآن الكريم في بلاغته وبيانه مثلاً لها . وأثار اسلوبه البلياني دهشة العرب فسرعان ما آمنت به نفوس بعضهم ، واطمأنت لما فيه من احكام وتعاليم ، وضلت الأخرى عن المدى ولكن الاسلوب القرآني خاب البابها ، وأثار دهشتها فقالت (ان هذا إلساخر يؤثر) سورة المدثر ٧٤ : ٢٤ وأراد الله سبحانه وتعالى ان يثبت نبوة محمد (ص) فلم يختبر الا الاسلوب القرآني يتحدى به العرب ان يأتوا بسورة من مثله (وان كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداكم من دون الله ان كنتم صادقين .凡ان لم تفعلوا - ولن تفعلوا - فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة اعدت للكافرين) سورة البقرة ٢ : ٢٣ - ٢٤ . واجتمع جبابرة قريش وفطاحلها ولكن بغير جدوى لأن الآيات الكريمة تسير باسلوب خاص يسحر الآلباب وقصة ايمان عمر بن الخطاب بخمرد سماعه آيات من الذكر الحكيم مشهورة تذكروا بالتأثير العظيم الذي كان القرآن الكريم يتركه في نفوس سامييه مسلمين ومشركيين . ومن هنا أكد القرآن الكريم ضرورة سماع المشركيين للآيات الكريمة لأنهم إن سمعوها لا بد أن يتأثروا باسلوبها الرائع (وإن أحد من المشركيين استجارك فأجره حتى يسمع كلام الله) سورة

التوبة ٩ : ٦ . ولنا ان نتساءل هل يستطيع القارئ العربي في هذا العصر ان يفهم الآيات الكريمة كما فهمها العرب ايام نزولها ؟ مما لا شك فيه ان القرآن الكريم خالد معجز بروعة اسلوبه ، وجماله البياني الا ان القارئ العربي اليوم يقرأ الآيات الكريمة فيعجب بها ، ويفهم المعنى العام الذي توحيه حتى اذا تعمق في فهم الآيات الكريمة وجد فيها معانٍ لم يفهمها من قبل ، وروعه لا يتحققها اسلوب آخر فيتأمله باعجاب لا يستطيع معه إلا أن يقر الاقديم على اعجازه وروعته .

ان فهم القرآن بدراسة دلالة الفاظه تقربنا من الصورة التي فهمها العرب ، ذلك لأن الله سبحانه وتعالى انزل القرآن بلغة العرب ، واساليبهم الكلامية . ومن هنا تفيينا دراسة دلالة التعبير القرآنية على فهم الاعجاز الذي ترسمه الآيات الكريمة المختلفة . وهي دراسة تفتقر اليها المكتبة العربية - خاصة الحديثة - التي صبت اكثراً اهتمامها على الادب والشعر ناسية القرآن الذي يمثل روعة العربية في سحرها وبيانها .

ودراسة البيئة امر مفید ، لأن لها اهمية عظيمة في توجيه تفكير الانسان وتطوير لغته ذلك لأن الانسان ابن بيته فيها يعيش ، وعليها تنمو لغته واساليبه في الحياة . ومع ان الاقديم لم يولوا دراسة البيئة اهمية كبيرة الا اننا لانعدم اشارات لطيفة اوردها الجاحظ مبينا اهمية البيئة في خلق الانسان وعاداته ، وتبعه في هذا آخرون كابن رسته والقزويني وابن خلدون وغيرهم من نهج الجاحظ ، الا أن هذه كلها كانت اشارات تعطينا بدایة ملئ هذا البحث الطريف .

اما دراسة التعبير القرآنية على ضوء البيئة العربية فمنهاج تفتقر اليه الدراسات القرآنية ايضا ، ذلك لأن المفسرين أجهروا كل الى وجهة خاصة في تفسير القرآن الكريم فمنهم من اولى غريب القرآن اهتمامه كأبي عبيدة

والسجستاني ، وابن قتيبة ، ومنهم من شابت تفسيره اخبار أهل الكتاب وما يسمى بالاسرائيليات كمقابل بن سليمان مثلا ، ومنهم من صب اهتمامه على الناحية الفقهية والمذهبية كالتسري ، وفرات الكوفي مثلا ومنهم من اعتمد على نقل الروايات في التفسير كالطبرى والطوسي . وآخرها هناك من وجه اهتمامه ليدافع عن فكرة التزمها كالزمخشري في تفسيره حين ضممه تأكيدا على مذهب الاعتزال إلى جانب اهتمامه بالأسلوب البياني حين حاول أن يبين أوجه المجاز الذي استعملت فيه الكلمة ثم ما يعكسه هذا المجاز في بعض الأحيان من دلالة على البيئة والذوق العربي كما سررها في بحثه عن الزرقة .

أما المعاجم اللغوية فقد رتب فيها الألفاظ ترتيباً الجديدا ، واهمل فيها التدرج التاريخي لتطور دلالة الكلمة . ومن هنا كان بحثي قياساً إلى تفاسير الأقدمين دراسة جديدة لفهم التعبير القرآنية ودلالة الألفاظ . إلا أن هذا لا يعني انعدام الاشارة إلى هذا المنهج عند الأقدمين فقد حاول ابن فارس في معجم مقاييس اللغة أن يضع أصلاً واحداً أو اصلين لكل كلمة تدور حوله جميع مشتقاتها مع تطور معانيها ، إلا أنه يختلف عن منهجهنا في هذه الرسالة في أنه يضع الاستعمال المعنوي للكلمة أصلاً لها فيبتعد بذلك عن البيئة التي يشترط أن تبدأ فيها دلالة الألفاظ الحسية ومنها تتطور إلى المجازية والمعنوية . كما نجد في كتاب الزينة للرازى محاولة جديدة في هذا الباب لدراسة الألفاظ الإسلامية ، وتتبع معانيها الأصلية إلا أنه ما ان يسير شوطاً على هذا المنهج حتى ينحو في بحثه نهج معاصريه فيتحول بحثه إلى دراسة عن الفرق ، والمذاهب الإسلامية مبعداً عن المنهج الذي سار عليه في أول كتابه . ونجد مثل هذا بصورة اوضح عند الشريف الرضي في شرحه لمجازات القرآن الكريم والحديث النبوى ، والشريف المرتضى في اماليه حين بين أوجه المجاز وعاد بنا إلى الأصل الحسى لبعض المجازات ،

ولكنها ايضا اشارات محدودة ، وليس منها معينا بذاته .

كل هذه الطرف التي وجدناها عند الاقمين أقت ضوءاً كاشفا رسم
لي معالم هذا البحث واخذ بيدي للسير في خضم التحاير القرآنية ، وما
توجيه من الصور الرائعة العديدة . وقد وجدت في دراسة بعض المحدثين
عونا لي في هذا البحث كان اوطا محاضرات النقد الادبي التي القاها علينا
استاذي الدكتور جميل سعيد والتي وجهنا فيها الى دراسة البيئة والذوق العربي
قبل دراسة النص الادبي مما اعانا على تذوق النصوص الادبية وفهمها فهنا
بيانا . ثم محاضرات فقه اللغة التي وجهنا فيها الاستاذ الدكتور ابراهيم
السامرائي لدراسة اللفظة دراسة موضوعية ترتب فيها معاناتها ترتيباً تاريخياً
ابتداء من اصولها الحسية الى المجازية . وفي الجمع بين هذين التوجيهين بدأ
اعجابي بعمل هذه الدراسة القيمة . ثم كانت محاضرات السنة التحضيرية
(البيئة الصحراوية وأثرها في الادب الجاهلي) لاستاذي الدكتور جميل سعيد
فاختة جديدة لبحث تطبيقي لأهمية البيئة على الادب واللغة بصورة عامة
كان يؤكّد لنا فيها ضرورة تطبيق هذا المنهج على نص القرآن الكريم
ما وجهني الى كتابة بحث صغير في موضوع الجنة والنار فتح امامي ابوابا
واسعة لهذا البحث الطريف وعاق نفسي بدراسة القرآن الكريم . ومن هنا
كانت فكرة الرسالة وتوسيع ذلك البحث الصغير الى بحث دقيق موجه .
اما دراسة القرآن الكريم على ضوء البيئة العربية فأول ما وجدته في
مقال قيم نشرته مجلة الهيئة المغربية بعنوان البيئة العربية في القرآن الكريم
للاستاذ الدكتور ابراهيم السامرائي عرض فيه صورا رائعة من البيئة العربية
متجلية في مشاهد عديدة من القرآن الكريم مما اقى ضوءاً جديداً على منهجي
في هذا البحث . ومن كتبوا في هذا الموضوع الدكتور بنت الشاطئ في
كتابها (التفسير البياني للقرآن الكريم) الذي حاوّلت فيه دراسة الاسلوب

القرآن بما يوحية من صور بيازية مبتعدة في ذلك عن الشرح اللغوية واستطراد المفسرين وبعثها هذا يختلف عن منهجي في الرسالة في انها اكتفت بفهم المعاني المتعددة التي يوحيها اللفظ على حين حاولت ان اضيف الى هذا دراسة البيئة العربية ، وابراز صورها بما وصلنا من نصوص شعرية تحلي انا موحيات التعبير القرآنية اكثر فأكثر. يضاف الى هذا ان كتابها مقدمة لتفسير بياني خصت به بعض السور القصار دون غيرها من الآيات ولكنه بحث قيم في توجيه دراسة القرآن الكريم دراسة بيانية . اما كتاب مشاهد القيمة في القرآن الكريم لسيد قطب فإنه مختلف تماماً عن منهجي في هذا البحث الا انني استفدت من اسلوب الكاتب الرائع في عرض الآيات الكريمة عرضاً ادبياً في كل صورة تخص يوم القيمة .

وقد خصصت مشاهد القيمة بهذه الدراسة لأنها تشكل لنا سلسلة من المشاهد المتتابعة تبدأ منذ اللحظة الاولى التي يحدد فيها يوم القيمة الى الخلود الابدي ، وانطلاقاً من هذه الفكرة كان منهجي في تقسيم اصول الرسالة . فكل فصل منها يمثل مشهداً كاملاً متعدد الجوانب ، والصور لا يمكن ان تقدمه على فصل آخر ذلك لأن مجموع الفصول تمثل مجموع الاحداث التي تجري يوم القيمة . هذه الاحداث تتتابع فتشكل انا صوراً كاملاً لمشاهد القيمة .

فأول مشاهد القيمة نجده في الفصل الاول : النفير (بعث الناس من القبور) وقد صور بعده تعبير قسمتها الى ثلاثة مجتمع : الصور والنماذر وتشكalan الصورة الاولى التي يكون النفير فيها بواسطة آلة ينفع فيها . اما الجموعة الثانية فيمثلها تعبير الداعي والمنادي اما الجموعة الثالثة فهي التي تمثلها الزجرة والصيحة اللتان تصوران النفير بأنه يكون بواسطة صوت مفرغ دون تحديده بالآلة او شخص . وقد حاولت تتبع ايحاءات كل تعبير ، ثم

دلائلها بمجموعها على التفير المفزع الذي يبعث الناس من قبورهم .
اما الفصل الثاني ففيه تصوير لظواهر الكونية ، والاضطرابات التي
تحدث يوم القيمة وقد حاولت ان استشف من مجموع هذه الظواهر
الرهيبة بعض جوانب البيئة العربية ، وكيف ان العرب استطاعوا ان يتصوروا
اضطراب السموات والارض يوم القيمة بما عرفوه في بيئتهم من ظواهر
طبيعية ، رسخت صورها في اذهانهم .

وفي هذا الخضم المضطرب للسموات والارض تبدأ صور اخرى تجدها
في الفصل الثالث : صفة الناس يوم القيمة ، حيث يبعثون من قبورهم
فتتفزع نفوس الكافرين ويسرعون على غير هدى وقد شملهم اليأس ،
وذلت نفوسهم . اما صورة المؤمنين فانها تناسب بهدوء رائع غير مبالين
بالفزع الذي يشمل الكون كله .

وبعد ان تكتمل صور الاضطراب المفزع يبدأ مشهد آخر وهو الذي
بحشه في الفصل الرابع : (القضاء بين الناس) حيث يقف الناس امام
قضاء عادل سوي لانشوبه شائبة من الباطل وقد نفت الآيات الكريمة
وجود القيم الجاهلية التي سادت المجتمع العربي فاصناعت الحق ، فلا شفاعة
ولا فداء ، ولا اي وسيلة من الوسائل التي كان العرب يتملاصون ببراستتها
من العقاب . وقد صورت دقة الحساب بصورة حسية وثيقة الصلة بالبيئة
العربية ، تلك التي عرفها العربي في الموارنة والمعادلة بين الاشياء المادية .

وكذا الامر في نتيجة الحساب وما يعكسه من صور البيئة الغربية .
اما الفصل الخامس فانه يمثل المشهد الذي يتبع القضاء حيث يعاقب
المجرمون . وقد صور بعده تعابير لها دلالتها الوثيقة الصلة بالبيئة العربية ،
وتنداعى فيها الاخاءات في كل تعابر يرسم لنا صورة النار ، او تسحيتها
او لهيبها ، او في صفة شراب اهل النار والعطش الدائم الذي يعانونه وما

ينقله من صور العطش المضني الذي عاناه العربي في الصحراء الشحيحة بالماء وأخيراً الفصل السادس ، الثواب بالجنة ، وقد حاولت فيه ان استشف بعض جوانب البيئة العربية . فالخضرة الدائمة ، والأشجار المتنوعة تستشف منها صورا رائعة تعكس لنا اهمية الخضراء الخبيبة الى نفس العربي وانهار الجنة ومياهها الوفيرة تعكس لنا اهمية الماء في البيئة الصحراوية والصورة الجميلة التي يرسمها في الذهن العربي . ثم اهمية اللبن والعسل والخمر وما تعكسه هذه الصور من ملامح البيئة العربية .

اما مراجعى فقد تنوّعت بتنوع المواقع التي طرقتها في هذا البحث فاضطررت الى مراجعة كتب الادب العامة استشف منها لمحات عن الذوق العربي والبيئة العربية ثم التفاسير القرآنية ، وما يتعلق بالقرآن والفقه من دراسات في هذا الباب والمعاجم اللغوية لأنني فيها معاني الكلمة ودلائلها وبعض الكتب الجغرافية لاجد فيها ملامح البيئة العربية . وقد اعتمدت على الدواعين الشعرية استشف منها صور البيئة العربية التي خلدها الشعراء . وقد حاولت ان أجده نسبة للآيات ، ولكن هؤلاك ابياناً تمثل بها المفسرون انفسهم دون نسبتها الى قائلها فهي بين اميرين اما انها كانت معروفة في زمانهم فاستغناوا عن ذكر قائلها ، واما انها اشعار مجھول تمثلاً باشعاره فسرت على هذا المنهج ولم اكتف بالشعر الجاهلي بل جاوزته الى الاسلامي والاموي لأن منهجه الشعراء لم يتبدل الا قليلاً ثم اتي وجدت المفسرين يتمثلاً باشعار هؤلاء عند شرحهم لآيات القرآن الكريم كأبن عباس ، والطبرى ، والزمخنرى وأهل أكثر من وجه اهتموا للاستفادة من النصوص الشعرية في فهم التعبير القرآنية هو ابن عباس حين مأله نافع بن الأزرق بعض المسائل المتعلقة بالقرآن الكريم فكان يتمثل بشواهد شعرية ليؤكد لنافع ان العرب كانت تعرف هذا المعنى . اما الحديث النبوى الشريف فلم اعتمد عليه اعتماداً كلياً إلا

في التعبيرات التي تعاصرت على فهم معاناتها كتب اللغة ، والتفاسير ، وابنها
نصوص الشعر لأن المحدثين جوزوا رواية الحديث النبوى بمعناه .
وقد خصصت بالبحث التعبيرات التي لها دلالة على البيئة العربية ،
واهملت فيها التعبيرات الاعجمية والعربية التي ليس لها دلالة واضحة على
البيئة العربية .

وهذا البحث كتبته في فصول ممتالية كان استاذى المشرف الدكتور
جميل سعيد يتابعني فيها فقرة ، ويوجهنى الى النواحي الادبية وكان
يرى ان كثرة الشواهد الشعرية تضييع ملامح الصورة الفنية لذا اكتفى
بشاهد او شاهدين مع الاشارة الى الشواهد الاخرى في هامش البحث .
واخيرا ارجو ان اكون قد وفقت في هذا البحث ، وعرضت جانبا
من جوانب القرآن الكريم الذى لم ينزل حظه من الدراسة والبحث الدقيق
والله ولي التوفيق :

ولا يسعى وانا اقدم الرسالة بين يدي القارئ الكريم إلا ان اتقدم
بحزيل شكري وامتناني للاستاذ المشرف الدكتور جميل سعيد لتشجيعه المتواصل
وتوجيهاته القيمة واشكر كلام الاستاذ الدكتور مصطفى جواد والدكتور
ابراهيم السامرائي والدكتور حسين نصار لما أبدوه من مساعدة خلال بحثي
كما اتقدم بجزيل شكري الى كل من اعانتي على اخراج هذه الرسالة وانهض
منهم الاخرين نبيله واديبة في مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا والاخت
آمال قاسم في كلية الاداب :

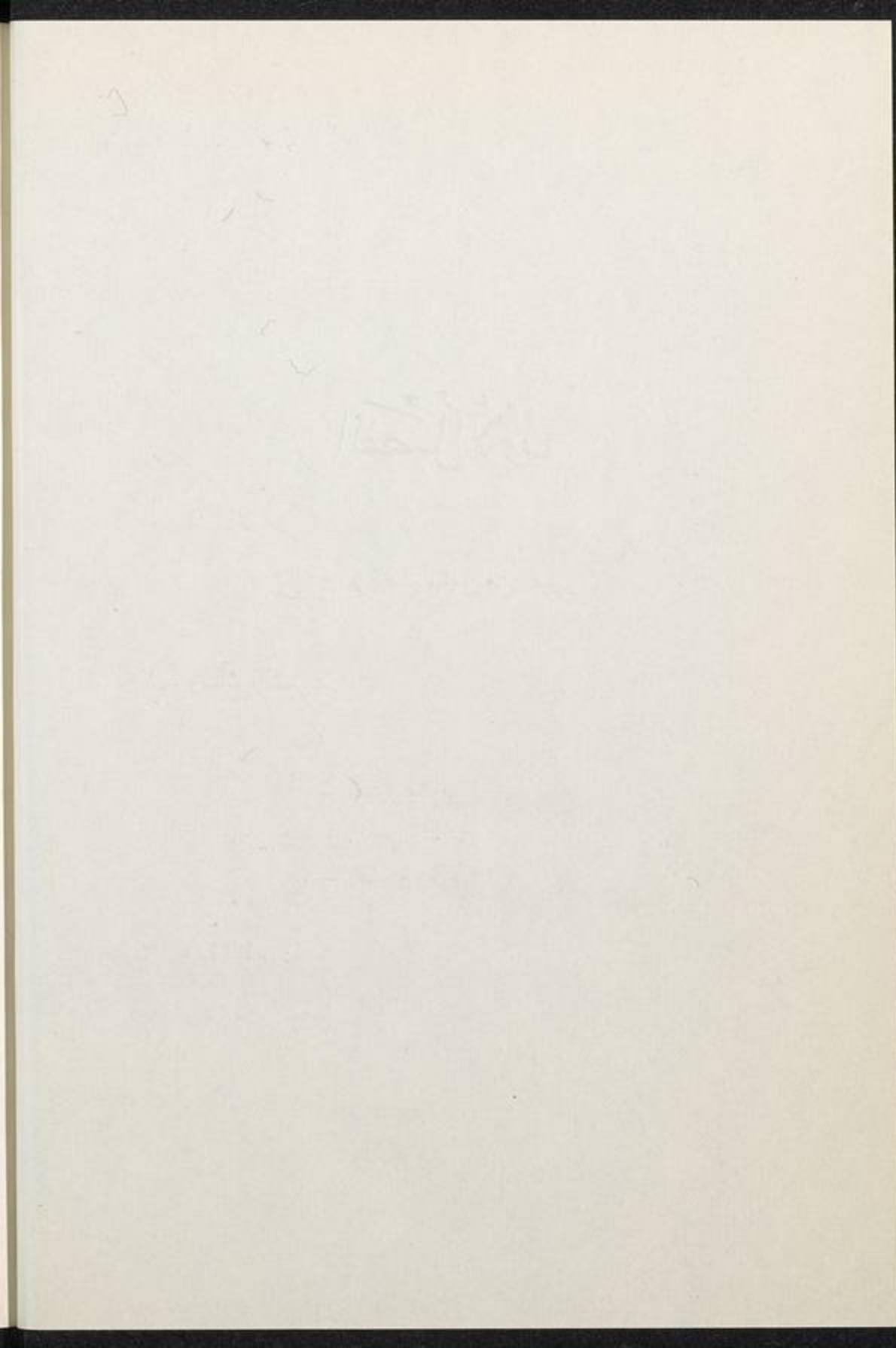
الفَصْلُ الْأُولُ

النفير (بعث الناس من القبور)

١ - وسائل النفير :

- أ - الصور والناقوس
- ب - الداعي والمنادي
- ج - الصيحة والزجرة

٢ - مدة النفير :



١ - وسائل النفير

ان اول مشاهـد القيامة في القرآن الكريم هو مشهد النفير المفزع الذي يثير الناس الىبعث ، ويحشرهم من قبورهم الى ماحـة الحساب ، والقضاء .

ومشهد النفير هذا صورـه عـدة تـعـابـير كل منها يوحـي بـصـورـة خـاصـة من صـورـ النـفـيرـ ، حـتـى اذا اجـتمـعـتـ هـذـهـ الصـورـ المتـعدـدةـ تـشـكـلتـ فـيـ الـذـهـنـ صـورـةـ جـامـعـةـ حـيـةـ مـتـحـرـكـةـ لـمـاـشـادـ النـفـيرـ ، وـالـبـعـثـ .

أ - الصـورـ ولـلـنـاقـورـ

اما الصـورـ الـأـوـلـ فـيـ سـمـهاـ تـعـبـرـانـ هـاـ الصـورـ وـالـنـاقـورـ .ـ وـالـصـورـ هوـ الـذـيـ يـحدـدـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ .ـ قـالـ اللـهـ سـبـحانـهـ وـتـعـالـىـ :ـ (ـ وـجـاءـتـ سـكـرـةـ الـمـوـاتـ بـالـحـقـ ذـلـكـ مـاـكـنـتـ مـنـهـ تـحـيـدـ ،ـ وـنـفـخـ فـيـ الـصـورـ ذـلـكـ يـوـمـ الـوعـيدـ .ـ)ـ (ـ ١ـ)ـ وـقـدـ صـورـتـ الـآـيـاتـ السـكـرـيمـةـ الصـدـىـ الـبـعـيدـ الـذـيـ يـحـدـدـهـ نـفـخـ الـصـورـ ،ـ وـذـلـكـ أـنـهـ يـنـفـزـعـ كـلـ مـنـ فـيـ السـمـرـاتـ وـالـأـرـضـ :ـ (ـ وـبـوـمـ يـنـفـخـ فـيـ الـصـورـ فـيـنـفـزـعـ مـنـ فـيـ السـمـوـاتـ وـمـنـ فـيـ الـأـرـضـ إـلـاـ مـنـ شـاءـ اللـهـ وـكـلـ أـنـوـهـ دـاـخـرـينـ)ـ (ـ ٢ـ)ـ وـمـعـ الـفـزـعـ الـذـيـ يـوـقـظـ النـاسـ فـأـنـهـمـ يـزـعـجـونـ مـنـ قـبـورـهـمـ وـيـهـرـعـونـ اـفـواـجاـ اـذـلـاءـ اـتـلـيـةـ صـوتـ النـفـيرـ المـفـزعـ :ـ (ـ وـنـفـخـ فـيـ الـصـورـ فـلـاـذـهـمـ مـنـ الـأـجـنـدـاثـ الـىـ رـبـهـمـ يـسـتـسـلـونـ قـالـواـ يـاـ وـيـلـنـاـ مـنـ بـعـثـنـاـ مـنـ هـرـقـدـنـاـ ؟ـ هـذـاـ مـاـ وـعـدـ الرـحـمـنـ وـصـدـقـ الـمـرـسـلـونـ)ـ (ـ ٣ـ)

(١) سورة ق ٥٠ : ١٩ - ٢٠

(٢) سورة النمل ٢٧ : ٨٧

(٣) سورة يس ٣٦ : ٥٠ - ٥٢

وقال تعالى أيضاً : (يَوْمَ يُنَفَّخُ فِي الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْواجًا) (١)
(وَنُنَفِّخُ فِي الصُّورِ فَجَمِيعًا هُمْ جَمِيعًا) (٢)

وقد اختلف المفسرون في تفسير معنى الصور . قال ابو عبيدة (يقال انها جمع صورة تنفسخ فيها روحها فتحيا) (٣) قال ابو عبيدة هنا لم يفسر الصور على انه آلة ينفسخ فيها للتبه والتغیر وإنما هي عنده جمع صورة فكأن الأرواح البشرية تعود الى الحياة في اجسامها اذا نفخ فيها وتؤيد رأي أبي عبيدة قراءة الحسن البصري (يُنَفَّخُ فِي الصُّورَ) (٤) .

أما التفسير الثاني وهو الذي عليه معظم المفسرين فهو قوله ان الصور قرن يُنَفَّخُ فيه (٥) ورفع هذا التفسير الى النبي (ص) حين سئل عنه (٦) كما روی عنه (ص) في حديثه عن الدجال (٧) وانه يقول حين يتمثل لهم : (الا تستجيبون ؟ فیأَمْرُهُمْ بِالاُوْثَانِ فَیُبَدُّوْهُمْ ، وَهُمْ فِي ذلِكَ دَارَةً اَرْزَاقُهُمْ ، حَسَنٌ عِيشُهُمْ ، ثُمَّ يُنَفَّخُ فِي الصُّورِ ، فَلَا يَسْمَعُهُ

(١) سورة النبأ : ٧٨ : ١٨ .

(٢) سورة الكهف : ١٨ - ١٠٠ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ١٩٦ ، جامع البيان ٢٤١ : ٧ ، وانظر ايضا قول الخليل في العين الورقة (١٩٨) .

(٤) الصحاح ٢٩ : ٧١٦ .

(٥) جامع البيان ٧ : ١٤١ التبيان ٧ : ١٨٧ .

(٦) جامع البيان ٧ : ٢٤١ .

(٧) الدجال: المموه يقال انه رجل من اليهود ، يخرج في آخر ايام هذه الامة سمي بذلك لأنه يدخل الحق بالباطل ، وقيل بل انه يغطي الارض بكثرة جموعه وقيل لانه يدعى الربوبية، انظر لسان العرب ١٣ : ٢٥١ .

احد الا اصفي له ، وأول من يسمعه رجل يلوط حوضه ، فيصعق ، ثم لا يقى احد الا صعق) (١) . وهذا الحديث يرسم لنا الصور ، وكيف انه اذا **نُفخَ** فيه سبب صوتا قويا مفزوا يصعق من يسمعه . وفي وصفه (ص) اصحاب الصور قال : (**كَيْفَ أَنْعُمُ وَصَاحِبُ الصُّورِ** قد النقم الصور ، وحى جبهته ، واصفع سمعه ، يتنتظر متى يُؤمر) (٢) وفي رواية أخرى (**قَدَ النقمَ الْقَرْنَ**) (٣) وهذا الاختلاف في الرواية يؤكد تفسير الصور بالقرن ! لانه يدلنا على انهمما تعبيران لهما نفس الدلالة في الذهن العربي ، وقد ذكر هذا المبارك ابن الأثير حين رجع معنى القرن بقوله (**وَالصَّحِيحُ الْأَوَّلُ لَأَنَّ الْأَحَادِيثَ تَعَاصِدُ عَلَيْهِ تَارِيَةُ الصُّورِ** ، وتارة بالقرن) (٤) ثم ان وصف صاحب الصور في الحديث النبوى الشريف يمثل لنا صورة شخص قد وضع آلة النفح في فمه وحى جبهته وأصالح سمعه ، يتنتظر الأمر بالنفح في آلتنه تماما كما ينفع في بوق مثلا .

اما الاغويون فقد ذهب معظمهم الى تفسير الصور بالقرن (٥) . وناقض بعضهم كون الصور جمع صورة . قال الفراء : (كل جمع على لفظ الواحد الذكر سبق جمعه واحدته ، فواحدته بزيادة هاء فيه ، وذلك مثل الصوف والوبير ، والشعر ، والقطن ، والعشب ، فكل واحدة من

(١) مسند الامام احمد ٢ : ١٦٦

(٢) نـ مـ ٣٠ : ٧٣

(٣) جامع البيان ٢٩ : ١٥١ التبيان ٧ : ١٨٧

(٤) النهاية في غريب الحديث ٣ : ٥

(٥) جمهرة اللغة ٢ : ٣٣٨ ، الصحاح ٢ : ٧١٦ ، لسان العرب ٦ ، تاج العروس ٣ : ٣٤٣ ، وكذا فسرها ياقوت في شرحه لمادة صور انظر معجم البلدان ٣ : ٤٣٣ ، وانظر

هذه الأسماء اسم جمیع جنسه فإذا أفردت واحدته زیدت فيـه هاء لأن جمع هذا الباب سبق واحدته ، ولو ان الصوفة ، كانت سابقة الصوف لقالوا صوفة وصوف وبسرة وبسر كـا قالوا غرفة وغرف ، وـزلفة زـلـفـ . اما الصـورـ القرآن فهو واحد لا يجوز ان يقال واحدته صورة ، وإنما تجتمع صـورـةـ الانـسـانـ صـورـاـ ، لأن واحدته سبقت جمهـ) (١) . وقال ابو الحيثـ (٢) مناقشـاـ أبا عبيدة متهمـه بقلة معرفـته بالـلـغـةـ ، والـغـرـيـبـ قال (ولا نعلم احدـاـ من القراء قرأـها فأحسنـ صـورـكـمـ وكـذـلـكـ قال ونـفـخـ فيـ الصـوـرـ ، فمن قـرـأـ ونـفـخـ فيـ الصـوـرـ او قـرـأـ فأحسنـ صـورـكـمـ فقد افـرـىـ الكـذـبـ وـبـدـلـ كـتـابـ اللهـ ، وكانـ ابوـ عـبـيـدـةـ صـاحـبـ اـخـبـارـ ، وـغـرـيـبـ وـلـمـ يـكـنـ لهـ مـعـرـفـةـ بـالـنـحـوـ) (٣) ، ولكنـ اـبـاـ عـبـيـدـةـ لـيـسـ وـحدـهـ القـائـلـ بـهـذـاـ الرـأـيـ فقدـ مـرـتـ بـنـاـ آـنـفـاـ قـرـاءـةـ الحـسـنـ الـبـصـرـيـ وـالـيـ فـيـهـاـ تـأـيـدـ لـمـ قـالـهـ بـعـدـهـ ابوـ عـبـيـدـةـ) (٤) .

ويضاف الى الأدلة التي تعاضـدتـ على تفسـيرـ الصـورـ بالـقـرنـ انـ الـبـيـئةـ الـعـرـبـيةـ تعـضـدـناـ فيـ هـذـاـ التـفـسـيرـ ، ذلكـ لأنـ الـقـرـونـ مـاـ توـفـرـ فيـ حـيـاةـ الـعـرـبـ ولاـبـدـ أـنـهـمـ استـغـلـواـ وـفـرـتهاـ فيـ الـاسـتـفـادـةـ مـنـهـاـ فيـ بـعـضـ شـؤـونـ حـيـاتـهـمـ ، منـ ذـلـكـ اـخـاـذـهـمـ الـقـرنـ آـلـةـ فيـ اـعـامـ حـيـاـكـهـ الشـيـابـ ، وـهـيـ تـلـكـ الـيـ تـسـمـونـهـ بـالـصـيـصـيـةـ . قالـ اـبـنـ درـيدـ ، (صـيـصـيـةـ الـحـائـكـ : الشـوـكـةـ الـيـ يـمـدـهـاـ عـلـىـ الشـوـبـ وـاـنـشـدـ لـدـرـيدـ بـنـ الصـمـةـ :) (٥)

- Arabic English Lexicon , Book I , Part 4 , P. 1744 .

(١) لـسانـ العـربـ ٦ـ : ١٤٦

(٢) لمـ اـعـتـرـ عـلـىـ تـرـجمـتـهـ

(٣) لـسانـ العـربـ ٦ـ : ١٤٦ـ وـانـظـرـ اـيـضاـ قولـ اـبـيـ عـلـيـ فـيـ المـخـصـصـ ١ـ : ٥٣ـ

(٤) انـظـرـ صـ ١٦ـ

(٥) درـيدـ بـنـ الصـمـةـ الجـشـمـيـ شـاعـرـ جـاهـلـيـ قـبـيلـ عـمـرـ مـائـيـ سـنـةـ حـتـىـ سـقطـ -

فَجَئْتُ إِلَيْهِ وَرَمَاهُ تَنُوشُهُ كَوْقَعُ الصَّيْصِيِّ فِي النَّسِيجِ الْمُمَدِّدِ
وَأَصْلُ الصَّيْصِيَّةِ الْقَرْنِ) (١) وَاسْتَعْمَلَ الْقَرْنُ كَذَلِكَ لِقْلَعُ التَّمَرِ ،
وَاطْلَقَ عَلَيْهِ أَيْضًا اسْمَ الصَّيْصِيَّةِ (٢) ، وَهُنَاكَ مُجَالٌ آخَرُ اسْتَعْمَلَ فِيهِ
الْقَرْنُونِ ، وَذَلِكَ أَنَّهَا تَرْكَبُ فِي الرَّمَاحِ مَكَانَ الْأَسْنَةِ كَمَا يَقُولُ الْجُوهُرِيُّ (٣)
وَرِبَّما كَانَ هَذَا اسْتَعْمَالٌ أَكْثَرُ مِنْ غَيْرِهِ نَظَرًا لِأَهْمَى الرَّمَاحِ وَالسَّلَاحِ فِي
الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ الْحَرَبِيَّةِ .

وَكُلُّ هَذَا يَدُلُّنَا عَلَى أَهْمَى الْقَرْنُونِ فِي الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيَّةِ ، وَيَقْرَبُ لَنَا
مَعْنَى الصُّورِ وَكُونَهُ الْبُوقِ الَّذِي يُصْنَعُ مِنَ الْقَرْنِ . إِلَّا أَنَّا نَفْتَرُ فِي
هَذَا الْبَابِ إِلَى الشَّوَاهِدِ الشَّعْرِيَّةِ ، وَذَلِكَ لَأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ فِيمَا وَصَلَّى إِلَيْنَا مِنْ
الشِّعْرِ الْجَاهِلِيِّ ذَكْرَ لِ الصُّورِ إِلَّا الشَّاهِدُ الَّذِي أُورَدَهُ الْجُوهُرِيُّ وَهُوَ :
لَقَدْ تَطَهَّنَاهُمْ غَدَاءَ الْجَمِيعِ نَطَحَّا شَدِيدَّاً لَا كَنْطَحَ الصُّورَيْنِ (٤)
وَلَا يُعْكِنُ الاعْتِمَادَ عَلَى هَذَا الشَّاهِدِ ، لَأَنَّهُ لَمْ يَنْسُبْ إِلَى قَائِلِهِ ، وَلَمْ
يَقْلِ الْجُوهُرِيُّ أَنْ مَفْرَدَ الصُّورَيْنِ هُوَ نَفْسُ الصُّورِ الَّذِي يَنْفَخُ فِيهِ بُومُ
الْقِيَامَةِ :

وَهُنَاكَ لِفَظَةِ عَبْرِيَّةِ الْأَصْلِ ، تَقْارِبُ مَعْنَى الصُّورِ وَدَلَالَتِهِ ، تَلْكَ هِيَ
كَامَةُ الشَّبَّيْرُ الَّتِي تَعْنِي الْبُوقَ وَهِيَ فِي الْأَصْلِ شَوْفَارٌ : وَكَانَ يَسْتَعْمَلُ فِي
حَاجِبَاهُ عَلَى عَيْنِيهِ وَادْرَكَ الْإِسْلَامَ وَلَمْ يَسْلِمْ ، وَقُتِلَ يَوْمَ حَنْينَ كَافِرًا . اِنْظُرْ
الْمُعْرِوْنَ : ٢٧ الْمُؤْتَلِفُ وَالْمُخْتَلِفُ : ١٦٣ .

(١) الصَّحَاحُ ٣ : ١٠٤٤ ، وَانْظُرْ أَيْضًا غَرِيبَ الْحَدِيثِ : ٨٤ ، الْمُخَصَّصُ ١٢

٢٦ ، لِسَانُ الْعَرَبِ ٨ : ٣١٨

(٢) لِسَانُ الْعَرَبِ ٨ : ٣١٩

(٣) الصَّحَاحُ ٣ : ١٠٤٤ ، وَانْظُرْ أَيْضًا لِسَانُ الْعَرَبِ ٨ : ٣١٨

(٤) الصَّحَاحُ ٣ : ١٠٤٤

الاعياد الكبرى كرأس السنة ، والعيد الاكبر عيد الصيام (١) ، وأول من اشار الى اصلها العبرى – فيما وصل الينا – هو ابن الاثير حين قال (وفي حديث الاذان ذكر له الشبُور ، وجاء في الحديث تفسيره انه البوق ، وفسروه ايضاً بالقبيع ، واللفظة عبرانية) (٢) ونجد في روايات اخرى ذكرآ للبوق ، وإن الرسول (ص) اراد ان يجعل بوقاً كبوق اليهود الذى يكون اصلاحتهم ثم كرهه ، ثم امر بالناقوس ففتحت) (٣) . وبوق اليهود هذا سمي في روايات أخرى بالقرن (قرنا مثل قرن اليهود) (٤) والظاهر ان الرسول (ص) كره اتخاذ البوق لانه آلة ينفع فيها اليهود ، وهم ما عليه من البعض والكراهية للإسلام .

كل هذا يقدم لنا صورة للفظة الشبور العبرية ، ودلائلها الواضحة في الذهن العربي ، وقد ورد ذكرها في الاستعمال اللغوي مقترنة باليهود (٥) ومع ان هذه الكلمة تعطينا نفس الدلالة التي توحيها كلمة الصور ، وانها القرن الذي ينفع فيه فمن المستبعد ان يقال ان كلمة الصور متطرفة عن الاصل العبرى الشبُور او الشوفار لتبين مخارج حروفها وعددتها (٦)

(١) هكذا حققها الاستاذ عبد السلام هارون في هامش كتاب الحيوان

٤ : ٥٢٥

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ٢٠٢

(٣) سيرة النبي ٢ : ١٢٨ ، وانظر ايضاً ذيل لمقال الالفاظ السريانية مجلة

المجمع العلمي العربي م ٢٦ ح ٤ : ٤٨٧

(٤) صحيح مسلم ١ : ٢٨٥ ، سنن الترمذى ١ : ٣٦٢ سنن النسائي ٢ : ٢

(٥) الحيوان ٤ : ٢٥ مجالس العلماء : ١٨

(٦) مع ان السين مقارنة للصاد فان إقحام الباء هنا يبعد كون الصبور

متطورآ عن الشبور وقد استأنست في هذا برأي الاستاذ ابراهيم السامرائي –

الا ان معرفة الشّبور يعطينا صورة لمعرفتهم البوّق الذي ينفع فيه ، وإنّه كان يُصنّع من القرن في اكثّر الاحيان ، وكان يستعمل للنفير ، والتنبيه ، ومن هنا جاء التعبير القرآني (الصّور) والذي فسر بالقرن ايرسم صورة النفير ل يوم القيمة ، وانه يكون بالتفخ فيه ، وتنبيه الناس من قبورهم ، وما يؤيد تفسير الصّور بالبوّق ، ان ذكر البوّق ورد في التوراة بأن الناس يُحشرون من قبورهم على صوته المفزع (١) .

اما التعبير الآخر الذي يصور لنا آلة النفير فهو الناقور . قال الله تعالى : (فاذا نُقِرَ في الناقور فذلك يومئذ يوم عَسِيرٌ ، على الكافرين غير يسير ، ذرْنِي ومن خَلَقْتُ وحيدا ، وَجَعَلْتُ له مالا مَمْدُدا ، وبَنَنَ شَهُودا ، وَمَهَدْتُ له تَمَهِيدا ، ثم يَطْمَعُ ان ازيدا ، كلا انه كان لا ياتنا عنيدا . سُرْهِيقه صَعُودا) (٢) .

لقد فسّر معظم المفسرين الناقور بأنه آلة ينفع فيها يوم القيمة اعلاها وتنفيرا وقرروا بيته وبين الصور (٣) . وقد اوردوا الحديث الشريف الذي مر انما في تفسير الصور (كيف انتم وصاحب القرن ، قد التقم القرن ، وحنى جبهته) (٤) .

اما الفريق الثاني فـ كما فسروا الصور على انه جمع صورة ، فـ كذلك باعتباره متخصصاً في اللغة العربية والأستاذ مصطفى جواد ، ولم يشر الى أصلها غير العربي احد من الذين كتبوا في الدليل كالجوالي والسيوطى والخفاجي وغيرهم

(١) انظر الكتاب المقدس متى ٢٤: ٣١ ، تسالونيكي ٤: ١٥

(٢) سورة المدثر ٧: ٧٤ - ٦

(٣) غريب القرآن: ٢٤٩ ، جامع البيان ٢٩: ١٥١ التبيان ١٠: ١٧٤ ،

وكذا قال الخليل في العين الورقة ٣٦

(٤) جامع البيان ٢٩: ١٥١

فسروا الناقور . ذكر الطبرى (الناقور الصور ، والصورة أخلاق) (١) وروي عن ابن الاعربى انه فسر الناقور بالقلب (٢) فكان النفح يكون سبباً لاحياء القلوب ونستبعد هنا هذا التفسير لأن ايجاء الآيات الكريمة بعيد عن معنى القلب وقد مر بنا تفنيداً هذا الرأي حين فسّر به الصور . اما تفسير الناقور بالقرآن فهو الذي عليه معظم اللغويين (٣) ، وهذا التفسير أدر يلفت النظر لأن اول ما توجهه كلمة النقر هو الضرب الذي يستتبعه صوت ما ، وهو معنى يرسم في الذهن صورة الدف (٤) الذي هو بعيد عن معنى الصور ، والبوق لاختلاف موجيات كل منهما عند سماع صوتهما . ويستند معنى النقر ، والضرب قول ابن فارس : (النون والقاف والراء اصل يدل على فرع شيء حتى تهزم فيه هزيمة ثم يُستَوِّمُ فيه) (٥) . والذي يقارن بين معنى النقر الذي هو النفح في تفسير من فسّر الناقور بالصور ، وبين معنى الضرب والضرع يجد لاول وهلة ان هناك هوة بعيدة بينهما ، وينجذب اليه انه لا رابط بين المادتين ، ولكن محاولة ترتيب التدرج التاريخي لمعنى الكلمة ، تفيدها في فهم الدلالتين المختلفتين .

(١) جامع البيان ٢٩ : ١٥١

(٢) أسان العرب ٧ : ٨٩

(٣) غريب القرآن : ٢٤٩ ، جامع البيان ٢٩ : ١٥١ ، التبيان ١٠ : ١٧٤

وكذا قال الخليل في العين : الورقة (٣٦)

(٤) وقد ورد النقر مقترناً بالدف في قول عامر بن عمرو :

ولا تنقريني نقرك الدف دائمًا فانليث لا تدررين كيف المغيّب

الخمسة البصرية : الورقة ١٨٤ (ب)

(٥) مقاييس اللغة ٥ : ٤٦٨

وأقرب المعاني لكلمة النقر هو نقر الخيل الأرض بحوافرها ، وذلك اذا اسرعت في سيرها فصوتت بسياكها ، واحتضرت الأرض ، قال الليث (١) (انقرت الخيل بحافرها نفرا أي احتضرت) بها (٢) . وقد وردت بهذا المعنى في شعر المرقش الأكبر (٣) واصفاً سير ذاته من وجيف ، وابساس ، ونقر :

وَجِيفٌ وَإِبْاسُّ وَنَقْرٌ وَهَزَّ
إِلَى أَن تَسْكُلَ الْعِدَمُ وَالرُّحَادِدُ (٤)

وقال عمرو بن الاهتم (٥) :

وَقَوْمٌ يَنْظَرُونَ إِلَى شَسْرَأَ عَيْوَنُهُمْ مِنَ الْبَسْغَضَاءِ عُورَ
قَصَدُتْ لَهُمْ بِمَخْزِيَّةٍ إِذَا مَا أَصَاخَ الْقَوْمُ وَأَسْتَعْمَلَ النَّقِيرَ (٦)

(١) الليث بن المظفر ، وقيل بن نصر بن سيار الخراساني ، كان من اكتب الناس في زمانه بارعاً في الادب ، بصيراً بالشعر ، والغريب ، والنحو . امني الخليل عليه كتابه العين . وقال الاذهري انه انتقل كتاب العين للخليل ، ليغضب فيه . انظر نزهة الالباء : ٢٩ ، بغية الوعاة : ٣٨٣

(٢) لسان العرب ٧: ٩٠

(٣) هو عمرو بن معد بن مالك بن ضبيعة شاعر من مُتَّيَّمي العرب ، وفرسانها انظر المؤتلف والمختلف : ٢٨١

(٤) المفضليات : ٢٢٥

(٥) هو عمرو بن سنان بن خالد كان سيداً من سادات تميم خطيباً بلغاً شاعراً ، وقد قدم إلى رسول الله (ص) مع وفد تميم وهو الذي قال الرسول (ص) عن كلامه (إن من البيان لسحراً) توفي حوالي سنة ٥٧ هـ انظر البيان والتبيين ١: ٥١ لباب الآداب ٣٥٥ الاصابة ٢: ٥١٧ ، ٥١٨

(٦) المفضليات : ٤١١

وقد فسر الاستاذ عبد السلام هارون النمير هنا من النواقر وهي الدواهي ، وقال انه معنى لم يرد في المعاجم (١) ، والذي يبدو ان تفسير النواقر بالدواهي هنا بعيد ، وانما يصبح القوم لوقع قوائم الخيل المسرعة نحوهم ، فتكون الداهية نتيجة الغارة ، ونفر الخيل الأرض بمحاورها وسرعة هجومها عليهم :

والملحوظ في هذا الاستعمال المادي انه يجمع بين الصوت الشديد ، وبين ما يتبع هذا الضرب من السير من قرع الأرض ، وحفرها ، وهو اصل مادي ملازم للبيئة العربية التي تَعُودَ فيها العربي الغارات المفاجئة وسرعة الخيل حين تضرب الأرض بقوه فتنفر فيها نَقْرَا صغيره .

ومن هذا الصوت الذي تثيره الخيل بقوائمهما استعملت الكلمة في مجال آخر وهو التصويت الذي يسكن به الفرس ، وقد وصفه الخليل بقوله : (النَّقْرُ أَنْ تُلْزِقَ إِسَانَكَ بِحَنْكِيلَ ثُمَّ تُصُوتُ وَقَدْ نَقَرْتُ بِالْدَابَةِ) (٢) . وقد نقل المبرد قول الشاعر :

اَنَا ابْنُ مَاوِيَةٍ إِذْ جَدَ النَّقَرَ (٣)

فقال معلقا عليه : (يَرِيدُ النَّقَرَ يَا فَتِي ! وَهُوَ النَّقَرُ بِالْخَيْلِ ...)
النمير : صویت بالاسان يسكن به الفرس اذا اضطرب بفارسه قال امرؤ القيس :
أَخْفَضْتَ بِالنَّقَرِ لِمَا عَلَمْتُهُ وَيَرْفَعُ طَرَفاً غَيْرَ جَافٍ غَضِيبٍ (٤)

(١) المفضليات : ٤١١

(٢) الخليل عن المخصوص ٦ : ١٨٢ ، وانظر ايضاً الصحاح ٢ :

٨٣٤ ، الافعال : ١١١ ، اسماء البلاغة : ٩٨٥ ، لسان العرب ٧ : ٨٨

(٣) الكامل : للمبرد ٢ : ٥٠٢

(٤) ن . م والشطر الثاني من قول ابن ماوية (وجاءَتْ الخيلُ أثَابِي زَمْرَ)

لسان العرب ٥ : ٨٨ والظاهر ان الشاعر لم يقصد بقوله هذا الصوت الذي -

والنقر أيضاً تصوّيت الأصابع وذلك : (ضمـك الـابهـامـ إـلـى طـرفـ الوـسـطـيـ ثـمـ تـنـقـرـ فـيـ سـمـعـ صـاحـبـكـ ذـلـكـ) (١).

هذه هي المعاني التي افترضت في إيجاءاتها ، بنقر الخيل ، ومنها أيضاً تطور معنى آخر وهو قوله : النقرة ، الحفرة ، (٢) ثم أطلقت على الآبار وعلى كل منخفض (٣) .

ونجد للنقر معنى حسياً آخر مستمدًا من معنى الحفر ، وذلك أن يُنقرُ الخشب فتحفر فيه نقرة لغرض من الأغراض (٤) .

ونستعيد الآيات الكريمة التي وردت فيها كلمة الناقور . (فإذا نُقِرَ في الناقورِ فذلكَ يَوْمَ عَسِيرٍ ، عَلَى الْكَافِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ ، ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيداً ، وَجَعَلْتَ إِه مَالاً مَمْدُوداً ، وَبَيْنَ شَهُودًا ، وَمَهْدَتْ

— يسكن به الفرس ، وإنما المقصود به سرعة الخيل في الحروب وهو الذي يفتخر به ابن ماوية إذ يكون أهلاً للحروب والغزوات التي تسمع فيها قوائم الخيل المسرعة وتجومها عليه زمرة كثيرة ، وهو المعنى الذي يكمله الشطر الثاني ، وربما جاء الحديث المبرد عن النمير الذي هو التصوّيت على سبيل الاستطراد ، وبيت امرئ القيس في ديوانه : ٧٥ .

(١) الصداح ٢: ٨٣٥ ، لسان العرب ٧: ٨٩ .

(٢) الغريب المصنف : الورقة ٢٤٥ ، لسان العرب ٧، ٩٠ ، وانظر أيضاً قول الخليل السعدي في المفضليات : ١١٦ .

(٣) الغريب المصنف الورقة ٢٤٥ ، مقاييس اللغة ٥: ٤٦٨ ، لسان العرب ٧: ٨٦ ، ٩ . وانظر أيضاً قول الخليل السعدي في المفضليات : ١١٦ ، ديوان ابن مقبل : ٣٤١ .

(٤) الصداح ٢: ٨٣٥ مقاييس اللغة : ٥: ٤٦٩ ، أساس البلاغة : ٩٨٥ لسان العرب ٧: ٨٦ .

اه تهيدا ، ثم يطمع ان ازيدا ، كلا انه كان لا ياتينا عنيدا ، سأرهقه^١
صعودا) (١) . ومن سياق هذه الآيات يتضح لنا معنى الناقور ، وكيف
انهم قرروا بينه وبين الصور آلة النغير فإذا كان الصور أشبه ما يكون بالبوق
وانه اطلق آنذاك على القرن ينفخون فيه فان الناقور الذي جعل مرادفًا له
عند بعض المفسرين يكون على هذه الشاكلة ويقرب نقر الخشب صورته ! وذلك
ان تنقر الخشبة حتى تصبح مجوفة ينفع فيها ، ويفيدنا في رسم هذه الصورة
قولهم النغير ، لاصل الخشبة التي تنقر فيُسْبَدُ فيها الرطب والبسر (٢) ، مما
يعطينا صورة للنقر الذي يجوف الخشبة أو أي آلة يعمل فيها .

وبما ان النقر قد اقترب بالصوت المزعزع وهو نقر الخيل في الشدائيد
فإننا نستطيع ان نجد في الآية الكريمة ايماء آخر في رسم صورة المزعزع الـأـكـبر
الذى يحيط التفخ بالصور والناقور وكيف انه يرعب من يسمعه ، و يجعل
الكافر موقفاً بالمية العظيمة التي ستحل به ، وينذر به هذا بالرعب والمزعزع
الذى يشعر به حين يسمع نواقر خيل الأعداء القوية ويساعده جو الآيات
العام على هذا التصور وهو معنى واضح الملامح عميق الصلة بالبيئة العربية
التي كثرت الغارات فيها وتعود العربي صريح الخيل وسرعة سيرها ، وما يوحيه
نقر قوائم الخيل خاصة عند الغارات من معانى المزعزع والمول مما يقرن يوم
القيامة بصورة المزعزع والرعب المفاجيء ، وهو معنى تشتراك فيه كل التعبير
التي تخص القيامة منذ ساعة النغير .

وبما ان النقر قد اقترب بالصوت المزعزع الى جانب معنى الضرب والحرق
فإن "إيماء آخر" يضاف الى الكلمة ، وهو دلالتها على الصوت . وهذا المعنى
هو الذي فسر به بعضهم قول طرفة المشهور :

(١) سورة المدثر ٧٤ : ٨ - ١٧ .

(٢) الصحاح ٢ : ٨٣٥ ، لسان العرب ٥ : ٨٦

يالـكـ من قـبـرـة بـعـمـير
 خـلـاـكـ الجـوـ فـيـضـي وـاصـفـرـي
 وـنـقـرـي ماـشـتـ أـن تـنـقـرـي
 قـدـرـحـلـ الصـيـادـ عـنـكـ فـابـشـرـي (١)

فقيل التنقير مثل الصفير (١).

أما معنى النفح الذي يفهم من كلمة النقر (فإذا نُقِرَ في الناقور
 فذلك يومئذ يوم عسيرة) (٣) فهو معنى جديد اكتسته الكلمة من طبيعة
 استعمال الآلة حيث ينفع فيها . ونستطيع ان نقول ان كلمة النقر قد
 ضُمِّنتْ معنى النفح في الآية الكريمة على اسلوب العرب في تضمين كلامهم
 معاني لم يعرفوها من قبل (٤) . ومن هنا عُدِي الفعل (نقر) بالحرف (في)
 واستعمال هذا الحرف هو الذي يبعد معنى الضرب الذي قد يتبدّل الى الذهن
 ولو كان معنى النقر كذلك لقيل نُقِرَ الناقور ، أو نُقِرَ بالناقور كما قيل
 نَقَرْتُ الشيء ثقبيته بالمنقار ، ونَقَرَ الطائر الحب بمنقاره ، ونَقَرَ
 النقار الرحى بمنقاره ، ونَقَرَ العود ، والدف ، ونَقَرَ رأسه باصبعه
 نقرة) (٥) أما تعرية النقر بالحرف (في) فإنه يقوى ما ذهب اليه المفسرون

(١) ديوان طرفة : ١٩٣ .

(٢) الأزهري عن لسان العرب ٥: ٨٧ ، الصحاح ٢: ٨٣٦ ، ومن الجائز
 ان يراد بالنقر هنا المعنى المادي وهو التقاط الحب .

(٣) سورة المدثر ٧٤: ٧ .

(٤) قال ابن هشام في موضوع التضمين : (قد يشربون لفظاً فيعطونه حكمه ويسمى ذلك تضميماً ، وفائدةه أن تؤدي كلمة مُؤدي كلمتين) . معنى
 الليب ٢: ٦٨٥ ، وانظر أيضاً شرح الفية ابن مالك ١: ٤ ، ٥ ، همع الموامع ٢: ١٣٠

(٥) الصحاح ٢: ٨٣٤ ، أساس البلاغة : ٩٨٤ ، لسان العرب ٧: ٨٦ ، ٨٠

من ان معنى النقر هو النفح وان الناقور هو الذي ينفع فيه .
ومن هذين التعبيرين تتشكل الصورة الأولى للنفير في يوم القيمة ، اذ
يدعى الناس ، ويحشرون من قبورهم على صوت مفزع يبعث من آلة هي
الصور أو الناقور ، وقد ورد في الكتاب القديم ذكر للبوق الذي ينبع الناس
ويحشرهم من قبورهم (١) ، مما يؤكّد تفسير الصور والناقور على اتهما آلان
ينفع فيها يوم القيمة .

ب - الداعي والمنادي

أما الصورة الثانية فيشكلها تعبيران آخران هما الداعي والمنادي فقد ورد
الداعي في قوله « وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّ نَسْفًا ،
فَيَدْرُهَا قَاءً صَاءً صَفَّا ، لَأَرَى فِيهَا عِوْجًا وَلَا أَمْتَأْ ، يَوْمَئِذٍ يَتَبَعَّوْنَ
الداعي لِأَعِوْجَ لَه ، وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا
هَسْنَسًا » (٢) . وقال أيضاً : « فَتَوَوَّلُ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَى شَيْءٍ
نُكَرٌ ، خُشَّعَتِ أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ
مُهْنَطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ ، يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ » (٣) . فالداعي
في هذه الآيات الكريمة هو الذي يدعو الناس إلى موقف القيمة فيحشرهم
إليه (٤) ، وقد خشعت أبصارهم ، ونسكت رؤوسهم وأدركتوا حقيقة النفير

(١) جاء في سفر متى ٢٤: ٣١ (ويرسل ملائكته ببوق ، وصوت عظيم ،
فيجمعون مختاريه من الرياح الأربع من أقصى السماوات إلى أقصاها) ، وانظر
أيضاً سفر تسالونيكي ٤: ١٥ .

(٢) سورة طه ٢٠: ١٠٨ - ١٠٩ .

(٣) سورة القمر ٥٤: ٦ - ٨ .

(٤) جامع البيان ٢٦: ٨٩ ، ٢١٤: ٢٧ ، ٤٤٥: ٩ ، التبيان ٩: ٤٤٥ .

الذى يدعوهم ، واذا كان السياق العام هو الذى يوحى لنا بهذه الصورة المرعبة فان كلمة الداعي وحدها تعطى من الصور والابحاث المتعددة ما يزيد ملامة صورة التغير وضوحاً ويعكس لنا جوانب متعددة من البيئة العربية . فالداعي في المجال اللغوي استعمل للدلالة على معانٍ مختلفة قد تبدو بعيدة الأصل عن المعنى القرآني ، ولكن معرفة الصور الحسية التي تفرعت عنها تعينا على ربط المعانى بعضها البعض ، وفهمها من التعبير القرآني الكريم . ومن الصور الحسية الأولى الواردة في الشعر الجاهلي صورة تداعى الكثيب اذا تحرك بعض الرمل فانهال وانهدم ، قال ابن منظور (تداعى الكثيب من الرمل اذا هيل ، فانهال) (١) . قال النابغة ذاكراً الكثيب المنداعي .

تَخْفِي بِأَظْلَافِهَا حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ

يُبَسِّسَ الْكَثَيْبَ تَدَاعَى التُّرْبُ فَانْهَدَمَا (٢)

وقال زهير بن أبي سلمى واصفاً صورة قربة من صورة النابغة :
يَمْرِي بِأَظْلَافِهِ حَتَّى إِذَا بَلَغَتْ

يُبَسِّسَ الْكَثَيْبَ تَدَاعَى التُّرْبُ فَانْسَخَرَ قَا (٣)

فسرعة سير الثور ، وركضه ، تهدم الكثيب ، وتهيل رابه مرة واحدة وهذا هو الذى يطلق عليه اسم التداعى ، وقال طرفة متغزلاً :
واذا قامَتْ تَدَاعَى قَاصِفٌ مَالَ مِنْ أَعْنَى كَثَيْبٌ مُنْقَعِرٌ (٤)

(١) لسان العرب ١٨: ٢٨٧ .

(٢) أمالى المرتضى ٢: ١٣ ، والبيت غير موجود في ديوان النابغة الذبيانى
ومقارنته ببيت زهير المذكور أعلاه يشير الشك في نسبة الى قائله .

(٣) شرح ديوان زهير : ٤٦ .

(٤) ديوان طرفة . ٧٣ .

أما داعية اللبن فهو ما يترك في الصرع ليذعو ما بعدهه (١) . وقد ورد في الحديث النبوى الشريف ، ان الرسول (ص) قال لرجل بعثه حلاب ناقته أنْ دَعْ داعي اللَّبَنِ (٢) وقال ابن منظور شارحاً قول الرسول (ص) السابق : أي ابق في الصرع قليلاً من اللبن ، ولا تستوعبه كله فان الذي تبقى له فيه يدع ماوراءه من اللبن فينزله ، واذا استقصى كل ما في الصرع ابطأ دره على حالبه قال الأزهري : « ومعناه عندي دع ما يكون سبيلاً لنزول الدرة ! وذلك ان الحال اذا ترك في الصرع لأولاد الحلائب لبيته ترضعها طابت أنفسها فكان أسرع لافاقتها » (٣) .

وحركة تداعي الكثيب واضحة في داعية اللبن ، ولكنها على صورة أخرى فهي أيضاً حركة ناتجة عن وجود أخرى سابقة لها ، وهي البقية القليلة من اللبن التي تستدعي نزول ما بعدها الا ان ماتوحيه من الصور بعيد عن معنى داعي التغير لأن في اللبن ابعاد الخير والفرح ، أما داعي التغير فإنه محاط بالفزع ، والهول وما يتبع ذلك من صور رهيبة مرعبة . ومن هذا الاستعمال المادي جاء قوله المجازي : « تداعت عليهم القبائل من كل جانب اجتمعت عليهم وتآلت بالعداوة » (٤) . وبهذا المعنى وردت في الحديث النبوى الشريف (٥) .

(١) الصبحان ٦: ٢٣٣٧ ، مقاييس اللغة ٢: ٢٨٠ ، ثمار القلوب : ٤٩٤

أساس البلاغة : ٢٧٢ ، لسان العرب ١٨ : ٢٨٢ .

(٢) مسنن الإمام أحمد ٤: ٧٦ ، وانظر أيضاً سنن الدارمي ٢: ٨٨ .

(٣) لسان العرب ١٨: ٢٨٤ ، انظر أيضاً المخصوص ٧: ٤٠ .

(٤) أساس البلاغة ٢٧٢ ، وانظر شواهد الشعر في الطرائف الأدبية : ١٤ .

(٥) مسنن الإمام أحمد ٤: ٢٧٨ ، ٢٧٨: ٢٦٨ ، ٢٧٤: ٥ ، ١٧٨: ٥ ، سنن الدارمي

٤٢٦: ٢ ، لسان العرب ١٨: ٢٨٧ .

هذه الصور المتداخلة نستطيع ان نجد لها في أحد جوانب صورة الداعي المفزع فالناس يتراكمون نحوه ، ويتدافعون بسرعة كما تتدافع أجزاء الكثيب حين ينهاى بعضها على بعض ونفهم انهم في تداعيهم ، وتدافعيهم نحو الداعي يسيرون بصورة تلقائية تماماً كما ينهاى كثيب الرمل اذا تساقطت بعض اجزائه . ونستطيع أن نلمح في الداعي صورة أخرى لها دلالة أعمق للبيئة العربية ! وذلك ان الداعي أطلق في بيتهما الحرية المتنازعة على الشخص الذي يُنْفَر ويدعو للأمر الملم الشديد ويستصرخ قومه ، فكان صياغه يكون سبيلاً لتداعي قومه حوله وينجذبهم له ، وقد كثُر افتخار شعرائهم بتلبية دعوة الداعي وتسارعهم نحوه مع الفزع الذي يثيره في نفوسهم ، قال متمم بن نويرة (١) رائياً أخاه .

وقد كان مجداماً إلى الخبر ر كضهُ

سريراً إلى الداعي اذا هو أفزعاً (٢)
أي انه كان شجاعاً بطلاً يسرع الى استجابة صرخة الداعي ، معنا
غيره يفزع منها وبهرب . وقال النابغة الجعدي (٣) مفتخرآ :

(١) متمم بن نويرة بن جمرة بن شداد بن بريوع يكنى أبا نهشل شاعر جاهلي أدرك الاسلام فاسلم وحسن اسلامه واستفرغ شعره في مراثي أخيه مالك بن نويرة الذي قتل في حروب الرادة توفي نحو سنة ٣٠ هـ انظر معجم الشعراء : ١٩٤ .

(٢) أمالى اليزيدي : ١٩ .

(٣) شاعر معمر عاش في الجاهلية والاسلام ، وقد اختلف في اسمه هل هو قيس بن عبد الله بن عدس بن ربيعة بن جعدة ام حبان بن عبد الله الا انهم انفقوا على انه من مضر وان سبب تلقبيه بالنابغة لأنه قال الشعر في الجاهلية ، ثم اجل دهرآ ثم نبغ بالشعر في الاسلام توفي نحو سنة ٥٠ هـ انظر طبقات فحول الشعراء ١٠٣ ، الشعر والشعراء ١: ٢٤٧ ، الأغاني ٥: ٥ ، المؤتلف والمختلف: ٢٩٣ .

يَسْتَخْفَفُونَ إِلَى الدَّاعِي بِهِمْ وَإِلَى الضَّيْفِ إِذَا الضَّيْفُ نَزَلَ^(١)
وَحِينَ يَسْمَعُ صَوْتَ الدَّاعِي فِي الْحَيِّ يَسْرُعُ الرِّجَالُ نَحْوَهُ ، وَيَتَابِعُ
رَكْضُ الْخَيْلِ الْمُسَوْمَةِ إِلَى حَوْمَةِ الْقَتَالِ :

مَنْ مَادِعٌ فِي أَسْدٍ تُجْبِنِي مُسَوْمَةً عَلَى خَبِيلٍ صِبَامٍ
تَتَابِعُ نَحْوَ دَاعِيهَا سِرَاعًا كَمَا اتَّسَلَ الْفَرِيدُ مِنَ النِّظَامِ^(٢)
وَوَصَفَ طَرْفَةُ بْنُ الْعَبْدِ دُعَوَةَ الدَّاعِي فِي الْحَيِّ ، وَكَيْفَ إِنَّهَا تُشَيرُ
الْفَزَعَ ، وَالْهَلْعَ فَيُسْجِرُ الدَّشْجُونَ سِيَوْفَهُمْ ، وَيَعْتَلُونَ جِيَادَهُمُ الطَّوَالِ السَّرِيعَةِ .
حِينَ نَادَى الْحَيِّ لَمَّا فَزَّعُوا وَدَعَا الدَّاعِي وَقَدْ لَمَّجَ الْذُّعْرُ
أَيْهَا الْفَتِيَانُ فِي مَجْلِسِنَا جَرَّدُوا مِنْهَا وَرَادَا وَشَفَرَا
أَعْوَجِيَاتٍ طِوَالًا شُرُبًا دُوَخِلَ الصَّنْعَةُ فِيهَا وَالضَّمْرُ^(٣)
فَالْدَّاعِي فِي هَذِهِ الصُّورِ الْمُتَعَدِّدةِ^(٤) يَعْكِسُ لَنَا جَانِبًا مِنْ جُوانِبِ
الْبَيْثَةِ الْعَرَبِيَّةِ الَّتِي سَادَ فِيهَا الاضْطَرَابُ وَالْفَوْضِيُّ ، فَالْأَمْنُ مُفْقُودٌ ، وَالْأَحْيَاءُ
مُعَرَّضَةٌ لِلْغَارَاتِ الْمُفَاجِئَةِ ، وَمَا يَتَبَعُهَا مِنَ السَّلْبِ ، وَالنَّهَبِ ، وَالْقَتْلِ . . .
وَيَأْنِي دورُ الدَّاعِي الَّذِي يَسْتَرِخُ قَوْمَهُ ، وَيَنْبَهُهُمُ إِلَى الْحَادِثِ الْمُفَاجِيِّ ،
فَاسْتَعْمَلَ الدَّاعِي هُنَا يَسْتَلِزمُ صِبَاحَ أَحَدٍ ، أَوْ اسْتَغْوَاهُ مَهْوَلَةً تَبْعَدُهَا إِجَابَةَ
مِنَ الْآخَرِينَ ، فَكَانَ فِي الْمَسَأَةِ طَرْفَيْنِ مَتَلَازِمَيْنِ تَلَازِمُ حَرَكَةِ الْكَتْبَبِ الْأُولَى

(١) دِيْوَانُ النَّابِغَةِ الْجَعْدِيِّ : ٩٧ .

(٢) الْحَمَاسَةُ الْبَصْرِيَّةُ : الْوَرْقَةُ ٤٨ (ب).

(٣) دِيْوَانُ طَرْفَةَ : ٨٠ طِصَادِرُ .

(٤) انظر شواهدًا أُخْرَى لِلْدَّاعِي فِي دِيْوَانِ عَامِرِ بْنِ الطَّفَلِ : ٨٢ ، دِيْوَانُ عَبِيدَ : ١٣١ ، دِيْوَانُ بَشَرَ : ٨٦ ، دِيْوَانُ طَرْفَةَ : ٧٧ ، دِيْوَانُ الشَّمَاخَ : ١٠ ،
الْمَفَضَلِيَّاتَ : ١٦٦ ، الْوَحْشِيَّاتَ : ٤٣ ، الْعَيْنَ : ٤٢ ، الصَّنَاعَتَيْنَ : ١٦٨ ، الْأَشْبَاهَ
وَالنَّظَائِرَ ١ : ١٠٥ ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةَ : ٥٨ .

بانهـدام الرمل والـكثـب من جـمـع جـوانـبـهـ ، أو حـرـكة دـاعـيـةـ اللـبـنـ الـتـيـ تـسـتـدـرـ
ما بـعـدـهـ ، فـالـدـاعـيـ يـسـتـصـرـخـ وـيـسـتـجـدـ فـيـ جـابـ وـيـغـاثـ ، وـحتـىـ إـذـاـ لمـ يـنـجـدـ
فـانـ دـعـوـتـهـ فـيـ الأـصـلـ كـانـتـ طـلـباـ لـالـاجـابةـ وـالـتـجـدـةـ .

ويـسـتـدـلـ عـلـىـ هـذـاـ بـالـاسـتـعـالـ فـرـقـآـئـيـ لـلـكـلـامـ ، وـمـشـقـاتـهـ ، وـتـلـازـمـ
الـاجـابةـ هـلـاـ فـيـ كـثـيرـ مـنـ الـآـيـاتـ فـرـقـآـئـيـ ، فـالـلـهـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـيـ يـسـتـجـيبـ دـعـاءـ
مـنـ يـدـعـوهـ مـخـلـصـاـ «ـ وـاـذـاـ سـأـلـتـ عـبـادـيـ عـنـيـ فـأـنـيـ قـرـيـبـ أـجـيـبـ دـعـوـةـ
الـدـاعـيـ إـذـاـ دـعـانـيـ »ـ (ـ ١ـ)ـ وـكـذـلـكـ اـفـتـرـنـتـ الـاجـابةـ بـالـدـعـاءـ فـيـ الـحـدـيـثـ عنـ
الـآـلـهـةـ الـتـيـ اـتـخـذـهـاـ المـشـرـكـوـنـ مـنـ دـوـنـ اللـهـ تـعـالـيـ فـجـاءـتـ الـآـيـاتـ فـرـقـآـئـيـةـ
الـكـرـيـعـةـ تـبـيـنـ لـهـمـ أـنـهـمـ لـهـمـ يـعـبـدـونـ مـاـ لـاـ يـسـمـعـ دـعـاءـهـمـ ، وـلـاـ يـسـتـجـيبـ لـهـمـ :
«ـ وـيـوـمـ يـقـولـ نـادـوـ شـرـكـائـيـ الـذـينـ زـعـمـتـ فـنـدـعـوـهـمـ فـلـمـ يـسـتـجـيـبـيـوـاـ
لـهـمـ »ـ (ـ ٢ـ)ـ . فـالـحـجـةـ الـقـوـيـةـ فـيـ مـنـاقـشـةـ الـمـشـرـكـيـنـ هـيـ أـنـهـمـ يـدـعـوـنـ آـلـهـةـ لـاـنـسـعـ
دـعـاءـهـمـ ، فـالـاجـابةـ مـلـازـمـةـ لـالـدـعـاءـ وـاـنـ كـانـتـ سـلـبـيـةـ . أـمـاـ الـآـيـاتـ الـتـيـ ذـكـرـ
فـيـهـاـ الـدـعـاءـ دـوـنـ مـلـازـمـةـ الـاجـابةـ فـاـنـهـاـ تـفـسـرـ عـلـىـ ضـوـءـ قـوـلـهـ تـعـالـيـ :ـ «ـ اـدـعـوـنـيـ
استـجـبـ لـكـمـ »ـ (ـ ٣ـ)ـ أـوـ انـ الدـعـاءـ فـيـ الأـصـلـ أـنـاـ يـكـوـنـ فـيـ اـنـتـظـارـ الـاجـابةـ .
هـذـهـ الـاجـابةـ مـلـازـمـةـ لـدـعـوـةـ الـدـاعـيـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ قـالـ تـعـالـيـ :ـ «ـ وـيـسـأـلـونـكـ
عـنـ الـجـبـالـ فـنـقـلـ يـسـتـسـفـهـ رـبـيـ نـسـنـفـاـ ، فـبـيـدـرـهـ قـاعـ صـقـنـصـفـاـ ،
لـاـ تـرـىـ فـيـهـاـ عـوـجـاـ وـلـاـ أـمـتـاـ . يـوـمـئـذـ يـتـبـعـونـ الـدـاعـيـ لـاـعـوـجـ اـهـ وـخـشـعـتـ
الـأـصـوـاتـ لـلـرـحـنـ فـلـاـ تـسـمـعـ اـلـاـ هـمـنـسـاـ »ـ (ـ ٤ـ)ـ حـيـنـ نـقـرأـ هـذـهـ الـآـيـاتـ

(ـ ١ـ)ـ سـوـرـةـ الـبـقـرةـ ٢ـ:ـ ١٨٦ـ ، وـاـنـظـرـ أـيـضـاـ النـمـلـ ٢٧ـ:ـ ٦٢ـ ، غـافـرـ ٤٠ـ:ـ ٦٠ـ .

(ـ ٢ـ)ـ سـوـرـةـ الـكـهـفـ ١٨ـ:ـ ٥٤ـ ، وـاـنـظـرـ أـيـضـاـ الـقـصـصـ ٢٨ـ:ـ ٦٤ـ ، الشـعـرـاءـ

٢٦ـ:ـ ٧٢ـ ، فـاطـرـ ٣٥ـ:ـ ١٤ـ الـأـحـقـافـ ٤٦ـ:ـ ٥١ـ ، الـأـعـرـافـ ٧ـ:ـ ١٩٤ـ .

(ـ ٣ـ)ـ سـوـرـةـ غـافـرـ ٤٠ـ:ـ ٦٠ـ .

(ـ ٤ـ)ـ سـوـرـةـ طـ ٢٠ـ:ـ ١٠٥ـ - ١٠٨ـ .

الكريمة المتسلسلة السياق ترسم في الذهن صورة الناس حين يفرعون لصيحة الداعي المهولة التي تنفرهم إلى ساحة الحساب فيتركضون حوله ، ويستجرون له بصورة تلقائية يتبع بعضهم البعض الآخر ، وقد ملا الفزع ، والملائكة قلوبهم . وتساعدنا صورة الداعي في الخروب على فهم إيماءات مختلفة هامش صيحة الداعي ونفيه ، فهي لأنوخي يعني الإجابة فحسب ، إنما ترسم في الذهن كل ماتوحده البيئة الخربية في حياة العرب حين يفاجيء الحي بصرىيخ الداعي الذي يخبرهم بالغارقة ، وتضاف إلى هذا صورة تداعي الكثيب التي تصور لنا الناس في تراكماتهم نحو الداعي بأنهم يتدافعون بعضهم فوق بعض وقد ملا الرعب والفزع قلوبهم .

أما المنادي فإنه تعبير آخر للشخص الذي يدعو الناس يوم القيمة والذي سي أيضاً يوم الننداد قال تعالى على لسان الرجل المؤمن حين يخاطب قوم فرعون محاولاً هدايتهم : (وقال الذي آمن يا قوم إني أخافُ عليكم مثلَ يوم الأحزابِ ، مثلَ دأبِ قومِ نوحٍ وعادٍ وثمودَ ، والذينَ من بَعْدِهِمْ وما اللَّهُ يُرِيدُ ظُلْمًا لِلْعِبَادِ ، ويا قوم إني أخافُ عليكم يومَ النندادِ ، يومَ تُواكِنَ مُذْبَرِنَ مَا لَكُمْ مِنَ اللهِ مِنْ عَاصِمٍ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَإِنَّمَا مِنْ هَادِ) (١) وقال سبحانه وتعالى أيضاً « واستمعْ يومَ ينادِ المنادِ ، من مكانٍ قرِيبٍ ، يومَ يَسْمَعُونَ الصِّحَّةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يومُ الْخَرْوْجَ ، إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمُيتُ ، وَالْيَنَا الْمَصِيرُ » ، يومَ تَشَمَّقَ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ، ذلكَ حشرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ » (٢) .

هذه الآيات الكريمة صورت لنا حقيقة الموقف حين يهرب الناس على صوت المنادي فيهرعون نحوه ملبين نداءه ، مسرعين إلى ساحة الحشر المهولة .

(١) سورة غافر ٤٠: ٣٠ - ٣٣ .

(٢) سورة ق ٥٠: ٤١ - ٤٤ .

أما المفسرون فقد اختلفوا في تفسير التناد نتيجة لاختلافهم في قراءتها ان عامة قراء الأنصار (يوم التناد) بتخفيف الدال وترك اثبات الباء بمعنى التفاعل من تنادى القوم تناديا (١) وقال الأزهرى : القراء على تخفيف الدال (٢) وهذه القراءة توجه تفسير الآية عدة توجيهات .

١ - فسرَ التناد على انه الخطاب والكلام الذي يكون بين الناس يوم القيمة كما قال جل ثناوه : (ونادى أصحابُ الجنةِ أصحابَ النارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبُّنَا حَقًا ، فَهُلْ وَجَدْنَا مَا وَعَدْنَا رَبَّكُمْ حَقًا ؟ قَالُوا : نَعَمْ) (٣) . وقال (ونادى أصحابُ النارِ أصحابَ الجنةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ) (٤) فلذلك تأوله قارئه هذه القراءة (٥) .

ونجد ان هذا التوجيه اعتمد على قول العرب : التنديدُ رفعُ الصوت (٦) قال أبو زيد (٧) ، وهو مجرد النداء الذي يكون بصوت مرتفع عال (٨)

(١) جامع البيان ٢٤ : ٦٠ .

(٢) لسان العرب ٤ : ٤٢٩ .

(٣) سورة الأعراف ٧ : ٤٤ .

(٤) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

(٥) جامع البيان ٢٤ : ٦٠ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٥٣ .

(٦) لسان العرب ٤ : ٤٣ ، ابن السكيت عن المخصوص ٢ : ١٣٣ ،

الفاخر : ٢٨٨ .

(٧) أبو زيد معيد بن أوس الأنصاري كان عالماً باللغة والنحو أخذ عن أبي عمرو بن العلاء ، وأخذ عنه أبو عبيد القاسم بن سلام ، والسجستاني . وكان ثقة من أهل البصرة وكان سببوبه اذا قال سمعت الثقة يريد به أبو زيد ، توفي في البصرة سنة ٢١٤ أو سنة ٢١٥ ، انظر نزهة الألباء : ٨٥ - ٨٨ .

(٨) المفردات في غريب القرآن : ٥٠٥ .

وقد وردت بهذه المعنى في أربع وخمسين آية (١) ، ولكننا نجد ان السياق العام الذي ورد فيه تعبير النند أو المنادي على بالرعب والفزع لا مجرد مخاطبة الناس ببعضهم بعضا فالناس في خوفهم يسرعون نحو الداعي وقد ذلت نفوسهم وخشعوا . وإنما تكون مخاطبة الناس كما تصوره سورة الأعراف بعد الحساب حين يساق المجرمون إلى جهنم ، وبينم المؤمنون بالجنة . أما ساعة الحشر حين يجتمع الناس على صوت المنادي فلا مجال للمحاورة والحديث بينهم .

٢ - وفسر البعض الآخر من قرأ (النند) بالتخفيق ان المقصود به ليس مجرد المخاطبة بين الناس ، وإنما هو أعظم من ذلك وأرهب حيث يتتصاير الناس خوفاً ورهبة مما ينتظرون من العذاب . وقد روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم هذا التأويل حيث قال : « مُدِّيْرِيْنَ يَنادِيْنَ بَعْضَهُمْ بَعْضًا ، وَهُوَ الَّذِي يَقُولُ اللَّهُ يَوْمُ النَّدَادِ » (٢) . وسنجد أن هذا التفسير يعتمد التفاسير الأخرى في رسم صورة المنادي .

٣ - ويعكن أن يفسر النند بأنه اليوم الذي ينادي فيه الناس فيجتمعون أصوات المنادي الذي ينبههم وينفرهم من قبورهم وهو التفسير الذي فسر به قوله تعالى (واستمسيع يوم ينادي المناد من مكان قريب ، يوم يسمعون الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) (٣) . فقد وصفوا هذا المنادي بأنه (ملك قائم على صخرة بيت المقدس وينادي أيتها العظام البالية والأوصال المتنقطعة) (٤) . ويقوى هذا التفسير الصور السابقة التي مرت بنا

(١) راجع المعجم الفهرس : ٦٦١ .

(٢) جامع البيان : ٢٤ : ٦١ .

(٣) سورة ق : ٥٠ : ٤١ .

(٤) جامع البيان : ٢٦ : ١٨٣ ، التبيان : ٩ : ٣٧٦ ، وانظر أيضاً مجالس نعلب : ٢ : ٣٨٦ .

والتي تصور قيام الناس بعد النفي الذي يوجه إليهم بواسطة الصور ، أو الناقور أو الداعي . وقد اعتمد في هذا التفسير على أحد معاني الكلمة ، وهو دلالتها على الاجتماع . قال أبو زيد : « نَدَّ الْقَوْمُ وَنَتَّدُوا : اجتمعوا ، والمنادي والنادي المجلس مجتمعين فيه ، فإذا تفرقوا فليس بذلك » (١) . قال بشر بن أبي خازم :

وَمَا يَسْنَدُهُمْ النادِيُّ وَلَكُنْ^{*} بِكُلِّ مَحَاجَلَةٍ مِّنْهُمْ فِي ثَامِنَ (٢)
الثَّامِنُ الْجَمَاعَةُ مِنَ النَّاسِ . يَرِيدُ أَنْ قَوْمَهُ كَثِيرُونَ لَا يَجْمِعُهُمْ نَادِيٌّ وَإِنَّمَا
تَجِدُّ مِنْهُمْ جَمَاعَةً فِي كُلِّ مَكَانٍ . وَمَعْنَى الْجَمْعِ تَؤْكِدُهُ آيَاتٌ أُخْرَى كَفَوْلَهُ
تَعَالَى : « وَنَفَخْنَا فِي الصُّورِ فَجَاءَهُمْ مَعْنَاهُمْ جَمِيعًا » (٣) وَكَذَلِكَ تَسْمِيَةُ يَوْمِ
الْقِيَامَةِ بِالْحَشْرِ ، لِأَنَّ النَّاسَ يَجْمِعُونَ ، وَيَسْاقُونَ فِيهِ إِلَى الْحِسَابِ (٤) .

أَمَّا قِرَاءَةُ مِنْ قَرَأْ (التنادِ) بِتَشْدِيدِ الدَّالِ فَإِنَّهُ قد اعتمد فيها على صورة وثيقة الصلة بالبيئة العربية ، تلك هي صورة الإبل حين تفر من صاحبها وتهرب بعيداً عنها ، فيقال عنها حينذاك (نَدَّتْ) . هذا المعنى هو الذي اعتمد عليه في هذه القراءة من النَّدَّ (وَذَلِكَ إِذَا هُرِبُوا فَنَدُوا فِي الْأَرْضِ
كَمَا تَنَدُّ الْأَبْلُ إِذَا شَرَّدَتْ عَلَى أَرْبَابِهَا) (٥) وَقَالَ أَبُو الْحَيْمِ : (هُوَ مِنْ

(١) المخصوص ٣: ١٤٥ ، وانظر أيضاً مقاييس اللغة ٥: ٤١١ ، المفردات ٥٠٥ ، أساس البلاغة: ٩٤٦ ، وقد وردت بهذا المعنى في سورة العنكبوت ٢٩: ٢٩٠ ، وسورة العلق ٩٦: ١٧ ، وانظر الشعر في ديوان طرفة: ٨٠ .

(٢) ديوان بشر بن أبي خازم ٢٠٩ ، المفضليات: ٣٣٦ .

(٣) سورة الكهف ١٨: ١٠٠ .

(٤) مجاز القرآن ١: ٢٤، ٢٠٤: ٢٠، ٢٠: ٢٤ ، وانظر أيضاً الصحاح ٢: ٦٣٠ ، مقاييس اللغة ٢: ٦٧ .

(٥) جامع البيان ٢٤: ٦١ .

نَدَّ الْبَعِيرُ نَدَادًا أَيْ شَرَدَ (١) وهذا التفسير أقرب التفاسير إلى الحياة البدوية ، لأن الصورة التي يوحى بها أسرع إلى الذهن من الصورة الأخرى لأنها صورة عالقة في ذهن العربي ، مرتبطة بأمام ناظريه ، لأن الإبل عماد حياته في الصحراء قد شهدتها في هدوئها ، ونیفارها ، وخبر حركاتها وسكناتها ، ومن هنا وفرت التعبيرات التي شخص الإبل ورسمت في الذهن العربي توجيهي له بالصورة المادية حتى إذا استعارها للتعبير عن معنى جديد مشابه لها أثارت في الذهن الصورة الحسية الأولى إلى جانب المعنى الجديد الذي استعملت فيه . قال ذو الاصبع العدواني (٢) مفتخرًا بكرامته ، وعزه نفسه حيث يشتد وينفر من البلد الذي لا كرامة فيه متمثلًا في ذهنه صورة الإبل حين تنفر من أصحابها قال :

عَفَ نَدُودْ إِذَا مَخْفَتْ مِنْ بَلَدِ

هَوْنَا فَلَمَسْتُ بُوقَافٍ عَلَى الْمُونِ (٣)

فهذه صورة الإبل حين تنفر من أصحابها واضحة في إيماءات البيت السابق ولكن موحيات التعبير القرآني أعمق آثاراً ، لأنها ترسم حول التعبير صوراً أخرى تزيد ملامح صورة نفار الإبل وضوحاً وبياناً ، فيوم النزول هو اليوم

(١) عن لسان العرب ٤ : ٤٢٩ ، وانظر أيضاً جمهـرة اللغة ١ : ٣ ، ٧٧
١٩٠ ، الصحاح ١ : ٥٤٠ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤١١ ، المخصوص ٧ : ٨٥ باب ترك
الإبل واهماها .

(٢) ذو الاصبع العدواني واسمـه حرثان بن حارثة بن محـرث ، وفيـل له ذو الاصبع لأن أفعى ضربـتـ ابـهـامـ رـجـلـهـ فقطـعـتهاـ ، وـهـوـ أحدـ الحـكـماءـ الشـعـراءـ قـيلـ انهـ عمرـ دـهـراـ . انـظـرـ الشـعـرـ وـالـشـعـراءـ ٢ : ٥٩٧ ، المـعـمـرـونـ ٥٨ ، المؤـتـلـفـ ١٧٠ .

(٣) المفضليـاتـ ١٦٣ .

الذى يفر الناس فيه بعضهم من بعض يشبهون في ذلك الابل حين تند على وجهها بعيداً عن اصحابها ، وتنفر هاربة منه ، ومن الطبيعي ان الابل لا تنفر من اصحابها الا اذا فزعت واضطررت اضطرابا شديدا . وبذلك شبه حال الناس حين يسمعون صوت النفير المفزع يفر كل انسان بنفسه ناسياً اهله وأولاده . لان هول الموقف لا يقي لهم تفكيراً ، ويكون الناس عند سماعهم صوت النفير كما تصورهم الآيات الكريمة : (يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حيم حمماً ، يبصرونهم يواد المجرم لو يفتدي من عذاب يومئذ ببنيه ، وصاحبته وابيه ، وفصيله التي تزويه ، ومن في الأرض جميعاً ثم ينجيه) (١) . ومع انا نجد ان المعاني الأخرى الى توحيمها كلمة المنادي ، والتناد ، تجتمع كلها لرسم صورة ساعة النغير الا ان صورة الابل الشاردة او اوضاع ملامح ، واعمق ابعادا من الصور المعنوية الأخرى وهذا التوجيه للآية الكريمة يرسم صورة الناس المفزعين المدبرين الذين يتصالحون ، ويتصارخون بالويل والثبور ذلك لان الآية التي ورد فيها (التناد) قد أتبعت بقوله جل من قائل : (يوم تؤلون مدبرين مالكم من الله من عاصم) (٢) . واذا عدنا الى التفاسير السابقة نجد ان المفسرين اعتمدوا على أربع استعمالات للكلمة – كما مرت بنا – وهي النساء بمعنى رفع الصوت والمخاطبة ، ثم التنادي بمعنى التصالح من الخوف والثبور ، وثالثها النساء حيث يجتمع الناس على صوت يناديم ، وهو الاستعمال الذي قد يبدو متعارضاً مع الاستعمال الرابع الذي هو التغور .
 وتبدو هذه التفاسير بعيدة بعضها عن البعض الآخر ولكن تتبع

(١) سورة المعارج ٧٠: ٨-١٤

(٢) سورة غافر ٤٠: ٣٣

استعمال الكلمة يعيننا على ايجاد تفسير واحد يجمع كل التفاسير السابقة ، وذلك اذا اعتبرنا الفعل الثلاثي المضعف (ـندـ) هو اصل الكلمة وهو يدل على التجمع ، ثم فك ادغام الحرف الاخير فقيل (ـندـى) . قال ابن فارس : (النون والدال والحرف والمعلول يدل على تجمع) (١) . ومنه الندى الذي هو البـلـ والرطوبة (٢) ، ثم استغير في وصف الصوت الندى من حيث انه من تکثر رطوبة فمه حسن كلامه ، وهذا يوصف الفصيـعـ بكثرة الريق (٣) ، وهو معنى نلمـحـه ايضاً في المـنـاديـ لأن صـوـتهـ يكون عـالـياً يـسـمـعـ كلـ مـنـ فيـ القـبـورـ . ثم تطورت الكلمة الى نـدـ بـعـنىـ تـفـرقـ كماـ مرـ بـنـاـ (٤) . ثم قـيلـ نـادـىـ بـعـنىـ صـاحـ وـخـاطـبـ ولاـ يـوجـدـ فـرقـ اوـ تـضـادـ بـيـنـ معـنىـ نـدـ الـذـيـ هوـ تـفـرقـ وـبـيـنـ نـدـ الـمـلاـزـمـ لـلـمـنـادـيـ بـعـنىـ التـجـمـعـ ، ذلكـ لـانـ كـلـ تـجـمـعـ يـكـونـ نـتـيـجـةـ تـفـرقـ وـكـلـ تـفـرقـ مـتـأـتـ عنـ تـجـمـعـ ، فـكـلـاهـماـ حـرـكـةـ مـتـصـلـةـ تـصـلـ الـأـوـلـيـ الثـانـيـ وـتـكـونـ نـتـيـجـةـهـاـ (٥)

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤١١

(٢) اعتـبرـ ابنـ فـارـسـ هـذـاـ المعـنىـ اـصـلـ اـخـرـ لـلـكـلـمـةـ بـعـدـ انـ وـضـعـ هـاـ اـصـلـ اـلـاـوـلـ الـذـيـ هـوـ تـجـمـعـ ، وـلـكـنـنـجـدـ اـنـ هـذـاـ اـسـتـهـالـ آـخـرـ لـلـكـلـمـةـ بـعـدـ انـ فـكـ اـدـغـامـ حـرـفـهـاـ اـلـاـخـيـرـ وـيـظـهـرـ فـيـهـ مـعـنىـ تـجـمـعـ اـيـضاًـ ، لـانـ الرـطـوبـةـ اوـ الـبـلـ تـنـتـشـرـ عـلـىـ النـبـتـ اـذـاـ وـجـدـتـ .

(٣) المفردات : ٥٠٥

(٤) يـلاحظـ فـيـ هـذـاـ بـابـ قولـ الخـليلـ فـيـ الثـانـيـ المـضـاعـفـ كـالـصـالـصـلـةـ

مـثـلاـ اـنـظـرـ العـيـنـ: ٧

(٥) وـقـرـيبـ مـنـ هـذـاـ بـحـثـ ابنـ جـنـيـ حـولـ مـادـةـ (قولـ) فـانـهـاـ كـمـاـ يـقـولـ (اـينـ وـجـدـتـ ، وـكـيـفـ وـقـعـتـ مـنـ تـقـدـمـ بـعـضـ حـرـوفـهـاـ عـلـىـ بـعـضـ وـتـأـخـرـهـ عـنـهـ اـنـماـ هـوـ لـلـخـفـوفـ وـالـحـرـكـةـ) اـنـظـرـ اـلـخـصـائـصـ ١ : ٥

والتفسير الذي رأه جامعاً لكل المعاني السابقة يوضحه لنا استعمال
كلمة المنادي في الشعر الجاهلي ، وذلك لأنها اطلقت مرادفة لمعنى الداعي
الذي مرّ بنا سابقاً ، فالمنادي هو الذي يستصرخ القوم عند الحروب والغارات
المفاجئة ، ويدعوهم إلى الامر الهام الذي ينتظرون . قال بشر بن أبي خازم :
بشب لا تخيم عن المنادي ومرد لا يروعها اللقاء (١)
وصريح المنادي يرهب من يسمعه في الحروب ، ومن هنا فهو مدعاة
للمفخرة بين الشعراً فيفخر شاعرهم بنجادته لتصريح المنادي ، ودعوته
إلى الحرب والدفاع قال دريد بن الصمة :

أني اذا نادى المنادي كلياً إحدى ليالي الحق لم أتعفل (٢)
فالمنادي افترض صورته بصورة الفزع والرعب الذي يشيره الصريح
المُفاجئ مما ان يسمع القوم صوته حتى يعرفوا حقيقة أمرهم وهي ان
غارة مفاجئة قد داهمتهم قال الكلحية العربي (٣)
ونادى منادي الحي أن قد أتِيْمُ
وقد شَرِبَتْ ماء المزادة أجمعوا (٤)

وحيث ينادي المنادي مؤذنا للحرب والغارة يجتمع حوله الناس ملبيين
نداء الدفاع عن القبيلة وشرفها ، ومن الناحية الأخرى قد يسبب صريح
المنادي هرب الجبناء من الناس ومن هنا جاء معنى التفرق والتجمّع الذي

(١) ديوان بشر بن أبي خازم : ٦

(٢) الوحشيات : ٢٥٥

(٣) اسمه هبيرة بن عبد مناف بن ثعلبة بن يربوع ، أحد فرسانبني تميم
وساداتها ، شاعر تحسّن والكلحية لقبه ومعناه في اللغة صوت النار . المؤتلف
والمحتمل : ٢٦٣ - ٢٦٤ ، خزانة الأدب ١ : ١٨٩ .

(٤) المفضليات : ٣١ :

يفهم من كلمة المنادي في الآية الكريمة .
 ثم ان القوم ينادي بعضهم بعضاً في الحرب والمجمات المفاجئة
 ليحملوا الجميع على الحرب والاغاثة قال طفيل الغنوبي .
 فباتوا يستون الزجاج كأنهم
 اذا ما تناَدوا خشراً مُتَحَدِّبٌ (١)

ونعود الى الآية الكريمة حيث نجد ان كلمة التناد استعملت مطلقة دون الاشارة الى تناد الابل ، او تنادي القوم وصياغهم ، واستعمالها مطلقة هو الذي يزيد من هول الوصف والفرع ليوم القيمة ، وتحتاج كل المعاني التي تداعى عند ذكر كلمة التناد ، وتعاون كلها على رسم صورة الناس المدبرين من الفزع ، وقد اشار الزمخشري الى هذا في تفسير قوله تعالى : (ربنا اتنا سمعنا منادياً ينادي بالإيمان (٢) . قال : (فإن قلت فأي فائدة في المجمع بين المنادي وينادي ؟ قلت : ذكر النداء مطلقاً ثم مقيداً بالإيمان تفخيماً لشأن المنادي ، لانه لا منادي اعظم من منادي ينادي بالإيمان ! وذلك ان المنادي اذا اطلق ذهب الوهم الى منادي للحرب او لاطفاء نار ، او لاغاثة المكروب ، او لكتفاه بعض النوازل او لبعض المนาفع) (٣) .

ومن هنا جاءت الروعة في التعبير القرآني ، وبخلي الاعجاز في كلمة واحدة مطلقة عن التحديد بايجاء خاص ، فاوحت بكل ما توجيهه كلمة المنادي بمعانيها المختلفة فهي ترسم في الذهن شئ الصور الراخنة بالحركة

(١) ديوان طفيل : ٢١ ، وانظر تنادي الخيل في الحرب ديوان بشر بن

ابي خازم : ١٠ المخصص ٦ : ١٤١

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٩٣

(٣) السكاف ١ . ٣٦٩

والانفعال ، ذلك لأن الناس يهبون من قبورهم أثر منه مفزع هو المنادي الذي يدعوهم إلى يوم الحساب فيجتمعون تلبية لندائه ، ولكنهم في نفس الوقت يتنادون بينهم ويتصاحرون خوفاً ، وهلعا ، ويفر بعضهم من بعض هارباً على وجهه كما تندُّ الابلُ بكل ما يحمله هذا المعنى الأخير من إيماءات وثيقة الصلة بالبيئة العربية .

وعلى هذا فكل تفاسير المفسرين السابقة يمكن ان تفهم مجتمعة في التعبير القرآني ، وهي نفس الإيماءات المرعبة الملائكة بالحركة السريعة التي مرت بنا في الداعي ومن تعبيري الداعي والمنادي تتشكل الصورة الشاذة من صور التغير العام الذي يكون قوله صوتاً مفزعاً ينادي الناس ، وينهمهم من قبورهم إلى ساعة الحساب .

ج - الصيحة والزجرة :

واخيراً فهناك اللوحة الثالثة التي يشكلها تعبيران ايضاً هما الصيحة والزجرة ، قال سبحانه وتعالى (ويقولون مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كَتَمْ صَادِقِينَ ؟ مَا يَنْظَرُونَ إِلَّا صِحَّةٌ وَاحِدَةٌ تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْصِمُونَ فَلَا يَسْتَطِعُونَ تَوْصِيَّةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ، وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسَلُونَ ، قَالُوا يَا وَلِنَا مَنْ إِلَّا صِحَّةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جُمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ) (١) .

وقد فسرت الصيحة بالنفخة (٢) ، وتفسيرها هذا متواتٍ من طبيعة استعمالها وكونها مبهمة غامضة ، فهي توحى مع السياق العام بكل معانٍ

(١) سورة يس ٣٦ : ٤٨ - ٥٣

(٢) جامع البيان ٢٣ : ١٤ ، التبيان ٩ : ٣٧٦ ، الكشاف ٣ : ١٦٥

الرعب والفزع وبما ان النفح في الصُّور او الناقور يتبعه صوت شديد يلازم شدة يوم القيمة فهذا الصوت هو الذي فهم منه معنى الصيحة فقالوا انها النفح ، وفي قوله تعالى : (وَاسْتَمِعْ يوَمَ يُنَادِي الْمُنَادِي مِنْ مَكَانَ قَرِيبٍ) (١) . روي عن ابن عباس انه فسر المنادي بالصيحة (٢) . ونفهم هذا التفسير اذا تذكروا ان زداء المنادي ، وصرىخه عند الملمات اثما يكون بصوت مرعب عالٍ - كما مرّ بنا - وان صوت المنادي يوم القيمة يكون مرعباً مفزعاً عالياً لينبه الناس من قبورهم ويدعوهم ليوم الحساب .

والصياح في الاصل هو الصوت الشديد الجافي كما يقول صاحب العين (٣) . وقال السجستاني الصرخة : الصيحة الشديدة عند الفزع وقيل هو الصوت الشديد ما كان (٤) وهو الاصل الذي وضعه ابن فارس للكلمة حين قال (الصاد والياء والخاء اصل صحيح وهو الصوت العالي) (٥) وكما لازم المنادي والداعي البيئة العربية في حروبها ، وصرىخها عند الملمات فكذلك الصيحة اذا انها اطلقت على الغارة اذا فوجيء الحي بها (٦) وتصايخ القوم بمعنى تداعوا (٧) ولما كان الصياح مقابلاً للصرخ الذي هو صوت غير اعتيادي فان سماعه يؤذن بشريء ، وأذى يلحق القوم

(١) سورة ق ٥٠ : ٤١

(٢) جامع البيان ١٨٣ : ٢٦

(٣) عن المخصوص ٢ : ١٣٣

(٤) نـ ٢ مـ ١٣٢

(٥) مقاييس اللغة ٣ : ٣٢٤

(٦) لسان العرب ٣ : ٣٥٣

(٧) اساس البلاغة : ٥٥٠

وأنذار لهم من حادث مفاجيء مرعب . فإذا سمع الصباح تبادر إلى الذهن الرعب ، والفزع ، قال النابغة الذبياني :
كأنَّ على الحدوْجِ نِعاجَ رَمْلَ زَهَاها الرُّبُّ أو تَسْعِتْ صِيَاحاً (١)
وقال أيضاً مادحاً بني جذيمة بأنهم إذا سمعوا الصباح بادروا إلى الاجابة :

قَوْمٌ اذَا كَثُرَ الصِّيَاحُ رَأَيْتُهُمْ وَفِرَّاً غَدَاءَ الرَّوْعِ وَالْأَنْفَارِ (٢)
وفي هذا دلالة على ما توجهه كلمة الصيحة من أنها وسيلة للتفير مقترنة بالرعب والصوت المفزع في البيئة العربية ، ولما كانت الصيحة مقترنة بالفزع فإن الهايا متوقع بعدها لأن فيها انذاراً لما بعدها . ومن هنا فسر أبو عبيدة الصيحة بالهايا قال : (فَأَخْذَنَّهُمْ الصِّيَحَةَ مُصْبِحِينَ أَيِ الْهَلَكَةَ ، ويقال صريح بهم أَيِ الْهَلَكَوَا) (٣) وذلك لأن الهايا يتبع الصيحة القوية الصادرة عن الرعب ، وهو الحادث .

أما الزجرة فقد قال تعالى : (يَوْمَ تَرْجِيفُ الرَّاجِفَةِ ، تَسْبِعُهَا الرَّادِفَةُ ، قُلُوبُ يَوْمِئِنْدِي وَاجِفَةُ أَبْصَارُهَا خَاشِعَةٌ ، يَقُولُونَ إِنَّا لَمَرْدُودُونَ فِي الْحَافِرَةِ ، أَمَّا كُنَا عَظَاماً نَتَخِرَّةٍ ؟ قَالُوا : تَلَكَ اذَا كَرَّةٌ خَاسِرَةٌ ، فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ بِالسَّاهِرَةِ) (٤) .

(١) ديوان النابغة الذبياني : ٢٧ ، وانظر شواهد أخرى من الشعر في المفضليات : ١٢٤ ، الوحشيات : ٩٦ ، الحيوان : ٥ : ٦٠٢ .

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ٦ .

(٣) مجاز القرآن ١ : ٣٥٤ .

(٤) سورة النازعات ٧٩ : ٦ - ١٤ ، والساهره : وجه الأرض المستوية أنظر الكشاف ٣ : ٣٠٩ ، المخصص ١٠ : ١٤٦ ، ٦٨ .

فقد فسرت الزجرة هنا بالنفحة (١) وقررت بالصُّور قال السجستاني :
 (زجرة واحدة يعني نفحة الصُّور) (٢) . ثم فسر نوع الزجرة ودلالتها
 فقال : (الزَّجْرَةُ : الصِّيغَةُ بِشَدَّةٍ وَانْهَارٍ) (٣) أما الزخيري فقد فسّرها
 بالصيغة ثم حدد الصيغة بأنها النفحة الأولى قال : (فَإِنْ قَلْتَ إِمَّا تَعْلَقَ
 قوْلُهُ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةً وَاحِدَةً ؟ قَلْتَ بِمَحْذُوفٍ مَعْنَاهُ ، لَا تَسْتَصْبِعُوهَا فَإِنَّمَا
 هِيَ زَجْرَةً وَاحِدَةً ، يَعْنِي لَا تَحْسِبُوا تِلْكَ الْكَرْكَةَ صَعْبَةً عَلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ
 فَإِنَّمَا مَهْلَةٌ هَيْنَةً ، مَاهِي إِلَّا صِيغَةً وَاحِدَةً يُرِيدُ النَّفْحَةَ الْأُولَى) (٤) ، وَحدَّدَهَا
 الطوسي بالنفحة الثانية (٥) .

وكما استطعنا ان نتعرف على سبب جمع المفسرين بين الصيغة والتعابير
 الأخرى للنفير ، فكذلك هنا ، لأنَّه لما كانت الآيات الكريمة التي تخص نفير
 يوم القيمة مرتبطة كلها بصوت مرعب مفزع ، فإنَّ هذا الجلو نفسه يدلُّ
 إيجاء كلمة الزجرة مما يوجه المفسرين إلى تفسيرها بالنفحة والصيغة ، ولم
 تقترب الزجرة بالصربيخ المفزع عند المحدثات كما هو الحال بالصيغة فحسب
 إنما الملاحظ اقتراها بالشدة والهول أكثر مما هو في الصيغة ، لما في الأولى
 من إيجاد القوة والعنف . هذا المعنى الشديد المرعب استمد إيجاده من البيئة
 العربية نفسها حيث اطلقت الكلمة على معنى حسي يشهده العربي في كل
 وقت وهو معنى الصيغة والانهيار التي يزجر بها الحيوان ويُساق على أثرها
 بشدة ، وعنف . قال الخليل : (نَعَقَ الرَّاعِي بِالْغَنَمَ نَعِيقًا : صَاحَ بِهَا

(١) تنوير المقاييس : ٣٨٠ ، جامع البيان : ٣٥ .

(٢) غريب القرآن : ١٢٢ .

(٣) ن . م .

(٤) الكشاف : ٣٠٩ .

(٥) التبيان : ١٠ : ٢٥٤ ،

زَجْرًا (١) ، وقال ابن سيدة في باب الزجر بالخيل ، والبغال ، والخيول :
 (زَجَرْتُ الدابةَ والرجلَ والسبيعَ ونحو ذلك ازْجَرْهُ زَجْرًا ، وازْدَجَرْتُهُ
 فازْجَرَ وازْدَجَرَ) (٢) ، وقال الراغب : (الزجرةُ طردٌ بصوتٍ ..
 ثم يستعمل في الطرد تارة ، وفي الصوت أخرى ، واستعمال الزجر لصياغهم
 بالمطرود نحو ان يقال اعزُبْ وتنحَّ وراءَك) (٣) .

وقد اختلف في هذا الصوت الذي يُزْجَرُ به الحيوان تبعاً لنوع
 الحيوان ، وما اعتقاده من الصوت الذي يؤثر فيه ويزجره (٤) ، ومن هنا
 قيل زَجَرَ البعيرَ أَيْ ساقَهُ (٥) ، لأن السوق نتيجة للصيحة أو نتيجة لزجر
 الراعي لها بشدة تدفعها نحو المسير ، ومن هنا جاء تفسيرهم لقوله تعالى :
 (والصفاتِ صَفَّا ، فالزاجراتِ زَجْرًا) (٦) حيث فسرت الزاجرات
 بالملائكة لأنها تزْجُرُ السحابَ أَيْ تسوقه (٧) .

سوق الإبل بالزجر ينمّ عن قوة وشدة اعتقاد العربي أن يسوق إبله
 بها إذا أراد اسراعها أو إذا أحجمت عن المسير ، ومن هنا عابوا على أمرىء
 القيس قوله في مفاخرته مع علقة الفحل واصفًا فرسه :

(١) العين : ٨٩ .

(٢) المخصوص : ٦ : ١٨٢ .

(٣) المفردات : ٢١١ .

(٤) التهذيب : الورقة ١١٧ ، ١٣٣ ، وانظر أيضاً الغريب المصنف الورقة
 ٣٩٠ ، المخصوص : ٧ : ٨٠ .

(٥) الصحاح ٢ : ٦٦٨ ، لسان العرب ٥ : ٤٠٧ .

(٦) سورة الصافات ٣٧ : ١ - ٢ .

(٧) جامع البيان ٢٣ : ٣٣ ، أساس البلاغة : ٣٩٤ .

فلساقي المسووب وللسوط درة
 وللزج منه وقع أهوج مسعي (١)
 ذلك لأن الفرس الجديدة لا تحتاج إلى القوة والزجر في سيرها ، فاعتبر
 هذا مأخذًا عابوه عليه (٢) .

وإذا زجرت الأبل فانها لاتسرع فحسب بل تصيبها الخفة والطيش
 لما في الزجرة من نهر شديد يثير رعبها وخوفها ، ومن هنا فخرروا بالنافقة
 التي لازرعب اذا زجرت (٣) .

وإذا كانت الغارات المفاجئة تستدعي السرعة في الهجوم والكر والفر
 فقد اقتربن الزجر باختلاط أصواتهم في الحروب ، قالت الخرنق بنت
 هفان (٤) .

قيوم اذا ركبوا سمعت لهم لغطًا من التأسيه والزج (٥)
 وأنشد أبو عثمان المازني (٦) :

(١) ديوان امرىء القيس : ٥١ .

(٢) الصناعتين : ٧٤ .

(٣) أراجيز العرب : ١٧ ، أنظر أيضًا المخصص ٧ : ١٢٣ .

(٤) هي الخرنق بنت بدر بن هفان وبعضهم يسميها الخرنق بنت هفان من
 بني ضبيعة ، وهي اخت طرفة بن العبد لامه ، شاعرة من الشهيرات في الجاهلية
 تزوجها بشر بن عمرو بن مرثد سيد بني أسد وقتله بنو أسد فكان أكثر شعرها في
 رثائه ورثاء أخيها طرفة أنظر خزانة الأدب ٢ : ٣٠٦ ، ٣٠٧ .

(٥) الحماسة البصرية : الورقة ١٢٤ (أ) .

(٦) هو بكر بن محمد بن حبيب بن بقيه ، أبو عثمان المازني من مازن شيبان
 أحد الأئمة في النحو . من أهل البصرة ووفاته فيها . أنظر معجم الأدباء ٢ : ٢٨٠
 فما بعدها .

لما سَمِعْتُ زَجْرَهُمْ هِقَطْ عَلِمْتُ أَنَّ فَارِسًا مُنْجَطَ^(١)
 ومن هذا المعنى الحسي جاء الاستعمال المعنوي لازجر وهو دلالة على
 النهر ، والردع مطلقاً . قال الزجاج الاجر : النهر (٢) . وقد وردت بهذا المعنى
 في الشعر الجاهلي (٣) ، ومنها قالوا : الزواجر : الموعظ لأنها تزجر الإنسان
 وتنفعه عن السيّات (٤) .

ومن هنا يتضح لنا ان استعمال الزجرة في القرآن الكريم مطلقة بزيد
 من ايجاء العنف والقوة الذي لازم ساعة النشور لأنها صوت مبهم ، ولكنها
 مفزع يرعب كل من يسمعه ، وقد قرن الزخيري الاجر بمعنى الحسي حين
 فسر الآية قال هو (من قولهم زجر البعير اذا صاح عليه) (٥) وقد مر
 بنا ان زجر البعير ليس صياغاً عليه فحسب بل هو نهر ، وسوق بشدة
 وقوة مما جعل الزجرة في القرآن الكريم وسيلة للنفير تثير في الذهن صورة
 للبيئة العربية مقرفة بالرعب والسرعة والسوق الشديد ، فكأنّ الناس لا يوقفون
 على الصوت المفزع فحسب إنما يساقوه ويدفعون بكل ما تحمله الكلمة السوق

(١) الكامل للمبرد ١ : ٢٣٧ .

(٢) لسان العرب ٥ : ٤٠٧ ، وانظر أيضاً الصمحة ٢ : ٦٦٨ .

(٣) انظر ديوان التابعية الذبياني : ٦٨ ، ديوان الخطيبية : ١٧٥ ، ديوان

عروة بن الورد : ٧٢ ، شرح ديوان كعب بن زهير : ٢١٣ ، الكامل للمبرد ١ : ١١٦ .

(٤) أساس البلاغة : ٣٩٤ . وهو المعنى الذي فسر به قوله تعالى في سورة

القمر ٥٦ : ٤ (ولقد جاءَهُمْ من الأنبياء ما فيه مزجر) ، فقصص الأنبياء ،

والاقوام السالفة زجر للمشركيـن ، لأنـ فيما يـرـدـعـهـمـ، ويزـجـرـهـمـ عـماـهـمـ عليهـمـ،ـقيـمـونـ

من التكذيب بآيات الله . جامع البيان ٢٧ : ٨٩ .

(٥) الكشاف ٣ : ٣٠٩ .

من معانٍ الذلة والعنف تماماً كما يساق ويزجر البعير الذي تَعْوَدَ القوة والعنف من صاحبه .

فحشر الناس من قبورهم مصحوب في كل صور النفيء بالرعب والفزع ، وقد أضاف تعبير الزجرة معنى آخر هو الذل والعنف ، كما ان توكيدها بكلمة (واحدة) يدل على القوة والسرعة لأنها تبين سهولة قيام الساعة عند الله ، وسرعة قيامها لـ^{إثر} صيحة وزجرة واحدة لا أكثر . وبهذين التعبيرين الصيحة والزجرة تتشكل في الذهن لوحة ثالثة للنفيء وحشر الناس لـ^{إثر} منه عظيم يربّعهم .

هذه اللوحات الثلاث عرضت في القرآن الكريم لبيان غرض واحد هو النفيء الذي يُحشر بواسطته الناس يوم القيمة ، واذا كانت هذه التعبير قد اختلفت وتتنوعت فان الروح مشتركة فيها جميعاً ، فالصُّور والنماور قوام اللوحة الأولى هما وسبلنا النفيء ينفع فيها فيسبان صوتاً مرعباً يجتمع على إثره الناس . أما الداعي والمنادي فانهما يصيحان بصوت مرعب مفزع فيهرع الناس نحوهما تالية للنداء ، وقد ذهلت عقولهم ، وفرعت قلوبهم . أما الصيحة والزجرة فقد صورتا النفيء بصوت مرعب واحد يفاجيء الناس فيحشرهم ليوم القيمة . فصوت النفيء المرعب مشترك في اللوحات الثلاث ، كما ان اليماءات التي ترسمها الآيات السكرية في الذهن هي نفسها في كل التعابير الا وهي الفزع واسراع الناس نحو النفيء ، وقد ذلت نفوسهم واحتاطهم الرعب والفزع ، وشُغِل كل منهم عن غيره ، لايفكر إلا في المول الذي ينتظره ، والذي رأى بوادره في النفيء المفزع الذي دعوا بواسطته

٢ - مدة للنفيء :

حين كثرت التعابير التي تصور النفيء اختلط على المفسرين أمر تحديد

المرات التي يدعى فيها الناس الى النفيء لذلك نراهم مثلا قد اختلفوا في تحديد الصيحة ، فقد فسرها بعضهم مطلقة عن التحديد بالنفخة الأولى ، أو الثانية أو الثالثة عند بعض المفسرين (١) وعند الطوسي والزمخشري النفخة الثانية (٢) وفسرها الطبرى بالنفخة الثالثة (٣) ، وكذلك الحال مع الرجزة (٤) .

واختلاف المفسرين في تحديد المرات التي يدعى فيها الناس يمكن أن نجد له تعليلا ، فهم لم يفهموا ان التعبير الستة التي مرت بنا أعلاه هي وسائل متعددة الوجوه لبيان صورة واحدة هي صورة النفيء الذي يدعى بواسطته الناس وان هذه التعبير تشارك كلها في بيان هذه الصورة ، ثم اذا نجد في سياق الآيات التي ورد فيها ذكر الصور اشارات الى تكرر النفخ فيه ، مما يدفع الذهن الى الاعتقاد بتكرار النفيء أكثر من مرة قال الله سبحانه وتعالى (ونُسَخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُسَخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يُنَظَّرُونَ) (٥) وقال أيضاً (يَوْمَ تَرَجَّفُ الرَّاجِفَةُ ، تَتَبَعُهَا الرَّادِفَةُ) (٦) .

ويبدو انه لانعارض بين توكيده عز وجل الآيات التي تخص النفيء بكلمة (واحدة) (وما يَنْظُرُ هُؤُلَاءِ إِلَّا صِيَحَةٌ وَاحِدَةٌ مَا لَهَا مِنْ فُوَاقٍ) (٧)

(١) جامع البيان ٢٣ : ١٤ ، الكشاف ٣ : ٥٥ .

(٢) التبيان ٩ . ٣٧٦ ، الكشاف ٣ : ١٦٥ .

(٣) جامع البيان ٢٣ : ٢٣ .

(٤) التبيان ١٠ : ٢٥٤ ، الكشاف ٣ : ٣٠٩ .

(٥) سورة الزمر ٣٦ : ٦٨ .

(٦) سورة النازعات ٧٩ : ٧ - ٦ .

(٧) سورة ص ٣٨ : ١٥ .

لاتعارض بين هذا التوكيد وبين فهم المفسرين للنفحات وتحديدها بالأولى والثانية والثالثة ! لأن النغير الذي يدعى إليه الناس إنما يكون مرة واحدة سواء كان ذلك بالصور أو بدعوة الداعي ، وإنما يُسْفَخُ في الصور أول مرة فنموت الخلائق وهي التي يصعب لها من في السماوات والأرض ، وتحتَّم فيها الحياة ، وتتلذل هذه نفخة أخرى وهي نفخة النغير التي تبعث الناس من قبورهم إعلاماً ل الساعة الحساب ، ومن هنا نجد أن النغير ليوم القيمة إنما يكون بنفخة واحدة لعلاقة لها بالنفخة التي تسبق موته الخلائق ، وفداء العالم ، وهي بهذا لا تدخل ضمن بحثنا للتغير وحشر الناس من قبورهم . ونجد لهذا التوكيد دلالة أخرى وهي تصويرها لسرعة مدة التغير ، وأنه يكون بطوعية ودون تأخير ، وما يؤكد كون التعبيرات السابقة وسائل عديدة لتصوير النغير وإنما لا يراد بها تحديد عدد المرات أن كلمة (واحدة) لازمت النفخة ، والصيحة ، والزجرة ، فلو كان القصد اظهار العدد للازمت تعبيراً واحداً دون التعبير الأخرى .

وعند التغير المربع الذي ينبع الناس بواسطته يجدون أنفسهم وجهاً لوجه أمام الموت والفوز ، وتنفص الأواصر الدنيوية التي يتقارب بها الناس بعضهم إلى بعض ، فلا انساب تنفعهم ولا سلطان ينتشلهم من العذاب الذي ينتظرون فيتمنون العودة إلى الحياة الدنيا ، وإن لم ذلك ؟ إذ لا مفر لهم بعد أن قامت الساعة ونُودي للحساب . هذه الفكرة صورت بتعبير رائع في آية قرآنية كبرى تعكس لنا صورة زاخرة بالحياة الإنسانية وفيها إمكانيات للبيئة العربية : قال سبحانه وتعالى (كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمٌ نُوحٌ وَعَادٌ وَفَرْعَوْنٌ ذُو الْأَوْتَادِ ، وَثَمُودٌ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ الْأَيْكَةِ أُولَئِكَ الْأَحْزَابُ ، إِنْ كُلُّ الْأَكْذَابَ الرَّسُلَ فَحَقٌّ عَقَابٌ وَمَا يَنْظَرُ هُؤُلَاءِ)

الا صيحةٌ واحدةٌ مالها من فُوّاقٍ) (١) :

وقد اختلف المفسرون في قراءة الفوّاق بالفتح أو الضم ، وخالفوا في تفسيرها تبعاً لذلك قال الفراء : (مالها من فُوّاق يقرأ بالضم والفتح أي مالها من راحة ، ولا افaque ، ولا نظرة ، وأصلها من الافاقه في الرضاع اذا ارتضعت البهمة امها ثم تركتها حتى تنزل شيئاً من اللبن فتلك الافاقه الفوّاق) (٢) . وقال أبو عبيدة مالها من فُوّاق من فتحها قال : مالها من راحة ، ومن ضمها فُوّاق وجعلها من فُوّاق ناقةٍ وهو ما بين الحلبتين) (٣) أما الطبرى فاختلاف القراءة لاتعني عنده اختلافاً في المعنى لأنها قراءتان لكلمة واحدة تعنيان معنى واحداً (٤) . وقد جع الزمخشري المعنيين في تفسيره حين قال : (مالها من فُوّاق وقرىء بالضم مالها من توقف مقدار فُوّاق الناقة وهو ما بين حلبى الحالب ، ورضعى الراضع ، يعني اذا جاء وقتها لم تستأخر هذا القدر من الزمان كقوله تعالى : (فإذا جاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ ساعه) (٥) .

اما عند اللغويين فنجد ان ابن فارس قد وضع معنى الاوبة والرجوع أصلاً للكلمة ، وحاول ان يربط المعاني الأخرى به كفُوّاق الناقة مثلاً ، ولكن الظاهر ان معنى الاوبة والرجوع متأخر عن معنى فُوّاق الناقة ،

(١) سورة ص ٣٨: ١٢ - ١٥ .

(٢) لسان العرب ١٢: ١٩٤ .

(٣) مجاز القرآن ٢: ١٧٩ ، غريب القرآن ١٨٥ ، تأويل مشكل القرآن ١١٣ ، مجالس ثعلب ١: ١٦١ ، الصحاح ٤: ١٥٤٦ ، مقاييس اللغة ٤: ٤٦١ ، المخصوص ٧: ٣٧ .

(٤) جامع البيان ٢٣: ١٣٣ .

(٥) الكشاف ٣: ٤٦١ .

وذلك لأن الثاني معنى حسي اسبق في الوجود في البيئة الغربية التي اهتمت أول ما اهتمت بالمعاني المتعلقة في بيئتها ، ثم اشتقت منها المعاني الأخرى ومنها المجازية مثلا .

وفوائق الناقة رجوع اللبن في ضرعها بعد الحلب (١) ، أو هو ما بين الحليبين من الوقت ، لأنها تحمل فترات ثم ترك يرضعها الفصيل لتدبر ثم تُحَلَّب (٢) وقد وردت في الشعر الجاهلي دالة على هذا المعنى الحسي كما وردت في شواهد أخرى دالة على المعاني المجازية قال الأعشى :

حق اذا فيقنة في ضرعيها اجتمع

جاءَت لترضع شقَّ النفسِ لو رَضَعا (٣)

وقال أيضاً متغزاً بصاحبه مشبها إياها بالظبيبة ثم يستمر واصفاً الظبيبة :
ما تعودي عنه النهارَ ولا تعَ جُوهُ الا عفافَة او فوائق
أي أنها لا تبتعد عن رضيعها طول النهار ، ولا تؤخر رضاعته إلا ريثما يجتمع في ضرعها بعض اللبن (٤) وقال الطرماح وهو الشاعر الخارجي الذي ينحو في شعره نحو الاعراب وأهل البدية قال يصف سرعة قداح اجبلت في شبها بغلان تذكرت فيقة ارامها :

تَخْرُورُ بِالْأَيْدِي اذَا اسْتَعْجَلَتْ عَدْوَا على خِفَةِ اجسامها

خوارَ غَزَلانَ لِوي هِيشَمٌ تذكرت فيقة ارامها (٥)
ووردت كذلك في الحديث النبوى الشريف في قوله (ص) من قاتل

(١) العين : الورقة (٥٦) ، مقاييس اللغة ٤ : ٤٦١ .

(٢) تأويل مشكل القرآن : ١١٣ ، الصحاح ١٥٤٦ : ٤ ، غريب القرآن : ١٨٥

(٣) ديوان الأعشى : ١٣ ، وانظر أيضاً شرح القصائد السبع : ١٣ .

(٤) ديوان الأعشى : ٣٢ .

(٥) ديوان الطرماح : ١٦٣ .

في سبيل الله فوق ناقة وجبت له الجنة (١) . وروى عنه (ص) انه قال : عيادة المريض قدر فوق ناقة (٢) . ومن هذا المعنى الحسي اشترت باقي المعاني الأخرى المعنوية منها والمحازية فالآفواه ما اجتمع من السحاب من ماء فهو يمطر ساعة بعد ساعة (٣) . وصورة فوق الناقة واضحة هنا في اجتماع الماء في السحاب بين الفينة والأخرى .

ومن الجائز تَفَوَّقْتُ الماء شربته شيئاً بعد شيء (٤) ، وكذلك الفوّاق وهو الذي يأخذ الانسان عند النزاع ، وكذلك الريح التي تشخص في صدره (٥) والفوّاق تردد الشهقة (٦) فكأن زع الموت سمي فوقاً لأن الروح عند النزاع تقبض ثم تعود ، كما يرجع اللبن عند فوق الناقة . وقولهم ما يفيف وما يستفيق من الشرب (٧) : واستفاق من مرضه وأفاق (٨) . وهذا المعنى مستمد أيضاً من المعنى الحسي المستعمل في الآية وهو فوق الناقة ، وقد صرّح المفضل بن سلمة بهذا الأصل وعلقته باتفاق الشرب ، (ما يفيف وما يستفيق من الشرب معناه انه لا يدعه ، وأصل هذا من قولهم استفاقت الناقة وهو ان تحملها ثم تدعها حتى يثوب لبنيها

(١) سنن الدارمي ٢: ٢٠١ ، وانظر أيضاً مسنداً الإمام أحمد ٢: ٢٠٦ .

(٢) لسان الغرب ١٢: ١٩٤ .

(٣) أساس البلاغة : ٧٣٢ ، المخصص ٧: ٣٨ .

(٤) أساس البلاغة : ٧٣٢ ، المخصص ٧: ٣٨ ، ٩: ١٠٨ .

(٥) الصحاح ٤: ١٥٤٦ ، المخصص ٣: ١١٧ ، ٥: ٧٨ .

(٦) لسان العرب ١٢: ١٩١ ، التوادر ١: ١٠٣ ، المخصص ٦: ٢٣ .

(٧) الفاخر : ٢٨١ .

(٨) الصحاح ٤: ١٥٤٧ ، المخصص ٥: ٨٧ .

ثم تخلبها . فقولهم مايفيق وما يستفيق ^{أي ليس له وقت معلوم .} (١) .
 ومن هنا نرى ان قوله سبحانه وتعالى : (وما يَنْتَظِرُ هُؤُلَاءِ إِلَّا صِبْحَةً ^{واحدةً} مَا لَهَا مِنْ فَوْاقٍ) (٢) إنما يرسم للسامع صورة واضحة الملامح للبيئة العربية اذ انها توحى أول ماتوحى بالأصل الحسي وهو فوق الناقة الى جانب المعنى المجازي المراد من الآية وهو معنى العودة والرجوع . ونحن نعرف أهمية الناقة في الحياة العربية وصلة العربي بها ، وكيف ان لغته قد وفرت بالالفاظ التي تخص الابل (٣) . فتنقل الآية الكريمة الى الذهن الفكرة القليلة التي يستلزمها فوق الناقة ، ويعكس لنا هذا المعنى أهمية الناقة ، وكيف انها ربطت حياة العرب بها حتى صار يحدد بعض أوقاته ، بظاهرة تحدث أمام ناظريه ، وهي الفترة القصيرة التي تستدعي نزول اللبن من الضرع ومن هنا جاء الاعجاز القرآني يرسم صوراً شتى في ذهن القارئ في كلامة واحدة لها دلالتها على البيئة العربية كالفواقي بدلاً ان يقرر بتعابير معنوي خالص بأن التغير الذي يدعى اليه الناس لا يمفر منه ولا يهرب من عذابه ، وقد أكد هذا المعنى في آيات أخرى للدلالة على سرعة قيام الساعة (وما أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَائِنٌ مُّحْكَمٌ بِالْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ) (٤) . (وما أَمْرَنَا إِلَّا واحدةً كَلْمَحَ بِالْبَصَرِ) (٥) .

هذه هي صور التغير بتعابيرها المختلفة التي تصور سرعة قيام الناس

(١) الفاخر : ٢٨١ ،

(٢) سورة ص ٣٨ . ١٥ .

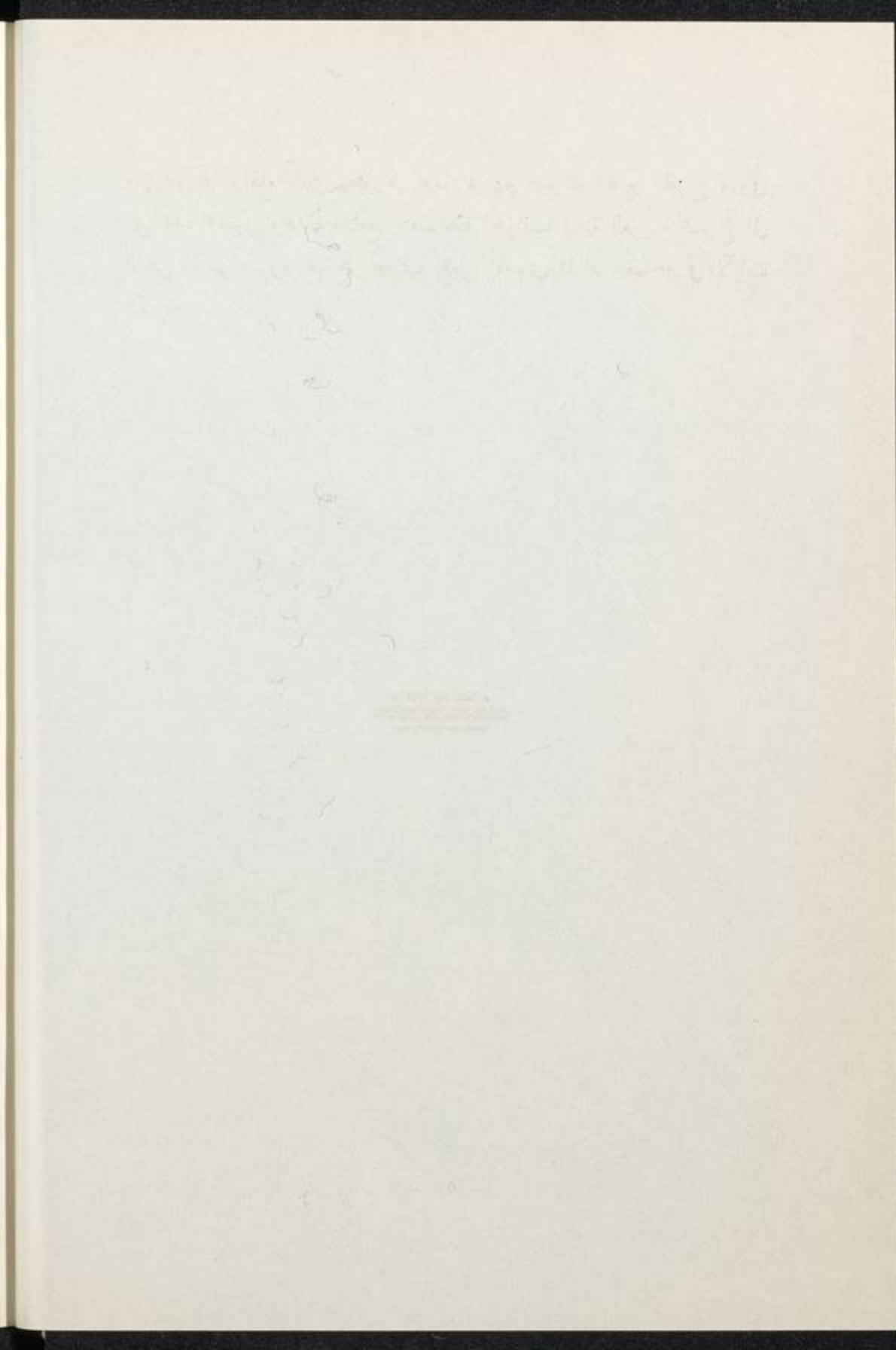
(٣) أنظر المخصص كتاب الابل ٧ : ١ - ١٧٤ .

(٤) سورة النحل ١٦ : ٧٧ .

(٥) سورة القمر ٥٤ : ٥٠ .

من قبورهم وأطلع الذي يعتورهم عند سماعهم صوت النفير المفزع ، وفي كل هذه الصور وجدنا ملامح متعددة الجوانب لبيئة العربية تسرع إلى الذهن لترسم صورة حية إلى جانب المعنى المعنوي المراد ابصراه في الآيات الكريمة .





الفَصْلُ الثَّانِي

اضطراب السماوات والأرض

١ - اضطراب الأرض .

- أ - رجتها وزلزلتها
- ب - تكسر الجبال وتفتتتها

٢ - سير الجبال وتشبيهها بالسراب

١ - نسفها

٢ - بسها

٣ - تشبيهها بالعهن

٤ - سرعة انهيارها

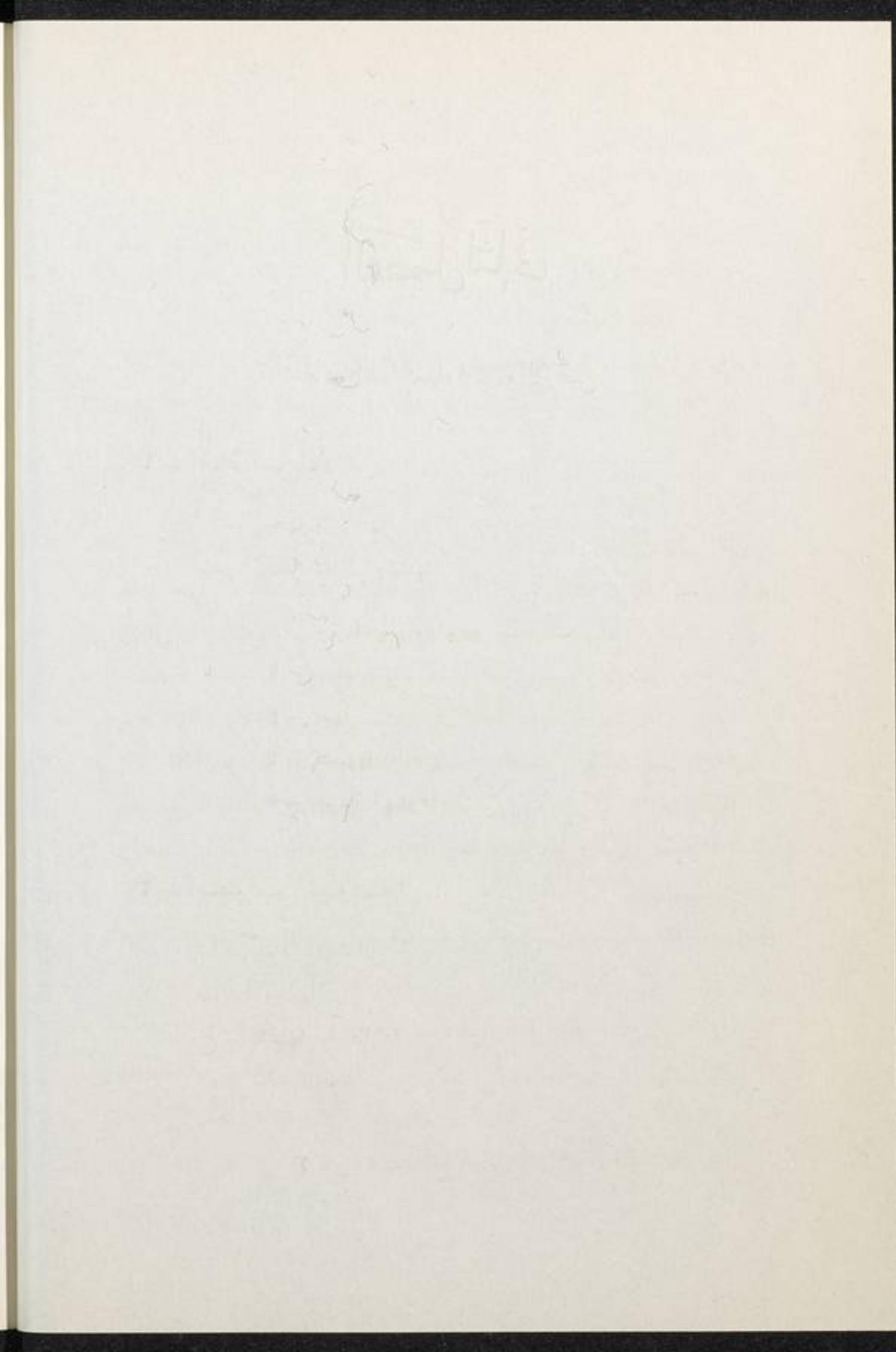
٢ - اضطراب السماوات

أ - تحولها إلى سائل

ب - دورانها

ج - تشققها وانفطارها

د - تناور النجوم



١ - اضطراب الأرض

بعد مشهد النفيـر المفزع الذي مرت بـنا صوره سابقاً تحدث في الكون
عـدة ظواهر تـشـرك كلـها في اظهـار جـو رـهـيب مـفـزع يـقـفـ الناسـ أـمـامـ هـولـهـ
وـفيـ كـلـ تـعبـيرـ نـجـدـ تصـوـيرـ آـنـسـانـياـ رـائـعاـ وـتـجـسـيدـ آـنـاـصـاـ لـلـبـيـةـ الـعـرـبـيـةـ .

أ - رجتها وزلازـلـها

ان الظـاهـرـةـ الـتيـ تـعـرـضـ لـلـأـرـضـ عـبـرـ عـنـهـاـ بـعـدـ تـعـابـيرـ تـشـركـ كلـهاـ فيـ
إيجـادـ صـورـةـ وـاحـدـةـ تـمـثـلـ فـيـهـاـ حـالـةـ الـأـرـضـ بـعـدـ النـفـيرـ .ـ قالـ اللهـ سـبـحـانـهـ
وـتـعـالـىـ :ـ (ـ وـاسـتـمعـ يـوـمـ يـنـادـيـ الـمـنـادـيـ مـنـ مـكـانـ قـرـيبـ ،ـ يـوـمـ يـسـمـعـونـ
الـصـيـحـةـ بـالـحـقـ ذـلـكـ يـوـمـ الـخـروـجـ ،ـ إـنـاـ نـحـنـ نـسـعـيـ وـنـبـيـتـ ،ـ وـالـيـنـاـ الـمـصـيرـ
يـوـمـ تـشـقـقـ الـأـرـضـ عـنـهـمـ سـرـاءـ ذـلـكـ حـشـرـ عـلـيـنـاـ يـسـيرـ)ـ (١ـ)ـ .ـ
فـالـأـرـضـ بـعـدـ صـيـحـةـ الـمـنـادـيـ تـتـصـدـعـ وـتـنـفـطـرـ كـاـ يـقـولـ الـمـفـسـرـونـ (٢ـ)ـ .ـ

وـفـيـ سـوـرـةـ الـوـاقـعـةـ نـجـدـ تصـوـيرـ خـالـ الـأـرـضـ فـيـهـ حـرـكـةـ مـلـازـمـةـ لـلـتـشـقـقـ ،ـ
وـتـتـصـدـعـ .ـ قـالـ سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ :ـ (ـ إـذـاـ وـقـعـتـ الـوـاقـعـةـ ،ـ لـيـسـ لـوـقـعـتـهـ كـاذـبـةـ
خـافـيـضـةـ رـافـعـةـ ،ـ إـذـاـ رـجـّـتـ الـأـرـضـ رـجاـ ،ـ وـبـسـتـ الـجـبـالـ بـسـاـ)ـ (٣ـ)ـ .ـ
فـرـجـةـ الـأـرـضـ هـنـاـ مـعـنـاهـاـ اـضـطـرـابـاـ ،ـ وـحـرـكـتـهـ السـرـيـعـةـ أـثـرـ صـعـقـةـ النـفـيرـ (٤ـ)ـ .ـ

(١) سـوـرـةـ قـ ٤١:٥٠ - ٤٥ـ .ـ

(٢) مـجـازـ الـقـرـآنـ ٢:٢٤٧ـ ،ـ جـامـعـ الـبـيـانـ ٢٦ـ :ـ ١٨٤ـ ،ـ التـبـيـانـ ٩ـ :ـ ٣٧٥ـ .ـ
الـكـشـافـ ٣ـ :ـ ١٦٥ـ .ـ

(٣) سـوـرـةـ الـوـاقـعـةـ ٥٦:١ـ - ٥ـ .ـ

(٤) مـجـازـ الـقـرـآنـ ٢:٢٤٧ـ ،ـ جـامـعـ الـبـيـانـ ٢٧ـ :ـ ١٦٧ـ ،ـ التـبـيـانـ ٩ـ :ـ ٤٨٨ـ .ـ

والرج في اللغة (أصل يدل على الاضطراب...) والرج تحرير الشيء
تقول رجحت الحائط رجا ، وارتج البحر (١) وقال ابن دريد (وسمعت
رجة القوم ، أي أصواتهم ، وكذلك رجة الرعد أي صوته) (٢) .
فكأن القوم لا يسمع صوتهم الا اذا اضطربوا ، وارتجوا لأمر مفزع ،
وكذلك الرعد يسمع صوته حين تصطدم سحابتان بعضها ببعض ، فكأن
صوتها يأتي نتيجة الاضطراب والرجة .

وهناك دلالة حسية أخرى غير معنى الاضطراب ، وهي تلك التي
أشار إليها أبو عبيدة بقوله مفسراً رجة الأرض : (اضطررت والسهم يرتج
في الغرض) (٣) . وقال الطبرى : (اذا رجت الأرض رجا ، يقول تعالى
اذا زلزلت الأرض فحركت تحريراً كمن قوظم السهم يرتج في الغرض بمعنى
يهتز ويضطرب) (٤) .

وهذا التفسير ينقل إلى الذهن صورة الرمح حين يرتج ويضطرب .
بالإضافة إلى دلالته على لصوق صورة الرمح في البيئة العربية المضطربة ،
حيث الغزوات المفاجئة والمذلة الختم اذا اهتز الرمح ، واضطرب في يد
حامله . ولطالما ذكر الشعرا الرماح وآلات الحرب في أشعارهم ، ووصفوها
بدقة ، لأنها ركن أساسى في حياتهم المضطربة (٥) .

(١) مقاييس اللغة ٢: ٣٨٤ ، وانظر أيضاً المفردات : ١٨٦ ، أساس
البلاغة : ٣٢٣ ، انسان العرب ٣: ١٠٦ .

(٢) جهرة اللغة ١: ٥١ ، وانظر شاهد الشعر في ديوان امرىء القيس : ٢١٦
مجاز القرآن ٢: ٢٤٧ .

(٤) جامع البيان ٢٧: ١٦٧ ، وانظر أيضاً التبيان ٩: ٤٨٨ الكشاف ٣: ١٩٩

(٥) انظر في هذا الموضوع بحث وصف الرماح في البيئة الجاهلية في كتاب
الوصف في شعر العراق : ٥٨ ،

ومع اقتران هذا التوجيه بصورة واضحة من البيئة العربية وهي اهتزاز الرماح ، فان هناك تصویراً أشهل لرجة الأرض المربعة ، وذلك ان ترج الأرض فيضطرب على أثرها كل ما وجد عليها من بناء ، وجبال ، فتتداعى أركان الكون الواحدة تاراً الاخرى وقد ذكره الطوسي الى جانب اهتزازه الرمح بقوله : (وقيل ترج الأرض بمعنى انه ينهدم كل بناء على الأرض) (١) . وقال الزمخشري : (رجت الأرض ، حرقت تحريراً كائناً شديداً حتى ينهدم كل شيء فوقها) (٢) ،

فالأرض عند اضطرابها ترتجح رجأً شديداً مربعاً مثل ارتجاج الرمح عند اشتداد الحروب ، ونتيجه هذه الاضطرابات السريعة يسود الاضطراب الكون كله ، فينهدم كل ما عليها من بناء وجبال .

والزلزلة تعبر آخر يصور الظاهرة التي تعرض للارض ، وقد فسرت بالاضطراب ، والحركة الشديدة ، قال ابن عباس (ترزلت الأرض زلزلة واضطربت الأرض اضطرابة ، فانكسر ما عليها من الشجر ، والجبال ، والبنيان) (٣) . ولعل أقرب المعاني الحسية التي وصلتنا لاستعمال الكلمة هي زلزلة الأرض على اعتبارها احدى الظواهر الطبيعية التي تحدث في الأرض قال ابن دريد : (الزلزلة الاضطراب . أخذ من زلزلات الأرض زلزالاً) (٤) ومن هذا المعنى زلة القدم ، وذلك ان يقال : (زللتْ يافلان

(١) النبيان ٩ : ٤٨٨ .

(٢) الكشاف ٣ : ١٩٣ .

(٣) تذكرة المقياس : ٣٩٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٣٦٥ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ مقاييس اللغة ٣ : ٤ ، لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ .

(٤) جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ ، معجم مقاييس اللغة ٣ : ٤ .

بالفتح ، تَنْزِلُ زَلِيلًا ، اذا زَلَّ في طين) (١) . و (زحلقة زُلَّ أَي
زَلَقَ ، قال الراجز :

لم زحلاوة زُلَّ بِهَا العَبَنَانُ تَنْهَلُ) (٢)

وهذا الاستعمال مرتبط بالاستعمال المادي ، وهو الاضطراب ، فكأن
الارض تضطرب تحت قدمي الرجل ، فيقال عنه زلت قدمه) (٣) .

لقد افترنت الزلة بالاضطراب ، والحركة المفرزة في الذهن العربي
لما تركه من أخطار ، وآثار جسمية في أرواح الناس ، ومتلكاتهم ، وهذا
الاقتران هو الذي جعلهم يطلقون الكلمة على المصيبة والداهية) (٤) . قالت
الخنساء رثى أخاها بأن الجبال الشوامخ رجت لمصيبة فقده ، وان الأرض
هي الأخرى اضطربت وزلزلت :

فإنْ تَلَكْ مَرَّةً أَوْدَتْ بِهِ فَقَدْ كَانَ يَكْثُرُ تَنْقُتَهَا
فَحَحَزَّ الشَّوَامِعُ مِنْ فَقْدِهِ وَزَلَّتِ الْأَرْضُ زِلَّهَا) (٥)

(١) لسان العرب ١٣ : ٣٢٥ .

(٢) الصحيح ٥ : ١٧١٧ ، وانظر أيضاً لسان العرب ٣ : ٣٢٥ ، والبيت
غير منسوب .

(٣) انظر في هذا ديوان الخطبة : ٥٥ ، المفضلات ٩٥ ، ٢٣٩ ، شرح
ديوان الحماسة ٢ : ٨٩٧ ، ١ : ٤٥٣ .

(٤) التهذيب ١ : الورقة (١٢٣) جمهرة اللغة ١ : ١٤٩ ، الصحيح ٥ :
٧١٧ ، أساس البلاغة : ٤٠٥ ، لسان العرب ١٣ : ٣٢٧ ، وبهذا المعنى فسر قوله تعالى
(وزلزلوا زلزاً شديداً) سورة الأحزاب ١٣ : ١١ ، انظر مجاز القرآن ٢ : ٢٣٤

تفسير التستري ١٦ ، تفسير ابن أبي حاتم الرازي : الورقة (٣) (ب) لسان العرب ١٣ : ٣٢٧

(٥) الكامل للمبرد ٣ : ١٢١٦ ، والبيت الثاني غير موجود في شرح ديوان
الخنساء : ٢١٨ ، وانظر أيضاً أمالي اليزيدي : ٣٢ ، وانظر أيضاً ديوان المزداد بن
ضرار : ٣٥ .

ومن هنا يتضح معنى الزلزلة وما توحيه من الاضطراب ، والحركة السريعة الشديدة وحين نفهم هذه المعانى نستطيع ان نتحسن أي معنى مفزع ، وحركة مرعبة توحى الآيات الكريمة : (اذا زلزلت الارض زلزاها ، وأخرجت الارض اقفالها ، وقال الانسان : ماذا ؟ يومئذ تحدث اخبارها) (١) . فنجد فيها تصويرا حيا لحال الارض بعد التغير بحيث ترج رجا شديدا وتزيل بما فيها من جبال وناس ، وتلفظ ما في جوفها من الدفائن وهي ترسم في الذهن زلزلة الارض ، واضطرباتها الشامل كما ترسم لنا ذلك الاضطراب الذي يعتري الانسان ، فيشعر كائن الارض تهتز تحته ، وتضطرب .

ب — تكسر الجبال وتفتها :

اما الجبال فانها هي الاخرى يصيدها من الاضطراب ما يصيب الارض من هول موقف القيامة ولتصوير حال الجبال ، واضطرباتها عادة تعبير قرآنية تجتمع كلها لاجداد صورة واحدة لاضطراب الجبال يوم القيمة . وفي كل تعبير منها نجد دلالة واضحة لبيئة العربية واول هذه التعبير هو

١ — سير الجبال وتشبيهها بالسراب :

تسير الجبال من أول الصور التي تصور حال الجبال يوم القيمة : قال الله تعالى : (يوم نسير الجبال ، وترى الارض بارزة ، وتحشرناهم فلم نغادر منهم احدا) (٢) . وفي سورة النمل شبه سير الجبال بمرور السحاب : (وترى الجبال

— البِزَيْدِي : ٣٢ ديوان المزرد بن ضرار : ٣٥

(١) سورة الزلزلة ١:٩٩ - ٤

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٤٦

تحسّبها جامدة وهي تمر مر السحاب . (١) . قال ابن عباس : (ساكنة مستقرة ، وهي تمر مر السحاب في الهواء) (٢) . وفي الطبرى رواية أخرى عن ابن عباس ايضاً تعلل كون الجبال جامدة (لأنها تُجتمع ، ثم تُسَيِّر) : فيحسب رائتها لكثرتها أنها واقفة ، وهي تسير سيراً حثثاً كما قال الجعدي :

بأَرَّعَنَ مُشَلَّ الطَّوْدِ تَحْسِبُّ اِنْهُمْ
وَقُوفٌ لَحَاجٌ : وَالرَّكَابُ تَهْمَلْجُ (٣)
وَاضْفَ الطَّوْسِيُّ : (اي من اجل كثراهم ، والنفافهم تحسب انهم
وقوف ، فكذلك الجبال) (٤) .

وذكر القاضي عبد الجبار بن احمد (٥) تعليلاً آخر لهذا التعبير : وهو قوله ، (وقد قيل أنها تبلغ في سرعة الحركة ، مala يكاد يظن أنها

(١) سورة النمل ٢٦٧ : ٨٨

(٢) تنوير المقياس : ٢٣٩ ، وانظر ايضاً جامع البيان ١٥ ، ٢٥٧ ، ٢١

الكافش ٢٦١ ، ٢

(٣) جامع البيان ٢٠ ، ٢١ ، والبيت في ديوان النابغة الجعدي ١٨٧ ، الارعن يربد به الجيش العظيم شبهه بالجبل الضخم ذى الرعان وهي الفضول ، وقيل الارعن لكرته ، وتهملج تمثيل الملحقة وهي السير الحسن في سرعة . والبيت شاهد على ان الشيء الضخم تراه وهو يتحرك فتحسّبها جامداً ساكناً مع انه مسرع في سيره . . . وذلك هو شأن الجبال يوم القيمة .

(٤) التبيان ٨ : ١٢٤ وانظر ايضاً ٢ : ٤٦٣

(٥) هو عبد الجبار بن احمد الهمداني ، قاضي اصولي كان شيخ : المعتزلة في عصره ولقب بقاضي القضاة توفي سنة ٤١٥ هـ انظر تاريخ بغداد ١١٣ : ٣٨٦ لسان الميزان ٣ : ٣

متحركة خصوصاً اذا كان الماء يتحرك مع حركتها : فيكون اسرع كراكب السفينة ، فإنه يظن مع سائر الركاب انهم ساكنون ، وان كانوا يتحركون اسرع حرفة (١) .

ومشهد سير الجبال شبه في سورة النبأ بالسراب ، وسنجد ما لهذا التعبير ، من دلالة على الهيئة العربية . قال الله تعالى : (يوم يُنْسَخُ في الصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا ، وَفُتَّحَتِ السَّمَاوَاتُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا ، وَسُرَّتِ الْجَبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا) (٢) .

قال الطبرى مفسراً هذا التشبيه : ونفت الجبال ، فاجتلت من اصولها : فصيরت هباء منبئاً لعين الناظر كالسراب الذى يظن من يراه عن بعد ماء وهو في الحقيقة هباء) (٣) وقد قال اللغويون عن السراب بأنه الذى تراه في نصف النهار كأنه ماء (٤) .

وتشبيه الجبال بالسراب له دلالة جميلة على الهيئة العربية : فطالما عانى العربي في صحرائه الواسعة من خداع السراب حين يراه امام ناظريه ويتصوره ماء ، ولكنه في حقيقته من خداع الصحراء ومن خيال العربي المتعطش الى الماء . قال الاعشى في حديثه عن سد مأرب : وكيف انه بتدميره اضاع المياه على بني حمير .

قطار القويول وبهماء فيها سراب يطير (٥)

(١) تنزيل القرآن : ٢٦٤

(٢) سورة النبأ ٧٨:١٨ - ٢٠

(٣) جامع البيان ٣٠:٨ : وكذا فسر قوله تعالى في سورة التكوير ٨١:١

انظر جامع البيان ٣٠:٦٥ ، الكشاف ٣:٣١٥

(٤) الصحاح ١:١٤٧ ، لسان العرب ١:٤٤٨

(٥) ديوان الاعشى : ٤٣

يريد بذلك ان هؤلاء القبول قد ابدوا بالماء الوفير الذي كان متوفراً قبل انفجار سد مأرب بالحرمان من الماء : والضلال في الصحراء الواسعة حين لا يجدون الا السراب الخداع المؤلم . وقال لييد مفتخرًا بناقته التي تتحمل المسير في البيداء حيث يرتفع فيها السراب ، ويشتت الحر :
في تلك اذ رقصَ الْأَوَاعِمُ بالضَّحْى واجتاب اردية السراب إكامها (١)
وقال آخر راسما صورة قوم يخدعون السراب فيسرون على غير هدى بقوله :

وَمَنْهُمْ فِي هِهِ السَّرَابُ يَسْبُحُ يَدَابُ فِيهِ الْقَوْمُ حَتَّى يَطْلَعُوهَا
ثُمَّ يَبْيَطُونَ كَانُوا لَمْ يَبْرُحُوا كَأَنَّمَا أَمْسَوْا بِحَيْثُ أَصْبَحُوهَا (٢)
انها صورة خالدة في الذهن العربي : صورة السراب الذي تتأمله العين
فتخدع : وتتصوره ماء ، ولكن سرعان ما تتبين خديعتها حين يجدُ الانسان
في السير ، فلا يجد غير الخيبة ، والفشل ، وبهذا استغاث السراب لكل من يتأمل
شيئاً لا وجود له ، وقد ورد بهذا المعنى في القرآن الكريم في تشبيه أعمال
الكافرين التي تذهب بهاء يوم القيمة :

(وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٌ بِقِيمَتِهِ يَحْسَبُهُمُ الظَّمَآنُ مَاءً
حَتَّى إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا ، وَوَجَدَ اللَّهَ عَنْهُمْ فَوْفَاهُ حِسَابًا ،
وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (٣) .

ومن هنا نستطيع ان نتصور حال الجبال يوم القيمة ، ودلالة التعبير الدقيق على البيئة العربية اذ تفتت الجبال ، وتنكسر فتبدو كأنها سراب خداع كالذي يشهده العربي في صحرائه الواسعة . وبهذا تحمل الآية الى

(١) شرح ديوان لييد : ٣١٢ : ٣٠١ المفضليات : ١٧١

(٢) الصناعتين : ٢٨٤ والبيت غير منسوب

(٣) سورة النور : ٢٤ : ٣٩

جانب التصوير المادي لحال الجبال كل معانٍ الحية ، وضياع الامل يوم القيمة حين يواجه الكافر هذا الاضطراب المفزع ، وهو صفر اليدين من الاعمال الحسنة .

٢ - نسفيها :

والتعبير الثاني الذي يصور نفخة الجبال ، وأنهادها الهائل هو نسفيها في قوله تعالى حين سأله المشركون الرسول عن الجبال اذا قدمت القيمة : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ ، فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّ نَسْفًا ، فَيَدَرِّرُهَا قَاعًا صَفًّاصَفًا ، لَا تَرَى فِيهَا عِوَاجًا وَلَا أَمْتًا) (١) . وقد فسر نصف الجبال هنا بمعنى قلعها ، واحتياطها ، قال ابن عباس : (يقلعها رب قلعا) (فيدرها) فيدرك الأرض (قاعا) مستوى (صفصاصف) املس لانبات فيها (لا ترى فيها عِوَاجا) واديا ، ولا شقوقا (ولا امتا) ولا شيئاً شائحاً من الأرض) (٢) . واضاف الطبراني الى معنى القلع معنى التذرية ، والتفت قال : (يدركها رب تذرية) وبطريقها بقلعها ، واستئصالها من اصولها : ودك بعضها على بعض وتصييره ايها هباء منبها) (٣) وقد اعتمد في هذا التفسير على المعنى اللغوي المعروف وهو قوله : (نسفت البناء نسفاً : قلعته) (٤) . و (المنسفة آلة يقلع بها البناء) (٥) .
واذا تتبعنا الترتيب التاريخي لكلمة نجد ان معنى القلع معنى متتطور

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧

(٢) تنویر المقیاس : ١٩٨

(٣) جامع البيان ١٦ : ٢١١ ، وانظر ايضاً التبيان ١٠ : ٢٢٥

(٤) الصحاح ٤ : ١٤٣١ ، وانظر ايضاً اسامي البلاغة : ٩٥٣ ، لسان

العرب ١١ : ٢٤٢

(٥) ن . م

عن معنى حسي آخر ، ذلك هو معنى نصف الريح التراب اذا كانت
شديدة فتقذفه في الجو (انتصف الريح الشيء مثل التراب : والعصف ، كأنها
كشفته عن وجه الأرض . وسلبته) (١) .

وقد تكرر ذكر نصف الريح التراب في اشعارهم ، ومقدماتهم
الطلية حين وصفوا ديار الحبيبة بعد ان هجرتها ، وكيف لعبت بها الريح
ونصفت ترابها . قال النابغة :

أهـاجكـ من سـعدـكـ مـعـنـيـ المـعـاهـدـ بـرـوـضـةـ نـعـمـيـ فـذـاتـ الأـسـاوـدـ
تـعـاـوـرـهـ الـأـرـوـاحـ يـنـسـيـفـنـ تـرـبـهـ وـكـلـ مـلـثـ ذـيـ اـهـاضـبـ رـاعـدـ (٢)
وـمـنـ هـذـاـ مـعـنـيـ حـسـيـ اـسـتـعـارـ الـعـرـبـ مـعـنـيـ حـسـيـ آـخـرـ يـتـكـرـرـ اـيـضاـ
فيـ حـيـاتـهـ الـيـوـمـيـ حـيـنـ تـنـسـفـ الـأـبـلـ التـرـابـ بـقـوـائـهـ ، فـقـذـفـهـ عـلـىـ جـانـيـ
مسـيرـهـ ، فـقـيـلـ : (نـاقـةـ نـسـوـفـ اـذـاـ نـسـفـ التـرـابـ بـخـفـيـ يـدـيهـ فيـ
سـيرـهـ) (٣) . وـهـوـ مـعـنـيـ يـظـهـرـ فـيـ مـعـنـيـ الـقـلـعـ الـمـصـحـوبـ بـتـطـاـيرـ وـتـذـرـيـةـ .
ثـمـ اـحـتـاجـ الـعـرـبـ فـيـ بـيـئـتـهـ إـلـىـ مـاـ يـذـرـيـ بـهـ طـعـامـهـ ، وـيـنـسـفـهـ لـيـسـتـخـلـصـ
الـجـيدـ مـنـ الرـدـيـءـ ، وـهـوـ الذـيـ أـطـلـقـ عـلـيـهـ النـسـافـةـ (٤) : وـمـنـهـ الـمـسـنـفـ ،
وـهـوـ الغـرـيـالـ (٥) .

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤١٩ ، وانظر ايضاً المخصص ٩ : ٨٩ لسان

العرب ١١ / ٢٤١

(٢) ديوان النابغة الذبياني : ٤٢ ، وانظر ايضاً المنازل والديار : ٢٠٦

(٣) ابو زيد عن لسان العرب ١١ : ٢٤١ ، وانظر ايضاً التوادر ١ : ٤١٩ ، ٤١٩

الصحابح ٤ : ١٤٣٢ ، مقاييس اللغة ٥ : ٤١٣ ، المخصص ٦ : ١٧٢ ، ٩١ : ٧ ،
وانظر الشعر في شرح ديوان زهير : ١٩١ ، ديوان سعيد : ٤٨

(٤) الغريب المصنف الورقة : (٢٨٤)

(٥) الصحاح ١ : ١٤٣١ ، اساس البلاغة : ٩٥٣

وحركة التراب تذروه الرياح واضحة كل الوضوح في كل المعاني الاخيرة حيث يتطاير التراب تحت قدمي الناقة بعد ان تقتلعه ، وكذلك حين تقتلع النبات بعقدم فيها : واخيراً في حركة المنسف الذي تنفس فيه الحبوب ، فيظهر النسف ، وحركة تطايره في تطاير الحبوب ، واستخلاص الجيد من الرديء منها . ويتبين لنا فيها ان الاستعمال المادي الاول مازال محافظاً على معناه في كل معانٍ الكلمة ، وبقيت صورته الأولى هي الصورة الغالبة على الذهن العربي حيث تقتلع الريح التراب : وتتنفسه في الجو وتذروه فقوله تعالى : (وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجَبَالِ فَقُلْ يَنْسِفُهَا رَبِّ الْأَرْضَ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا لَا تَرَى فِيهَا عَوْجًا وَلَا أَمْتَا) (١) نجد فيه صدى البيئة العربية التي طالما اجتاحتها الريح القوية ، فانتسبت الرمال من الصحراء الواسعة ، وقد ورد في القرآن الكريم تصوير رائع لهذا المشهد ، حين شبهت به اعمال الكافرين التي تذهب هباء (مثل الذين كفروا بربهم أَعْلَمُهُمْ كرماد اشتتدت به الريح في يوم عاصف لا يقدرون مَا كَسَبُوا على شيء ذلك هو الضلال البعيد) (٢) .

٣ - بسها .

قال الله سبحانه وتعالى : (اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خايفة رافعة اذا رجت الارض رجا وبست الجبال بسا فكانت هباء منبها) (٣) .

فبس الجبال - وهو تفتقها - (٤) استعمل مجازاً ، وهذا المجاز ينقل

(١) سورة طه ٢٠: ١٠٥ - ١٠٧

(٢) سورة ابراهيم ١٤: ١٨

(٣) سورة الواقعة ٥٦: ١ - ٥

(٤) اللغات في القرآن : ٤٨

الى الخيال صورتين من صور البيئة العربية : الأولى ان تفتت الجبال حتى تكون كالعجبين : والسوق قال ابن السكين ، (بَسَّتُ السُّوقَ ، وَالدِّيقَ بَسَّهَ بَسَّا) : اذا بلته بشيء من الماء ، وهو أشد من اللات (١) والبسية هي (الْيَ نُلَمَتْ بِسْمِ اوزِيتْ وَلَا تُبَلَّ) (٢) ومن هذا المعنى الحسي فهم بعضهم الآية الكريمة السابقة فقال أبو عبيدة مفسراً بمن الجبال : (مجازُهَا كِمْجَازِ السُّوقِ الْمَبْوَسِ أَيِّ الْمَبْلُولِ وَالْعَجَبِينِ) ، قال لص من غطfan واراد ان يخرب ، فخاف ان يعجل الدقيق ، فاكله عجيناً وقال :

لَا تَخْبِزَا خَبْزاً وَبُسَّاً بَسَّاً (٣)

وصورة بمن السوق التي ينقلها ابو عبيدة تفسر لنا الآية الكريمة ، وتصور حال الجبال يوم القيمة ، وكيف أنها اذا زلت الأرض واضطررت بصيدها الاضطراب فتفتت وتختطم حتى تكون كالعجبين المبسوس الذي طالما استعمله العرب في حياتهم ومعيشتهم فعرفوا مدى ما يصوره تعبير البس للجبال من الدقة في التحطم . والتحول الى فتیت ناعم .

اما الصورة الثانية للبس فانها مستمدۃ ايضاً من البيئة العربية : وهي صورة سوق الابل : وتسيرها . قال الزجاج شارحاً الآية : (يجوز ان

(١) عن لسان العرب ٧ : ٣٢٧

(٢) الغريب المصنف : الورقة (٩٣) الصحاح ٢ : ٩٠٥ ، لسان

العرب ٧ : ٣٢٤ ، ٣٢٥

(٣) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٧ وانظر ايضاً جامع البيان ٢٧ : ١٦٧

التبيان ٩ : ٤٨٨ الكشاف ٣ : ١٩٣ ، والبيت مذكور مع ابيات في الحيوان

٤ : ٤٩٠ جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، الصحاح ٢ : ٩٠٥ ، وروي في

المخصوص عن صاحب العين (وُنْسَاتِسَا) ٧ : ١٠٤

يكون معنى بست : سبقت وانشد : وابن حبات الكثيب الأهل (١) وقال الزمخشري مضيفاً إلى التفسير الأول قوله : (او سبقت من بس الغنم اذا ساقها كقوله « وسررت الجبال ») (٢) . فهذا التفسير يعطينا صورة للتعبير الذي استعملت فيه الكلمة للدلالة على السوق قبل (البس) السوق اللين وقد بَسَتُ الابل أبْسَثَها بالضم بَسَّا) (٣) . قال ابو زبيد (٤) مسمياً الراعي بالمبس :
فَلَمَحَا اللَّهُ طَالِبَ الصَّلَحِ مِنَا مَا اطَافَ الْمُبَسِّسَ بِالدَّهَاءِ (٥)

وقال عبده بن الطبيب (٦) يصف فرسه ، وكيف انه يستجيب له اذا ابشه ، وساقه بين الخيل :

(١) عن التبيان ٩ : ٤٨٨ : وانظر الرجز في الحيوان ٤ : ٢٥٦

(٢) الكشاف ٣ : ١٩٣

(٣) الغريب المصنف : الورقة ٣٩٩ : وانظر ايضاً جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، الصحيح ٢ : ٩٠٦ ، أساس البلاغة : ٤٦ ، المخصص ٨ : ٩ وانظر ايضاً ديوان النابغة الجعدي : ٣ ، ديوان الشماخ : ٣٣

(٤) هو المنذر بن حرملة من بني حية : وقبل حرملة بن المنذر بن معد يكرب ، وكان نصرانياً وعلى دينه مات : وهو من أدرك الجاهلية . ذكره السجستاني في المعمرين : توفي نحو ٦٢ هـ : انظر المعمرون : ١٠٨

الاغاني ١١ : ٢٣

(٥) جمهرة اللغة ١ : ٣٠ ، ديوان الحماسة : ٣٥

(٦) هو عبدة بن الطبيب شاعر محضرم ادرك الاسلام فأسلم : شهد مع المشي بن حارثة قتال هرمز سنة ١٣ هـ وكان مع الذين حاربوا الفرسن بالمدائن توفي نحو سنة ٢٥ هـ . انظر الاغاني ١٨ : ١٦٣ تاريخ الامم والملوك ٤ : ٤٣ ، ٤٣ ، ٢١٥

اذا ابَسَ به في الْأَلْفِ بَرَزَهُ عوج مركبة فيها براطيل^(١)
 وسواء كان بس الابل سوقها باللين ، او سوقها زجرا ، فانه معنى
 يدل على دفع واستجابة لهذا الدفع الا ان دلالتها على القوة والزجر ترسم
 في الذهن ايحاء المول والفزع المفترى بكل مظاهر من مظاهر التفير
 وما يتبع ذلك من قوة في اضطراب السموات والأرض ، وهذا المعنى
 ينسجم مع السياق العام الذي مرت بنا صوره في تعبير الزجرة : وما فيها
 من دلالة السوق والزجر .

وهنالك استعمال آخر للبس ، وهو ان تبس الابل ، والغم ، وتهدا
 بصوت خاص حتى تقدر لبنيها يقال : (ابَسَتَ بِالْمَعْزِ اذَا اشَيَّتَهَا
 إِلَى الْمَاءِ) (٢) و (ابَسَنَ بِالْأَبْلِ عَنْدَ الْحَلْبِ اذَا دَعَا الفَصِيلَ إِلَى امِهِ
 وابس بامه له (٣) . ومن هنا قيل في الناقة التي لا تقدر الا عند الرفق بها
 والاباسن لها : بانها تبس (٤) . وانشد الاذهري (٥) قول الراعي واصفا
 حال الناقة يهدأها صاحبها تارة بالاباسن ، وآخرى بالنقر :

(١) المفضليات : ١٤٣

(٢) الصبحاج ٢ : ٩٠٦

(٣) لسان العرب ٧ : ٣٢٥

(٤) انظر الغريب المصنف : الورقة « ٣٦٩ » وانظر ايضاً الصبحاج

٩٠٥ : ٢

(٥) هو محمد بن احمد بن الأزهر : ابو منصور ولد سنة ٢٨٢ هـ
 اخذ عن الربيع بن سليمان ، ونقطويه ، وابن السراج ، وأدرك ابن دريد
 ولم يرو عنه ، صنف كتاباً مشهوراً في اللغة وهو « تهذيب اللغة » توفي
 سنة ٣٧٠ هـ انظر نزهة الآباء : ٢٢١ - ٢٢٢ بغية الوعاء : ٨

لعاشرةٍ وهو قد خافها فظلَّ يُبَسِّيسُ أو يَنْتَرُ^(١)
وقال آخر يصف ناقته اذا جالت ، واضطربت : وكيف يهدأها
بالبس :

عَنَسْ أَذَا جَالَتْ بِهِ أَبْسًا وَبَلَغَتْ مِنْهُ التَّرَاقِيَ نَفْسًا^(٢)
فمعنى البس هنا واضح ، وهو دعوة الغنم ، او الابل نحو الماء ، او عند
الحلب ويلاحظ في هذه الدعوة انها تترك الحيوان لينا سلس القيد ،
يستجيب لدعوة الراعي . وفي كلا المعنىين نجد استجابة وطاعة ، فالابل
اذا سقطت ، وزجرت استجابت للسوق وسلست لرعايتها ، فسارت امامه
طائعة ، وكذلك الابل ، والغنم اذا بست نحو الماء ، او للحلب ، استجابت
الى صوت رعايتها فدررت حلبيها ، او سارت معه نحو الماء : وفي هذا
المعنى نجد روعة التصوير القرآني لحال الجبال ، ذلك لأن الاضطراب الذي
يسود السموات والارض ، يصيب الجبال ، فتزازل ، وتكون ارتجافها
اطاعة لأمر الله سبحانه وتعالى حين يأمر بقيام الساعة .

وفي معنى البس صورة واضحة للبيئة العربية التي اعتادها العربي
ورأى فيها بس الحيوان ، ودعورته ، فمرعان ما يتخيّل بس الجبال ،
 واستجابتها لدعوة الله جل جلاله ، فيزداد ايمان الآية الكريمة وترسم
في الذهن سرعة الاحداث ، والاضطرابات يوم القيمة ، لأن الطواعية ،
 والاستجابة السريعة لارادة الله سبحانه وتعالى تنتهي منها سرعة مذهبة في
الاضطراب الكوني .

وفي سورة الحاقة تعبر آخر يصور حال الجبال : (فاذا نفح في

(١) الأزهري عن لسان العرب ٧ : ٣٢٥

(٢) ديوان الحطينة : ٢٨٦ ، والشطر الأول في شرح ديوان زهير:

٣٥٥ وهو غير منسوب الى قائله .

الصُّور نفخةً واحدةً ، وَحُملتُ الارضُ والجبال ، فَدَكَّتَا دَكَّةً واحدةً ،
في يومئذ وقعتْ الواقعهُ) (١) . ففي هذه الآيات الكريمة نجد تصویراً
جامعاً لاضطراب الارض وتفتت الجبال معها يتجسد في تعبير الدك بما
يحمله من معانٍ القوة والرعب ، ما تعجز عنه صفحات ، فالدك في اللغة
يحمل معنى المدم الذي يصاحبـه دق ، وتفتت (٢) .

٤ - تشبيهها بالعهن :

ان انهدام الجبال ، وتفتتها يسبب تناول اجزائـها وتطايرها تبعـاً
للانكسارات السريعة التي تصيبـ الجبال . هذا التناول صورـ في القرآن
الكريم بصورة مادية طالما لصقت في ذهنـ العربي لطولـ ما اعتادـها ، وشاهـدهـا
في بيتهـ ، وذلكـ تشبيهـها بالصوفـ قالـ اللهـ تعالى : (يومـ تكونـ السماءـ
كاملـهـ) ، و تكونـ الجبالـ كالـعـهـنـ ولاـ يـسـأـلـ حـيـمـ حـيـمـ) (٣) .
وقـالـ سـبـحانـهـ وـتـعـالـى : « القـارـعـهـ » ، مـالـقـارـعـهـ ؟ وـمـاـ اـدـرـاكـ مـالـقـارـعـهـ ؟
يـوـمـ يـكـونـ النـاسـ كالـفـرـاشـ المـبـثـوـثـ وـتـكـونـ الجـبـالـ كالـعـهـنـ ،
الـمـنـفـوشـ) (٤) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ١٦

(٢) الصـحـاحـ ٤ : ١٥٨٣ ، مقـايـيسـ اللـغـةـ ٢ : ٢٥٨ ، اـسـاسـ الـبـلـاغـةـ
٧٨ : وقدـ اعتـبرـ الـابـ مـارـاغـنـاطـيوـسـ الـدـكـ كـالـمـةـ سـرـيـانـيـةـ قـالـ : دـكـدـكـ
دقـ مـرـارـاـ : صـبـيرـ شـيـثـاـ تـرـابـاـ وـرـمـيـمـاـ تـدـكـدـكـتـ الجـبـالـ ، تـهـدـمـتـ . انـظـرـ
الـاـلـفـاظـ السـرـيـانـيـةـ مجلـةـ المـجـمـعـ الـعـلـمـيـ العـرـبـيـ دـمـشـقـ مـ٢٣ـ جـ ٤٩٧ـ

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ٩

(٤) سورة القارعة ١٠١ : ١ - ٥

وقد فسر المفسرون العهن بالصوف (١) . وكذا ورد المعنى في كتب اللغة (٢) وهذا التشبيه له دلالته على البيئة العربية . ذلك لأن الصوف من منتجات حيوانها الذي هو عmad حياتها ، وقد تكرر ذكر الصوف ، او آلات غزله في الشعر الجاهلي ، (٣) ثم اننا نجد للصوف لمحات في احدى صور البيئة العربية التي اعتادها العربي ، وهي تلك التي نجدها في وصف الاطلال وما تبقى فيها من الدمن ، والآثار ، ومن بينها الصوف المتناثر قال زهير بن أبي سلمي ،

كأنْ فتاتَ العِهْنِ فِي كُلِّ مَنْزِلٍ نَزَلَنَّ بِهِ حَبُّ الْفَنَامِ يُحَطَّمُ (٤)
قال ثعلب شارحاً البيت بأنه « شبه ماتففت من العهن الذي علق بالموا وج اذا نزل بحب الفنا » (٥) . وقول ثعلب هذا يعطينا توضيحاً آخر لأهمية الصوف في الحياة العربية ، ولصوقه في الذهن العربي وذلك استعمالهم الصوف لتزيين الموا وج ، وهي الصورة التي طالما ذكرها الشعرا في اشعارهم ، وشبهوها - باختلاف الوان الصوف - بالبسير الاحمر

(١) تنویر المقیاس : ٣٦٧ ، غریب القرآن : ١٧٧ ، جامع البيان ٢٩ : ٧٣ . الكشاف ٣ : ٢٦٨ ، وفي قراءة ابن مسعود كالصوف المنفوش بدل كالعهن ، وقد علق ابن قتيبة على هذه القراءة بانهافي الكلمة « مما يغير صورتها في الكتاب ، ولا يغير معناها » انظر تأویل مشکل القرآن : ٢٨ - ٢٩

(٢) العین : ٤٣ ، الصبحاج ٦ : ٢١٦٩ مقایيس اللغة ٤ : ١٧٧
المسلسل : ١٨١ المحکم ١ : ٦٦ لسان العرب ١٧ : ١٧٠

(٣) دیوان امریء القیس : ٢٥ ، امثال العرب : ١٧

(٤) شرح دیوان زهیر : ١٣

(٥) ن . م : ١٣

والأصفر مع خضرة النخل (١) .

٥ - سرعة انهيارها

اما سرعة انهيار الجبال فقد صورت بتعبير الكثيب المتداعي المنهاج في قوله تعالى : (وَذُرْنِي وَالْمَكْذِبِينَ أُولَى النَّعْمَةِ ، وَمَهَلَّهُمْ قَلِيلًا ، انْ لَدِنَا اِنْكَالًا ، وَجَحِيمًا ، وَطَعَامًا ذَا غُصَّةً ، وَعَذَابًا اِيمَانِ يَوْمَ تَرْجَفُ الْأَرْضُ وَالْجَبَالُ ، وَكَانَتْ الْجَبَالُ كَثِيرًا مَهْيَلاً) (٢) . قال ابن عباس مفسرآ الآية الكريمة (تَرَابًا مَهْيَلاً : وهو الشيء الذي اذا رفعـت اسفـله سقطـ عليكـ اعلاه مثل الرمل) (٣) وقال الطبرـي : (يقول : وكانت الجبال رملـا سائلا متناثراً : والمـهـيلـ مـفعـولـ من قولـ القـائلـ : هلـتـ الرـملـ فـأـنـاـ أـهـيـلـهـ ، وـذـلـكـ اـذـ حـرـكـ اـسـفـلـهـ ، وـانـهـالـ اـعـلاـهـ) (٤) .

والكثـيبـ عـبـارـةـ عنـ قـطـعـةـ تـنـقـادـ مـحـدـودـةـ كـمـ يـقـولـ الـاصـمـعـيـ (٥) .
فـاـذـ تـحـرـكـ مـنـ إـحـدىـ جـوـانـبـ اـمـهـالـ بـسـرـعـةـ ، وـمـنـ هـذـهـ الصـورـةـ الحـيـةـ
الـجـبـسـةـ فـيـ الـذـهـنـ الـعـرـبـيـ جـاءـ التـصـوـيرـ الرـائـعـ لـحـالـ الـجـبـالـ فـيـ اـضـطـرـابـهاـ .
وـسـرـعـةـ اـنـهـيـارـهاـ ، وـهـوـ تـصـوـيرـ يـسـتـطـعـ الـعـرـبـيـ اـنـ يـمـثـلـهـ اـمـامـ نـاظـرـيـهـ .
نـظـرـآـ لـتـكـرـرـ صـورـ الـكـثـبـانـ فـيـ الـجـزـرـةـ الـعـرـبـيـةـ ، وـمـاـ يـطـرـأـ عـلـيـهـ مـنـ صـورـ اـنـهـيـارـ
رـملـهـ ، وـتـسـاقـطـهـ . وـقـدـ لـصـقـتـ صـورـ الـكـثـبـ فـيـ اـذـهـانـهـ ، فـرـاحـواـ
يـكـرـرونـهـ فـيـ تـشـبـهـاـتـهـ وـتـعـابـيرـهـ) (٦) .

(١) انظر ديوان امرئ القيس : ٤٣ ، ٥٧ ، ١١٥ .

(٢) سورة المزمل ٧٣ : ١١ - ١٤ .

(٣) تنویر المقیاس : ٣٧١ ، وانظر ايضاً غریب الحديث ١ : ٢٥٢

(٤) جامع البیان ٢٣ : ١٣٦ ، وانظر ايضاً التبیان ١ : ١٦٧

(٥) عن الغریب المصنف : الورقة (٢١٥)

(٦) المفضليات : ٩٢ ، وانظر ايضاً الحماسة البصرية : الورقة -

هذه التعبير تشير كلها في رسم صورة الجبال حين تضطراب وتهار فتناثر أجزاؤها وتتلاشى عظمتها ، وتصبح هباء مبتورا ، وحالها في هذا حال الأرض بصورة عامة حين زلزال وتضطراب بعد صعقة التفير . ومن التعبير التي مرت بنا مجتمعة تتشكل لنا صورة رهيبة لاضطراب الأرض ، وما عليها يوم القيمة . اضافة الى دلالة كل تعبير على ظهر من مظاهر البيئة العربية كما مرّ بنا .

٢ - اضطراب السماوات :

أ - تحولها الى سائل :

ويشمل الاضطراب السماء أيضاً فيصيبها ما يصيب الأرض من اختلال التوازن ، وانهيار النظام الكوني فإذا بها تشق ، وتحول الى سائل عبر عنده بالوردة ، وشبهت في حالها بالدهان قال الله تعالى : (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان . . .) (١) .

لقد ذهب المفسرون في تفسير الآية الكريمة الى توجيهين : الأول هو انها تكون ملونة كالوان الدهن ، أو الورد ، وهذا التفسير لا يحدد اونها وإنما هو تعليم للالوان المختلفة قال ابن عباس : (فصارت ملونة كالدهان ، كالوان الدهن ، ويقال : وردة كالوان الورد) (٢) . وقال ابو عبيدة : (فكانت وردة كالدهان في لونها : جمع دهن

- ١٩١ (ب) الطرائف الأدبية : ٦٢

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧

(٢) تنوير المقاييس : ٣٣٧

تُمور كالدهان صافية وردة اونها كلون الورد ، وهو الجُل^١) (١) .
 اما التوجيه الثاني فهو ان السماء يكون اونها يوم القيمة الحمراء مع
 السواد ، وقد ذكره ابن عباس ايضاً الى جانب التوجيه الأول قال :
 (ويقال كالاديم المغربي أي حمراء مع سواد) (٢) . وقال الراغب :
 (وقيل في صفة السماء اذا احمرت احراراً كالورد امارة للقيمة . قال
 فكانت وردة كالدهان) (٣)

ويبدو ان الذي فهموا الآية الكريمة على ان السماء تكون ملونة
 كالوان الورد ، لم يذهبوا بكلمة الورد الا إلى الورود الحقيقة التي تكون بطبيعتها
 متعددة الألوان ، والأشكال . ومن الناحية الثانية فان السماء شبهت في الآية
 الكريمة بالدهان ، والدهان ايضاً لا يحدد لونه .

اما الذين قالوا بأن اون السماء يكون أحمر يوم القيمة فانهم ذهبوا
 إلى اون معروف ولكله هذا اللون في الورود اقتربت كلمة الورد به ،
 ثم أطلق الورد بصورة عامة على اللون الأحمر فاطلق على الحيوانات التي
 على هذه الصفة في اللون ، واقترب ، أكثر ما اقتربن ، بالخيل قال الأصممي
 معدداً الوان الخيل : الوردة : فرس ورد ، ووردة وخيل وراد) (٤) .
 ومن هنا نقل لنا توجيه آخر اقتربن أول ما اقتربن بالخيل الوراد
 الى تغنى الشعراء بذكرها ، وتنظر بالنظر اليها الفرسان ، هذا التوجيه هو

(١) مجاز القرآن ٢ : ٢٤٥ ، وانظر ايضاً الصناعتين : ٢٤١ النبيان ،

٩ : ٤٧٦ ، المخصص ٦ : ١٥١

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٧ ، وانظر ايضاً ادب الكاتب : ١٤٣

(٣) المفردات : ٥٤١ ، وانظر ايضاً الكشاف ٣ : ١٩٠

(٤) عن المخصص ٦ : ١٥٠ ، وانظر ايضاً الخيل : ١٠٦ ، ديوان

الشماخ : ٣٠

الذى نقله الفارسي فيما روى (١) عن أبي عبيدة : (أما قوله - فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان - فقيل انه أراد - والله أعلم - فرسا وردة وتكون في الربع الى الصفرة ، فإذا اشتد البرد كانت وردة حمراء ، فإذا كانت بعد ذلك كانت وردة الى الغبرة ، فشبه تلون الوردة من الخيل ، وشبه الوردة في اختلاف الوانها بالدهن ، واختلاف الوانه) (٢) ، ويبدو ان ابا عبيدة لم يقصد ان السماء تكون كالفرس ، لأن مثل هذا التفسير لم يذكره في مجازه ، كما لم يذهب اليه أحد غيره وإنما أراد به ان السماء تكون متعددة الألوان يوم القيمة كتغير لون الفرس الورد ، وهو بهذا يعطيها تعليلاً لتسمية هذا الضرب من الخيل ، ذلك لأنها تتلون باختلاف فصول السنة فتضرب الوانها الى الصفرة في الربع ، والى الحمرة في البرد ثم الى الغبرة بعد ذلك .

وبهذا نستطيع ان نجمع بين هذا التوجيه ، والتوجيه الأول الذي حدد فيه لون السماء بالحمرة ، وتشبيهها بالورد ، وفي كلام التوجيهين نجد صدى البيئة العربية واضحاً في الصور التي تشيرها الآيات الكريمة . فكون السماء متعددة الألوان يوم القيمة يرسم في الذهن صورة الورود المنتشرة في الصحراء العربية حيث تفترش الأرض أيام الربيع بشتى الصور والألوان الزاهية ، وهي التي شبه بها لون السماء ، ولكن مثل هذا التفسير - وان امدنا بوجه الشبه وهو تعدد الألوان - لا ينسجم مع السياق الذي وردت فيه الآية الكريمة (فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان فبأي آلاء ربكما تكذبان)

(١) هو أبو علي الحسن بن أحمد بن عبد الغفار الفارسي النحوي ، من أكابر أئمة النحويين أخذ عن أبي بكر بن السراج ، وأبي اسحاق الزجاج ، فضلاً بعدهم على البرد توفي سنة ٣٧٧ هـ . انظر نزهة الأباء : ٢١٧ .

(٢) العين : الورقة (٢٨٩) .

في يوم شذ لا يُسئل عن ذنبه انس ولا جان فبأي آلاء ربكم تكذبنا ؟
 يُعرف المجرمون بسماتهم فيبيرون بالنواصي والأقدام ، فبأي آلاء ربكم
 تكذبنا ؟ هذه جهنم التي يكذب بها المجرمون)١(. كما ان هذا التفسير
 لا ينسجم مع الآيات الأخرى التي ورد فيها ذكر السماء ، ووصف حالتها
 يوم القيمة ، ذلك لأن ماتوحده الورود بل الزرع بصورة عامة إنما هو
 إيجاء الفرحة والنشوة)٢(: وهو إيجاء بعيد كل البعد عن الموقف الرهيب
 يوم القيمة ، ذلك الموقف الذي تضطرّب له السماوات والأرض ، فتساقط
 أرجاؤها ويتبدل حالتها . أما التوجيه الثاني فإنه ينسجم تماماً مع السياق العام
 للآيات الكريمة فالسماء تكون كلون الأديم الآخر أو الفرس الورد ، وتحتاج
 فيه وجه الشبه وهو تعدد الألوان وتلونها ، نظراً لأن كفاء السماء واضطربابها
 وبهذا التوجيه يبعد عن الذهن صورة الورود الممتعة التي لاتنسجم مع سياق
 المول والفرع الأكبر يوم القيمة :

وتحول السماء إلى سائل متلون شبه في تعبير آخر بالمهل قال الله تعالى :
 (انهم يرونها بعيداً ، وراه قريباً ، يوم تكون السماء كالمهل ، وتكون
 الجبال كالعيّن ، ولا يسأل حيم حيما))٣(. وقد فسر المهل بتفسيرين
 الأول ما ذكره ابن عباس وهو قوله : (كالمهل : كدردي الزيت))٤(.
 أما التفسير الثاني فهو الفضة المذابة أو المعادن المذابة بصورة عامة ، وقد

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٣٧ - ٤٣ .

(٢) أنظر الفصل السادس (الثواب بالجنة) ١ - وصف طبيعتها .

(٣) سورة المعارج ٧٠ : ١١ - ٧ .

(٤) تنوير المقاييس : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً جامع البيان ٢٩ : ٧٣ ، التبيان

١٠ : ١١٦ ، الكشاف ٣ : ٢٦٧ ، ودردي الزيت وغيره ما يبقى في أسفاله .

الصحاح ١ : ٤٦٧ .

ذكره ابن عباس أيضاً إلى جانب التفسير الأول قال : (ويقال كالفضة المذابة) (١) .

أما أبو عبيدة فقد ذهب إلى أن كل معدن إذا اذيب أطلق عليه المهل قال مفسراً قوله تعالى : (يغاثوا بماء كالمهل ...) (٢) قال : (كل شيء أذبته من نحاس أو رصاص ، ونحو ذلك فهو مُهْل) (٣) ، ومثل هذا الاضطراب في تفسير المهل نجده في أقوال اللغويين فهو دردي الزيت تارة (٤) والنحاس الذائب تارة أخرى (٥) ، وهو الصديد عند آخرين (٦) .

ويبدو أن مرد هذا الاضطراب يرجع إلى التعميم الذي أطلق فيه اللفظ في البداية اذ هو - كما يبدو - أطلق على كل فاز ذائب كما ذهب أبو عبيدة من قبل ، وقد سئل ابن مسعود في قوله تعالى : (كالمُهْل يشوي الوجه) (٧) عن المهل (فدعـا بفضة فأذابها فجعلت نـعـيـعـ ، وتلون ، فقال : هذا من

(١) تنوير المقياس : ٣٦٧ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٢٦٨ ، نقلـاً عن ابن مسعود .

(٢) سورة الكهف : ١٨ : ٢٩ .

(٣) مجاز القرآن : ١ : ٤٠٠ .

(٤) هو قول أبي عمرو بن العلا ، كما في الصحاح ٦ : ١٨٢٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٥٥ ونقل مثل هذا عن أبي زيد في المخصص ٥ : ٩٠ ، وانظر أيضاً مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٢ .

(٥) الصحاح ٦ : ١٨٢٢ ، مقاييس اللغة ٥ : ٢٨٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٥٦ .

(٦) جمهرة اللغة ٣ : ١٧٥ ، الصحاح ٦ : ٨٢٢ ، أساس البلاغة : ٩٢٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٥٥ .

(٧) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

أشبه ما أنت رأون) (١) ، وقال ابن دريد (المهل ماذاب من صفر أو حديد) (٢) .

أما اطلاق لفظ المهل على الزيت ، أو على الدهان ، فبسبب مشابهة الزيوت والدهون للمعادن المذابة على اعتبارها سوائل أولى وانها متنوعة الألوان بتتنوع الأشكال ثانياً . ومن هنا فلا تضاد في معانى المهل ، لأنه متأت من تعليم اللفظ ، ثم اطلاقه على أجزاء متعددة .

أما ملامح البيئة العربية فتجدها واضحة في تشبيه حال السماء بالمهل ، ذلك لأن الزيوت ، والدهان ببنوعيهما النباتية أو المستخلصة من المعادن المذابة مما اعتادها العربي في بيته واحتاج إليها في شؤون حياته البسيطة ، فكثيراً ما يطلى البعير بالمهل ، فترتسم صورة المهل المذاب في الذهن العربي سواء في كونه مذاباً أو لونه الخاص : وذكر أن الإبل تطلي بنوع من القطران في الشتاء مما يدل على معرفتهم بالمهل ، واعتقادهم عليه باعتباره مادة مهمة ، يحتاجون إليها كل شتاء لابلهم - اعز حيوانهم - روى ابن منظور : (المهل والمهلة ضرب من القطران ماهي رقيقة يشبه الزيت ، وهو يضرب إلى الصفرة من مهاوته وهو دسم تدهن به الإبل في الشتاء) (٣) .

ومن الطبيعي ان يكون المهل الذي عرفه العربي ، واستعمله في طلي الإبل متعدد الضروب ، والألوان ومن هنا جاء اختلافهم في تفسير المهل لأنه اطلق في البداية على أنواع من السوائل المذابة (٤) .

ومن هنا نجد ان قوله : (انهم يرونها بعيداً ورثاه قريباً ، يوم

(١) عن لسان العرب ١٤: ١٥٦ .

(٢) جهرة اللغة ٣: ١٧٥ ، وانظر لسان العرب ١٤: ١٥٦ .

(٣) لسان العرب ١٤: ١٥٥ .

(٤) انظر ص ٨٣ .

تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حيم حيم) (١) يعطينا نفس الاليماءات والصور التي أوحتها من قبل الآية التي ورد فيها ذكر (وردة) والتي شُبّهَ فيها سيلان السماء بالدهان . قال الأزهري معقبًا على تفسير المهل : (ومثله قوله فكانت وردة كالدهان ، قال أبو اسحاق كالدهان : أي تلون كما تساون الدهان المختلفة) (٢) .

أما قتادة فقد فسر تحول السماء إلى مهل بتحولها إلى لون الحمرة (٣) . وقد اعتمد في هذا التفسير أيضًا على قوله تعالى : (فكانت وردة كالدهان) (٤) وفي كل هذه التفاسير التي مر ذكرها وجدنا صورة البيئة العربية واضحة الملامح ، تتداعى في الذهن عند قراءة الآيات الكريمة ، فتجسد هول القيامة ومشاهد الاضطراب المفزع .

ب - دورانها

قال الله سبحانه وتعالى واصفًا اضطراب السماء يوم القيمة : (يوم تمور السماء موّراً وتسيرُ الجبالُ سَيِّرًا ، فويلٌ يومئذٍ للمكذبين) (٥) فُعبّرَ عن اضطراب السماء بتغيير المور ، وقد فسره بعضهم بالدوران قال ابن عباس : (تدور السماء موّرا بأهلها دورانا كدوران الرحى وتموج المخلائق بعضها في بعض من المول) (٦) ، وقال أيضًا في مور السماء بأنه

(١) سورة المعارج ٧٠: ٧ - ١١ .

(٢) لسان العرب ١٤: ١٥٦ ، وانظر أساس البلاغة ٣: ١١١ .

(٣) جامع البيان ٢٩: ٧٣ .

(٤) سورة الرحمن ٥٥: ٣٧ .

(٥) سورة الطور ٥٢: ٩ - ١١ .

(٦) تنوير المقاييس : ٣٢٩ .

شها وانفطارها (١) . وقال بعضهم معنى مور السماء انكفاوها . قال أبو عبيدة : (يوم تمور السماء موراً أي تكفاً قال الأعشى : كأن مشيتها في بيت جارتها مور السحابة لاريث ولا عجل) (٢) وفي معاني الكلمة اللغوية ما يجمع بين التفسيرين السابقين ، ذلك لأن الريح اذا كانت قوية فانها تسفي التراب فيقال مارت (٣) والمور الغبار (٤) وهي صورة اعتادها العربي في بيته الصحراوية الرملية . وقد تكررت بصورة خاصة في شعر شعرائهم حين ذكروا ديار الحبيبة ، ووصفوها بعد ان هجرت ، وتركت خواص تسفتها الرياح ، وتمور عليها رمال الصحراء : فن ذلك قول الخطية :

لمن الديار كأنهن سطور بلوى زرود سفي عليها المور (٥)
وقال زهير بن أبي سلمى واصفاً الديار المهجورة :
لعيَّبَ الرياحُ بها وغيَّرَها بعدي سوافي المُورِ والقَطْرِ (٦)
أما الناقة الموارة فهي السريعة (٧) . وهو استعمال مادي أيضاً وله

(١) اللغات في القرآن : ٤٧ .

(٢) مجاز القرآن ٢: ٢٣١ ، ورواه الجوهري عن أبي عبيدة والأخفش أنظر الصحاح ٢: ٨٢٠ ، ورواية ديوان الأعشى : (مر السحابة) : ٥٠ ، ومن الجائز انها في الديوان من تحرير الفاسخ ، أو انها رواية أخرى للبيت غير رواية أبي عبيدة والأخفش ،

(٣) جمهرة اللغة ٤١٧: ٢ ، وانظر أيضاً شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٥٣

(٤) الصحاح ٢: ٨٢٠ ، مقاييس اللغة ٥: ٢٨٤ .

(٥) ديوان الخطية : ٣٧٦ .

(٦) شرح ديوان زهير : ٨٦ ، وانظر أيضاً شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٥٣

(٧) الصحاح ٢: ٨٢٠ ، مقاييس اللغة ٥: ٢٨٥ ، المخصص ٧: ١٢٩ :

علاقته الوثيقة بالاستعمال السابق ، لأن الناقة اذا أسرعت تركت التراب يمور على جانبي طريقها وتدفعه يدها في سيرها السريع قال طرفة :

صهابية العثون موجدة القرى بعيدة وخذ الرجل موارة اليـد (١)

ومن هنا نفهم قوله تعالى : (يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا) (٢) أي تدور دوراناً سريعاً . وفي حركة دوران أي جسم تقلب أعلىه على اسفله فالتراب حين تسفيه الريح ، ويمور موراً سريعاً ينقلب ، والناقة الموارة تقلب التراب على جانبي طريقها ، وتجعله يدور بسرعة سيرها ومن هنا يتضح لنا سبب تفسيرهم مور السماء بالكتفاتها ، ودورانها .

وهناك استعمال آخر لتعبير المور وهو قوله مار الدم على وجه الأرض أي سال ، وانصب (٣) ، وقد وردت في الشعر الجاهلي أيضاً في وصفهم للحروب ، وذكرهم لها ونستطيع ان نقرن هذا المعنى بمور التراب ، ذلك لأن سيلان الدماء على الأرض فيه اضطراب ، ودوران ، وحركة وهي صورة كثيراً ماتتكرر في بيئه العرب الحربية حيث الغارات والجروح الداممة التي تترك الدماء بين عشية وضحاها تمور على الأرض ، وتسيل . ومن الناحية الأخرى فان هذا المعنى يعيننا على تصور اضطراب السماء ودورانها يوم القيمة ، وذلك ان حركتها تشبه حركة التراب السريعة حين تسفيه الريح وتمور جوانبها كما يمور الدم على الأرض .

ويبدو ان هذه الصورة كانت أقرب الى ذهن المخمرى حين فسر الآية الكريمة فــ قال : (تَمُورُ السَّمَاءُ : تَضَطَّرُبُ وَتَجْيِءُ وَتَذَهَّبُ ، وَقِيلَ المَوْرُ

(١) ديوان طرفة : ٣٩ ، وانظر أيضاً الطرائف الأدبية : ٦٤ .

(٢) سورة الطور ٥٢:٩ .

(٣) أنظر قول ثعلب في شرح ديوان زهير : ٧٨ ، وانظر أيضاً شرح ديوان الحماسة ٤:١٦٣٧ .

١) (ج) عموج في تحرك

ج - تشقيقها وانفطارها

من الطبيعي ان دوران السماء وانكفاءها الذي صورته الآيات السابقة لا يترك السماء الا منهارة الجوانب ، متصدعة الأرجاء . وقد صور هذا التصدع بتعبير آخر هو قوله تعالى : (اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتشرت ، وإذا البحار فجرت ، وإذا القبور بعثرت علمت نفس ماقدمت وأخرت) (٢) :

وقال تعالى أيضاً : (فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيئاً ، النساء منفطر به ، كان وعده مفعولاً) (٣) . فقد فسر الانفطار بالانشقاق (٤) . وهو معنى توكده آيات أخرى كقوله تعالى : (وانشقت النساء ففي يومئذ واهية) (٥) . وقد وردت الكلمة الانفطار في مواضع أخرى من القرآن الكريم في غير هذا المعنى كقوله تعالى : (اني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حينها ، وما أنا من المشركين) (٦) *

. ١٧٢ : ٣) الْكَشَافُ (

(٢) سورة الانفطار ٨٢: ١ - ٥ .

(٣) سورة المزمل ٧٣ : ١٧ - ١٨ .

(٤) تنوير المقاييس: ٣٧٢ ، مجاز القرآن ٢: ٢٧٤ ، جامع البيان ٣٠: ٨٥
 درة التنزيل: ٣٨٨ ، التبيان ١٠: ٢٩٠ ، الكشاف ٣: ٣١٩ ، ٢٨٣: ٣٩٠ ، وقد وردت
 بنفس المعنى في غير مواضع القيامة وذلك في سورة مريم ١٩: ٩٠ ، الشعراء ٤٢: ٥ ، الملك ٦٧: ٣ .

(٥) سورة الحاقة : ٦٩ : ١٦ :

(٦) سورة الأنعام ٦ : ٧٩ ، وانظر أيضاً المعجم المفهرس : ٥٢٣ .

وقد فسر الانفطار في الآية السابقة بالخلق والابداع (١) : ومن ظاهر الفظ تبدو العلاقة بين الاستعمالين بعيدة ، ولكن معرفة التطور التاريخي للكلمة يدلنا على أنها يرجعان إلى أصل واحد ، ومعرفة هذا الأصل يعكس لنا صورة من البيئة العربية وأثرها في ابتداع الألفاظ وتطورها : فن المعاني الحسية التي استعملت فيها الكلمة هو قولهم انفطر النبت (وذلك عند أول طلوعه) (٢) ، ومنه قبل فطر ناب البعير أي طلع وانشق وبعير فاطر (٣) .

ومن هنا جاء الاستعمال المعنوي للكلمة ، وهو اطلاق اللفظ على الشق بصورة عامة (٤) ، وذلك ان النبت حين يطلع يكون طلوعه بعد تشقق الأرض ، ونموه وكذا الحال مع نمو الأسنان ، وطلوعها . أما معنى الخلق والابداع الذي جعله ابن فارس الأصل الأولي للكلمة (٥) ، فإنه معنى متتطور عن المعنى الحسي الأول ، وبعكسه قول ابن عباس : (كنت لا أدري

(١) تنوير المقاييس : ٩٠ ، مجاز القرآن ١: ١٨٧ ، ٣٨٢ ، المفردات : ٢٣٩ ، الكشاف ١: ٤٩٧ .

(٢) انظر قول أبي حنيفة في باب (ابداء النبت وانتهائه) المخصص : ١٠ ، ٨٦ ، ٢١٣ ، وانظر أيضاً مجالس ثعلب ١: ٢٩١ ، ٢٩٢ ، المفردات : ٣٩٠ ، وانظر الشعر في ديوان امرىء القيس : ١٥٧ .

(٣) العين : ٢٦١ ، مجاز القرآن ١: ١٨٧ ، ١٢: ٢ ، الزينة : الورقة ١٩٦ (ب) ، الصحاح ٢: ٧٨١ ، أمالي القالي ١: ٢١ ، الكشاف ٣: ٢٥٣ ، وانظر باب أسنان الأولاد وتسميتها في المخصص ١: ٣٣ .

(٤) الصحاح ٢: ٧٨١ ، مقاييس اللغة ٤: ٥١ ، المفردات : ٢٨٩ ، وانظر الشعر في الحيوان ٤: ٣٩١ .

(٥) انظر مقاييس اللغة ١: ١٤٣ .

ما معنى فاطر السماوات والأرض حتى اختصم إلى اعتراضك في بث فقل أحدهما
أنا فطرتها ، أي ابتدأتها) ١(. ذلك لأن شق البشر ابتداع في حد ذاته .
ومن هنا نفهم العلاقة الوثيقة بين قوله تعالى واصفاً تشقق السماء
وانفطارها وبين الآيات التي ورد فيها معنى الانفطار بالخلق والإبداع ،
وانهما من أصل حسي واحد هو تفطر النبت أو الأسنان .

وبعد هذا العرض السريع لمعنى كلمة الانفطار تتبين لنا الدلالة العظيمة
والصور الرهيبة التي توحّيها الآيات الكريمة في تصوير انفطار السماء ، وذلك
انها حين تمور ، وتضطرب تتصدع جوانبها ، وتنشق ، ولا تخكس الآية
الكريمة معنى الفطر الذي هو الشق فحسب ، وإنما تنقل لنا تلك التلقائية
التي تظهر في استجابة الكون كله لأمر الله تعالى ، وهي التي نجدتها في
فطر النبات ، وفطر ناب البعير ، وانشقاقه ، لأن هاتين الظاهرتين إنما تحدثت
للنبت أو للبعير بصورة طبيعية ، وفق نظام الخلاائق الذي وضعه الله سبحانه
وتعالى . وبؤكد هذا المعنى الأسلوب البياني الذي سارت عليه الآيات الكريمة
حيث اسند الفطر والشق إلى السماء مباشرة ، وصرف عن الاسناد إلى محدث
الفطر والشق وهو الله سبحانه وتعالى ، لأجل توجيه الذهن إلى أن الظواهر
التي تحدث يوم القيمة مسخرة لهذه الأحداث ، مهياً لها . وهي ظاهرة
تطرد فيها كل التعبارات القرآنية التي تخصل اضطراب السماوات والأرض .
وأول من التفت إلى هذه الناحية - فيما قرأت - الدكتورة بنت الشاطيء
بقولها (ولا أعرف أحداً من المفسرين ، أو البلاغيين ، التفت إلى اضطرار
هذه الظاهرة الأسلوبية في القرآن ، مع وضوحها إلى درجة الغمد ، والاصرار
وسرها البياني دقيق جليل . فاطراد اسناد الحديث إلى غير محدثه بالبناء
للمجهول ، والاسناد المجازي أو المطاوعة ، يدل على العمد المقصود به مانسح به)

(١) الزينة : الورقة ١٩٦ (ب) الكشاف ١ : ٤٩٧ .

التلقائية ، والاقناع النفسي بان الكون كله مهياً يومئذ للحدث الخطير ، وان الكائنات مسخرة بقوة لذلك الحدث ، فا تحتاج فيه الى امر ، ولا الى فاعل فالارض ترزل تلقائياً ، وتدرك بانبعاث قاهر ، والجبال ترجم وتنفس ، والبحار تسجر ، والنجوم تطمس ، وتتغير ، في طوعية (1) تلقائية)

د - تناثر النجوم

ومن الطبيعي ان يصيب الحال والاضطراب النجوم ايضاً ، بعد ان يختل النظام الكوني العام ، فتنهار السماء ، وتمور مورا عظيماً ينبع عن تغير حال النجوم ، وانهيارها ايضاً . قال الله تعالى : (والمسلات عرفا فالاعصافات عصفا ، والنائرات نشرا فإذا النجوم طمست واذا السماء فرجت ، واذا الجبال نسفت ، واذا الرسل اقتت ، لاي يوم اجلت ؟ ليوم الفصل) (2) فبعد القسم القرآني تتبع الآيات الكريمة تعرض الظواهر التي تصيب الكون ، ومن بينها النجوم قال ابن عباس مفسراً طمس النجوم بأنه اذا (ذهب نورها) (3) .
اما في اللغة فان حقيقة الطموس هي ، (الدروس والامحاء وانطمس الشيء ، وتطمس أي انمحى ودرس) (4) : وقال ابن فارس هو « اصل يدل على محو الشيء ومسحه » (5) .

(1) التفسير البياني : ٧٠

(2) سورة المرسلات ١: ٧٧ - ٨، ٣ - ١٢

(3) تنوير المقياس : ٣٧٧

(4) الصحاح ٢: ٤١ ، لسان العرب ٧: ٤٣٢

(5) مقاييس اللغة ٣: ٤٢٤ ، لسان العرب ٧: ٤٣٢

فتفسير طمس النجوم في الآية الكريمة بذهب نورها من باب الاماء والحق ، لأن النجوم اذا تغيرت ، واحت معالها ذهب نورها . وهو معنى اكده آيات كريمة أخرى كقوله تعالى : « اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت ، واذا الجبال سرت ، واذا العشار عطلت . . . علمنفس ما احضرت » (١) فقد فسر الانكدار بالتساقط والامراء نارة والتغير نارة اخرى قال ابن عباس : « اذا النجوم انكدرت ، تساقطت على وجه الأرض » (٢) وقال ابو عبيدة : « انكدرت : يقال انكدر فلان انصب » (٣) . اما تفسير الانكدار بالتغير فقد نقله الطبرى عن ابن عباس وآخرين (٤) .

وتعبير الانكدار يعيد لنا تعبير الطمس في قوله تعالى : « فإذا النجوم طمست » (٥) لأن تساقط النجوم يؤدي الى تغير لونها والى امائها أيضاً ولكن الانكدار يعطينا ايماء آخر اكثراً من معنى التغير والسقوط ، ايماء مرتبطاً بالبيئة العربية ، وصورها المألوفة ، وذلك اطلاقهم الكلمة على خلاف الصفوفي الماء (٦) . وللماء أهميته العظيمة في البيئة الغربية الصحراوية

(١) سورة التكوير ٨١:٤ - ١٤

(٢) تنوير المقاييس : ٣٨٢

(٣) مجاز القرآن ٢: ٢٨٧ : وانظر ايضاً جامع البيان ٣٠: ٦٥ ،

الكافش ٣: ٣١٥

(٤) جامع البيان ٣٠: ٣٥

(٥) سورة المرسلات ٨: ٧٧

(٦) انظر جمهرة اللغة ٢: ٢٥٢ ، الصحاح ٢: ٨٠٣ مقاييس اللغة

وسبحانه بالتفصيل فيما بعد (١) . تلك الأهمية التي جعلت منه الركن الأساسي في حياتهم فإذا بتعابير الماء تصبح كلامهم ، وصوره عملاً مخبلتهم فإذا أراد شاعرهم الفخر فانما يفتخر بشربه الماء الصافي العذب قبل غيره من الناس لعزته ومنعته ، بينما يشرب اعداؤه الماء الكدر بعد ان يرده هو وقبيلته قال عمرو بن كلثوم :

وَآنَا الشَّارِبُونَ الْمَاءَ صَفَوا وَيَشْرُبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطِينًا (٢)
وأقصى ما يمدح به المرء ان يشبه بالماء العذب في جوده وكرمه
واذا مدح شخص بهذا فسرعان ما يبعد عنه ان يكون ماء كدرا ، وإنما
يمدح بانه كالماء العذب البارد .

انشد ابن الاعريبي :

لَوْ كُنْتَ مَاءً كُنْتَ غَيْرَ كَدْرٍ (٣)

فالماء الصافي هو الصورة المحببة للعربي في بياديه الشمححة ، فيطيب عيشه اذا توفر الماء ، وطاب ، فان ساعت معيشته ، او اصابته مصيبة استعاروا كدرته للتعبير عن العيش الضنك ، والحياة الذميمة ، فقالوا « كدر عيش فلان وتکدرت معيشته » (٤) .

ومن هنا ندرك مدى التصوير البليغ المعجز ، الذي يتصوره تعبير

(١) انظر الفصل الخامس ، ٥ - شراب أهل النار ، والفصل السادس

أ - انهار الماء .

(٢) شرح القصائد السبع : ٤١٩ : ٢٧٣ ، وانظر ايضاً ديوان حاتم

الطايفي : ٣٦

(٣) الصبحان ٢: ٨٠٣ ، والشهر غير منسوب الى قائله .

(٤) ن . م : ٨٠٤ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٥ : ١٦٤ وانظر شواهد الشعر في ديوان الاعشى: ٣٤ ، ديوان النابغة الجعدي : ٦٩ ، ٧٣ ، ديوان عاصي

الانكدار في تصوير حال النجوم حين تغير ، وتفقد بهاءها ، فتكون صورة بغية تنقل الى ذهن العربي صورة الماء الكدر ، والعيش الكدر وكل ما ينافض الصفو والجمال . وتغير النجوم بهذه الصورة المحزنة ينتج من اضطراب الكون كله ، ومور السماء ، وانكفائها . فقدرة النجوم وتغيرها يدل على تغير واضطراب سريع في نظام سيرها ، ذلك الاضطراب الذي يؤدي بها الى الانهيار السريع . ومن هذه الوجهة جاء تفسير من قال ان معنى انكدرت « اسرعت » (٢) . وما مرّ بنا يدل أن الاسراع ليس اصلا ثانياً للكلمة كما ذهب ابن فارس (٣) ، وإنما هو متطور عن المعنى الاول ، لأن اسراع النجوم ناتج عن اضطراب النظام الدقيق الذي يسير الكون عليه فسرعان ما تهوى ، وتنساقط بسرعة رهيبة ، وقد صور هذا المعنى بتعبير آخر هو قوله تعالى : « اذا السماء انفطرت » ، وإذا الكواكب انتشرت ، وإذا البحار سُجِرَت » (٤) . ويزيد من دقة الوصف ما توحيه الكلمة النثر من سقوط النجوم وتهاوبيها ، حتى تعود صغيرة ، متناثرة ، لأن النثر مقترب بالاجسام الصغيرة كما توحيه الكلمة .

- ابن زيد العبادي: ٦٠ ، شرح ديوان عنترة: ٨٠ ، جمهرة اشعار العرب: ١٢٦

شرح ديوان الحمامة ١: ١١٩

(١) مقاييس اللغة ٥: ١٦٤

(٢) ن . م .

(٣) سورة الانفطار ٨٢: ١ - ٣

(٤) قال الله تعالى « اذا البحار سُجِرَت » سورة التكوير ٨١: ٦ وقد فسر سجر البحار باختلاطها انظر مسائل نافع بن الأزرق : الورقة ١٠ « أ » وروي انها تجعل يوم القيمة ناراً انظر درة التنزيل : ٣٨٨ ، الكشاف ٣: ١٧٢ ، وانظر ايضاً جمهرة اشعار العرب : ٩

وبعد ان مررت بنا التعبير المختلفة التي صورت الظواهر الطبيعية التي تحدث في الكون يوم القيمة تتشكل في الذهن صورة متعقدة الجوانب ، مليئة بالحركات لاضطراب الأرض والسماء ، وما فيها من جبال وكواكب ، فالارض ترتج رجا شديدا . وتزلزل زلزالا عظيما شاملا وتحدث انكسارات للجبال فتفتت اجزاؤها ، وتتناثر جوانبها متلاشية في الكون المضطرب والبحار تختلط في هذا الخضم الكوني المختل النظام (١) اما السماء فتهار متتحوله الى سائل متعدد الألوان وقد تغير اون شمسها (٢) ونجومها ، وتهاوت كلها اثر الاختلاف الكوني العام .

لقد مررت بنا اليماءات المختلفة التي اوحتها التعبير القرآنية في وصف هذه المشاهد ، وما تعكسه من صور البيئة العربية ، فلذا ان نتساءل : هل استطاع الذهن العربي ان يتصور هذه الظواهر الرهيبة كما صورها القرآن الكريم ؟

وإذا بحثنا في جوانب البيئة العربية وجدنا بعض ملامح هذه الصور المفزعية التي يصفها القرآن الكريم ، وهي وان كانت ملامح بسيطة لا تقاس بشيء مما يحدث يوم القيمة ، فإن لها دلالتها على البيئة العربية والذهب العربي :

انها ملامح الزلزال والبراكين التي تحدث في الحياة الدنيا . فهل تصور الذهن العربي الزلزال والبراكين ؟ ومن ثم الاضطراب الكوني يوم القيمة ؟ . اما المصادر العربية فانها لم تذكر حدوث زلزال في الجزيرة العربية في العصر الجاهلي ، اما الذي نجده وصفا لبقايا البراكين وقد ذكرها

(١) قال الله تعالى « اذا الشمس كورت » سورة التكوير ٨١:١ ، وفسر تكوير الشمس بامحائها وذهاب نورها . انظر تنوير المقياس : ٣٨٢ ، مجاز القرآن ٢:٢٨٧ ، جامع البيان ٣٠:٦٣ وانظر ايضا المخصص ٩:٢

الذين كتبوا في جغرافية بلاد العرب من المحدثين فوصفو آثار البراكين . قال الشرقاوي يصف هضبة الجزيرة بقوله : (تتغطى هذه الحافة في اليمن بطبقة من اللافا ، وهي نوع من الصخور البركانية) (١) . وقال لبيري واصفاً جبال الحجاز حتى خليج عدن (ووراءه ترتفع جبال سوداء جرداً ، أنها جبال الحجاز التي تخترقها مرات قليلة تربط بين الساحل والداخل ، وإذا توجهنا جنوباً نحو خليج عدن ، وجدنا الصخر البركانية) (٢) . أما هضبة نجد فووصفت بأنها : (مخطأة بحتم السائل البركانية) (٣) . أما الحراث فهي من بقايا البراكين في الجزيرة العربية وهي كما وصفتها المراجع القديمة : (أرض ذات حجارة سود نحرة كأنها احرقت بالنار) (٤) ويقول شلبيفر أن هذه الحراث من مظاهر البراكين التي شمات الصحراe فغطت وجهها بالحجارة السود ، وربط بينها وبين زلزال وصفه السمودي في حادث سنة ٦٥٢هـ قال : (واصل هذه الحراث البراكين الباطنية التي غطت باستمرار وجه الصحراe المتموجة بطبقة من الحمم ، وهي توجد بصفة خاصة في شرق حوران وتمتد من

(١) هذا العالم : ٣٣٣

(٢) جزيرة العرب لبيري : ٢٠

(٣) جزيرة العرب لوهبة : ١٤

(٤) صاحب العين ، والاصمعي عن معجم البلدان ٢ : ٢٤٧ ، وانظر

الغريب المصنف : الورقة (٢٠٥) جمهرة اللغة ١ : ٥٩ ، الصباح ٢ : ٦٢٦ ، مقاييس اللغة ٢ : ٧ شرح القصائد السابعة ٤٧٤ ، المخصص ٥ : ٢٥٢ ، ٨٦ : ١٠ ، مختصر البلدان : ٣١ ، معجم البلدان ٢ : ٢٠٥ ، جغرافية العالم ١ : ٣١

هناك الى المدينة) (١) .

وربط الزلازل بالبراكن ظاهرة طبيعية أيضاً ، ذلك لأنهما تحدثان نتيجة لعوامل جغرافية يسببها تخلخل في طبقات الأرض ، وحركة ، واضطراب شامل (٢) . وهناك نوع من الزلازل سميت بالزلازل البركانية (وهي التي ترتبط هزاتها بالهزات الناجمة عن انشاق الدلّافات في فوهات البراكين) (٣) . وقد حردت منطقة الزلازل في الجزيرة العربية بأنها تملك التي توazi السواحل الشرقية الآسيوية (٤) .

هذه الدراسات الجغرافية ثبتت كلها وجود البراكين والزلازل في الجزيرة العربية ، لأنها أرض عرفت الانكسارات ، والتخلخل الطبيعي الذي يصيب قشرة الأرض . أما المصادر العربية القديمة (٥) فنجد فيها رواية يظهر عليها الطابع الاسطوري وذكرها هنا يطلعنا على معرفة العرب للبراكين والزلازل ، وعلى مقدار تصورهم بلجغرافية الجزيرة العربية . يذكر الجاحظ في حديثه عن نار (حرقة بنى سليم) ان الناس يزعمون بأنها نار خالد بن سنان أحد بنى مخزوم في بلاد عبس . فإذا كان الليل فهي نار تسقط في السماء ، وإنها كانت تأتي على كل شيء فتحرقه ، وإذا جاء النهار فاما هي دخان يفور ويروى بأن خالداً هذا احتضر لها بمراً . . . ويروى

(١) دائرة المعارف الإسلامية - مادة حرقة ٧ : ٣٦٣ .

(٢) الزلازل عبارة عن (حرركات تجويفية تصيب قشرة الأرض في مناطق واسعة) أنظر قشرة الأرض : ٣٤٨ .

(٣) ن . م : ٣٥١ .

(٤) ن . م .

(٥) لقد قدمت المصادر الحديثة على المراجع القديمة (لأنني اتبعت تسلسل الأقوال من الناحية العلمية لا التاريخية .

أيضاً ان النبي (ص) قال حين رأى ابنته: هذه بنت نبي ضيعه قومه (١) ، وتدلنا هذه الاسطورة على ان العرب عرفوا البراكين ، وعانونا من انفجاراتها في العصر الجاهلي ماعانوا ، حتى صاروا يطلقون عليها اسم العذاب الموج (٢) ، ثم ان هذه البراكين والزلزال ظهرت في الجزيرة العربية في العصور الاسلامية المتأخرة ، ووصف السمهودي أحداها وهو - وان كان متأخراً - يفيدنا في رسم صورة واضحة لنموذج من الظواهر الطبيعية التي تجتاح الجزيرة العربية . في مستهل جمادى الآخرة سنة أربع وخمسين وسبعين حدث في المدينة زلزال له دوى عظيم فكانت الأرض ترتجف ، والجدرات تنحرق ، وذكر ان امير المدينة أرسل عدة فرسان الى هذه النار ، فذكروا انها ترى بشرى كالقصر ، ولم يظفروا بجليسة أمرها وان الامير حين ذهب بنفسه اليها لم يستطع مجاوزة موقفه من النار لـإـذ احتجار كالمسامير تحتها نار سارية (ورأى ناراً كالجبال الراسيات ، والتلال المجتمعة تقدفع بزبد الأحجار كالبحار المتلاطم الامواج ، وعقد هببها الافق قناماً حتى ظن الظان ان الشمس والقمر كسفما ، اذ سلا بهجهة الاشراق في الآفاق .. وقال المؤرخون ، واستمرت هذه النار مدة ظهورها تأكل الأحجار ، والجبال وتسلل سيل ذريعاً في واد يكون طوله أربع فراسخ وعرضه أربعة أميال ،

(١) الحيوان : ٤ : ٤٧٧ ، ثمار القلوب : ٤٥٥ ، والباحث ينكر هذه الرواية ويقول (المتكلمون لا يؤمنون بهذا ويذمرون ان خالدا هذا كان اعرابياً ، وبرياً من من أهل شرح ونظرة ولم يبعث الله نبياً فقط من الاعراب) ومن المحتمل ان يكون قول النبي (ص) - ان صحت الرواية - مجازاً ، وأراد به انها ابنة مصلح عظيم ، لم يعرف قومه قدره . ثم حاكم الخيال العربي هذه الاسطورة مستندآ على ظاهرة الحراث الموجودة في الجزيرة العربية وما تحدث من الظواهر الطبيعية .

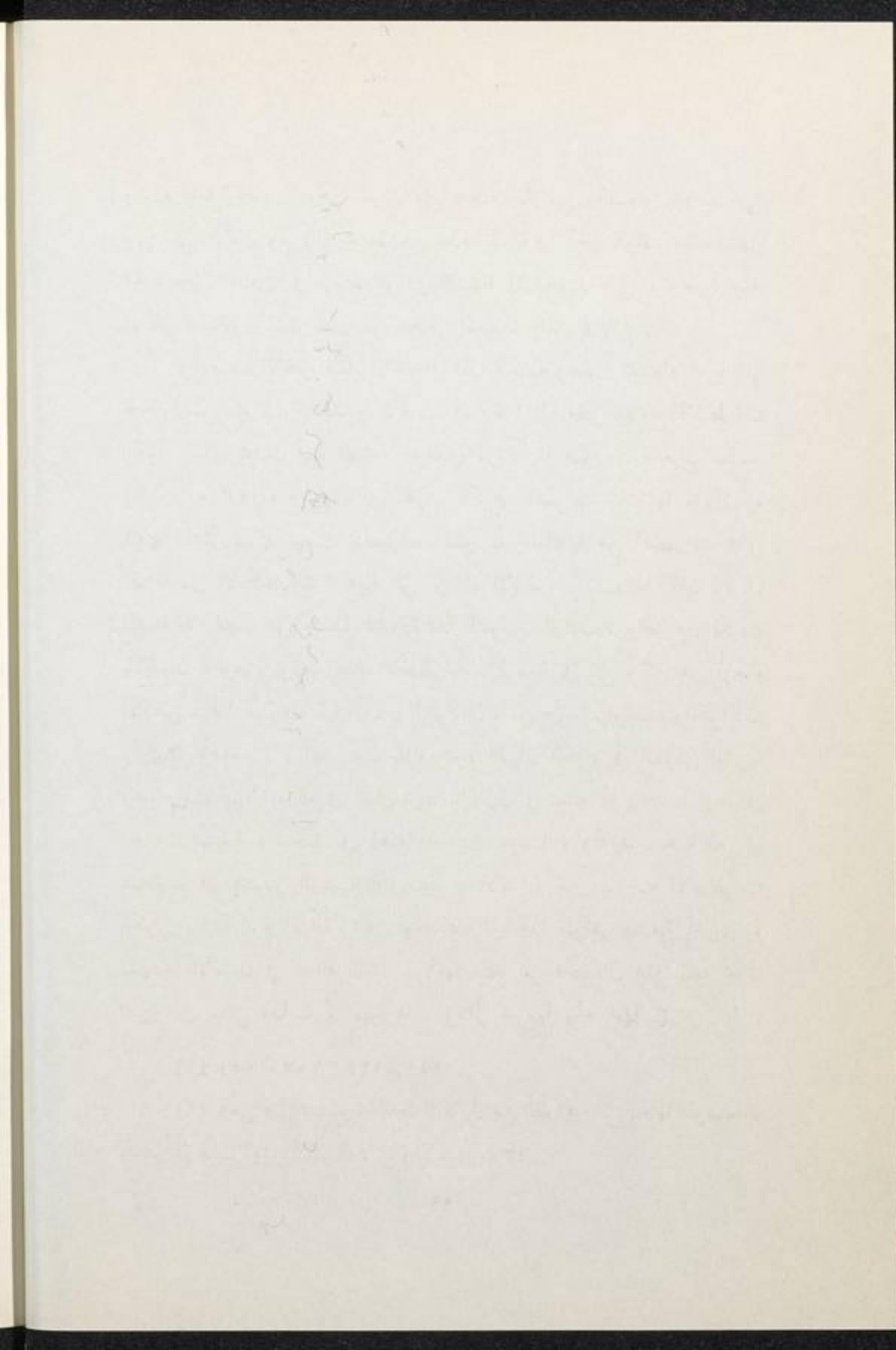
(٢) وفاء الوفاء ١ : ١٤٢ ، ١٥٠ :

وعمقه قامة ونصف وهي تجري على وجه الأرض والصخر يذوب حتى يبقى مثل الانك وله ينزل مجتمع من هذه المذابة في آخر الوادي عند منتهى الحرة حتى فطعت في وسط الوادي الشظاء إلى جهة جبل ، وعبره فسد الوادي المذكور بسد عظيم من الحجر المسبيك بالثار) ١) .

والوصف الأخير لبقايا الأحجار المذابة يشبه وصف القدماء للحررة بأنها حجارة سود نحرة ، كما نجد في الوصف العام للزلزال بعض ملامح الاضطراب الكوني الذي يحدث يوم القيمة - والذي مرت بنا صوره - فالجبال تنكسر وتنهار أجزاؤها ، وشبّهت في القرآن الكريم بالسراب لتلاشيهما ، وكثرة فتيتها المتناشر ، كما شبهت بالصوف المتثثر لما يحدث لها من اضطراب هائل إضافة إلى الانكسارات الرهيبة التي ترزل الأرض . . . وإذا كان زلزال المدينة قد اقتصر على منطقة محدودة فلا النفوس بالرعب ، والفزع ، فكيف بالانسان ، وهو يواجه هذه الاضطرابات الرهيبة في كل ركن من أرجاء الأرض ، فلا تسلم منه الجبال ، ولا الوديان ، بل حتى السماوات ، والكون الكواكب والكون بأجمعه . . . انه رعب هائل يثيره القرآن الكريم في النفوس البشرية وهو رعب يشعر به العربي الذي شهد الزلزال في بيته أو وجد آثارها في الحرارات المتبقية فرسخت في ذهنه أحاديث هولها ، وأداتها ، هذا العربي يستطيع ان يتصور الرعب الذي يفزع الانسان حين يواجهه الاضطراب الكوني وحده يوم القيمة) ٢) : وتصف إلى هذا ظواهر طبيعية أخرى لم يشهدها الانسان في حياته الدنيا ، لأنها تنتج عن اختلال عام يتبعه تحول السماء إلى سائل مذاب ثم انهيارها ، وتناثر نجومها وأجرامها كما مرّ بنا .

(١) وفاء الوفاء ١ : ١٤٢ - ١٥٠ .

(٢) ومن هنا اعتبر الباحثون الظواهر التي يعيشها الله سبحانه وتعالى لترهيب البشر أنظر الدلائل والاعتبار : ١٣ .



الفَصْلُ الْثَالِثُ

صفة الناس يوم القيمة

١ - سيرهم نحو النفي :

أ - سرعتهم : نسلهم ، تشبيه سيرهم بالطواف حول النصب

ب - تفرقهم وانتشارهم : تشبيههم بالجراد ، وبالفراش

٢ - صفاتهم النفسية :

أ - يأسهم .

ب - توقعهم العذاب .

ج - ذلتهم :

٣ - صفاتهم الجسدية :

أ - سواد وجوه المجرمين وبياض المؤمنين

ب - حشر المجرمين زرقا

ج - اشراق وجوه المؤمنين :

177

178

179

180

181

182

183

١ - سيرهم نحو النفيـر :

أ - سرعتهم :

يخرج الناس من قبورهم اثر سماع النفيـر المفزع يوم القيـمة : فيقفون وجهاً لوجه امام الاضطراب الماـئل الذي يختـل فيه نظام السـموات والأـرض ومن هنا نجـد في القرآن الكـريم صورـاً رائـعة تصوـر مشـاهـد الناس عند خروـجـهم من القـبور ، واـول هـذه المشـاهـد صـورة سـرـعـتهم في سـيرـهم نحو الدـاعـي ، وـقد عـبـر عنـها بـعدـة تـعـابـير لـكـل مـنـها دـلـالـتـه عـلـى الـبيـئة الـعـربـية : نـسـلـهـم : قـال الله تـعـالـى : (وـيـقـولـون : مـتـى هـذـا الـوعـدـ) ان كـتمـ صـادـقـين ؟ مـا يـنـظـرـونـ الا صـيـحةـ وـاحـدـةـ تـاخـذـهـم وـهـم يـخـصـمـوـنـ فـلاـ يـسـطـعـونـ تـوـصـيـةـ وـلـا إـلـى اـهـلـهـم يـرـجـعـونـ ، وـنـفـخـ فـي الصـوـرـ فـاـذـا هـم مـنـ الـاجـدـاتـ اـلـى رـبـهـم يـنـسـلـوـنـ ، قـالـوا : يـا وـيلـنـا مـنـ بـعـثـنـا مـنـ مـرـقـدـنـا ؟ هـذـا مـا وـعـدـ الرـحـمـنـ وـصـدـقـ الـمـرـسـلـوـنـ) (١) وـقـالـ ايـضـاً : (وـحـرـامـ عـلـى قـرـيـةـ اـهـلـكـنـاـهـا اـنـهـمـ لـا يـرـجـعـوـنـ ، حـتـى اـذـ فـتـيـحـتـ يـا جـوـجـ وـمـا جـوـجـ) (٢) وـهـمـ مـنـ كـلـ حـدـبـ يـنـسـلـوـنـ وـأـقـرـبـ الـوعـدـ الـحـقـ فـاـذـا هـيـ شـاـخـصـةـ اـبـصـارـ الـذـيـنـ كـفـرـوـاـ ، يـا وـيلـنـا قـدـ كـنـاـ فـي غـفـلـةـ مـنـ هـذـا بـلـ كـنـاـ ظـالـمـيـنـ) (٣) فـبـعـدـ نـفـخـ الصـوـرـ يـخـرـجـ النـاسـ مـنـ قـبـورـهـمـ فـيـتسـاءـلـوـنـ عـنـ حـقـيـقـةـ الـمـوـقـفـ الـذـيـ دـعـواـ إـلـيـهـ وـقـدـ قـالـ اـبـنـ عـبـاسـ اـنـ مـهـنـيـنـ يـنـسـلـوـنـ يـخـرـجـوـنـ) (٤) .

(١) سورة يـسـ ٤٨: ٣٦ - ٥٢

(٢) يـا جـوـجـ وـمـا جـوـجـ : قـالـ الـمـفـسـرـوـنـ اـنـهـمـ اـمـتـانـ مـنـ الـانـسـ وـقـيلـ اـمـانـ لـرـجـلـيـنـ اـنـظـرـ جـامـعـ الـبـيـانـ ١٧ـ : ٨٨ـ ، التـبـيـانـ ٧ـ : ٢٧٧ـ ، الـكـشـافـ ٢ـ : ٣٣٧ـ

(٣) سورة الـأـنـبـيـاءـ ٢١ـ : ٩٥ـ - ٩٧ـ

(٤) تـنـوـيرـ الـمـقـيـاسـ . ٢٧٥ـ

اما ابو عبيدة فانه فسر النسل بالسير السريع وقرنه بهدو الذئب قال :
 (ينسلون : يسرعون ، والذئب يعسل وينسل) (١) . وقال أيضاً في
 تفسير سورة الانبياء : (ينسلون : يعجاون في مشبهم كما ينسيل الذئب
 ويعلّل قال الجعدي :

َعَسْلَانُ الذئبِ امْسَى قارباً بَرَدَ اللَّيلُ عَلَيْهِ فَنَسَلَ (٢)
 اما في اللغة فنجد ان معاني الكلمة متقاربة بعضها من بعض ، فالنسل
 بصورة عامة هو ضرب من السير السريع (٣) . ولكننا نجد انه اقترب
 بضرب من مشي الذئب قال ابن دريد : وَعَسَلَ الذئبَ يَعْسِلُ عَسَلًا
 وَعَسَلَانَا . وكذلك نَسَلَ نَسَلَانَا وهو ضرب من المشي يضطرب
 فيه (٤) . وقال الزمخشري : (وَنَسَلَ الذئب اذا اسرع باعناق) (٥)
 وقد ذكر ابن منظور ان هذا الاستعمال هو اصل للكلمة ثم اطلق على
 السير السريع قال : (وقبل اصل النَّسَلَانَ للذئب ثم استعمل في غير ذلك
 وأسلت القوم اذا تقدمتهم) (٦) .

ويبدو اننا لا نستطيع الجزم بان اصل النَّسَلَان هو سرعة سير الذئب
 ذلك لأن الكلمة وردت في الشعر الجاهلي مفترزة بضررها عديدة من سير

(١) بحاج القرآن ٢:٤٢

(٢) بحاج القرآن ٢:٤٢ ، وانظر ايضاً جامع البيان ١٧:٢٣ ، ١٩١:١٥

البيان ٧:٢٧٩ ، والبيت في ديوان النابغة الجعدي :

(٣) الصحاح ٥:١٨٣ ، مقاييس اللغة ٥:٤٢٠ ، لسان العرب ١٤:١٨٤

وانظر ايضاً اعجم العجب : ٣٨ ، امثال العرب : ١٩ ، الطرائف الأدبية : ٧٥

(٤) جمهرة اللغة ٣:٣٢ ، ٥١

(٥) اسامي البلاغة : ٩٥٤

(٦) لسان العرب ١٤:١٨٤

الحيوانات المتوفرة في البيئة العربية .

فيقال عن الكلاب اذا اسرعت في سيرها نسل (١) . وكذلك الحيوانات في سرعة انسلاها وسيرها (٢) . وبهذا لا تستطيع الجزم باصل استعمال النسل هل هو سبب الذئب او الناقة او الكلب ، لأن هذه الحيوانات كلها مما اعتقاده العربي في بيته وشهد عدوها وسرعة سيرها الا ان صورة نسل الذئب يقرب لنا الآية الكريمة لانه سير سريع فيه اضطراب ، وكذلك يكون حال الناس في سرعة سيرهم واضطرابهم نحو الداعي . وسياق الآيات العام يعيننا على فهم الاضطراب من تعبير النسل : (وما ينظرون الا صيحة واحدة تأخذهم وهم يخوضون ، فلا يستطيعون توصية ولا الى اهلهم يرجعون . ونُفخَ في الصُّورِ فاذا هم من الاجداد الى ربهم ينسِلُون ، قالوا يا ويلنا : من بعثنا من مرقدنا ؟ هذا ما وعدَ الرحمنَ وَصَدَقَ المرسلون) (٣) . لانه مقترب بالفزع والرعب من مقاومة الموقف وهو له . وهناك معنى آخر لكلمة النسل ، وذلك قوله : النسالة شعر الدابة اذا سقط عن جسدها قطعاً (٤) . و واضح ان تساقط الشعر او الوبر لا يكون بالقوة ، اما يكون نتيجة لطبيعة الجسد حين تحدث له ظاهرة تستدعي سقوط الشعر تلقائياً . وتجد هذه الصورة نفسها في قوله (النسل بالتحريك المبين يخرج بنفسه من الاخليل) (٥) .

(١) انظر الخامسة البصرية : الورقة ٣٠٦ (أ)

(٢) المفضلات : ٢٤٠ ، شرح ديوان الخامسة ٤ : ١٨٠٦

(٣) سورة يس ٣٦ : ٤٩ - ٥٢

(٤) مقاييس اللغة ٥ : ٤٢٠ ، اساس البلاغة : ٩٥٣

(٥) الصباح ٦ : ١٨٢٩ ، لسان العرب ١٤ : ١٨٤ ، وانظر الشعر في
التراث الأدبي ٦٦

ومن هذا المعنى الجديد لكلمة النسل تتشكل في الذهن صورة أخرى لسير الناس يوم القيمة ، ذلك لأننا نجد فيه معنى الطوعية والاستجابة السريعة التي تضفي على الآية إيحاء جديداً يتجلّى في خروج الناس وامرأةهم من قبورهم نحو الداعي بصورة طبيعية وهذا المعنى ينسجم مع مشاهد القيمة الأخرى ، إذ أن كل مظاهر من مظاهر الطبيعة يتجلّى فيه تسيّر محدد لاستجابة أمر الله سبحانه وتعالى كما مرّ بنا سابقاً (١) . فكأن الكون كله قد هيأ لاستقبال حادث عظيم وهو قيام الساعة والحساب . وتعاون هذه الصورة مع المعنى الأول لكلمة النسل وهي تشبيه سير الناس بعدوا الذئب المضطرب ، ذلك لأننا نجد في الآيات الكريمة معنى الطوعية والاستجابة لأمر داعي الله ، كما يتجلّى فيها اضطراب وقلق يشبه اضطراب الذئب في عدوه ، وكلا المعينين منسجم مع المشاهد الكونية التي مرّ وصفها : (٢) :

تشبيه سيرهم بالطواف : أما سرعة سير الناس نحو الداعي فإنها رسمت في آية أخرى بصورة تنقل لنا مشهداً من مشاهد البيئة العربية الجاهلية ، فقد شبهت سرعتهم نحو الداعي بصورة الطواف حول النصب التي كان العرب يعبدونها قال الله تعالى : (يوم يخرجون من الأجداث سرعاً كأنهم إلى نصوب يوفِّرون ، خاشعة أبصارُهم ترهقُهم ذلة ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (٣) .

قال معظم المفسرين إن النصب واحدة الانصاب وهي حجارة كان

(١) انظر الفصل الثاني أ - اضطراب الأرض - ٣ - بسُها

(٢) انظر الفصل الثاني ص ٩٥

(٣) سورة المارج ٧٠ : ٤٣

ينصبها مشرّكو العرب فيعبدونها ، وينذبحون لها (١) . وقال آخرون : ان النصب هو ما نصب لهم من علامة او غاية يستبقون اليها (٢) . فهم في سرعتهم نحو الداعي كأنهم يستبقون إلى غاية نصب لهم . وقد ذهب الغويون مذهب المفسرين في النصب (٣) .

والملاحظ ان صورة الانصاب التي كانوا يذبحون عليها ، ويطوفون حولها أقرب الى الذهن عند قراءة الآية الكريمة من العلم او الغاية التي يستبق اليها . فقد اعتاد العرب صورة الانصاب على اعتبارها جزءاً من حياتهم الدينية روى الطبرى ان في مكة وحدها ثلاثة وستين حجراً يذبحون عليها القرابين (٤) ، وذكر ايضاً ان النصب وجدت في عكاواط (٥) والطائف وفي الحجاز (٦) . الا انهم اختلفوا في تحديد مدلولها ، فنهم من قصرها على الحجارة يذبح عليها للالة (٧) . ومنهم من عدّها من

(١) تفسير الخمسة آية : الورقة ٤٧ (ب) جامع البيان ٢٩ : ٨٩ ،
الزينة : الورقة ٢٣٩ (ب) ، التبيان ١٠ : ١٢٩

(٢) اللغات في القرآن : ٥١ ، جامع البيان ٢٩ : ٨٨ ، الزينة ، الورقة
٢٣٩ (ب)

(٣) جمهرة اللغة ٢٩٩ ، اسامي البلاغة : ٩٥٩ ، ٩٦٠ ، لسان العرب
٢٥٥ - ٢٥٦ : ٢

(٤) جامع البيان ٩ : ٥٠٨

(٥) اسماء جبال نهاية : ٧٩

(٦) وقد وصف أحد هذه الانصاب واعتقد انها كانت
موهبة للات ووصفها بانها صخرة غير منتظمة ورمادية اللون . انظر :

Travels in Arabia Desert Vol. II. p. 550.

(٧) جامع البيان ٩ : ٥٠٨ ، الاصنام : ٤٢ ، الزينة : الورقة ٢٣٩ (ب)
وانظر ايضاً تاريخ الغرب لجواد علي ٧ : ٧٩

معبدات العرب يطوفون حولها ، وينحررون لها (١) .
 والظاهر ان اختلافهم في النصب متأت من طبيعة وجود هذه الانصاب
 في البيئة العربية ، واختلاف نظرة الناس إليها من مكان إلى آخر فهي في
 مكة حجارة يذبح عليهاـ كما ذكر الطبرى (٢) حتى اذا حج العربي وأراد
 العودة إلى أهله عزـ عليه فراق الكعبة فإذا خذ من حجارة الجرم ما ينحنه على
 صورة أصنام البيت ، ويجعله قبلة له في بيته يطوفون حوله ، ويتمسحون
 به ويصلون له تشبهاً له بأصنام الكعبة . قال ابن الكلبى (واشتهرت
 العرب في عبادة الأصنام فنهم من اتخذ بيتهـ ، ومنهم من اتخذ صنما ، ومن
 لم يقدر عليهـ ولا على بناء بيت نصب حجرا أمام الحرم أو أمام غيره مما
 استحسن ثم طاف به كطواوفه بالبيت وسموها الأنصاب) (٣) . وقال ياقوت :
 (وأفضى بهم الأمر بعد طول المدة انهم كانوا يأخذون الحجر من الحرم
 فيعبدونه فذلك كان أصل عبادة العرب للحجارة في منازلهم شغفـ منهم بأصنام
 الحرم (٤) والذي يهمنا في هذا الأمر هو صورة طواوفهم حول الأنصاب
 التي تنقل لنا سرعة السير في التعبير القرآني حين وصف سير الناس بعد
 حشرهم من قبورهم وشبهه بالطواف حول النصب . وفي الشعر الجاهلي نجد
 ذكرـ لانصاب على أنها حجارة يذبح عليها (٥) . أما الصورة التي تعيننا
 على فهم الآية الكريمة فهي صورة طواوفهم حول النصب وسرعتهم في السير

(١) تفسير الخمسة آية : الورقة ٤٧ (ب) ، جامع البيان ٢٩ : ٩٠ ، الزينة :

(الورقة) ٢٤١ (أ) ، التبيان ١٠ : ١٢٩ .

(٢) جامع البيان ٩ : ٥٠٨ .

(٣) الأصنام : ٣٣ .

(٤) معجم البلدان ٤ : ٦٢٢ .

(٥) ديوان النابغة الذبياني : ١٢١ ، ديوان سلامة بن جندل : ٨ .

نحوه . قال المثقب العبدى (١) ذاكراً الطواف .
 يطيف بنصبهم حُجُّونْ صغارْ فقد كادت حواجبهم تشيب (٢)
 وقال الطرماح واصفاً سرعة جرري الثور وراء النعامة مشبها إياها
 بطواف قاضي النذر حول النصب :
 طوفَ مُسْتَلِيَ نذر على نُصُبِ حول دوارِ مُحْمَسَرَةِ جُدُودَه (٣)
 وتشبيهه الطرماح يفيدنا في هذا الباب لأنه صادر عن الصورة
 الفنية التي علقت في الذهن العربي وهي صورة الطواف السريع حول النصب
 والتي بقيت في الاستعمال الأدبي مع زوال النصب والأصنام بانتشار الإسلام .
 ومن هنا نجد الاعجاز العظيم في التعبير القرآني الذي وصف سرعة
 سير الناس نحو الداعي وشبهه بالطواف حول النصب : (يوم يخرجون من
 الأجداث سرعاً كأنهم إلى نصب يوفضون ، خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة
 ذلك اليوم الذي كانوا يوعدون) (٤) . ذلك التعبير الذي تحدى الاعتقاد
 الديني ولم يأخذ منه إلا الصورة الفنية وهي صورة الطواف مع أنها ما زالت
 قريبة العهد إلى الذهن العربي (٥) .

ونستطيع أن نلمح في الآية معنى آخر إلى جانب مرتعتهم في السير

(١) هو العائذ بن مخصن بن ثعلبة . من بنى عبد القييس ، من ربيعة . شاعر
 جاهلي من أهل البحرين اتصل بالملك عمرو بن هند وله فيه مدائح ، ومدح النعيمان
 ابن المذر أيضاً . انظر الشعر والشعراء ١: ٣١١ - ٣١٣ جمهورة أنساب العرب ٢٩٨ - ٢٩٩ .
 خزانة الأدب ٤: ٤٣١ .

(٢) الأصنام : ٤٢ ، والبيت غير موجود في شعر المثقب العبدى .

(٣) ديوان الطرماح : ٥٣ :

(٤) سورة المعارج : ٧٠ - ٤٣ - ٤٤ :

(٥) وقد وردت في القرآن الكريم بهذا المعنى انظر سورة المائدة ٥ : ٩٠

ذلك المعنى هو الضلال المتجلّى في طواف المشركين حول النصب ، فكأن الناس حين يخرجون من قبورهم يسرعون نحو الداعي ، وهم في اسراعهم هذا يكتنفهم الضلال ، والخيرة ، كما هو الحال مع المشركين حين يطوفون حول النصب ولا يستجاب دعاؤهم ولا يجدي طوافهم . أما معنى السرعة فيؤكده وصف الكافرين بأنهم : (كأنهم الى نصب يوفدون) ، (١) لأن الانفاس هو السرعة كما قالوا (٢) وكلا المعنين يتعاونان على رسم صورة الناس عند اسراعهم نحو الداعي .

ب - تفرقهم وانتشارهم

يفزع الناس عند سماعهم صوت النغير فيخرجون من قبورهم مضطربين هلين ، وقد توضحت لهم حقيقة الموقف فيتفرون وينتشرون ، وقد ملأ الربع قلوبهم . وصورة انتشارهم المفزع صورت في القرآن الكريم بصورة واضحة العالم ، إذ شبهوا مرة بالجراد المنتحر ، وأخرى بالفراش المثبت قال الله تعالى : (فتول عنهم يوم يدع الداع الى شيء نكث خشعاً بصارُهم يخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) ، مهطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر (٣) .

وتشبيه حال الناس في تفرقهم بالجراد ينقلنا الى البيئة العربية التي الف العرب فيها انتشار الجراد في صحرائهم الواسعة وقد ذكر الجراد في سورة

(١) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٦٨ ، تأويل مشكل القرآن : ٣١٧ ، جامع البيان : ٢٩

، التبيان ١٠ : ١٢٩ ، ٨٨

(٣) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٨ .

الأعراف على انه مما أرسل مع القمل والطوفان على آل فرعون (١) : ولرسوخ صورة الجراد في الذهن العربي شبهوا بها الناس الجبناء حين يفرون من الحرب فزعين خائفين .

كما انها تنقل لنا صورة زحف الجراد حين يغزو الأرض بزحفه ويسير بقوه دافعه لايمكن ان تصده أي قوه أخرى (٢) .

وهم في مثل هذا التشبيه يقصدون الى رسم الفزع الذي يجعل الجبناء يفرون على غير هدى هرباً من الموت والقتل وهي صورة واضحة المعالم في وصف الناس يوم القيمة حين يفاجؤهم الفزع الأكبر ، فيتفرقون على غير هدى ، ويفرون على وجوههم تتبعهم الذلة واللطم ، وهم في سيرهم هذا مدفوعين بقوه مجھولة متساقين نحو الداعي بمجموعهم المحتشدة ، متذكرين صورة الجراد المنفرد الذي يتغنى لأدنى حركة ، على حين تذكرهم صورة الجراد المجتمع الذي يزحف بقوه ودأب عظيمين لانتقام أمام جيوشه وزحفه قوه من القوى .

وفي آية أخرى شبه الناس في تفرقهم وانتشارهم بالفراش : (القارعة ما القارعة وما أدرك ما القارعة ؟ يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعيون المنفوش) (٣) . في هذه الآيات الكريمة زجداً تصوّراً آخر لحال الناس في تفرقهم وانتشارهم عند اضطراب السماوات والأرض ، وقد حاول المفسرون تحديد الفراش فقال ابن عباس (الفراش المبثوث المنسوج) يحول بعضه في بعض والفراش هو شيء يطير بين السماء

(١) سورة الأعراف ٧ : ١٣٣ .

(٢) ديوان النابغة الجعدي: ٤٥ ، المؤتلف وال مختلف: ٥٦ ، الأشباه والناظائر

٢٦٦ ، ١٤٩ ، الطرائف الأدبية: ١٦ .

(٣) القارعة ١٠٢ : ١ - ٥ .

والأرض مثل الجراد) (١) . أما أبو عبيدة فلم يشبهه بالجراد وإنما اكتفى بقوله (كالفراش المبثوث طير لا بوض ولا ذباب هو الفراش) (٢) ، أما الزجاج فقد شبه الفراش بصغار البق قال (والفراش مازاه كصغار البق يتهافت في النار ، شبه الله عز وجل الناس يوم البعث بالجراد المنتشر ، وبالفراش المبثوث ، لأنهم اذا بعثوا يموج بعضهم في بعض كالجراد الذي يموج بعضه في بعض) (٣) .

ويلاحظ في هذا التشبيه انه مستمد من البيئة العربية ايضاً ، من صورة اعتادها العربي فضرب بها المثل ، وذكرها في اشعاره ، ذلك لأن البيئة العربية صحراء متراصة الاطراف في معظم اجزائها تسرح فيها الحيوانات نهاراً ، فاذا جاء الليل فان أي زار تراءى من مكان ما تهافت حولها الحشرات ، وتموج بعضها في بعض . ومن الطبيعي ان تكون هذه الحشرات متنوعة ، ومن هنا لم يستطع المفسرون واللغويون تحديد الفراش فشبهوه بالجراد تارة ، واكتفوا بالقول بأنه لا ذباب ولا بوض كما مر بنا . هذه الصورة التي اعتادها العرب انعكست في اشعارهم فاذا أرادوا هجاء قوم شبهوهم بالفراش لأنهم لا حلوم لهم . كما ان الفراش طائش يموج بعضه فوق بعض حتى يهروا جميعاً في النار فتحرقهم انشد الليث : اودي بحملهم الفياش فحملهم حلم الفراش ^{غشين} نار المصطلبي (٤)

(١) تنوير المقاييس: ٣٩٥ ، وانظر ايضاً رأى الفراء في لسان العرب ٨: ٢٢١

جامع البيان ٣٠: ٢٨١

(٢) مجاز القرآن ٢: ٣٩ وانظر ايضاً جامع البيان ٣٠: ٢٨١

(٣) عن لسان العرب ٨: ٢٢١ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٤: ٤٨٧

(٤) عن لسان العرب ٨: ٢٢١

والفياس المفاحرة (١) ، أي ان المفاحرة قد شغلت تفكيرهم فأودت بهم فنهواها كما ينهوا الفراش على نيران المصطي .

وإذا أرادوا ان يبنوا ضعف قوم في هجائهم شبهوهم بالفراش ، وانهم في الحرث لا يصمدون ، وإنما يتسلطون بعضهم فوق بعض كالفراش الذي يهوي في النار فتجرقه ، قال الأسلع بن سالم الضبي (٢) بصف قوله وحربهم مع بني ذهل بن مالك :

كأن سرارة الحي ذهل بن مالك

فراش تهوى في اطى النار من عل (٣)

وقالوا في المثل : (أطيشُ مِنْ فَرَاشة) (٤) .

ومن هنا نفهم وجه الشبه في الآية الكريمة : (يوم يكون الناس كالفراش المبثوث وتكون الجبال كالعيون المنفوش ...) (٥) . فالناس حين يفزعون ويضطربون يموج بعضهم فوق بعض وهذا الاضطراب لايجل الحركة فحسب ، إنما يصور الاضطراب والتدافع الذي يؤدي الى التهلكة كما يؤدي تدافع الفراش الى النار والهلاك . ثم ان الفراش من الناحية الأخرى حشرات حقيرة تهلك نفسها بتهافتها على النار ، فشبهه بها حال الناس في تفرقهم وذلتهم الى جانب اضطرابهم ، وتدافعهم . قال الزمخشري موضحاً هذا التشبيه : (شبهم بالفراش في الكثرة ، والانتشار ، والذلة ، والتطاير

(١) مقاييس اللغة ٤ : ٤٦٤ .

(٢) هو الأسلع بن سالم الضبي أخوبني حرثان بن ثعلبة بن دؤيب شاعر فارس ، لم أغير على ترجمة كاملة له أنظر المؤتلف والمختلف : ٥٤ .

(٣) ن . م .

(٤) الصناعتين : ٢٤٣ ، المستقصى ١ : ٢٣٠ .

(٥) سورة القارعة ١٠١ : ٥-٤ :

إلى الداعي من كل جانب . كما يتطاير الفراش على النار قال جرير :
 ان الفرزدق ماعامت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي (١)
 هذه هي صورة الناس في تفرقهم وانتشارهم يوم القيمة ، وسياق
 الآيات العام يعيننا على فهم التفرق والذلة المراد تبيانها في هذا التشبيه ، فما
 دامت قبور الناس متفرقة في أرجاء العالم المتبعـدة ، فإن الناس يخرجون
 من هذه القبور ويسرعون نحو الداعي وبهذا تكتمل صورة الانتشار والتفرق (٢)
 أما الذلة والفزع فيوضجها سياق الآيات العام : (القارعةُ ما القارعةُ وما
 أدركَ ما القارعةُ؟ يومَ يكونُ النَّاسُ كالفراشِ المبُثُثِ ، وتكونُ الجبالُ
 كالعِهْنِ المنفوش) (٣) ، فالقارعة اسم من أسماء يوم القيمة (٤) ، وهي
 (داهية مهلكة ويقال قرعت عظمه أي صدعته) كما يقول أبو عبيدة (٥)
 فكأنَّ هذه الداهية لها تتصدع كل مافي الكون وتفتته ، وتكرار لفظ القارعة
 بهذا الإيحاء المهم يقرع الأذن بمعاني الفزع والرعب . وتوارد الآيات بعدها
 هذا المعنى ، بأن القارعة تكون يوم القيمة حيث يتتصدع الناس ويتفرون
 كأنهم فراش منتشر ، فيصيب الصدع الجبال فتنفت وتندثر أجزاؤها ،

(١) الكشاف ٣ : ٣٥٥ ، ورواية البيت في الديوان (أزرى بحملكم الفياش
 فأنتم ...) . أنظر ديوان جرير : ٣٥٩ وهي تشبه رواية البيت الذي أنشده الليث
 أنظر ص ٨١ .

(٢) وانظر هذا المعنى في قوله تعالى : (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ بِوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ)
 سورة الروم ٣٠ : ١٤ :

(٣) سورة القارعة ١٠١ : ٥-١ .

(٤) جامع البيان ٣٠ : ٢٨١ .

(٥) مجاز القرآن ١ : ٣٣٢ ، وانظر أيضاً الكشاف ٣ : ٣٥٥ ، البيان

وتكون كالصوف المنفوش .. وهكذا تتداعى الآيات الكريمة لرسم الصورة الواضحة ل يوم القيمة ، وكيف ان الكون كله يشمله الفزع والرعب ، ثم تأتي صورة تفرق الناس ، وانتشارهم كالجراد أو كالفراش لتكمل صورة الاضطراب الشامل .

٢ - صفاتهم النفسية

أ - يأسهم :

قال الله سبحانه وتعالى مبيناً ان قيام الساعة وما فيها من الهول والرعب يترك المجرمين في يأس مرير : (ويوم تقوم الساعة يُبْلِسُ الْمُجْرَمُونَ ، ولم يكن لهم من شر كائنهم شفاء ، وكانوا بشر كائنهم كافرين ، ويوم تقوم الساعة يومئذ يتفرقون) (١) .

فسر ابن عباس اblas المجرمين بأنه يأسهم (٢) وقال الفراء : (الملابس المنقطع رجاؤه ولذلك قيل للذي يسكن عند انقطاع حجته ، ولا يكون عنده جواب قد ابلس . وقد قال الراجز :
يا صاح هل تعرف رسما مكرسا قال : نعم اعرفه وأblasa (٣)

(١) سورة الروم ١٢:٣٠ - ١٤ .

(٢) تنوير المقاييس : ٢٥١ ، اللغات في القرآن : ٣٨ ، التنبية والرد : ٧٤ .

(٣) معاني القرآن ١ : ٣٣٥ ، والبيت لم ينسبة الفراء الى قائله وهو للعجب اجاج كما في مجاز القرآن ١٢٠:٢ ، جامع البيان ٢١:٢٦ ، مكرس فيه الكرس أي أبوالابل ، وابعاراتها يتلبد بعضها على بعض في الدار ، وكذلك فسر الابلاس في سورة الانعام ٦:٤٤ ، والمؤمنون ٢٣:٧٧ ، والزخرف ٤٩:٤٣ ، أنظر تنوير المقاييس : ٨٧:٢١٥ ، ٣٠٧ ، ٢١٥ ، ١٩٤:٧ ، ١٨ ، ٤٦:٢٥ ، ٥٤ ، ٢١ ، ٩٨ =

وأضاف الزمخشري الى معنى اليأس السكوت والخيرة قال : (الابلاس أي يبقى يائساً متغيراً ، يقال ناظرته فاباس اذا لم يتبس ، ويئس من ان يحتاج ، ومنه الناقة المبلاس التي لارغو وقرىء يبس ، بفتح اللام من أبasse' اذا أسكنته) (١) .

ويلاحظ في هذه التفاسير انها أعطت معنى مشتركاً للكلمة وهو اليأس والخيرة والوجوم . وهكذا ورد معنى الكلمة في كتب اللغويين قال الجوهري : (ابس من رحمة الله ، أي يئس ومنه سمي ابليس وكان اسمه عزرايل) (٢) وهو معنى جعله ابن فارس الأصل المعانى الكلمة قال : هو (أصل واحد وما بعده . فلا معول عليه ، فالاصل اليأس يقال : ابس اذا يأس قال الله تعالى (اذا هم مبلسون) قالوا ومن ذلك اشتق اسم ابليس كأنه يئس من رحمة الله) (٣) .

وهنالك معنى آخر للكلمة وهو ان يقال ابس الرجل اذا سكت (٤) فكأنَّ الكافرين حين يرون العذاب الذي يتذمرون يوم القيمة يسكتون ، ويتحيرون ، وقد انقطعت حجتهم ، لأنهم سبق ان انذروا في الحياة الدنيا ، ومن هنا نفهم تطور معنى ابس اذا يئس الى معنى ابس اذا سكت . قال أبو عبيدة : (والمبليسُ : اليائسُ ، ولذلك قيل للذي يسكت عند انقطاع حجته ولا يكون عنده جواب" قد أبس) (٥) .

= الكشاف : ٢، ٣٦٧: ٣، ١٠٣: ١٠٥ .

(١) الكشاف : ٣: ٥٠٤ .

(٢) الصبحاج ١: ٩٠٦ ، لسان العرب ٧: ٣٢٨ .

(٣) مقاييس اللغة ١: ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، وانظر أيضاً المفردات : ٥٩ .

(٤) النوادر ١: ١٧٢ ، جمهرة اللغة ١: ٢٨٨ ، أساس البلاغة ٦١ .

(٥) عن لسان العرب ٧: ٣٢٨ والنصل غير موجود في مجاز القرآن .

وإذا عدنا إلى البيئة العربية وجدنا صدى الاستعمال الحسي للكلمة مقترباً بالذاتية حيوان الصحراء المعتاد ، وذلك أن يعرض لها عارض فتقأ لم ولا تستطيع أن ترغو (١) ، وهي في هذه الحالة في يأس وحيرة مما ألمَ بها وهو المعنى الذي تطورت إليه الكلمة للدلالة على اليأس المطلق ، ثم إنها لشدة ألماها لا تستطيع أن ترغو ، وهو المعنى الذي تطورت إليه الكلمة حين قالوا يابس الرجل إذا سكت ، لأن رغاء الناقفة يقابل كلام المرء ، فانقطاعها عنه يقابل الانقطاع عن الكلام .

كل هذه المعاني تستطيع أن نفهمها في الآية الكريمة : (ويومَ تقومُ الساعةُ يُبَيِّسُ الْجَرْمُونَ) (٢) ، ذلك لأن الجرميين يوم القيمة حين يرون العذاب متمثلاً بظاهرة الاضطراب الكوني ييأسون من العفو والرحمة ، لأنهم ارتكبوا في ذنوبهم ذنوبآً عظاماً لم يرعنوا فيها إلى رسالة الرسل والأنباء وهم في هذه الحيرة لا يستطيعون الكلام والدفاع عن أنفسهم فتنقلنا صورتهم هذه إلى مشهد الناقفة المتأملة اليائسة . وهو مشهد طالما تكرر أمام ناظري العربي ، فاعتداده وعرف الأذى النفسي الذي تصاب به الناقفة فسرعان ما ترسم هذه الصورة في ذهنه حين يقرأ الآية الكريمة حيث يبليس الجرميون ، وتجتمع كل هذه الدلالات لترسم لنا الصورة الكاملة لابلاس الجرميين ويأسهم .
وهنالك معنى آخر ورد في شعر العجاج واصفاً وجوه القوم عند اشتداد الحرب ، إذ تعلوها صفرة وحيرة ويأس .

وَجُمِعَتْ يَوْمَ الْخَمِيسِ الْأَخْمَاسُ وَفِي الْوِجْهِ صَفْرَةٌ وَإِلَامُ (٣)
صورة الحيرة ، والصفرة التي تعلو الوجوه في الحروب ، تزيد من

(١) الصحاح ٢: ٩٠٦ ، مقاييس اللغة ٢: ٣٠٠ .

(٢) سورة الروم ١٢: ٣٠ .

(٣) جمهرة اللغة ١: ٢٨٨ ، انظر أيضاً لسان العرب ٧: ٣٢٨ .

ايحاء الكلمة في الآية الكريمة ، ودلالتها على الضعف ، والأس ، والوجوم وهي تعطينا صورة أخرى لدلالة الكلمة على البيئة العربية حين تصرف أوجه القوم عند الغارات الشديدة ، والحروب المتطاحنة . ومع ذلك تبقى صورة النافقة المُبْلِسَة متمثلاً في الدهن على أنها الصورة الحسية الرئيضة الصلة بالبيئة العربية فتساعدنا على فهم التعبير القرآني إلى جانب المعاني الأخرى المنظورة عنها .

وهناك تعبير آخر يصور حيرة الناس وأسهم يوم القيمة : (لا أقسامٌ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَلَا أَقْسِمُ^١ بِالنَّفَسِينِ الدَّلَوَامَةِ ، أَيَّهُنَّ سَبَّ^٢ الْإِنْسَانُ أَنَّ
نَجْمَعَ عَظَامَهُ ؟ بَلْ قَادِرُونَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بِنَاهَهُ^٣ بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ
لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ ، يَسْتَشَدُ^٤ أَيْمَانَ^٥ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ؟ فَإِذَا بَرَّقَ^٦ الْبَصَرُ ،
وَخَسَفَ^٧ الْقَمَرُ ، وَجَمْعَ^٨ الشَّمْسِ وَالْقَمَرِ ، يَقُولُ^٩ الْإِنْسَانُ^{١٠} يَوْمَئِذٍ أَيْنَ
الْمَقْرُ^{١١} ...) (١) ففي هذه الآيات الكريمة نجد حيرة الإنسان يوم القيمة متجلية بما يطرأ على بصره من معالم الحيرة ، والاملع وقد قالوا في معنى
برق البصر أي شخص وتحير فرعا (٢) ، وذلك لأن أصل البرق هو اللمعان
والتألّأ (٣) ، فكانَ الإنسان حين يشهد الظواهر المرعبة التي تسود الكون
ويرى الفزع محاطاً به تشخيص عيناه وتتألّأ ، وتأخذه الحيرة فلا يطرف
بصره . وهو معنى أكده قوله تعالى : (إِنَّمَا يُؤْخِرُهُمْ لِيَوْمٍ^{١٢} تَشْخَصُ^{١٣}

(١) سورة القيمة ١:٧٥ - ١٠ .

(٢) تنوير المقيمان : ٣٧٤ ، جامع البيان ٢٩: ١٧٨ ، درة النزيل : ٣٨١ ،
البيان ١٠: ١٩٢ .

(٣) جمهرة اللغة ١: ٢٦٩ ، الصحاح ٤: ٤٤٦ ، المخصص ١: ١٠٧ ،
أساس البلاغة : ٤٣٠ ، لسان العرب ١: ٢٩٧ :

فيه الأبصار^(١)) وقال أيضاً: (واقتربَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاهِدَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا)^(٢) ، لأنَّ شخوصَ الأبصار إنْ تبقى العين مفتوحة لانطرف^(٣) .

ب - توقعهم العذاب

ومع يأس الناس من الرحمة والمغفرة بحد وصفاً للفزع الذي يملاً قلوبهم والشعور القوي الذي يحتاج نفوسهم بأنَّ مصدبة عظيمة ستحل بهم ، ولكنهم يجهلونها قال الله تعالى : (كُلًاٗ بَلْ تُحْبِبُونَ الْعَاجِلَةَ ، وَتَذَرُّونَ الْآخِرَةَ وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةً إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةً ، وَوَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ باسِرَةً قَظِينٌ إِنْ يُقْسِعَلَّ بِهَا فَاقِرَّةً)^(٤) .

فقد وصفت وجوه الكافرين بأنها باسرة . وقال المفسرون في شرحها بأنَّ معناها أنها تكون ليأسها وضعفها كالحنة كريهة المنظر^(٥) عابسة مقطبة^(٦) ، ذلك لأنَّها تتوقع حماول داهية عظيمة لاتحملها نفوسهم ، ويأتي التعبير الذي صورت به الداهية ليزيد ملامح الكافرين وضوحاً ، لأنَّ

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٤٢ .

(٢) سورة الأنبياء ٢١: ٩٧ .

(٣) جامع البيان ١٣: ١٢٣٦ ، التبيان ٦: ٣٠٣ .

(٤) سورة القيمة ٧٥: ٢٥ - ٢٠ .

(٥) تنوير المقيمان : ٣٧٥ ، مجاز القرآن ٢: ٢٧٥ ، غريب القرآن : ٥١ ،
جامع البيان ٢٩: ١٩٣ ، وانظر أيضاً جمهرة اللغة ١: ٢٥٥ ، الصيدحاج ٢٩: ٥٨٩
لسان العرب : ١٢٣ .

(٦) غريب القرآن : ٥٠٠ ، جامع البيان ٣: ٢٩٤ .

عبوس الوجه وتفطيبها لابد أن يكون ليأس عظيم وخوف مرعب من الدهمية .

فالفاقرة التي يتوقعها المجرمون هي (شدة ومنكرة من العذاب) كما يقول ابن عباس (١) وهي الدهمية كما فسرها معظم المفسرين ، ولكنهم اختلفوا في أصل استعمالها هل أنها مشتقة من فقار الظهر كأن تكون المصيبة التي تخل بهم عظيمة تكسر ظهورهم ؟ أم أنها من الفقر الذي هو الحز يومئذ به أ NSF البعير ليذل ؟ .

أما الفريق الأول فقد قالوا في تفسير الآية بأن الفاقرة هي الدهمية من فقار الظهر كأنها تكسره (٢) . ويلاحظ في هذا التفسير أنه وثيق الصلة بالبيئة العربية ، ذلك لأنه من المعاني الحسية التي اهتم بها العربي ، وأولاها عنایته . فقد اهتم العربي بالحيوانات الأليفة التي شاركته بيته متأملاً صفاتها الجسدية ، مسمياً كل عضو منها . ونجد في الشعر الجاهلي صدى عميقاً لهذا الاهتمام إذ وصف الشاعر زافته ، وتطرق إلى ذكر فقار ظهورها ، والتحادها قال زهير بن أبي سلمى :

بآرزة الفقارة لم تخنْها قِطافٌ في الرِّكابِ ولا خلاءَ (٣)
الآرزة : الدانية بعضها من بعض ، والقطاف : مقاربة الخطوط ، والخلاف
ان تبرك فلا تبرح ، يريد أنها مجتمعة الفقار ملتحمتها ، ولا ينقص خلقها
شيء من العيوب كمقاربة الخطوط أو البروك وعدم مبارحة الأرض . وقال

(١) تنوير المقاييس : ٣٧٥ .

(٢) تفسير غريب القرآن ، ٥٠٠ ، أدب الكاتب : ٥٦ ، جمهورة المأفة ٢: ٣٩٩
غريب القرآن : ١٨٦ ، الصبحاح ٢: ٧٨٢ ، النبيان ١٠: ١٩٩ ، المفردات : ٣٩١
الكشف ٣: ٢٩٤ .

(٣) شرح ديوان زهير ٦٣ :

الأعشى واصفاً ناقته ، وكيف ان فقارها متلاحة بالحزم :
 ودأباً تلاحكن مثلَ الفؤو سـ لاحم منها السليلُ الفـقارا (١)
 ومن الطريق ما يروى في هذا الباب ان اعرابياً قدم على عتبة بن
 أبي سفيان (٢) مشتكياً ظلامته ، وان عتبة قال له : (أني أراك اعرابياً
 جافياً ، فوالله ما أحسبك تدربي كـ تصلي في كل يوم وليلة ؟ فقال : أرأيت
 ان أبأنك ذلك ان تجعل لي عليك مسألة ؟ قال : نعم . فقال الاعرابي :
 ان الصلاة أربع فاربع ثم ثالث بعدهن أربع
 ثم صلاة الفجر لا تضيق

فقال : صدقت ، فـ أـلـ فـقاـلـ كـمـ فـقاـرـ ظـهـرـكـ : فـقاـلـ لاـ أـدـريـ فـقاـلـ :
 أـفـتـحـكـ بـيـنـ النـاسـ ، وـأـنـتـ تـجـهـلـ هـذـاـ مـنـ نـفـسـكـ ؟ فـقاـلـ رـدـواـ عـلـيـهـ غـنـيمـتـهـ) (٣)
 وـهـذـاـ خـبـرـ دـلـالـةـ عـلـىـ الـأـمـورـ الـتـيـ كـانـ الـأـعـرـابـ يـوـلـيـهـ اـهـمـاهـ ، حـتـىـ اـنـ يـعـجـبـ
 مـنـ جـهـلـ عـتـبـةـ عـدـدـ فـقاـرـ ظـهـرـهـ مـعـ اـنـ يـعـكـمـ بـيـنـ النـاسـ وـكـانـ عـدـدـ فـقاـرـ
 الـظـهـرـ مـنـ أـوـلـ مـسـتـازـمـاتـ الرـجـلـ الـحـكـيمـ ! لـأـنـ مـنـ يـجـهـلـ نـفـسـهـ يـكـونـ أـوـلـ
 يـجـهـلـ أـمـورـ النـاسـ وـشـوـقـونـهـ . وـقاـلـ اـبـنـ الـأـعـرـابـيـ فـيـ تـحـدـيدـ فـقـرـ الـإـنـسـانـ
 وـالـبـعـيرـ (أـقـلـ فـقـرـ الـبـعـيرـ ثـمـانـ عـشـرـةـ ، وـأـكـثـرـهـ أـحـدـيـ وـعـشـرـونـ إـلـىـ ثـلـاثـ
 وـعـشـرـينـ ، وـفـقاـرـ الـإـنـسـانـ سـبـعـ) (٤) .

(١) ديوان الأعشى : ٤٧ .

(٢) هو عتبة بن أبي سفيان صخر بن حرب بن أمية أمير مصر ولديها من قبل
 أخيه معاوية فقدمها سنة ٤٣ هـ ، حج بالناس سنة ٤١ ، ٤٢ هـ . أنظر نسب قريش :
 ١٢٥ ، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٢٦٤ ، ٣١٠ - ٣١١ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٣١٠ - ٣١١ .

(٤) عن لسان العرب ٣٦٨:٦ . علما بأنه أصبح من الثابت في الوقت الحاضر
 ان عدد فقار الانسان ثلث وثلاثون .

ومن هذا المعنى المادي قالوا عن الرجل **فِقَرٌ** اذا كسرت فقراته
وعبر بهذا التعبير عن الضعف . قال طرفة :
وَاذَا تُلْسِنِي اُلْسُنُهَا اني لست بـ **مُوهون فقر** ^(١)
وقال ثعلب معلقا على البيت : (**فِقَرٌ** : مكسور الفقار) ^(٢) . فقد
استعملت كلمة الفقر للدلالة على الضعف والكسل لأن من ضعفت فقرات
ظهوره ، ضعفت قوته وطاقاته الجسدية .

ومن هنا جاء الاستعمال المجازي لمعنى الفقر وهو الحاجة والذلة أو ما يضاد
المعنى فكما ان المكسور الظاهر ضعيف لا يقوى على السير والعمل وحده ،
ومحتاج الى المساعدة فكذلك سمي كل محتاج الى غيره بالفقر ^(٣) وقد وردت
بهذا المعنى في اثنى عشر آية ^(٤) .

فقوله سبحانه وتعالى في صفة حال المجرمين يوم القيمة (**تَظَنُّ** ان
يُفْعَلُ بها فاقرة) ^(٥) يرسم لنا صورة حسية من البيئة العربية ، وذلك ان
هؤلاء المجرمين يتأسون من الرحمة ، والعفو وبوقنون بداعية عظيمة مؤلمة تحمل
بهم فتدركهم ذليلين ضعفاء لامعين لهم . وهذه الداهية تقضم ظهورهم ،
وتكسر فقارهم ، ويكون شأنهم في ذلك شأن البعير الضعيف الذي كسرت
فقاره فيذل ولا يقوى ، وهي صورة طالما شهدناها العربي في بيته وتحسن
الأذى ، والذل الذي يرتسم على البعير المكسور . ويعيننا على تصور هذا

(١) ديوان طرفة : ٧٤ .

(٢) مجلس ثعلب ١ : ٣٢٠ ، شجر الدر ١٦٤ ، الصجاج ٢ : ٧٨٣ ،
المفردات ٣٩١ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٣٤٦ .

(٤) المعجم المفهرس : ٤٢٤ ، ٥٢٥ .

(٥) سورة القيمة ٧٥ : ٢٥ .

معنى اطلاقهم الفاقرة ، والقاصدة على الداهية (١) كأنها أشدة هو لها وأذاتها
تقسم الظهور وتضيقها .

أما التفسير الثاني فقد ذهب بالفاقرة إلى فقر الأنف ، ويتمثل هذا
الفرق قول أبي عبيدة ، الفاقرة الداهية وهو الوسم الذي يفقر على الأنف (٢)
وهذا التفسير هو الآخر يعكس لنا صورة واضحة الملائم للبيئة العربية حيث
يعتبر البعير فيها عنصراً أساسياً من عناصر البداوة في الصحراء ، تلك البيئة
التي أعطت العربي خبراً تعينه على الاستفادة من هذا الحيوان ، وجعله أكثر
فائدة وانقياداً لنفس صاحبه . ومن هذه الخبر فقر أنف البعير ليذل ، وينقاد
بسهولة . ونجده عند القدماء أقوالاً عديدة ترسم صورة الفقر والفائدة منه :
في حديث عمر بن الخطاب (رض) (ثلاث من الفوافر أي الدواهي واحدتها
فاقرة كأنها تحطم فقار الظهر كما يقال قاصمة الظاهر ، والفار ما وقع على
أنف البعير . . .) (٣) . وفي حديث الإمام علي عليه السلام قوله : (من أحينا
أهل البيت فليستعد للفقر جلباباً أو تجفافاً) (٤) فالتجفاف ما يحصل به الفرس
من سلاح وآلة تقيه الجراح وقد يلبسه الإنسان أيضاً . وقد فسر هذا القول
بأنه من أحينا فليعد لفقره يوم القيمة ما يجبره من الثواب ، وقيل إن يعد نفسه
لفقر الدنيا والزهد فيها (٥) . أما الشرييف المرتضى فإنه فسر الحديث تفسيراً

(١) انظر شرح ديوان لبيد : ٢٢٠ ، ديوان كعب بن زهير : ٢٥٩ ، شرح
القصائد السبع : ١٦٤ ، أمثل العرب : ٣١ ، الوحشيات : ١٧٥ ، أمالى الزيدى : ٢٨ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٧٨ ، أدب الكاتب : ٢٥٦ ، مجالس ثعلب ١ : ٢٦٨ .

جامع البيان ٢٩ : ١٩٤ .

(٣) لسان العرب ٦ : ٣٧١ .

(٤) أمالى المرتضى ١ : ١٨ .

(٥) ن . م .

آخر قريب الصلة بالبيئة العربية ، وبموضوع فقر أنف البعير الذي نحن بصددده قال : (ويعن أن يكون في الخبر وجه ثالث تشهد بصحته اللغة وهو ان أحد وجوه معنى لفظة الفقر ان يجز أنف البعير حتى يخلص الى العظم أو قريباً منه ، ثم يأوى عليه جبل يذال بذلك الصعب يقال : فقره يفقره فـَقِرَأْ اذا فعل ذلك به ، وبغير مفهوم وبه فقرة ، وكل شيء حززته واثرت فيه ، فقد فـَقِرَتْهُ تـَقِيرَا ، ومنه سميت الفاقرة وقبل سيف مفتر فيحمل القول على أنه عليه السلام أراد من أحينا فليلزم نفسه ، وليخطمهما وليقدهما الى الطاعات ، وليسرقنها عما تمبل اليه من الشهوات وليدللهما على الصبر عما كره منها . ومشقة ما أريد منها كما يفعل بالبعير الصعب) (١) . فما شريف المرتضى حين يرجع هذا المعنى الحسي انا يستند على شواهد اللغة وكانت العرب (٢) .

أما اللغويون فقد وضحاوا لنا صورة فقر أنف البعير ، ورسموا معالمها وغاياتها روى أبو مسحيل (٣) عن أبي عبد الرحمن بن سهل (٤) قوله : (ويقال فـَرَّـتُ البعيرـ أـقـرـمـهـ وهو ان تـَخـِـزـ جــلــدةـ أـنـفـهـ اذا كان نــشـيــطاـ مــرــحــاـ ليــذــلــ حتى يكون كــهــيــةـ الــعــلــمــ فيــ أـنــفــهــ ، وهو الفــرــمــ أـيــ الحــزــ فيــ الــأـنــفــ)

(١) أمالي المرتضى ١ : ١٨ .

(٢) ن . م .

(٣) هو عبد الوهاب بن حربش ، أبو مسحيل الهمذاني النحوي ، كان من أهل العلم بالقرآن ، ووجوه اعرابه ، عارفاً بالعربية ، روى عنه محمد بن يحيى الكسائي كان اعرابياً قدم بغداد وادداً على الحسن بن سهل . عاش في أواخر القرن الثاني الهجري ، وأوائل الثالث . انظر آنباه الرواية ٢١٨ ، تاريخ بغداد ٢٤:١١

(٤) هو أبو عبد الرحمن أحمد بن سهل صاحب أبي عبيدة القاسم بن سلام

المتوفى سنة ٢٢٢ هـ ، أو سنة ٢٢٤ هـ .

والقرء مثله) (١) ، وعن أبي عبيد قوله : (الفَقْرُ أَنْفُ الْبَعِيرِ
حَتَّى يَخْلُصَ إِلَى الْعَظَمِ أَوْ قَرِيبَ مِنْهُ ، ثُمَّ يُأْوِي عَلَيْهِ جَرِيرٌ يَذَالُ بِذَلِكَ الصَّعْبِ
وَمِنْهُ عَمِلَتِ الْفَاقِرَةِ) (٢) . ورسم ابن الأعرابي لنا صورة فقر أنف البعير ،
وكيف ان الرجل يت Hickم بعيره ونشاطه اذا أراده متمهلا ، وبذلك اذا
كان صعباً قال : (وقد يفقر الصعب من الإبل ثلاثة أفقر في خطمه فإذا
أراد صاحبه ان يذله ، وينفعه من مرحة جعل الجرير على فقره الذي يلي مشغره ،
فلنكمه كيف شاء ، وإن كان بين الصعب والذلول جعل الجرير على فقره
الأوسط فترى يَدَهُ في مشيته واتسع ، فإذا أراد ان ينبط ويدهب بلا مؤنة
على صاحبه جعل الجرير على فقره الأعلى فذهب كيف شاء) وقال : (إذا
حُزِّ أَنْفُ الْبَعِيرِ حَزَا فَذَلِكَ الْفَقْرُ وَبَعْرٌ مَفْقُورٌ) (٣) .

ومما مر بنا تتصفح لنا صورة فقر أنف البعير وعلاقتها الحسية بالبيئة
العربية ، وما توحيه في نفس العربي من معانٍ الذلة والضعف فيكون معنى
قوله تعالى : (وَجْهُهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرٌ) ، ووجوهُ يَوْمَئِذٍ باسرة
تظنُّ ان يُقْعَلَ بها فاقرة) (٤) ، ان الخبرين يوقنون بالداهية العظيمة التي
ستحل عليهم وتذلهم وتضعفهم كما يذل البعير الصعب بفقر أنفه : ويُستند
في هذا التفسير على دلالة الأنف في التعبير اللغوي على العزة ، والآباء ،

(١) النوادر : ٢ : ٤٥٤ .

(٢) المخصص ٧. ١٥٨ ، وانظر أيضاً ١٣٣ .

(٣) عن لسان العرب ٦ : ٣٧١ ، وانظر أيضاً الغريب المصنف : الورقة

(٤١٠) جمهرة اللغة ٢ : ٣٩٨ ، الصحاح : ٧٨٢ ، المفردات ٣٩١ .

(٤) سورة القيامة ٧٥ : ٢٢ - ٢٥ .

والعظمة . وقد قال الجاحظ (الأنف هو النخوة وموضع التجبر) (١) ومن هذا المعنى جاء قوله عز من قائل : (إن كانَ ذا مالٍ وبنين ، اذا تُبْلِي عليه آياتنا قال أساطير الأولين ، سُنْسِمُهُ على الحرطوم) (٢) أي سنسم أنفه سمة أهل النار (٣) ، فشخص الأنف بالذكر لأنّه موضع التجبر ، والكبير . فالمحرومون يوم القيمة تحمل عليهم داهية تذلل نفوسهم وتخطم جبروتهم ، وقد وصفت هذه الداهية بأنّها تفقر الأنف وتذله ، وينقلنا هذا التعبير إلى صورة البعير حين يفقر أنفه وبذل ، كما ترسم لنا صورة الذلة المفترنة في الذهن العربي بالأّنف الذي إذا ذل أو فقر أصحاب الذل صاحبه . وتعاونوا هذه الصورة مع صورة فقار الظهر (٤) التي لها دلالتها الأخرى في الذهن العربي ، وهي القوة والصلابة ، فان كسرت الفقار صار صاحبها ضعيفاً محتاجاً إلى غيره ، ثم إنّها تجعلهم منقادين نحو الداعي ضعيفين لا سيطرة لهم على أنفسهم .

أنّها صورة رهيبة للذل الناس يوم القيمة تنداعي فيها عدة ملامح من البيئة العربية تزيد من رسم هول الموقف ، وتوضح لنا يأس وخوفهم مما يتوقعونه من العذاب والعقاب .

(١) الحيوان ٣ : ٣٠٥ ، وانظر الشعر في ديوان المزرد بن ضرار : ٦١ ،

ديوان الحماسة : ٢٠ ، ديوان علقمة الفحل : ٤٨ .

(٢) سورة القلم ٦٨ : ١٤ - ١٦ .

(٣) انظر جامع البيان ٢٩ : ٢٨ ، التبيان ١٠ : ٧٨ .

(٤) ويبدو ان فقار الظهر هي الأصل الحسي لمعاني الكلمة ، وذلك لأنّ شكل الحز الذي يحز به الأنف يشبه إلى حد كبير فقرات الظهر ، فكان فقر الأنف أطلق اتشابه الصورة بينه وبين فقار الظهر الأصلي .

ج - ذلتهم :

اهطاع رؤوسهم :

هناك عدّة تعبيرات رسم لنا ذلة الكافرين عند حشرهم من القبور ، تلك الذلة التي تبدو على هيئة رؤوسهم ، وأبصارهم الذليلة . قال الله تعالى : (ولا تحسنَ اللَّهَ غافلاً عما يعْمَلُ الظالمون ، إِنَّمَا يُؤخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْهِدُهُمْ فِيهِ الْأَبْصَارُ مُهْطِفِينَ مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ ، لَا يُرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ ، وَأَفَنْدُهُمْ هَوَاءً) (١) . وقال أيضاً (فَتُولَّ عَنْهُمْ يَوْمٌ يَدْعُوا الدَّاعَى إِلَى شَيْءٍ نَكْرُ ، خُشْعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُنْتَشِرٌ مُهْطِفِينَ إِلَى الدَّاعِي يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَذَا يَوْمُ عَسِيرٌ) (٢) . قال ابن عباس مفسراً اهطاع الكافرين نحو الداعي بأنهم (مسرعين قاصدين ناظرين الى الداعي) (٣) وقال أبو عبيدة : مهطعين مسرعين قال الشاعر :

بِمُهْطِفِي سُرْجٍ كَانَ زِمامَهُ
في رَأْمٍ جَنْدِيٍّ مِنْ أَوَالِ مُشَدَّبِ (٤)

وقال :

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٤٢ - ٤٣ .

(٢) سورة القمر ٥٤: ٦ - ٨ .

(٣) تنوير المقياس : ١٦٣ : ٣٤٤ ، وانظر أيضاً اللغات في القرآن : ٥١ .

(٤) لم ينسبه أبو عبيدة وأنشده ابن بري لأنيف بن جهمة مع اختلاف في

الرواية أنظر لسان العرب ١٣: ٤٢ .

بِعَسْتَهُ طِيعَ رَسُولَ كَانَ جَدِيلَهُ بِقِيدُومِ رَعْنَ من صَوَامُ مُمْنَعٍ (١)
وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ مُفْرَغٍ الْحَمِيرِيِّ (٢) .

بِدِجَلَةَ دَارُهُمْ وَلَقَدْ أَرَاهُمْ بِدِجَلَةِ مُهَاجِرِينَ إِلَى السَّمَاءِ (٣)
وَنَقْلُ الطَّبَرِيِّ عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ تَفْسِيرًا آخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُ (الْأَهْطَاعُ :
النَّظَرُ مِنْ غَيْرِ أَنْ يَطْرُفَ) (٤) . وَمِنْ الْلَّغَوِينَ الَّذِينَ ذَهَبُوا هَذَا الْمَذَهَبُ
الْخَلِيلُ بْنُ أَحْمَدُ (٥) ، وَآخَرِينَ مِنْ نَقْلِهِمْ أَبْنُ مَنْظُورٍ (٦) .
وَمَا مِنْ بَنَى نَجْدَهُ أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ ذَهَبُوا فِي تَفْسِيرِ الْأَهْطَاعِ ثَلَاثَةَ مَذَاهِبٍ
وَهِيَ وَإِنْ تَقَارِبَتْ بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ إِلَّا أَنْ مُحَاوَلَةَ تَقْيِيمِ مَعَانِيهَا تَعْطِيلَنَا تَفْسِيرًا
جَامِعًا لِكُلِّ التَّفَاصِيرِ السَّابِقَةِ ، كَمَا تَدَلَّنَا عَلَى صُورَةِ أُخْرَى مِنْ صُورِ الْبَيْشَةِ

(١) الرَّسُولُ : الَّذِي لَا يَكَافِدُكَ شَيْئًا ، قِيدُومُ : قَدَامُ ، وَرَعْنَ الْجَبَلُ : أَنْفُهُ
وَصَوَامُ : جَبَلُ ، وَالْبَيْتُ مِنْ شَوَاهِدِ الزَّمَنِ الْمُخْشَرِيِّ فِي أَسَاسِ الْبِلَاغَةِ : ١٠٦٢ ، وَلِسَانُ
الْعَرَبِ : ٣٦٦ ، جَامِعُ الْبَيْانِ : ١٣ : ٢٣٨ ، مَعَ اخْتِلَافٍ فِي الْرَوَايَةِ ، وَعَدْمِ
نَسْبَةِ الْبَيْتِ .

(٢) هُوَ يَزِيدُ بْنُ مُفْرَغٍ الْحَمِيرِيُّ ، شَاعِرُ أَمْوَيِّ هَجَاءٌ وَهُوَ جَدُّ السَّيِّدِ الْحَمِيرِيِّ
الشَّاعِرِ الْمُعْرُوفِ ، لَقْبُهُ جَدُّهُ بِالْمُفْرَغِ لِأَنَّهُ رَاهَنَ أَنَّ يَشْرُبَ عَسَا مِنْ لَبَنٍ فَشَرَبَهُ حَتَّى
فَرَغَهُ . هَجَأْ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ سَنَةً ٥٩ هـ ، فَحَمِلَ عَلَى حَمَارٍ وَطَيْفَ بِهِ فِي الْأَسْوَاقِ .
أَنْظُرْ الشِّعْرَ وَالشِّعْرَاءَ ١ : ٢٧٦ ، تَارِيخُ الْأَمْمِ وَالْمُلُوكُ ٦ : ١٧٨ ، الْأَغْنَانِيُّ ١٦ : ٧٢ .

(٣) مَجازُ الْقُرْآنِ ١ : ٣٤٢ ، اَنْظُرْ أَيْضًا جَامِعُ الْبَيْانِ : ١٣ : ٢٣٨ ، التَّبَيَانُ ٤٤٦ : ٩ .

(٤) جَامِعُ الْبَيْانِ : ١٣ : ٢٣٧ .

(٥) الْعَيْنُ : ٣٨ .

(٦) لِسَانُ الْعَرَبِ : ١٠ : ٢٥٨ .

العربية ، فالبعير المهطع هو الذي في عنقه تصويب خلقة (١) ، ومن هذه الخلقة التي قد يوجد عليها البعير بطبيعته جاء اطلاقهم الكلمة على البعير يصوّب عنقه ، وينقاد لصاحبها في حالة كونه سالم الخلقة ، وليس فيه أي تصويب قال ابن فارس (أهْنَطَعَ الْبَعِيرُ صَوَّبَ عَنْقَهُ مُنْقَادًا) (٢) ، واهطع اذا مدّ عنقه وصوّب رأسه (٣) .

واوضح ان هذا الاستعمال الجديد للكلمة تطور عن الصورة الحسية الأولى ، صورة البعير الذي يوجد في عنقه تصويب ومَيْل خلقة ، فإذا انقاد البعير لصاحبها ذلّ ، وظهرت ذلتة في استكانته ، وميل عنقه ، ومن هنا تفهم المعنى الآخر للكلمة ، وهو اطلاقهم المُهْنَطَع على الذليل الذي يرفع رأسه في ذل وخشوع كما يقول ثعلب (٤) . ونقل ابن منظور عنه أيضاً : (وَاهْنَطَعَ : أَفْبَلَ مُسْرِعاً خَائِفًا ، لَا يَكُونُ إِلَّا مَعَ خَوْفٍ ، وَقَلَ بِخَضْوَعٍ) (٥) . قال الشاعر :

تَعَبَّدَتِي نَمَرٌ بْنُ سَعْدٍ وَقَدْ أَرَى
وَنَمَرٌ بْنُ سَعْدٍ لِي مُطْبِعٌ وَمُهْنَطِعٌ (٦)

(١) جهرة اللغة ٣: ١٠٧ ، الصحاح ٣: ١٣٠٧ ، الحكم ١: ٦٢ ، أساس البلاغة ١٠٦٢ ، لسان العرب ١٠: ٢٥١ .

(٢) مقاييس اللغة ٦: ٥٦ .

(٣) الصحاح ٣: ١٣٠٧ ، لسان العرب ١٠: ٢٥١ .

(٤) مجالس ثعلب ١: ٢٠ .

(٥) عن لسان العرب ١٠: ٢٥١ ، وانظر أيضاً جهرة اللغة ٣: ١٧ .

(٦) الصحاح ٣: ١٣٠٧ ، أساس البلاغة: ١٠٦٢ ، لسان العرب ١٠:

٢٥١ ، والبيت غير منسوب .

وقد فسر الخليل البيت بأنه كان ذليلاً لي فصار فوق (١) ،
ومن هنا المعنى نفهم تفسيراً آخر للآية الكريمة : (مُهْطِعُينَ إِلَى الدَّاعِي)
يقولُ الْكَافِرُونَ هذَا يَوْمٌ عَسِيرٌ (٢) . أي منقادين له ذليلين ، خائفين
وقد أيقنوا بما سيلاقونه من العقاب وهو معنى وضجه لـ أنا تعبير الفاقرة (٣) .
أما المسرعة فانها معنى آخر تطور عن المعنى الحسي نفسه ، وذلك ان
البعير اذا انقاد الى صاحبه ذل ، واستكان ، كما مر بنا ، وهو حين يسرع
ترسم في الذهن صورة الاهطاع الأولى ، لأن المسرع لا بد أن يدفع عنقه
ويمده الى الامام لكي يوازن بين جسمه والقوة الدافعة الى الامام ، ومن
هنا قبل أهطاع البعير في سيره ، واستهبط اذا أسرع ، وناقة هنطئ ،
سريعة ، كما يقول الخليل (٤) .

ثم اطلق الاهطاع على المسرعة مطلقة دون تقييدها بالبعير أو الانسان (٥)
وبهذا يمكننا أن نفهم تفسير من قال ان الاهطاع هو اسراع الناس نحو
الداعي (٦) . أما تفسير من قال ان معنى الاهطاع هو النظر من غير ان
يطرف (٧) ، فنجده واضحاً أيضاً في الصورة الحسية لاهطاع البعير أو الانسان
حين يندفع بسرعة الى الامام ، فإن القوة الدافعة لاتتيح له مجالاً لأن يلتفت

(١) العين : ٣٨ .

(٢) سورة القمر ٥٤ : ٨

(٣) أنظر ص ١١٥

(٤) عن لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٥) الخليل عن الخصص ٣ : ١٠٧ ، وانظر أيضاً الصحاح ٣ : ١٣٠٧ ،

مقاييس ٦ : ٥٦ ، الحكم ١ : ٦٢ ، لسان العرب ١٠ : ٢٥١ .

(٦) انظر الفصل الثالث - ج - ذلتهم

(٧) ن . م

يميناً أو شمالاً ، وإنما يبقى في سرعته متوجهاً بنظره إلى الإمام ، ومن هذه الحقيقة تطور المعنى الأخير للكلمة وهو قوله ، المهبط الم قبل يبصره على الشيء لا يرفعه عنه (١) . وما من بنا نفهم أن اختلاف المفسرين في توجيه الآية الكريمة ليس فيه تناقض أو تنازع ، وإنما نظرت كل طائفة إلى الآية الكريمة من وجهة واحدة فجاء تفسيرها صورة لتلك الوجهة ، فإذا بالآية الكريمة صورة متعددة الجوانب ، متجردة الملامح ، يلمح كل مفسر جانباً منها فيرسمه لنا إلا أن الجميع يبنها بعطينا صورة كاملة لإهاطع الكافرين وذلتهم ، فالناس حين يبعثون يوم القيمة على صوت النفير المفزع ينقادون مسرعين ملبين الداعي ، وقد ذلت نفوسهم حين أيقنت بما ستلاقيه من العقاب والعقاب . وتظهر ذلتهم في اهاطع رؤوسهم التي تنقل لنا صورة البعير يمبل برأسه ويصوبه حين يذل وينقاد لاصحابه ، أو صورته حين يفرج ويُسرع في سيره مُصوّراً عنقه إلى الإمام ، ثم إنهم في ذلتهم ، وذلهم لا تطرف أبصارهم وهو معنى أكدده قوله تعالى في آية سبقت وصف إهاطع رؤوس الكافرين : (إِنَّمَا يُؤْخِرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ) (٢) .

اقناعهـا :

اما اقناع رؤوسهم فقد ورد في قوله جل من قائل : (ولا تحسـنـا الله غافلاً عما يـعـمـلـ الظـالـمـونـ ، إـنـمـا يـؤـخـرـهـمـ لـيـومـ تـشـخـصـ فـيـهـ الـأـبـصـارـ مـهـمـطـيـعـيـنـ مـقـنـعـيـ رـؤـسـهـمـ لـاـيـرـتـدـ إـلـيـهـمـ طـرـفـهـمـ وـأـفـنـدـهـمـ هـوـاءـ) (٣) :

(١) العين ٣٨ ، وانظر أيضاً الصملاح ٣: ١٣٠٧ ، لسان العرب ٢٥١: ١٠

(٢) سورة إبراهيم ١٤: ٤٢ .

(٣) سورة إبراهيم ١٤: ٤٢ - ٤٣ .

وقد ذكر المفسرون ثلاثة توجيهات للاقناع . الأول : إنهم منكسوا رؤوسهم ، والثاني إنهم رافعوا رؤوسهم ، والثالث مادوا رؤوسهم . وقد ذكر ابن عباس هذه التوجيهات الثلاثة في تفسيره (١) . أما التفسير الثاني فقد ذكره أبو عبيدة في مجازه حيث قال : (مُقْنَعٍ رُؤُوسُهُمْ مُجَازٌ رَافِعٌ رُؤُوسُهُمْ قَالَ الشَّمَّاخُ :

يُبَاكِرُنَّ الْعِصَادَ بِمُقْنَعَاتٍ نَوَاجِدُهُنَّ كَالْحَدَّأَ الْوَقِيعِ
أَيْ بِرُؤُوسٍ مَرْفُوعَاتٍ إِلَى الْعِصَادِ لِيَتَنَاهُنَّ مِنْهُ) (٢) . ولم يكتف قنادة بتفسير أبي عبيدة ، إنما وجد فيه صورة أكثر من رفع الرأس ، وهي الذهول والرعب الذي يجعلهم رافعي الرؤوس ، وقد شخصت أوصارهم قال : (المُقْنَعُ الَّذِي يَرْفَعُ رَأْسَهُ شَاحِنًا بِصَرَّهُ لَا يَطْرُفُ) (٣) . وفي دلالات الكلمة المختلفة نجد معانٍ عديدة تكشف لنا صورة التعبير القرآني من جهة ، والبيئة العربية من جهة أخرى . ومن هذه المعاني المادية معنى ارتباط بالابل وذلك قولهم ان الاقناع رفع الابل رأسها ، ويكون ذلك خلقة فيها (٤) . هذه الخلقة ان وجدت في غير ما فانها لا تتيح له التحرك برأسه يميناً أو شمالاً ، ويبدو أن هذا المعنى من أوائل معاني الكامنة ، وقد يكون أصلاً لها .

ومن هذا الرفع الطبيعي أطلقوا كلمة المقنع على الذي يرفع رأسه شاحناً بصره ، وذلك تشبيهاً بالصورة المادية التي رأها العربي في بيته

(١) تنوير المقياس : ١٦٣ ، وانظر أيضاً اللغات في القرآن : ٣٢ .

(٢) مجاز القرآن ١ : ٣٤٣ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١٣ : ٢٣٨ ، التبيان

٦ : ٣٠٣ ، والبيت في ديوان الشماخ : ٥٦ .

(٣) جامع البيان ١٣ : ٢٣٩ .

(٤) لسان العرب ١٠ : ١٧٣ .

فعهمها على من رفع رأسه وشخص ببصره روى الجوهري قوله : (اقعن
رأسه اذا رفعه ، ومنه قوله تعالى مهطعين مقنعي رؤوسهم وكذلك قول
رُؤبة (١) .

أشـرـفـ رـوـقـاهـ صـلـيـفـاـ مـقـنـعـاـ (٢)

ومن هذا الاستعمال المادي فهم المفسرون الآية الكريمة : (مهطعين
مقنعي رؤوسهم) (٣) بأن الناس يوم القيمة حين يهبون على صيحة النفير
يرفعون رؤوسهم لشدة ذهولهم وفزعهم فيكون حالم حال البعير الذي في
خلقة راسه ارتفاع ، فلا يستطيعون خفض رؤوسهم ، وتبقى أبصارهم
شاحنة طول الموقف .

أما تفسير الآية بأن الناس يكونون مادي أعناقهم ، فإنه معنى متأتٍ
من استعمال مادي آخر ، وذلك قوله أقعن البعير رأسه الى الحوض لشرب
وهو مده رأسه كما يقول الأصمعي (٤) . ومن هنا قبل للذى يقبل على الشيء
مقنع (٥) ، فكما ان الإبل حين تقبل على الماء لشرب منه تند رأسها اليه
لا يصرفها عنه شيء وكذلك الذى يقبل على الشيء يند رأسه تجاهه ، ولا

(١) هو رُؤبة بن عبد الله بن رُؤبة التميمي ، راجز من الفصحاء المشهورين
من خضرمي الدولتين الأموية والعباسية . كان أكثر مقامه في البصرة ، وأخذ عن
أعيان أهل اللغة . توفي نحو ١٤٥ هـ . انظر المؤتلف والختلف : ١٧٥ ، لسان الميزان
٢ : ٤٦٤ ، خزانة الأدب ١ : ٤٣ .

(٢) الصياح ٣ : ١٣٧٤ .

(٣) سورة إبراهيم ١٤ : ٤٣ .

(٤) عن لسان العرب ١٠ : ١٧٣ ، وانظر أيضاً الصياح ٣ : ١٢٨٤ ،
مقاييس اللغة ٥ : ٢ .

(٥) لسان العرب ١٠ : ١٧٣ .

يصرفه الى تجاه اخر وهو الأصل الاولى الذي وضعه ابن فارس للكلمة (١).
هذا المعنى يفيينا في فهم الآية الكريمة ، لأن الكافرين يمدون رؤسهم
ويقبلون نحو الداعي لا يرتد اليهم طرفهم .

ومن مجموع معانى الكلمة نجد ان كل التفاسير السابقة قد استندت
على استعمال مادي . له دلالته على البيئة العربية . فإذا جمعنا هذه التفاسير
تداعت في الذهن مشاهد عديدة من البيئة العربية ، كل مشهد منها يعطينا
جانباً من صورة الكافرين الذليلة يوم القيمة عند سماعهم صوت النفير
فيفرزون ويرفعون رؤسهم ، وتشخص أبصارهم مثلهم في ذلك مثل البعير
الذى في رأسه ارتفاع خلقة فلا يستطيع امثاله ، او تخربكه ، ويقبلون
نحو الداعي كما تقبل الابل نحو الماء فلا يصرفها عنه شيء ، ثم تأتي الآية
بعدها : (لا يرتد اليهم طرفهم ، وافتديتهم هواء) (٢) لتبين لنا ان
رفع الرؤوس والاقبال نحو الداعي ليس بالسير الطبيعي ، ابداً هو إقبال
يدفعه الفزع والملع الذي لا مفر منه ، لذا لا تطرف أبصارهم ، ولا
يميلون رؤسهم ، ولا يرجعون عن سيرهم الذليل نحو الداعي .

خشوع اصواتهم ، وكما بدت ذلة الكافرين في سيرهم ، فانها تجلت
في طريقة كلامهم قال الله تعالى واصفاً اصواتهم بالخشوع : (ويأسأونك
عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفاً ، فيذرها قاعاً صفصفاً ، لا زرى فيها
عروجاً ولا أمتاً يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له ، وخشعت الأصوات
للرحن فلا تسمع إلا همساً) (٣) .

فسياق الآيات العام يوحى بالخشوع والرهبة ويضفي على مشاهد يوم القيمة
صورة يتجسد فيها الخوف والفزع .

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٣٢ (٢) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢

(٣) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٨

وقد قال المفسرون في شرح معنى الخشوع بأنه ذلة الأصوات وخطوها قال ابن عباس : (وَخُشِّعَتِ الْأَصْوَاتُ) دللت الأصوات (١) وقال الزمخشري (سكنتُ الْخَلَاقَ) للرجم فرفعت الأصوات بالخشوع والمعنى لأهلها (٢) فالزمخشري يرى أن وصف الخشوع إنما هو وصف للناس لا لأصواتهم ، إلا إننا نجد هذا الاستعمال عند اللغويين مقترباً أيضاً بالآيات والأوصاف روى الجوهري : (الخشوع ، الخضوع يقال خشيع وخشيع ، وخشيع بيصيده أي غضبه) (٣) .

فذلة الأصوات التي فسّرها المفسرون تفهم من قول اللغويين : لأن صورة من يغضّ بصره ، ولا يرفعه إنما تعكس لنا صورة الذليل الذي لا يجرؤ على رفع رأسه . ومجابهه غيره .

وقد ورد الخشوع مقتربنا بالإبصار في القرآن الكريم : (فَوْلٌ) عنهم يوم يدع الداعي إلى شيءٍ تُكْرِمُ خشعاً إبصارهم يخرجون من الأجداد كائِنُوكُمْ جرادٌ مُنْتَشِرٌ) (٤) . وفسر الخشوع هنا بالذلة أيضاً : (٥) فإذا عدنا إلى المعاني الحسية التي دارت حولها الكلمة وجّدنا فيها معنى حسياً تشتراك فيه الإبصار ، والأصوات ، والنفوس ، وذلك أنها اطلقت وصفاً للارض فقد قالوا : الخاشع المطمئن من الأرض (٦) . وأكمل

(١) تنوير المقياس ١٩٨ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١٦ : ٢١٤ . التبيان

٧ : ٢٠٩ (٢) الكشاف ٢ : ٣١٤

(٣) الصحاح ٣ : ١٢٠٤ ، وانظر أيضاً لسان العرب ٣ : ٤٢٣ ، المخصص

٤٢٣ : ١٢١ ، اسم البلاحة ٢٣٢ ، لسان العرب ٣ : ٤٢٣

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٦ - ٧

(٥) تنوير المقياس : ٣٣٤ الكشاف ٣ : ١٨٢

(٦) جمهرة اللغة ٢ ، ٢٢٣

خَاشَعَةً : مأْتِيَّة لاطنة بالأَرْض والخاشع من الأَرْض الذي تثبِّرُه الرياح
لـسْهُولَتِه فـتَمْحُو آثارَه (١) . فـالأَرْض غير المطورة تكون عديمة الفائدة
يسهل السير عليها كما يسهل محو آثارها . ومن هنا فـهُم معنى الذلة والخُسُوع
الذِي تطورت إلَيْه الكلمة ، وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم (٢) .
هذا المعنى المادي نجده واضحًا في المعنوي ، لأن الدليل حين يغضن نظره
يكاد يلصق بصره على الأرض ولا يرفعه ، أمَّا الأصوات فإنها وصفت
بالخُسُوع تشبيهًا لها بالأَرْض المطمئنة المنخفضة الموصوفة بالخُسُوع .
ومن هنا فـهُم قوله تعالى (وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِرَحْنٍ فَلَا
تَسْمَعُ إِلَّا هُمْ) (٣) . أي أن أصوات الناس ذلت ، وسكنت الذلة
 أصحابها ، وخوفهم مما ينتظرون من العذاب ، فلا يكاد يسمع لهم كلام
واضح . وهو معنى اكْدَهْ تعبير الهمس الذي تبع وصف الأصوات
بالخُسُوع .

وقد اختلف المفسرون في تفسير الهمس الذي يسمع عند سير الناس
نحو الداعي ، فذهب بعضهم إلى أنه الوطء الخفيف كوطء الإبل (٤) .
وروى عن ابن عباس أنه سُئِلَ عما إذا كانت العرب تعرف هذا المعنى
فأجاب : نعم ، واستشهد بقول أبي زيد :

فَبَا تُوا سَاكِنِينْ وَبَاتَ يَسْرِي بَعِيرْ كَالْدُجْنِي هَادِ هَوْنِ (٥)

(١) الصَّحَاح ١: ٣٠٧ ، اسماں البلاگة : ٢٣٢ ، لسان العرب ٩: ٤٢٤

وقد وردت بهذا المعنى في سورة فصلت ٤١: ٣٩

(٢) انظر المعجم المفهرس : ٢٢٣

(٣) سورة طه ٢٠: ١٠٨

(٤) تنوير المقباس : ١٩٨

(٥) مسائل نافع بن الأزرق : الورقة ٥ (ب) ، والورقة ١٢ (أ)

وعن الفراء ان ابن عباس تمثل أيضاً بقول الشاعر : (وَهُنَّ يَمْشِينَ
بِنَا هَمَيْسَا) ، وهو صوت اخفاف الابل (١) .

أما الفريق الثاني فقد فهم الهمس على انه الصوت الخفي ، قال
أبو عبيدة : (وهو مثل الركز يقال : همس اليه بحديث أي أفضاه) (٢)
والركز هو الصوت الواطيء الخفي .

ويبدو ان المعنى الأول وهو الوطء الخفي هو الأصل لمعنى الصوت
الخفي . فقد قالوا أسد هموس للخفي الصوت (٣) قال الحارث بن حازة :
أَسَدٌ فِي الْأَقْاءِ وَرَدٌ هَمَوْسٌ وَرَبِيعٌ إِنْ شَتَّعْتَ غَبَرَاءً (٤)
هذا الوصف للأسد صادر عن كونه يسير خفية حتى لانتبه اليه الفريسة
قال أبو الهيثم : (سمى الأسد هوسا ، لأنها يهمس هسا أي يمشي مشيا
بحفظة ، فلا يسمع صوت وطنه) (٥) .

من هذا المعنى الحسي تطورت دلالة الكلمة الى معنى الصوت الخفي
لأن من يهمس بكلام خفي ، إنما يتوجس من أن يسمعه أحد ، كما يتوجس
الأسد الهموس في وطنه الأرض حتى لاتسمع فريسته وقع أقدامه فتفلت
 منه ، ومن هنا سمى أمرؤ القيس الليلة التي يُتهجّسُ فيها السير ، ويختفي

(١) الفراء عن لسان العرب ٨ : ١٣٧ ، والبيت في جمهرة اللغة ٣ : ٥٤ ،
العمدة ١ : ١٧ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١٦ : ٢١٤ ، النبيان ٧ : ٢٠٩ ، المفردات :
٥٦٨ ، الكشاف ٢ : ٣١٤ .

(٢) مجاز القرآن ٢ : ٢٠ ، جامع البيان ٦ : ٢١٤ ، المفردات : ٥٦٨ .

(٣) جمهرة اللغة ٣ : ٥٤ ، الصحاح ٢ : ٩٨٨ ، مقاييس اللغة ٦ : ٦٦ ،
المخصص ٢ : ١٣٨ .

(٤) شرح القصائد السبع : ٤٩٦ ، وانظر ديوان جرمان العود : ٥٢ .

(٥) عن لسان العرب ٨ : ١٣٨ .

وطء الأقدام فيها لها وشدتها بليلة الهمس .

أجد موثقة كناز عرمسٍ وخدادة في ليلة الهمس (١)
لأن واطئها يخشى أن تسمع وقع أقدامه . أما في الآية الكريمة فإننا
نرى أن المعنين يشتركان في رسم إيجاء الهمس ، فعنى وطء الأقدام بفهم
بأن الناس يوم القيمة يكونون في رعب وخوف شديدين ، فيخشون السير
لأنهم يعرفون عاقبة أمرهم ، ومع ذلك فهم محiron على اتباع الداعي ،
ولكنهم يخفون وطء أقدامهم ، حتى لا يسمع إلا صوت خفي لهم . إلا
ان متابعة سياق الآيات والجو القرآني بصورة عامة يجعلنا نرجع معنى الصوت
الخفى ، لأنه أوضح من معنى الوطء الخفى ، ذلك لأن التعبير القرآنية
الأخرى أكدته كما مرّ بنا في تعبير خشوع الأصوات . وقد قال الله تعالى :
(يوم يُستفتحُ في الصورِ ، وَتَحْسِنُ الْجَرْمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً ، يَتَخَافَّونَ
بَيْنَهُمْ إِنْ لَيْثُمُ إِلَّا عَشْرًا) (٢) ، بصورة الناس الخائفين الذين يتوجسون
في كلامهم فلا ينتبهون إلا همسا وتخافوا هذه الصورة واضحة في كل الآيات
الكريمة التي تعرض إلى ذكر أصوات الناس وكلامهم ، كما أنها تنسجم مع
تصوير الحيرة والضلال الذي سنأتي إلى ذكره في تعبير الزرقة (٣) . ومع
ذلك نستطيع أن نفهم التفسير الأول إلى جانب هذا المعنى بأنهم خوفهم
يتوجسون خيفة في سيرهم ، وطريقة كلامهم .

ومن مجموع هذه التعبيرات ترسم في الذهن صور عديدة للصفات النفسية
التي يكون عليها الناس يوم القيمة .

(١) ديوان أمرى القيس : ٢٧٣ .

(٢) سورة طه : ٢٠ - ١٠٣ : .

(٣) انظر ص ١٥١ .

٣ - صفاتهم الجسدية (١)

أ - سواد وجوه المجرمين وبياض وجوه المؤمنين :

قال الله سبحانه وتعالى : (يوم تبىضُّ وجوهٌ وتسودُّ وجوهٌ ، فاما الذين اسودَتْ وجوهُهُمْ : أَكَفَرْتُمْ بعده إيمانِكُمْ ؟ فذوقوا العذابُ بِمَا كنتم تكفرون وأما الذين ابيضَتْ وجوهُهُمْ ففي رحمةِ اللهِ هُمْ فيهم خالدون) (٢) .

لقد أبعج المفسرون على ان البياض يكون علاماً للمؤمنين يوم القيمة والسواد يكون سياء المجرمين (٣) . وهناك آية قرآنية أخرى تصف وجوه الكافرين بأنها لسودادها كما أنها أغشيت بقطيع من الليل حالكة السواد (٤) . وفي سورة عبس أضاف الله سبحانه وتعالى الى وجوه الكافرين المسودة غباراً وپأساً وكابةً : (فاذا جاءت الصاتحةُ ، يوم يفرِّ المرءُ من أخيهِ وأمهِ وأبيهِ ، وصاحبتهِ وبنيهِ ، لكل امرئٍ منهم يومئذٍ شانٌ يُغثث به وجوهٌ يومئذٍ مُسْفَرَةٌ ، ضاحكةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ ، ووجوهٌ يومئذٍ عليهَا غبرةٌ)

(١) هذا لا يعني ان بحثنا هنا مقتصراً على الصفات الجسدية دون النفسية ، لأننا سنجد ان كل تعبير يصف شكل الناس يصف من ناحية أخرى الصورة النفسية التي يخشرون عليها . ولكننا خصصناها هنا بهذا البحث دون الصفات النفسية ، لأنها تكاد تشكل صورة كاملة الملامح لشكل النازم عند الخشر .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(٣) جامع البيان ٤ : ٣٩ - ٤٠ ، التبيان ٤ : ٥٥١ - ٥٥٢ .

(٤) قال الله تعالى في سورة يونس ٨ : ٢٧ : (كَانُوا أَغْشِيَتْ وجوهُهُمْ قِطْعَةً من اللَّيْلِ مُظْلَماً أو لِئَلَّكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خالدون) .

تَرْهَقُهَا قَسْتَرَةٌ ، أَوْلَئِكَ هُمُ الْكَفَّارُ الْفَسَاجِرَةُ) (١) . فسر بعضهم معنى الآية ان وجوه الكافرين والمنافقين تعلوها كآبة ، وكسوف ، وذلة (٢) . وقال آخرون : أي يعلوها غبار (٣) . وأصل القسترة في اللغة هو الغبار (٤) وقبل : القرفة غبيرة يعلوها سواد كالدخان (٥) . ومن الاستعمال المجازي للكلمة قوله القرفة : ما يغشى الوجه من الكرب (٦) ، فيكون معنى الآية الكريمة ان وجوه الكافرين تكون مسودة تعلوها كآبة وذلة . فإذا أضيف الغبار الى سواد الوجه اجتمعت مع الذلة كآبة وحزن . قال الزمخشري مفسراً الآية : (تَرْهَقُهَا قَسْتَرَةٌ ، سَوَادٌ كَالدُّخَانِ ، وَلَا تَرِى أَوْحَشَ مِنْ اجْتِمَاعِ الْغَبْرَةِ وَالْسَّوَادِ فِي الْوِجْهِ كَمَا تَرِى فِي وِجْهِ الْزَّنْوِجِ إِذَا اغْبَرَتْ وَكَأَنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَجْمِعُ إِلَى سَوَادِ وَجْهِهِمُ الْغَبْرَةُ كَمَا جَمَعُوا الْفَجُورَ إِلَى الْكُفَرِ) (٧) . فنظرة الزمخشري الى الآية تمثل الوجهة الأدبية الخالصة اذ تبيّن لنا ان السواد مكره بغيض في الذوق العربي . والغبار له دلالة على الذلة والهم والحزن (٨) . فاجتمعهما معًا يرسم صورة بشعة للكافرين يوم

(١) سورة عبس ٨٠: ٣٣ - ٤٢ .

(٢) تنوير المقياس : ٣٨٢ ، جامع البيان ٣: ٦٣ .

(٣) مجاز القرآن ١: ٢٧٧ ، و ٢: ٢٨٦ ، غريب القرآن : ١٩٠ ، التبيان

٢٧٨: ١٠ .

(٤) جمهرة اللغة ٢: ١٢ ، الصملاح ٢: ٧٨٥ ، مقاييس اللغة ٥: ٥٥ ،

الخصص ١٠: ٦٧ ، لسان العرب ٦: ٣٧٩ .

(٥) لسان العرب ٦: ٣٧٩ .

(٦) أساس البلاغة : ٧٤٢ .

(٧) الكشاف ٣: ٣١٤ .

(٨) انظر لسان العرب ٦: ٣٠٨ ، تاج العروس ٣: ٤٣٧ .

القيمة ، فإذا قارنا هذه الصورة بوجوه المؤمنين المصفرة الضاحكة تَبَيَّنَ لنا الbon الشاسع الذي قُصِّدَ اظهاره بين الحالتين ، بين السواد المغبر والبياض المسفر .

ونجد لهذا التعبير اعظم الدلالة على الذوق العربي ، ذلك لأن العرب قد أحبوا البياض ووسموا به كل ما أحببته نفوسهم ، وبغضوا السواد ووصموا به كل ما كرهته نفوسهم . فالمثل الأعلى لاجمال عندهم هو البياض ، ومن هنا تفزوا بالمرأة البيضاء الجميلة . قال امرؤ القيس :

مُهْتَهْفَةٌ بِيَضَاءٍ غَيْرُ مَفَاضَةٍ
تَرَاثِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ (١)

وقال عمرو بن كائوم :

عَلَى آثَارِنَا بِيَضِّنْ حِسَانٌ مُخَادِرٌ أَنْ تُقَسَّمَ أَوْ تَهُونَا (٢)
وَالْأَمْلَةَ كَثِيرَةٌ عَلَى تَغْزِلِ الشُّعُراءِ بِالْمَرْأَةِ الْبَيْضَاءِ (٣) ، وَلَكِنَّ الْبَيْضَاءَ
الَّذِي أَحْبَبَهُ لَيْسَ هُوَ الْبَيْضَاءُ الْخَالِصُ ، إِنَّمَا هُوَ الْبَيْضَاءُ الَّذِي تَخَالَطَهُ صَفَرَةُ
كَفُولِ امْرَىءِ الْقَيْسِ :

كَبْكَرٌ مُقَاذِةٌ الْبَيْضَاءِ بِصَفَرَةٍ
غَذَاهَا نَمِيرٌ الْمَاءِ غَيْرُ الْحَلَلِ (٤)

فقد شبه المرأة بالدرة ، لأنها بيضاء بخالط بياضها صفرة . وذلك

(١) ديوان امرئ القيس : ١٥

(٢) شرح القصائد السبع : ٤٢١

(٣) شرح ديوان عنترة : ٧٣ ، ١٦١ ، ديوان النابغة الجعدي : ٤ : ٨٠

ديوان عدي بن زيد : ١٢٧

(٤) ديوان امرئ القيس : ١٦

أحسن الألوان عندهم كما يقول ابن الفقيه (١) . أما البياض الحالص فهو الذي وجدوه عند الجناء (٢) .

ومن الطبيعي أن يميل ذوقهم إلى حب البياض - وإن لم يكن الحالصاً - ذلك لأن طبيعة بيضتهم الشديدة الحر صيفاً لا تترك ساحتهم بفضاء خالصة وإنما تميل بها إلى السمرة . ومن هنا جعلوا البياض المخلوط بشيء من الصفرة هو المثل الأعلى للجمال ، ومع ذلك اكتفوا بذكر البياض في أكثر أشعارهم الغزلية .

من هذه الناحية جاءت استعاراتهم للتعبير عن الحق ، والشرف والرفة ، فإذا أرادوا مدح الرجل قالوا . انه أبيض ، نقل ابن منظور عن الأزهري قوله (إذا قالت العرب : فلان أبيض ، وفلانة بفضاء المعنى نقائ العرض من الدنس والعيوب) (٣) وقد ورد بكثرة في الشعر الجاهلي في المدح ، والرثاء ،

اما السواد فقد نعتوا به كل شيء بغضته نفوسهم ، فعبروا عن الحقد بأنه أسود ، ووصفو الأكباد الحاقدة بالسواد . قال الجاحظ : (يقولون سود الأكباد يريدون العداوة) (٤) . وقال الأعشى مخاطباً ناقته : ها أَجْشَمْتِ فِي إِنْيَانِ قَوْمٍ هُمُ الْأَعْدَاءُ وَالْأَكْبَادُ سُودُ (٥) فوصف أكبادهم بالسواد ليدل على شدة عدائهم ، وبغضائهم وقال

(١) مختصر البلدان : ٢٩

(٢) الكامل للمبرد ٢٦٧ : ٢

(٣) عن لسان العرب ٨ : ٣٩٣ ، وانظر أيضاً نزهة العمر : ٣ ، ٤

المخصوص ٢ : ١١٤

(٤) الحيوان ٣ : ٢٤٧

(٥) ديوان الأعشى : ٣٢٣

اعرابي قديم واصفاً الصفن بالسود ايضاً :
 يُزْمَلُونَ حديثَ الصِّفْنِ بِينَهُمْ
 والصِّفْنُ أَسْوَدُ أَوْ فِي وِجْهِهِ كَلْفٌ^(١)
 وكذلك وصفوا المصائب بالسود ، لأنها تدل القوم اذا حلت بهم
 وتحزنهم ، فعبروا عن الحزن والذل بالسود ، كما عبروا عن الشرف
 والرفعة بالبياض . قال الشاعر الحسن بن علي القتال الباهلي^(٢) :
 تقولُ ابنةُ الْبَكْرِي لِمَا بَدَا لَنَا كَلْفُ السُّنْتُرِ مِنْهَا لَمَّا وَبَنَانَ
 أَرَاكَ ظَلَلْتَ الْيَوْمَ أَسْوَدَ شَاحِبًا
 طَرِيدَ دَمٍ يُرمى بِكَ الرِّجْوَانُ^(٣)

وقال آخر :

رَمَى الحَدَثَانِ نَسْوَةَ آلِ حَرْبٍ بِعَدْلَارِ سَمَدْنَ لَهُ سُمُودًا
 فَرَدَ شُعُورَهُنَّ السُّودَ بِيَضًا وَرَدَ وَجْهَهُنَّ الْبَيْضَ سُودًا^(٤)
 ووصفووا وجوه القوم عند الغزو بالسود ، لأنها تكون كالحلا لشدة
 الضرب وهي الوطيس . قال ابو زيد الطائي :
 بَيَّدَ الْغَزُوُ أَوْجَهَ الْقَوْمِ سُودًا ولقد أبدأوا ولسن بسود^(٥)

(١) العمدة ١: ٢٥٨ ، ديوان الحماسة: ٢٥٧ ، الاشباه والنظائر: ١١٩.

(٢) هو الحسن بن علي القتال الباهلي ، أحد بنى جنديب شاعر فارس ،
 ويروى انه أحدث حدثاً ، فهرب وصعد جبل يذيل فاقام به ، والفة النمر . انظر
 المؤتلف والمخالف: ٢٥٢ .

(٣) ن . م : ٢٥٣ .

(٤) الصناعتين: ٣١٢ ، العمدة ٢: ٦ ، والشعر منسوب الى الكميـت بن زيد
 في ذيل الأمالـي: ١١٥ .

(٥) أـمـالـيـ اليـزـيدـيـ ١٢ ، والظـارـ أيـضاـ معـانـيـ الشـعـرـ: ٢٣ .

والاستعمال الأخير للسواد يعكس لنا ضوء آخر على الآية الكريمة (يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد إيمانكم ؟ فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون ، وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيهما خالدون) (١) ، ذلك لأن وجوه المؤمنين تبيض لما يبذلو عليهما من الراحة والاطمئنان ، وتسود وجوه الجومين لهول الموقف والمصيبة العظيمة التي تحل بهم . وهذا التعبير القرآني المعجز يعكس لنا الذوق العربي في البياض وكراهه للسواد .

ومن هنا خلَدَ الشعراء السودان الذين عاشوا بين ظهراني العرب اشعاراً تعبر غاية في الروعة في تصوير الذوق العربي ، ونظرته إلى الألوان . قال عنترة بن شداد :

يَعْبِيُونَ لَوْنِي بِالسَّوَادِ وَأَنَا فَعَالْمُ بِالْخُبُثِ اسْوَدْ مِنْ جِلْدِي (٢)
 فهو هنا يعكس لنا الذوق العربي الذي يعتبر السواد عيناً . وهو نفسه مقتنع بهذا الذوق متاثر به ، لأنَّه حين يرد على قوله لا يدافع عن لونه ، إنما يقول إنَّ افعالهم شنيعة كانوا السواد ، فاعتبر السواد عيناً يسم به افعالهم . أما حين يدافع عن لون بشرته فإنه يحاول أن يجد له تبريراً بأن يقول إن لون المسك أسود :

لَشِنْ أَكُّ أَسْوَادًا فَالْمِسْكُ لَوْنِي وَمَا لَسْوَادَ جَلِيدِي مِنْ دَوَاءِ (٣)
أو ان لونه اون الليل الذي لولاه ما عرف الفجر :

(١) سورة آل عمران ٣: ١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) شرح ديوان عنترة : ٦٢ .

(٣) ن . م : ٧

يَعِيْهِ وَنَ لَوْنِي بِالسَّوَادِ جَهَـةـ الـهـ

وَلَوْلَا سَوَادُ الـلـلـيـلـ مـا طـلـعـ الـفـسـجـرـ (١)

أو يقول ان لون بشرته موجود في العيون السود التي أحبها العرب :
وَمـا وَجـدـ الـأـعـادـيـ فـيـ عـيـاـ فـعـابـونـيـ بـلـوـنـ فـيـ الـعـيـوـنـ (٢)
وهو في كل هذا الدفاع يتجاهل نقاط الضعف في تبريره ، وان طب
المسك لم يأت من لونه ، وإنما من عطره . وكذا الحال مع العيون السود
التي ما أحبها العرب الا لاجتماع السواد والبياض فيها معا .

أما سُحيمُ عبدُ بني الحسحاس المشهور ، فإنه يتالم غاية الألم فصاحبته
لأنه أدنى التفات لأن ملابسه رثة ، ولأنه عبد أسود :
رَأَتْ قَتْبَاً رَثَّا وَسُحْنَتْ عَامَةْ وَأَسْوَدَ هَمَّا يَمْلِكُ النَّاسُ عَارِيَا (٣)
وزراه يتالم من لونه الأسود ، وانه لاذنب له إذ كانت أمه عبدة ،
فوالدته على هذا اللون البغيض :

فَلَوْ كَنْتُ وَرَدَّا لَوْنُهُ اعْشَقْتُنِي وَلَكِنْ رَبِّي شَانَنِي بِسَوَادِيَا (٤)
ويلاحظ في الشطر الثاني رسوخ فكرة اعتبار السواد عيماً حتى في ذهن
سُحيم العبد الأسود ولكنه مع ذلك يحاول ان يجد لسواده تبريراً كما فعل
عنترة من قبل (٥) .

ولنا ان نتساءل عن سر حب الذوق العربي للبياض ، وتشاؤمه وكرهه

(١) شرح ديوان عنترة : ٨٩ .

(٢) ن . م : ١٨٢ .

(٣) ديوان سُحيم : ٨٤ .

(٤) ن . م : ٢٤ .

(٥) ن . م : ٥٤ ، وانظر أيضاً الفاصل : ٣٣ ، أمالي القالي ٢ : ١٨٨ ،
ذيل الأمالي : ١٢٧ ، المخصص ٢ : ١٠٤ .

للسواد . فإذا تطلعنا إلى البيئة العربية وجدنا فيها ضالتنا ، ذلك لأنها صحراء متراوحة الأطراف ، مليئة بالمفاجئات خاصة في الليل ، سواء من قبل الغارات المفاجئة ، أو من قبل حيوانات مختلفة ملأت الصحراء الواسعة . فأحبوا النور لأنه ينير لهم حندس ليلهم المظلمة . وكانت الليالي التي يطل فيها البدر من أجمل ليلاتهم يستعينون بها على عدوهم ، ويعرفون طريقهم بأمان من الحيوانات والحيشات . ومن هنا شبهوا المرأة والممدوح بالشمس قارة (١) والبدر تارة أخرى (٢) .

وبالاضافة إلى هذه الأسباب التي كرّهت لهم السواد فقد وجدت في بيئتهم حيوانات شرسة مؤلمة طالما آذت البدوي فخرفها ، وترسم معالمها ، وكان بعضها أسود اللون فاقتربن البعض للسواد بهذه الدلالة . ووصفوا الموت بالأسود والأمر ، لأنّه مأخذ من لون الأسد . كما قال أبو عبيدة (٣) وعرفوا من الحيات الأسود (٤) ، ووجدوا فيه أذى وشرآً واضحاً ، فإذا أرادوا تشبيه عدوهم شبهوه به : والكلاب السود أكثرها عقوراً وأذى (٥) أما الغراب فأمره مشهور عند العرب ، وقد تشاءموا منه ، وكرهوه . ذكر الجاحظ تعليلاً لهذا التشاوم بقوله : (والغراب لسواده ان كانأسود ، ولا خلاف لونه ان كان أبغض ، ولأنه غريب يقطع اليهم ، ولأنه لا يوجد

(١) جمهرة أشعار العرب : ٧٨ ، شرح القصائد السبع : ١٤٦ .

(٢) ديوان جران العود : ٢٦ ، ديوان الشماخ : ٧٣ ، شرح ديوان عنترة

٥ ، ١٦٨ ، شرح القصائد السبع : ٤٣٩ ، الأشباه والنظائر : ١١٠ ، ١٥٦ .

(٣) المخصص ٦ : ١٢٣ .

(٤) الصحاح ١ : ٤٨٨ ، مقاييس اللغة ٣ : ١١٤ .

(٥) الحيوان ٢ : ٧٨ ، ٣٦٧ .

في موضع خيامهم ينتمم إلا عند مباينتهم لمساكنهم ومزايلتهم لدورهم) (١) كل هذه الأمور اجتمعت لترسم في الذهن العربي صورتين : البياض ومعه الجمال والسكينة والشرف ، وصورة السواد ومعه الذل والأذى والتشاؤم وقد انعكس هذا النزق في أسطرهم وقصصهم ، فقال إن نوحًا غضب على ابنه حام ، فدعا عليه بالتشويه فكان سواده) (٢) . ولم ترد هذه الفكرة في القرآن الكريم إلا أن ذكر السواد والبياض ورد فيه تصويراً للنزوقي العربي . أما في التوراة فقد ذكر أن نوحًا دعا على ابنه حام كعنان أن يكون عبد العبيد لأخوه) (٣) ، وبهذا نستطيع أن نتصور مدى رسوخ كراهية اللون الأسود في الذهن العربي ، حتى تصوروه من علائم التشويه والعقاب ! ولم يفهموا أن السواد من أثر البيئة إلا عند بعض القدماء) (٤) . من هذه الأبواب الواسعة جاء التعبير القرآني المعجز معبراً عن النزق العربي الراسخ :

(يومَ تُبَيَّضُ وجوهٌ . وَتَسْوَدُ وجوهٌ ، فَأَمَّا الَّذِينَ اسْوَدَتْ وجوهُهُمْ : أَكَفَرْتُمْ بَعْدَ إِيمَانِكُمْ ؟ فَذُوُقُوا العَذَابَ بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ ايَضَّتْ وجوهُهُمْ فَنِي رَحْمَةً اللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٥)

(١) الحيوان ٣: ٤٣٨ ، ٣١٤ ، المعاني الكبير ١: ٢٦٢ ، ديوان النابغة

الذبياني : ٣٨ ، ديوان علقمة الفحل : ٦٧ ، ديوان الشماخ : ٦٣ .

(٢) المعارف : ٢٦ ، أخبار الزمان : ٦٣ ، آثار البلاد : ٢٢ .

(٣) الكتاب المقدس : سفر التكوين ، الأصحاح ٩: ١٥ .

(٤) الحيوان ٤: ٧٠ ، فخر السودان : رسائل الجاحظ ١: ٢١٩ ، الأعلاق الفيسة : ١٠١ ، ١٠٢ ، مختصر البلدان : ١٥٢ ، مقدمة ابن خالدون : ٤١ ، آثار البلاد : ٢٢ .

(٥) سورة آل عمران ٣: ١٠٦ - ١٠٧

ولا يمكن ان يفهم ما مر بنا ان التعبير القرآني حين جعل البياض سمة للمنزلة العالية ، والفرحة التي يشعر بها المؤمنون ، اقول لا يمكن ان يفهم منه نظرة تهصبية ، او فكرة عنصرية في المفاضلة بين السواد والبياض ذلك لأن رأي الاسلام في هذا الموضوع واضح معروف ^{تلخصه الآية الكريمة :} (إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَنْفَاكُمْ) (١) : وانه لافضل عربي على اعجمي الا بالتقوى (٢) . كما يقول الرسول الكريم ، اذ لا عنصرية في الاسلام إلا ان التعبير القرآني هنا عكس لنا الذوق العربي الذي فضل اللون الأبيض ، واضفاء على كل ما تحبه نفسه ، وترتديه ، وكراه البياض في الوجوه وتشاءم منه فوصف به كل ما كرهه ، وآذاه ، فجاء التعبير القرآني في وصف حال الناس يوم القيمة فتنداعي في الذهن كل الصور التي يوحيها تعبير السواد من دلالة البشاعة ، والبغض ، اما البياض فتنداعي معه كل معاني الشرف ، والرقة التي يكون عليها المؤمنون يوم القيمة . وبالمقارنة بين الصورتين يتجلى الفرق الشاسع بين منزلة الكافرين والمؤمنين يوم القيمة وكيف ان فريق المشركين يحشر باشتع صورة وأذلاها وبعكسهم فريق المؤمنين يحشرون بأجمل صورة ، وقد ملأت الطمأنينة نفوسهم واعطاهم الله المكانة الحسنة :

ب - حشر الجنمين زرقا :

قال الله تعالى : (مَنْ أُعْرِضَ عَنْهُ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وزرًا ، خَالِدِينَ فِيهِ وسَاءَ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَلَا ، يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ ، وَنَحْشُرُ الْجَنَّمَنِ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا يَتَخَافَّوْنَ بَيْنَهُمْ إِنَّ لَيْشَتُمْ

(١) سورة الحجرات ٤٩ : ١٣

(٢) البيان والتبيين ٢ : ٣٣

إلاً عَشْرًا) (١) .

فتعبير الزرقة في الآيات الكريمة السابقة فُسّر على عدة أوجه .
فسره ثعلب على معنى العطاش (٢) . أما الطبرى فقد نقل توجيهها لتفسير
تعبير الزرقة بالعطش ، بان شدة العطش الذي يصيب المجرمين يوم القيمة
يجعل عيونهم زرقا ، قال : (قيل عني يالزرق في هذا الموضوع ما يظهر
في أعينهم من شدة العطش الذي يكون بهم عند الحشر لرأى العين من
الزريق) (٣) . وفى هذا ذهب ابن سيدة في توجيهه لتفسير ثعلب بقوله :
(وعندى إن هذا ليس على القصد الأول ، إنما معناه ازرت)
أعينهم من شدة العطش) (٤) . ومع ان هناك آية قرآنية كريمة تصف
سوق المجرمين عطاشا يوم القيمة (٥) ، فان سياق الآيات العام الذى
وردت فيه الزرقة لا ينجد فيه اشارة الى ذكر الماء ، أو التعذيب بالعطش
والدى يفيدنا في هذا التفسير هو التأثير القوى للبيئة العربية على الذهن
العربي حتى صار يفسر بالعطش المعانى التي قد تبدو بعيدة عنده اشدة
ما عانوا من حرمانهم الماء في البيئة الصحراوية (٦) .
وذكر الخليل تفسيرا آخر لمعنى الزرقة وهو العمى قال : (يربد

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٠ - ١٠٣

(٢) مجالس ثعلب ٢ : ٣٦٧ ، وانظر ايضاً ١ : ٣٢٤ ، لسان العرب ١٢ : ٤

(٣) جامع البيان ١٦ : ٢١٠ ، التبيان ٧ : ٢٠٦

(٤) عن لسان العرب ١٢ : ٤ ، وانظر ايضاً ناج العروس ٦ : ٣٦٨

(٥) سورة مريم ١٩ : ٨٦

(٦) انظر الفصل الخامس - ٥ - شراب اهل النار ، والفصل السادس الجنة
- ب - انهارها وشرابها .

عميا لا يبصرون وعيونهم في المنطق زرق لأنور لها) (١) . وكذا قال الطبرى وغيره من المفسرين (٢) . اما ابن منظور فقد نقل تعليلا لتسمية العمى بالزرقة بقوله : (وإنما قيل زرقاً لأن السواد يزرق اذا ذهبت نوازيرهم) (٣) .

وربما جاء تفسير الزرقة بالعمى من الظاهرة التي قد تعرض للعين حين تمرض بما يسمى بالماء ، والذى هو في حقيقته كما يقول حنين بن اسحق : (رطوبة غليبة تجمد في ثقب الحدقه فتجهز بين الجلدية وبين الاتصال بالنور الخارج) (٤) . والوان هذا اللون مختلفة فمنها الأخضر والأسود ، والأبلق ، والأزرق (٥) . ومن هنا عدَ الزُّرْقُ ضمن أهل العاهات فقال ابن قتيبة معدداً من عرف بها من البرص والعرج والصم والجدع والجذم والحوال والزرق والغور (٦) . ويبعدوا انهم لا يقصدون العيون الزرقاء بهذه العاهة إنما المراد به مرض الزرق الذي هو ضرب من العمى ، والذى اذا عرض للعين اختفى سوادها وغلب البياض عليها (٧) .

(١) العين : الورقة (٣٧)

(٢) جامع البيان ٢٦ : ٢١٠ ، وانظر ايضاً تفسير فرات الكوفي : ١٧٢

(٣) الظاهر ان هذا القول هو للزجاج فقد نقله ابن منظور عقب كلام الزجاج في تفسير الزرق بالعمى . انظر لسان العرب ١٢ : ٤ ، وانظر ايضاً جمهورة اللغة ٢ : ٣٢٤ ، المفردات ٢١١ ، الكشاف ٢ : ٣٢٤

(٤) العشر مقالات : ١٤١

(٥) ن . م . وانظر ايضاً الخاوى في الطب ٢ : ٤١

(٦) انظر المعارف ٤ ، ٥ ، ٥٨٥ فما بعدها وانظر الاعلاق النفيضة ٢٢٣

(٧) وبهذا المعنى وردت في القرآن الكريم بقوله تعالى (وابيضت عيناه

من الحزن فهو كظيم) سورة يوسف ١٢ : ٨٤

وواضح ان بين البياض والزرقة تقارب في اللون .

واما تتبعنا الجو القرآني بصورة عامة ، وجدناه يسند تفسير الزرقة بالمعنى ، فقد قال الله تعالى في صدد الحديث عن الانبياء ان الأمة التي تضل طريقها ، ولا تهتدى ، فانها قد عممت او تعامت عن حقيقة النبوة حتى اذا انتهت سرد القصص والمواعظ جاء الوعيد بخشر الصالين عميا يوم القيمة ، كما ضلوا عن المداية في الحياة الدنيا : (ومن كان في هذه أعمى فهو في الآخرة أعمى واصل سبيلا) (١) . وقال ايضاً (ومن عرض عن ذكري فان له معيشة ضنكها . وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى قَالَ : رَبِّي لَمْ يَحْشُرْنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيراً) (٢) . قال : كذلك أنتك آياتُنَا فنسيتها ، وكذلك اليوم تنسى) (٣) . ويبعدوا عنه سبحانه وتعالى لا يريد بهذه الآيات الكريمة العمى الحقيقي ، وإنما هو اظهار حالة الذل التي يخشرون عليها ، وانهم عميان عن نعم الله وثوابه كما كانوا عميانا عن الحقيقة والهدى في الحياة الدنيا (٤) . اما سياق الآيات العظام فانه يساعدنا على تصور معنى العمى : (يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْجَمِيعَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً

(١) سورة الاصماء ١٧: ٧٢

(٢) سورة طه ٢٠: ١٢٤ - ١٢٦

(٣) انظر تفسير العمى في تنوير المقاييس : ١٨٠ ، رسالة في المعاد ، رسائل الجاحظ ١: ٩٩ ، جامع البيان ١٥: ١٢٨ ، تفسير التستري ٣٨ ، ترتیبه القرآن : ٢٠٦ ، حقائق التأویل ٥: ٢٩ ، متشابهات القرآن ٢: ١٠٥ وفي المسائل المنشورة ان الله سبحانه وتعالى يبعث الناس على صورهم فمن كان في دنياه أعمى بعث كذلك ، وكذلك الأبركم والأخرس فكل يبعث ويحشر على ما كان انظر مسائل منشورة : الورقة (١٥) والأرجح تفسير العمى بالمعنى المجازي لا الحقيقي كما هو مثبت اعلاه .

يتحاشفون بينهم ان لبستم الا عشرا ، نحن أعلم بما يقولون اذ يقول
امثلهم طريقة ان لبثم الا يوما ، ويسألونك عن الجبال فقل ينسفها
ربى نسفا ، فيذرها قاعا صفصفا ، لا ترى فيها عوجا ولا أمدا ،
يومئذ يتبعون الداعي لا عوج وخشت الاصوات للرحم فلا تسمع
الا همسا) (١) . فالمجرمون في رعب شديد وذهول عظيم اودى
بغلوthem وابصارهم ، وقد تبعوا الداعي مسرعين يربدون ان يتساءلوا
ولكن هول الموقف يجعل دون ذلك ، فيخشون السؤال ، ويكتفون بالهمس
والتحاشف على عادة العمى حين يتحرجون من الكلام بصوت مرتفع ،
ولفظة التحاشف تزيد من رسم الصورة لانها تشير الى ان صاحبها يتوجس
خيفة من الكشاف سره) (٢) .

وإذا عدنا الى البيئة العربية نتلامس فيها الذوق الغربي ونظرته تجاه
اللون الأزرق فاننا سنجد في الآية الكريمة تصويرا رائعا لهذا الذوق
وما توحيه الزرقة من معانٍ عديدة تساعد كلها على تبشع الصورة التي
يمشر عليها المجرمون . واول من وصلتنا اشارته الى هذه الوجهة في
التفسير هو الزمخشري بقوله : (وقبل في الزرق قوله : احدهما ان الزرقة
أبغض شيء من الوان العيون الى العرب ، لأن الروم اعداؤهم ، وهم زرق
العيون ، ولذلك قالوا في صفة العدو : اسود الكبد ، اصهب السبال
ازرق العين ، والثاني ان المراد العمى) (٣) ،

فتفسير الزمخشري هنا مستمد من الناحية الفنية التي ينظر فيها أول
ما ينظر الى الذوق العربي والأفكار التي آمن بها .

(١) سورة طه ٢٠ : ١٠٢ - ١٠٨

(٢) انظر معنى التحاشف في سورة القلم ٦٨ : ٢٣

(٣) الكشاف ٢ : ٣١٣

لقد يغضن العرب الزرقة وتشاعموا منها ، وهجوا من كانت صفتة
عليها قال الجاحظ : (وفي الجملة لا يتيمون بالبكر الذكر ، فان كان
البكر ابن يكر تشاءموا به ، فان كان اليكر ابن بكرين فهو في الشؤم
مثل قيس بن زهير والبسوس فان قيساً كان أزرق وبكرا ابن بكر .
ولا احفظ شأن البسوس حفطاً اجزم عليه) (١) . وفي رواية نقلها
الجاحظ ايضاً ان معاوية عَيْر صبحار العبدى (٢) . بالزرقة ففال له :
يا أحرا ! قال : والذهب أحرا ، قال يا أزرق ! قال : والبازى أزرق) (٣) .
فصبحار هنا لم يدفع عن نفسه عيب الزرقة ، وإنما قرنها بالبازى : وهو
طائر من الجوارح ، ليبعد عن نفسه ما تدل عليه الزرقة من معانى الشؤم
والحسد واللاؤم .

وربما جاء بغضهم للزرقة ان الذوق العربي لم يعتد إلا العيون الحور
كما وردت في الشعر ، وتنزلوا بالعيون السود وشبيهوها بعيون المها) (٤) .
ومن هنا لم يستسيغوا العيون الزرق لأنها قليلة في البيئة العربية ، دخلة على
الذوق العربي .

وهناك سبب آخر قد يعلل لذا الذوق العربي تجاه الزرقة : وهو إنها

(١) الحيوان ٣ : ١٧٤

(٢) هو صبحار بن عياش او عباس بن شراحيل بن منفذ العبدى خطيب
مفوه كان من شيعة عثمان وقد طالب بدمه بعد مقتله ، وشهد صفين مع معاوية
وسكن البصرة ومات فيها نحو سنة ٤٠ هـ . انظر المحيى : ٢٩٤ ، الاصابة : ٢ : ١٧٠
فما بعدها .

(٣) الحيوان ٤ : ٢٣٠ وانظر ايضاً الاصابة ٢ : ١٧٠

(٤) ديوان جران العود : ١١ ، ديوان علقمة الفحل : ٤٢

قد اقترنت بالأعاجم وخاصة الروم كما ذهب المخمرى من قبل (١) ، فكرهت لأنها تذكرهم بلون أعدائهم . وقد وردت الزرقة في الحديث النبوى دالة على البغض ، وعدم الارتباط ففي وصفه (ص) للمنكر والنكير إنها أسودان أزرقان (٢) . ولم ترد صفة الملائكة في صحيح البخاري إلا أن القسطلاني في شرحه الحديث النبوى بين الحكمة من اجتماع الزرقة والسوداد في الملائكة ، وإنها لتبشيم صورتها قال : (وانما صورا كذلك ليخاف الكافر ، ويتحير في الجواب ، وأما المؤمن فيثبته الله بالقول الثابت فلا يخاف) (٣) . وفي حديث الأسراء ان الرسول (ص) كان يرى أشخاصاً مختلفين فيسأل جبريل فيخبره عن أسمائهم ، وأحوالهم ، وذكر أنه رأى رجلاً أحمر أزرق جداً شيئاً فسأل عنه فقيل انه عاشر الناقة (٤) . وفي حديث آخر انه (ص) وصف عيني رجل أزرق بأنها عيناً شيطاناً وانه قال لأصحابه : (يحيىكم رجل ينظر اليكم بعيني شيطاناً ، فإذا رأيتموه فلا تكلموه ، فجاء رجل ، فلما رأاه النبي صلى الله عليه وسلم دعاه ، ، ،) (٥) .

ففي هذه الأحاديث النبوية الشريفة تتبين لنا صورة الزرقة في الذهن العربي ، ومدى بغضه ونفوره منها ، فهي لون عيون المنكر والنكير ، وعاشر الناقة ، وأخيراً المنافق الذي وصف الرسول (ص) عينيه بعيني شيطاناً . أما اطلاق الزرقة على الأعاجم فقد وردت في شعر الأعشى مادحه النعمان بن المنذر حيث قارن وجوده بمحمد جدول يسقي النبيط منه ديارهم

(١) الكشاف ٢ : ٣١٣ .

(٢) الجامع الصحيح ٣ : ٣٨٣ .

(٣) ارشاد الساري ٢ : ٣٧٩ .

(٤) مسنـد الإمامـ أـحمد ١ : ٢٥٧ ، وانظر أيضاً جهرةـ أـشعارـ العـربـ : ١٤ .

(٥) مسنـد الإمامـ أـحمد ١ : ٥٧ ، وانظر أيضاً تاجـ العـروـسـ : ٦ : ٣٦٨ .

وقد وصف النبيط بالزرق .

وِبُرُوي النَّبِيطُ الزُّرْقُ مِن حِجَّرَاتِهِ

دياراً تُروي بالآني المعمد (١)

وقال في قصيدة أخرى يصف زيارته لحارة ويدرك ساقبها :

تَنْخَلَهَا مِنْ بَكَارِ الْقِطَافِ أَزِيرْقُ آمِنُ إِكْسَادِهَا (٢)

فالحمار هنا أعجمي ، والأعشى لم يصرح بذلك ، وإنما اكتفى بوصفه أزيرقا على عادة العرب في اطلاق الزرقة على الأعاجم . وفي الشعر الذي قيل في رثاء عمر بن الخطاب ، والذي ينسب الى الشماخ ، ورد وصف فاقع عمر - وهو أعجمي - ، بأنه أزرق قال :

وَمَا كُنْتُ أَخْشَى أَنْ تَكُونَ وَفَاتُهُ

بكفي سبني أزرق العين مُطْرِف (٣)

ولاياد بهذا القول كون قاتل عمر أزرق لون العين حقيقة ، إنما يراد به الدلاله على كونه أعجمياً . وقال ذو الرمة هاجيا قوماً بأنهم زرق العيون لا يؤمنون جارهم لأنهم يسرقوه :

زَرْقُ الْعَيْنِ إِذَا جَارُوكُمْ سَرَقُوكُمْ

مَا يُسْرِقُ الْعَبْدُ أَوْ ذَا بِأَنْتُهُمْ كَذَبُوا (٤)

ونجد هذه الفكرة نفسها في الغزل أيضاً روى ابن قتيبة :

(١) ديوان الأعشى ١٩٣: ، والآني : جدول نؤتيه الى أرضك ، والمعلم من محمد السيل اذا سد وجهه بتراب ،

(٢) ن . م : ٦٩: ، تخللها : تخبرها ، بكار القطاف ، من أول ما يقطف .

(٣) الأغاني ٨: ٩٨: ، وتروي لأخيه المزداد ، انظر الحماسة البصرية الورقة

١٠٧ (أ) .

(٤) ديوان شعر ذي الرمة : ٣٦ .

يقولون نصراوية أم خالد
فقلت دعوها كل نفس ودينه
فإن تلك نصراوية أم خالد
فقد صورت في صورة لاتثنينها
أحبلك إن قالوا بعينيك زرقة
كذلك عناق الطير زرقة عيونها (١)

فالشاعر هنا يبرر حبه ام خالد مع كونها زرقاء العين بأن يوجه
الانظار الى زرقة عناق الطير ، وهو تبرير يذكرنا به تبرير عنترة لسوده .
فالناس هنا يعيرون على الشاعر حبه امرأة زرقاء العين وهو يحاول ان يبرر
حبه ويدافع عن زرقة عينيها :

ولما لم يستسغ العرب زرقة الغيون ، وقرنوها بعيون أعدائهم ، فقد أطلقوا
الزرقة على معان عديدة تتمثل كلها الشر والبغض كالحسد ، واللؤم ، والطمع
وقد عبروا عن اللؤم بالزرقة وقالوا عن اللثيم انه أزرق العين . قال سويد

(١) عيون الأخبار ٤: ٥٨ ، والأبيات لم ينسبها ابن قتيبة ، إلا ان هناك
أبياتاً لفرزدق من نفس البحر والقافية ورد فيها ذكر ام خالد وهي ام خالد
القسري الذي هجاه الفرزدق ، منها قوله :

رجوانا هداه لاهدى الله خالداً فـا أمهـ بالـأمـ يـهـدى جـينـيـها
انظر ديوان الفرزدق : ٣٣٤ ، الأغاني ٦١: ١٩ ، إلا ان الأبيات التي رواها
ابن قتيبة لا توجد ضمن أشعاره ، فان كانت له ولم تصلنا في أشعاره فيمكن أن تكون
بالهجاء في معرض الغزل وان كانت من أشعار الحديث فانها تكون أدل على
الذوق العربي ، ذلك لأن الأذواق قد تبدلت في العصر العباسي لاختلاط
العرب بالأعاجم ، ومع ذلك فان هناك من يعيّب عليه حبه امرأة زرقاء العين وفي
كل الحالتين تعكس لنا الأبيات صورة واضحة للذوق العربي تجاه الزرقة .

ابن أبي كاہل :

لقد زَرِقْتَ عَيْنَكَ يَا بَنَ مُكَعْبَرٍ

كَمَا كَلَ ضَبَّيَ مِنَ الْلُّؤْمِ أَزْرَقُ^(۱)

والبيت الذي يليه يبين ان ذكر الزرقة هنا جاء في معرض النم ،
والهجاء قال :

تَرَى الْلُّؤْمَ فِيهِمْ لَا هُمْ فِي وَجْهِهِمْ

كَمَا لَاحَ فِي وَجْهِ الْخَلَائِبِ أَبْلَقُ^(۲)

وعن الفرزدق انه اعتبر هذين البيتين مما حط من قدر ضبة وأنهزما (۳) :

وفي شعر الأعشى ذكرت زرقة العيون حين يكون الناس في جوع ، وخصوصية
وذلك انه قال مادحًا :

كَذَلِكَ فَافْعَلْ مَاحِيَتْ إِذَا شَتَّوْا

وَاقْدِمْ إِذَا مَا أَعْيَنَ النَّاسِ تَزَرَّقُ^(۴)

فالذى فسر قوله تعالى : (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا) (۵)
يأن المجرمين تَزَرَّقُ أعينهم من شدة العطش قريب من قول الأعشى حين
ذكر زرقة العين وقت الجوع ، لأن الانسان حين يضعف وتهزل قوته يبدو
ضعفه على وجهه وعينيه اذ يختفي سوادها ويغلب عليها البياض .

والعيون الزرق حسودة لا يؤمن شرعاً قال بشار بن برد متغزاً بصاحبته :

(۱) مجالس ثعلب ۳۶۷:۲ ، عيون الأخبار ۲۱۴:۲ ، جمهرة اللغة ۳۲۴:۲
الصحاج ۴: ۱۴۸۹ ، المخصص ۵: ۳۳۲ .

(۲) الأغاني ۱۹: ۴۹ .

(۳) ن . م .

(۴) تاج العروس ۶: ۳۶۷ ، وفي رواية الديوان ترقى أنظر الديوان : ۳۳

(۵) سورة طه ۲۰: ۱۰۲ .

تراحت في النَّهَيْمِ فلم تَنْتَهَا حواسِدُ عَيْنِ الزَّرْقِ الْقِبَاحِ (١)
وقول بشار له دلالة ، لأنَّه كان أعمى يوم المجالس - خاصة مجالس النساء . فكل ما يذكره ويصوّره في شعره إنما جاءه عن طريق السَّماع ، ثم إنَّه كان عربي الثقافة ، خبيراً بالذوق العربي ، فوصفه للعيون الزَّرْقِ بأنَّها حاسدة له دلالة على نظرة المجتمع إلى العيون الزَّرْقِ . ولبشار بيت آخر يذكر فيه الزَّرقة على إنها مما تنجها الأذواق وذلك في وصفه البخيل :
وللبخيل على أمواله علل زُرْقُ العيون عليهاؤوجه سود (٢)
فسواد اللون غير مستساغ في الذوق العربي كما هو بنا (٣) . فإذا اجتمع السواد مع عيون غير محببة وهي الزَّرقة ، فإنَّ الوجه يكون أبغض مما يتصوره الذهن العربي . وبشار لم ير الزَّرقة ، كما لم ير اجتماعها بالسواد ، ولكنه تخيل هذه الصورة غير المقبولة في الذوق العربي ليشنع علل البخيل على أمواله مستمدآً ذلك مما عرفه عن الذوق العربي .

وهكذا اقتربت الزَّرقة بمعانٍ نفسية بغيضة . أما من الناحية المادية فإنَّها اقتربت بعدة صور تزيد من موحبيات الزَّرقة في الآية الكريمة . أما الباب الأزرق فهو أشدُّها أذى وابلاماً (٤) ، ولو ن عيون كلاب الصيد

(١) ديوان بشار ٢ : ١١٤ .

(٢) ديوان بشار بن برد ٣ : ١٢٨ ، وقد أخذ هذا المعنى مسلم بن الوليد ، وإن لم يبلغ جودة بشار في شعره قال :

إذا سَيَلَ عُرْفًا كَسَا وَجْهَهُ ثِيَابًا مِنَ الْبَخْلِ زُرْقاً وَسُودًا
أنظر الصناعتين : ٤٠٠ .

(٣) أنظر ص ١٣٩ فما بعدها .

(٤) الاشتقاء مجلـة المـجمع الـعلـمي الـعـربـي . دمشق م ٢٨ ج ٤ : ٥٧١ ، الغـريبـ المصـنـفـ : الـورـقةـ (١٧٦) ، الحـيـوانـ ٣ : ٣٩٠ ، أدـبـ الكـاتـبـ : ٢١٥ ، مجالـسـ ثـعلـبـ ١ : ٦٧ ، المؤـتـلـفـ والمـخـلـفـ : ٢٦٠ .

الشرسة زرقاء (١) :

وهكذا تتبين لنا المعاني المتعددة التي توحّي بها كلمة الزرقة ، وكيف أنها اقتربت بمعانٍ يبغضها الفكر العربي . وتندّاعي هذه المعاني كلها فترسم في الذهن عند قراءة قوله تعالى : (وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقاً) (٢) فالمجرمون يوم القيمة عمي عن الحقيقة ، ضالون عن الطريق الصحيح . وعبر عن هذا المعنى بتعبير تنداعي فيه معاني اللؤم ، والبغض ، والبشاشة . وتتجتمع هذه الصور البشعة لزرقة الكافرين مع سواد الوجوه البغيض ، لتكون صورة واضحة لوصف الكافرين يوم القيمة ، وتقابل هذه الصورة بصورة المؤمنين المستبشرة وجوههم الفرحة بساعة اللقاء والثواب .

ج - اشراق وجوه المؤمنين

في صفة وجوه الكافرين والمؤمنين نجد تصويراً رائعاً لسمات الحزن والفرح التي تكتسي بها وجوه الناس يوم القيمة . وقد مرت بنا صور الآيس والكافأة التي رسمتها الآيات الكريمة حال وجوه المجرمين يوم القيمة على حين وصفت وجوه المؤمنين بأنها مشرقة مستبشرة : (وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ مُّسْفِرٌ ضاحكٌ مُّسْتَبْشِرٌ ، وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ، تَرَهَقُهَا قَتَرَةٌ) (٣) ، وقال تعالى أيضاً : (كَلَّا بَلْ تُحِبُّونَ الْعَاجِلَةَ ، وَتَذَرُّونَ الْآخِرَةَ ، وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرٌ إِلَى رَبِّهِ - نَاظِرٌ ، وَجْهٌ يَوْمَئِذٍ

(١) ديوان أمرىء الفيس : ١٠٣ ، المؤتلف والمختلف : ٦٧ .

(٢) سورة طه : ٢٠ : ١٠٢ .

(٣) سورة عبس : ٨٠ : ٤١ - ٣٨ .

بإسرةٍ ، تَظِينُ ان يفْعَلَ بهـا فاقرةٌ) (١) ، في هذه الآيات الكريمة نجد صورتين مختلفتين ، صورة المؤمنين المستبشرين ، وهم يتأملون نعم ربهم ورضاه ، وصورة الكافرين ، وقد راعهم هول الموقف ، يتوقعون العذاب والعقاب .

فالمؤمنون وجوههم نضرة ، ونقل عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه حين تلا قوله تعالى : (وجْهٌ يومئذٍ ناضِرٌ) (٢) ، قال بالبياض والصفاء (٣) ، أما ابن عباس فقد قال ان معناها : (حَسَنَةٌ جَمِيلَةٌ نَاعِمَةٌ) (٤) . ونقل الطبرى عن مجاهد تفسيره النضرة بأنها من السرور ، والنعيم ، والغبطه (٥) . وفسرها الفراء بأنها اشراق الوجه وبريقه المتأنى عن النعيم ، والسرور (٦) . وبختي الطوسي هذه الصورة أكثر فأكثر ، فيرى انها الصورة المشرقة المصيحة التي تملأ القلب سروراً عند رؤيتها (٧) . أما الحسن المؤدب (٨) فقد أتجه بالنضرة آخر ، ولم ير فيها

(١) سورة القيمة ٧٥: ٢٠ - ٢٥ .

(٢) ن . م : ٢٢ .

(٣) جامع البيان ٢٩: ١٩٣ .

(٤) تنویر المقیاس: ٣٧٥ ، التنبیه والرد: ٦٣ .

(٥) جامع البيان ٢٩: ١٩١ ، تفسیر غریب القرآن: ٥٠٠ ، الزجاج عن لسان العرب ٧٠: ٦٩ ، مقاییس اللغة ٥: ٢٣٩ ، الكشاف ٣: ٢٤٩ .

(٦) عن لسان العرب ٧: ٦٩ .

(٧) البيان ١: ١٩٧ ، متشابهات القرآن ١: ٩٤ .

(٨) لم أعثر على ترجمة كاملة له ، وقد ذكره الخطيب البغدادي بأنه الحسن ابن أحمد أبو محمد المؤدب ، وقال بأنه قد كتب عنه سنة ٤١٧ هـ ، أنظر تاريخ بغداد ٧: ٤٧٨ .

بماض الوجوه ولا حسنها واشرافها وأاما ذهب بها الى الدلالة المعنوية ، وهو حسن الخلق والمنزلة والجاه ، قال : (ليس من الحسن في الوجه ، إنما معناه حَسَنَ اللَّهُ وجْهه فِي خُلُقِهِ أَيْ جَاهِيهِ ، وقدره قال : وهو مثل قوله اطلبوا الخواص الى حسان الوجوه يعني به ذوي الوجوه في الناس وذوي الأقدار) (١) .

ويبدو انه لانعارض بين تفسير الحسن المؤدب الذي يرى النضارة في عظم المنزلة والجاه ، وبين الفريق الأول الذي يحملها الحمل المادي ، وهو حسن الوجوه واسرافها من النعيم والسرور ، وذلك لأن وجوه المؤمنين إنما تنضر يوم القيمة لما تجده من النعيم والسرور الذي أعد للمؤمنين لعظم منزلتهم عند ربهم وللجهاد الذي خصهم الله به .

وإذا تتبعنا معاني الكلمة واستنبطنا اصولها الحسية فاننا سنجد في التعبير القرآني تعبيراً رقيقاً قصرت عنه هذه التفاسير . ويعكس لنا صورة حية في وصف وجوه المؤمنين . فقد اقتربت النضرة بأحب صورة الى نفسم العرب ، الا وهي صورة النبات الناضر وذلك ان يكون شديد الخضراء مع اشراق لماعان متأت من طراوة الزرع ونعمائه فهو حسناً . قال ابن الاعرابي : (وأنفس النبت نضر ورقه) . وقد أنفسَ الشجر اذا اخضرَ ورقهُ وبما صارَ النضرُ نعتاً يقال شيء نضر ، وناضر ، والناضر ، الأخضر ، الشديدُ الخضراء) (٢) وبين أبو حنيفة الدينوري (٣) ان العشب حين يكون

(١) عن لسان العرب ٧ : ٦٩ .

(٢) ن . م .

(٣) هو أحمد بن داود أبو حنيفة توفي نحو ٢٨٢ هـ ، كان مهندساً منجماً راوية ثقة فيما يرويه ، أخذ عن البصريين والковيين ، وأكثر أخذته عن ابن السكري . انظر ارشاد الأديب ١ : ١٢٣ - ١٢٤ .

في بدء نبته طرياً غضاً يكون لونه شديد الحضرة مع اشراق وجهه يطلق عليه النمرة . قال : (وَإِذَا كَانَ الْعُشْبُ مَعْ شَدَّةِ حُضُورِهِ مُشْرِقاً قَبْلَ عُشْبَ نَضْرٍ) (١) .

وقد اقترنت هذه النمرة باللون الأخضر فيقال أخضر ناضر كما يقال أبيض ناصع ، واصفر فاقع (٢) . أما لماذا اقترت النضاراة بالحضر دون غيرها من الألوان مع أن النباتات متنوعة الأشكال والألوان ؟ فمن الجائز أن يكون هذا لكثرة اللون الأخضر ، وغلبته على سائر النباتات . . فاطلاق النمرة جاء على التعميم لا التخصيص لذا نراه اطلق على كل نبات مشرق انشد أبو حنيفة : -

يرشحُ نبتاً ناضراً ويزينُهُ ندىً وليلٌ بعد ذاكَ طوالٌ (٣)
ثم اقترنت النمرة بالنبات الزاهي بصورة عامة ومن ثم تكرر ذكرها مع ذكر الربيع - أجمل أيام العرب وأحلاها - قال الأعشى في مدحه
بانهم يكرمون الجائع حتى تعود له صحته ويقوى فيصير كالغصن الناضر
والشافعون الجوعَ عن جارِهِمْ . حتى يُرى كالغُصُنُ الناضر (٤)
وقال الآخر مفتخرًا : -

انَّ ملوكُ حِيَا للتابعين لنا مثل الربيع اذا ما نبته نضراً (٥)
وتغنى الشعراء بذكر الغصون النمرة لما توحيه في نقوسهم من البهجة

(١) المخصص ١٠ : ١٩٥ .

(٢) الغريب المصنف الورقة : ١١٨ ، وانظر ايضاً الصبحاح ٢ : ٨٣٠ ،

المخصص ٢ : ١١٠ لسان العرب ٧ : ٧٠ .

(٣) المخصص ٩ : ٧٧ لم اعثر على قائله .

(٤) ديوان الأعشى : ١٤٥ .

(٥) الامالي للقالي ١ : ٩ والبيت انشده ابو بكر بن الاعرابي ولم ينسبه .

والسرور قال امرؤ القيس :

فَقَمْنَا بِاَشْلَاءِ الْأَجَامِ وَلَمْ نَقُدْنَا إِلَى غَصْنِ بَانِ نَاضِرٍ لَمْ يُحْرِقْ (١)

وقال ظالم بن البراء (٢) :-

فِيَامَنْ لَدَهُرٌ يَفْسُدُ الْمَرْءَ بَعْدَمَا يُرَى عُصْرُ آيَهَ تَبَزُّ كَالْغُصْنُ النَّضَرُ (٣)

وَإِذَا كَانَ اطْلَاقُ النَّفْرَةِ عَلَى النَّبَاتِ مُتَائِنٌ مِّنْ اشْرَاقِهِ، وَجَاهَهُ

فَإِنَّهُ أَطْلِيقَ مِجازًا عَلَى كُلِّ شَيْءٍ زَاهِيَ خَالِصُونَ مِنَ الشَّوَّابِ كَالْذَّهَبِ
وَالْخَشْبِ وَالْجَمَالِ (٤) .

وَمِنْ هَذَا الْأَصْلِ الْحَسِيِّ وَهُوَ نَصَارَةُ النَّبَاتِ اسْتَعْبِرُ تَعْبِيرَهُمْ عَنْ
حُسْنِ الْوِجْهِ وَرُونَقِهِ بِالنَّصَارَةِ (٥) وَاشَارَ الزَّمْخَشِريُّ إِلَى أَنَّ نَصَارَةَ
الْوِجْهِ اطْلَقَتْ مِجازًا (٦) .

قال الأعشى متغزلاً :

وَسَبَّبْتُكَ حِينَ تَبَسَّمْتَ بَيْنَ الْأَرَاكَةِ وَالسَّتَّارَةِ

وَبِجَيْدِ مَهْزَلَةِ إِلَى وَجْهِ تَزَينَهُ النَّصَارَةِ (٧)

وَبَعْدَ أَنْ تَبَيَّنَ لَنَا تَطْوُرُ دَلَالَةِ الْكَلْمَةِ مِنْ مَعْنَاهَا الْحَسِيِّ الْأَصْلِيِّ إِلَى

(١) ديوان امرئ القيس : ١٧٣ وانظر ايضا كتاب النبات : ١٤٤ ١٣ .

(٢) هو ظالم بن البراء بن قطن بن بكر شاعر من بني دارم . انظر المؤتلف والمخالف : ٢٢٤ .

(٣) ن ، م . وانظر ايضا الطرائف الادبية : ١٠٢ .

(٤) الغريب المصنف الورقة (٢٢٠) : مجالس ثعلب ١ : ٤٩ ، جمهورة

اللغة ٢ : ٣٦٧ الصبحاح ٢ : ٨٢٩ : فقه اللغة : ٦٢ : لسان العرب ٧ : ٧٠ .

(٥) الافعال ١٠٧ ، الصبحاح ٢ : ٨٢٩ : المخصوص ٢ : ١٥٣ .

(٦) اسماس البلاغة : ٣٦٥ .

(٧) ديوان الأعشى : ١٥٣ .

معانيها الجديدة المعنوية ، امكنتنا ان نرد على ابن فارس الذي اعتبر المعنى الاصلي للكلمة هو الحسن ، والجمال ، والخلوص ، وعنه تفرق بقى المعانى (١) . ذلك لأن معنى الجمال والحسن متتطور عن المعنى الحسي الاول وهو نضرة النبات ، واسراره كما مر بنا فحين نقرأ قوله تعالى : (وجوه يومئذٍ ناضرةٌ الى ربها ناظرةٌ ، ووجوهٍ يومئذٍ باسرةٍ تَنْظَنُ ان يُفْعَل بها فاقرة (٢) لا نفهم منه جمال الوجه ، واسرارها فحسب ، بل ترسم امامنا صورة الغشب والنبات الزاهي تلك الصورة الخبيثة التي جعلت العرب يطلقونها على كل من حسن وجهه وشرق لشبابه ، او لتنعمه .

هذه هي صورة المؤمنين بوجوههم المشرقة ، وتقابلاها وجوه الكافرين الياسرة الخائفة التي تتوقع المصيبة ، والداهية (٣) .

ومن مجموع هذه التعبيرات التي تصور حال الناس يوم القيمة ، تتضح لنا تمام الوضوح صورة الفزع والذلة التي تشمل الكافرين ، تلك الصورة التي تسجم مع الاضطراب الكوني . فيبدو كل ما في الطبيعة مُسِيراً لاستجابة امر الله في قيام الساعة والحساب ، الا ان هناك ملاحظة عامة نشهدها في الاجواء المختلفة التي تصور هول القيمة ، الا وهي صورة المؤمنين الرائعة التي تناسب بهدوء في هذا الحضم من الاضطراب والفزوع ، وقد شملتهم طمأنينة ، وراحة عظيمة غير مبالغين بالاضطراب الذي يسود الكون ، والاخرين معها . قال الله تعالى : (واقتربَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَاخَصَةٌ بِأَبْصَارِ الَّذِينَ كَفَرُوا يَا أَيُّلَا نَقْدَ كَنَا فِي غَفْلَةٍ مِّنْ هَذَا بَلْ كَنَا ظَالِمِينَ إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَابٌ جَهَنَّمُ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ ، لو

(١) مقاييس اللغة ٥ : ٤٣٩ .

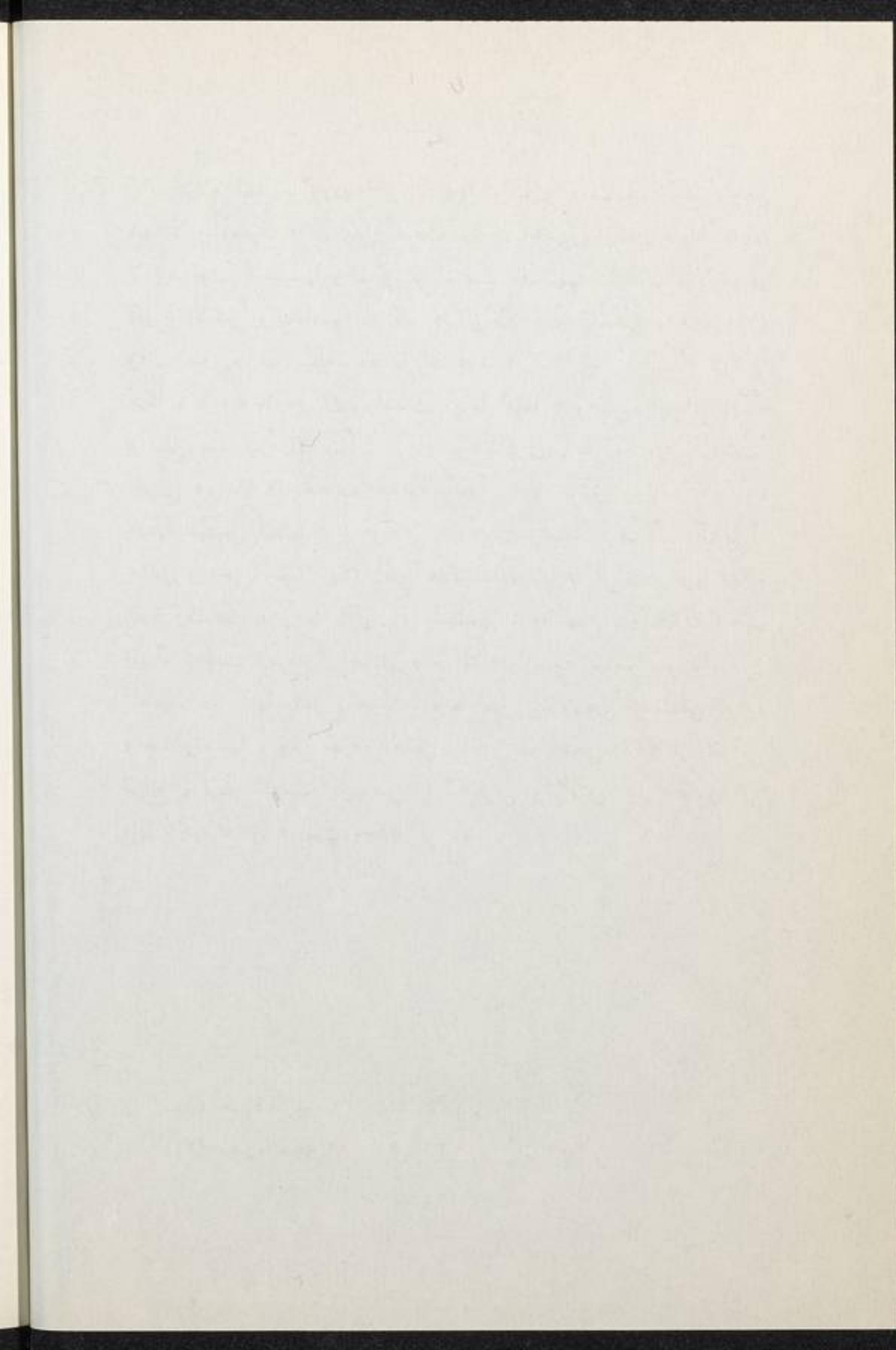
(٢) سورة القيمة ٧٥ : ٢٠ - ٢٥ .

(٣) انظر الفصل الثالث - بـ - توقعهم العذاب .

كان هؤلاء آلةً ما وردوها وكلٌ فيها خالدونَ ، لهم فيها زفيرٌ وهم
 فيها لا يسمعونَ ، ان الذين سبقت لهم منا الحسنة ، او لئن عنها مُبعدونَ
 لا يسمعونَ حسيسها وهم في ما اشتهرت انفسُهم خالدونَ ، لا يخزنهم
 الفزع الاكبرُ وتنلاقاهم الملائكةُ هذا يومكم الذي كُنتم توعدونَ (١)
 وقال تعالى عارضاً مشاهد القيمة المفزعه : (كلاً اذا دكَتْ الارضُ
 دكَاماً ، وجاء ربك ، والملائكة صفاً صفاً ، وجيء يومئذ بجهنمَ
 يومئذ يتذكَرُ الانسانُ وأني له الذكرى ، يقول يا يبني قدمتُ
 لحياتي في يومئذ لا يعذَبْ عذابهُ أحدٌ : ولا يُوثقُ وثاقهُ أحدٌ ،
 يايتها النفس المطمئنةُ ، آرجعي الى ربِّك راضيةً مرضيةً ، فادخل في
 عبادي وادخلني جنبي) (٢) . ففي هذه المشاهد المفزعه التي تتبع فيها معاني
 القوة والضعف من دك الجبال ، وتحطيمها ، والشهود ، والملائكة وجهنم
 المهدأة لتعذيب المجرمين . خلال هذه المشاهد المفزعه تناسب صورة المؤمنين
 المطمئنة غير آبهة بالفزع حولها ، وانما تسير بشقة ورضى الله لتلقى الثواب
 والجنة ونعمتها . ومن عرض هذين الجانبيين معاً يتجلّى الاعجاز القرآني
 الرائع ، لأن المقارنة بين صورتي الكافرين والمؤمنين تجلّي صورة كل
 منها أكثر مما لو عرضت وحدها .

(١) سورة الانبياء ٢١ : ٩٧ - ١٠٢ .

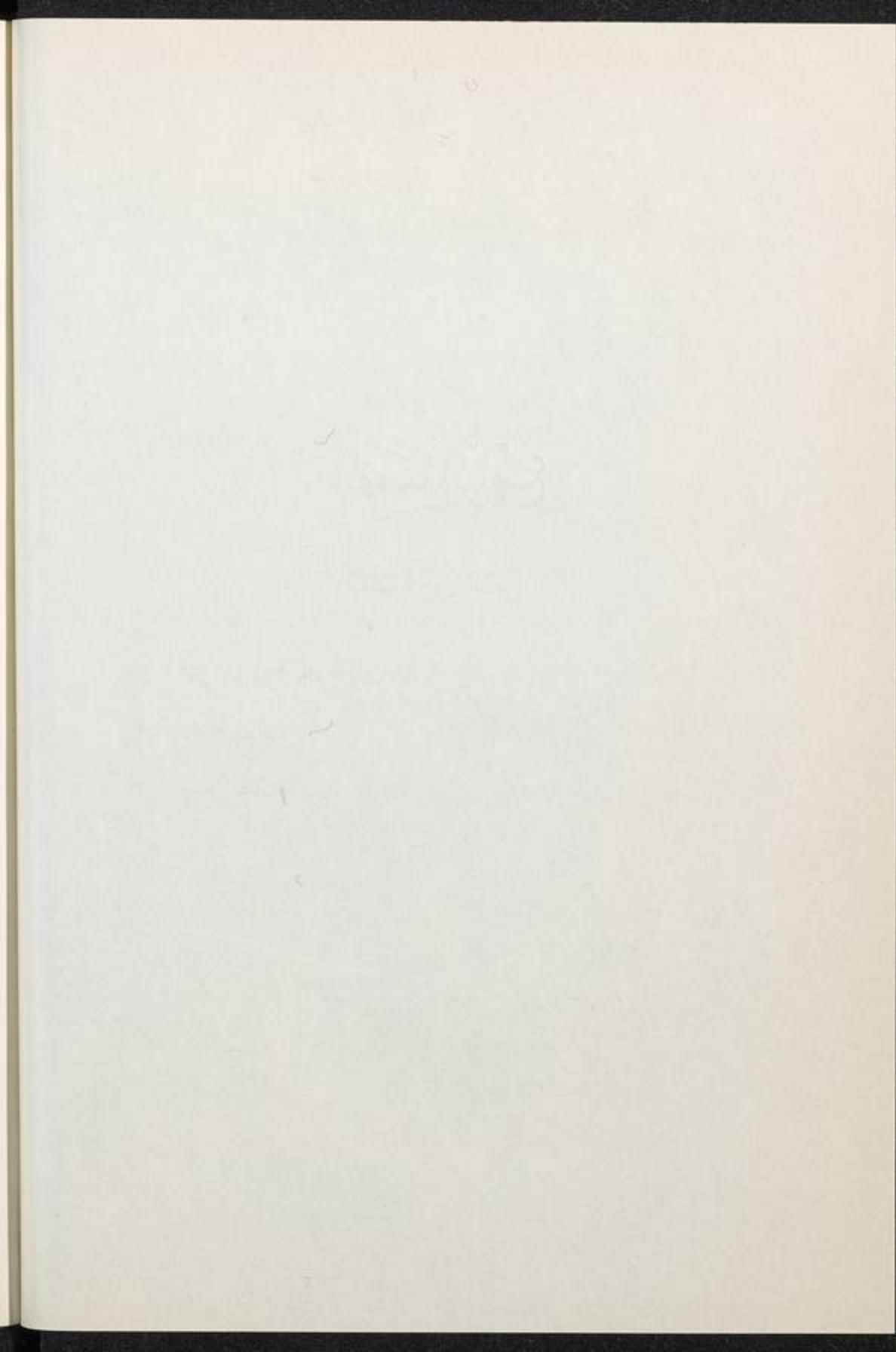
(٢) سورة الفجر ٨٩ : ٢١ - ٣٠ .



الفَصْلُ الرَّابِعُ

القضاء بين الناس

- ١ - القيم الجاهلية ونفي وجودها .
- ٢ - دقة الحساب .
- ٣ - نتيجة القضاء .



١ - القيم الجاهلية ونفي وجودها :

ان القضاء يوم القيمة صورته الكريمة تصوّرًا دقيقاً رائعاً، تجلّت فيه الإنسانية في موكبها الزاخر حيث يقف الناس بجميع ائمهم ، واختلاف طبقاتهم سواسية أمام قضاء دقيق لا يزحزح عن الحق ، ولا يقبل في حكمه إلا شهود الصدق . يقف الإنسان وحده أمام المول مجرداً إلا من صفحات أعماله تشهد عليه فتقرر مصيره إذ لاشفاعة ، ولا فداء ، ولا وسيلة في التهرب من العقاب كالمي اعتادها النام في الحياة الدنيا : انه العدل المطلق الذي تقف البشرية أمامه ، فيطمئن المؤمن لنهايته السعيدة ، لأن أعماله تشهد له بذلك ، ويوقن المجرم بضلاله نفسه بالعقاب الذي يلتزمه جراء أعماله في الدنيا .

ويستطيع الإنسان ان يتخيّل هذه الصورة المثالبة للقضاء العادل ، ويقارنها بالقضاء السائد في امته ، والذي يتّأرجح بين الحق والباطل . واذ نستعرض صور القضاء الجاهلي نجد انه صور في مشاهد القيمة ليبين الفرق العظيم بين الحكم الديني وما فيه من قيم اجتماعية ، وبين الحكم العادل يوم القيمة .

فلم يكن للقضاء الجاهلي قانون يحكمه ، أو دين يضبطه ، إنما كان المرجع فيه الى رأي رجال عرّفوا بسلامة التفكير والحكمة قال اليعقوبي : (وكان للعرب حكام ترجع اليها في امورها ، وتحاكم في منافراتها ، ومواريثها ومياهها ، ودمائها ، لأنهم لم يكن دين يرجع الى شرائعه ، فكانوا يحكمون أهل الشرف ، والصدق ، والأمانة ، والمجد ، والتجربة) (١) . وتعدد

(١) تاريخ اليعقوبي ٢٩٩: ١ ، وانظر أيضاً الأشباح والنظائر ١: ١٤٤ ، ١٤٥

الذين كانوا يحكمونهم في المنازعات ، وبعدهم كان يحكم العرافة (١) ، وقد يلتجأون إلى الكهان (٢) ، واشتهر رجال منهم سارت أسماؤهم في الآفاق ، لما عرفوا به من الحكمة ، والخصافة في الأمور التي يحكمون فيها ومن هؤلاء أكثم بن صيفي (٣) ، وعامر بن الظرب العدواني (٤) ، وغيلان ابن سلمة (٥) ، وغيرهم من تناقلت الكتب أخبارهم .
وكانت العرب ترجع إلى أمثال هؤلاء للتحكيم بينهم في المنازعات ، أو في تقدير دية قتيل اختلقو فيها (٦) .

ومع الأوصاف التي اقترن بسير هؤلاء الرجال ، فمن الطبيعي أن تكون أحكامهم تقريبية بين الحق والباطل ، لأنهم لا يعتمدون على قانون واحد ، أو قاعدة عامة في جميع أحكامهم ، إضاف إلى ذلك أن الطرفين المتنازعين غير ملزمين بقبول الحكم الذي يصدره الحكم ، وقد ينقض أحد الطرفين

(١) سيرة ابن هشام ١ : ١٦٦ ، بلوغ الأربع ٣ : ٧٥ .

(٢) المثالب : ٣١ ، سيرة ابن هشام ١ : ١٥٥ ، المتنميق : ٢٠ : ٢٢ ، ١٠٧ ، ١١٥ ، ١١٠ ، أخبار الزمان : ٩٥ ، بلوغ الأربع ٣ : ٢٦٩ ، تاريخ العرب لجواه علي ٥ : ٣١٥ ، ٣١٧ .

(٣) المعمرون : ١٩ - ٢٤ ، المحبير : ١٣٥ ، البيان والتبيين ١ : ٣٦٥ ، عيون الأخبار ١ : ١٠٨ ، تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٩ ، الاشتقاد لابن دريد ٢٠٧ ، أسد الغابة ١ : ١١٢ - ١١٣ ، الاصادبة ١ : ١١٨ ، وانظر أيضاً :

Ency. of Islam P. 345 .

(٤) سيرة النبي ١ : ١٣٤ ، المعمرون : ٥ ، الخبر : ١٣٥ .

(٥) المؤتلف والمختلف : ٢٣٠ ، بلوغ الأربع ١ : ٣١٦ .

(٦) الخبر : ١٣٥ ، تاريخ اليعقوبي ١ : ٢٩٩ ، بلوغ الأربع ١ : ٣١٩ .

الحكم ، فكان بعضهم اذا حكم بقضية ما ، لا يبدي رأيه الا اذا أعطاه الفرقة
العهود والمواثيق بتطبيق ما يقضيه بينهما (١) . ومن هنا فخر بعضهم بأن فيهم
الحكام الذين لاينقض حكمهم ولا يرد (٢) ، وانهم اذا حكموا بين القبائل
فإن حكمهم هو الصواب وغيرهم على خطأ (٣) .

وفخر الشعراء بمثل هذه الأمور يعكس لنا من جانب آخر افتقار
المجتمع للعدالة ، وضياع الحق إلا عند الحكام الذين مرساتهم السنين وحنت لهم
 التجارب . ذلك لأن الشاعر اذا أراد ان يمتدح شخصاً ، فاما يصفي عليه
 قيمها ، وصفات لايجدها عند غيره من الناس ، أو أنه عرف بها أكثر من
 غيره . فتعني الشعراء بأن فيهم الحكام العادلين يعكس لنا افتقار المجتمع
 القبلي الى عدل يسود ، وحق يطبق .

أ - الشفاعة والقضاء الجاهلي صورة للمجتمع العربي وتقاليده ، وأول
 ظواهره هو الامان بوحدة القبيلة . والتعصب لها في سالمها ، وحربيها ، وهي
 التي قال عنها ابن خلدون انها : (النعرة على ذوي القربي وأهل الأرحام
 ان ينافهم ضيم ، أو تصيبهم هلكة ، والتي بها تشتد شوكتهم ، ويُخشى
 جانبهم) (٤) . وقد أعمت هذه النظرة عيونهم ، فلم ترك لهم مجالا يفرقون
 فيه بين الحق والباطل ، إنما يهرون ملبن نداء أي مستغث من أبناء
 قبيلتهم دون ان يستفسروا عن المعتدى . ولعل أجود قصيدة تبين لنا هذه
 الروح هي قصيدة قريط بن ابيف التي يذكر فيها عصبيةبني مازن التي

(١) أنظر في هذا الأغاني ٣: ١٩ - ٢٢ ، الكامل لابن الأثير ١: ٧٧ .

(٢) الشعر والشعراء ٢: ٥٩٨ ، الخمسة البصرية الورقة ١٤٤ (أ) :

(٣) أنظر ديوان عامر بن الطفیل : ٢٠ ، ديوان حمید بن ثور : ١٣١ ،
 والمفضليات : ١٧٤ .

(٤) المقدمة : ٧٣ .

حدوا عليهما . وانهم لا يسألون اخاهم عن المعتمدي اذا سالمهم النجدة
وانما يلبون نداءه ظالما او مظلوما (١) .

واما اسر احد افراد القبيلة هرع وجوه القوم ، او شاعر من شعراهم
ليشفعوا له عند غالبيه وآسريه (٢) واعل اكثـر ما يؤلم البدوي هو خذلان
قومه له حين يعتدى عليه .

اما الجوار فانه رابطة اخري تحمي الفرد ، وتشفع له في حياته .
فاذا قتل امرؤ او اجرم فان على مجيريـه ان يدافعوا عنه ، ويشفـعوا له
قال رجل من بنـي عبد الله بن غطفـان ، وقد جاور قـبيلـة طـي وهو خـائفـ:

جزـى اللهـ خـيرـاً طـبـيـناً مـنـ عـشـيرـةـ

ومنـ صـاحـبـ تـلـقـاهـمـ كـلـ مـجـمـعـ
هـمـ خـالـطـوـنـيـ بـالـسـفـوسـ وـدـافـعـوـاـ
ورـأـيـ بـرـكـنـ ذـيـ مـنـاـكـبـ مـدـفـعـ

وـقـالـواـ :ـ تـعـلـمـ إـنـ مـالـكـ إـنـ يـصـبـ

نـفـدـكـ وـإـنـ تـحـبسـ نـزـرـكـ وـتـشـفـعـ (٣)

هذه الشفاعة التي اعتادها البدوي في بيتهـ كانت تـقـفـ حـائـلاـ دون
تطـبيقـ العـدـالـةـ ، لـانـ الـجـانـيـ سـرـعـانـ ماـ يـتـشـبـثـ بـمـنـ لهـ مـنـزلـةـ ، وـجـاهـ فيـ قـوـمهـ

(١) شـرـحـ دـيـوانـ الحـمـاسـةـ ١ : ٣٢ - ٣٣ . وـانـظـرـ ايـضاـ ١ : ١٣٠ .

(٢) دـيـوانـ عـلـقـمـةـ الـفـيـحـلـ ٤٠ ، ٤١ ، ٧١ ، ٢٨٨ . وقد يـطـلـبـونـ شـفـاعـةـ رـجـلـ لهـ مـكـانـةـ الـعـظـيمـةـ فيـ نـفـسـ الـقـبـيلـةـ الـغـالـبـةـ اـنـظـرـ اـمـثالـ العربـ ٨ ، ٩ .

(٣) الـكـامـلـ لـلـمـبـرـدـ ١ : ٧١ ، وـذـكـرـ اـبـوـ تـمـامـ الـاـيـاتـ فيـ الـوـحـشـيـاتـ وـنـسـبـهاـ
لـابـنـ دـارـةـ اـحـدـ بـنـ عـبـدـ اللهـ بنـ غـطـفـانـ ، اـنـظـرـ الـوـحـشـيـاتـ ٢٤٩ .

ليشفعوا له ، ويخلاصوه من جرمـه واسره (١) . . . فـاي شـعور رـهـيب يـجـتـاحـ الـعـرـبـيـ اذاـ سـمـعـ بـاـنـهـ سـيـأـتـيـهـ الـبـوـمـ الـذـيـ يـقـفـ فـيـهـ وـحـدـهـ ضـعـيفـاـ مـتـهـ الـكـاـنـ وـذـنـوبـ الـعـظـامـ لـمـ يـرـكـ مـنـهـ شـيـءـ تـشـهـدـ عـلـيـهـ ، وـتـدـيـنـهـ . ثـمـ يـلـتـفـتـ فـيـجـدـ انـ كـلـ الـوـسـائـلـ الـتـيـ كـانـ يـتـوـصـلـ بـهـاـ إـلـىـ النـجـاهـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ قـدـ تـقـطـعـتـ وـاـنـهـ مـاـ مـنـ شـخـصـ يـشـفـعـ لـهـ ، وـيـعـيـنـهـ عـلـىـ التـخـاصـ مـنـ الـعـقـابـ لـاـنـ (لـكـ اـمـرـىـءـ يـوـمـشـدـ شـانـ يـغـشـيـهـ) (٢) . فـلاـ شـفـيعـ وـلـاـ نـصـيرـ ، قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ : (وـهـلـ يـسـتـظـرـونـ إـلـاـ تـأـوـيـلـهـ) ؟ يـوـمـ يـاتـيـ تـأـوـيـلـهـ يـقـولـ الـدـيـنـ تـسـوـهـ مـنـ قـبـلـ : قـدـ جـاءـتـ رـسـلـ رـبـنـاـ بـالـحـقـ . فـهـلـ لـنـاـ مـنـ شـفـاعـةـ فـيـشـفـعـواـ لـنـاـ ، اوـ تـرـدـ فـنـعـمـ غـيـرـ الـذـيـ كـنـاـ نـعـمـ ؟ قـدـ خـيـسـرـوـاـ أـنـفـسـهـمـ وـأـضـلـ مـنـهـمـ مـاـ كـانـوـاـ يـفـسـدـوـنـ) (٣) .

وـهـكـذـاـ يـتـمـنـيـ الـجـرـمـونـ شـفـاعـةـ اـحـدـ هـمـ ، وـيـتـمـنـونـ الـعـودـةـ إـلـىـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ لـيـعـلـمـوـ صـالـحـاـ ، إـلـاـ انـ الرـدـ يـاتـيـهـ جـازـمـاـ مـؤـلـماـ بـاـنـ يـوـمـ الـقـيـامـةـ لـاـ يـرـكـ لـلـمـجـرـمـينـ شـفـاعـةـ ، وـلـاـ تـقـبـلـ وـسـاطـةـ أـحـدـ : فـاعـلـهـمـ تـشـهـدـ عـلـيـهـمـ بـاـنـ اـقـرـفـوـهـ فـيـ الـحـيـاةـ الـدـنـيـاـ قـالـ اللـهـ تـعـالـىـ : (وـاـنـقـواـ يـوـمـاـ لـاـ تـجـزـيـ نـفـسـ) عـنـ نـفـسـ شـيـشاـ ، وـلـاـ تـقـبـلـ مـنـهـاـ ، شـفـاعـةـ ، وـلـاـ يـوـخذـ مـنـهـاـ عـدـلـ ، وـلـاـ هـمـ يـنـصـرـوـنـ) (٤) وـقـالـ اـيـضاـ : (يـاـبـاـ الـذـيـنـ آمـنـوـاـ لـفـقـاـنـكـ مـاـ رـزـقـنـاـكـ مـنـ قـبـلـ انـ يـاتـيـ يـوـمـ لـاـ بـعـدـ فـيـهـ وـلـاـ خـلـةـ وـلـاـ شـفـاعـةـ ، وـالـكـافـرـوـنـ هـمـ الـظـالـمـوـنـ) (٥)

(١) وـشـبـيهـ هـذـاـ عـقـيـدـةـ الـذـيـنـ اـتـخـذـوـاـ آـلـهـةـ لـيـشـفـعـوـاـ لـهـمـ عـنـدـ اللـهـ وـقـدـ ذـكـرـهـ اللـهـ تـعـالـىـ فـيـ سـوـرـةـ الـأـنـعـامـ ٦ـ . ٩ـ٤ـ : وـاـنـظـرـ اـيـضاـ الرـوـمـ ٣ـ٠ـ : ١ـ٣ـ ، يـسـ ٣ـ٦ـ : ٢ـ٣ـ .

(٢) سـوـرـةـ عـبـسـ ٨ـ٠ـ : ٣ـ٧ـ .

(٣) سـوـرـةـ الـأـعـرـافـ ٧ـ : ٥ـ٣ـ .

(٤) سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ ٢ـ : ٤ـ٨ـ .

(٥) سـوـرـةـ الـبـقـرـةـ ٢ـ : ٢ـ٥ـ٤ـ .

وفي سورة غافر يصف الله سبحانه وتعالى هول الموقف يوم القيمة والذي تبلغ فيه قلوب الناس الخناجر ، فلا يستطيعون الكلام ، لأنهم ايقنوا من الحساب الدقيق الذي لا يترك ذنباً كبيراً ، او صغيراً ، الا واحضره ، ويزيد ياسفهم وخوفهم ان ليس لهم شفاعة قبل شفاعته ، لأنهم ظالمون مجرمون : (وَإِنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَ الْأَزْفَةِ، إِذِ الْقُلُوبُ كَاظِمِينَ، مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ، وَلَا شَفَاعَةٌ يَطْعَمُ بَعْلَمٌ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ، وَمَا تَنْفِي الصُّدُورُ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ، إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ) (١) .

هكذا تنفي الآيات القرآنية الكريمة وجود الشفاعة للكافرين يوم القيمة ، ذلك المفهوم الذي كان سائداً في البيئة الجاهلية ، لانه الحق المطلق الذي لا نشوبه شائبة ، ولا يعوقه مفهوم من المفاهيم الجاهلية كالشفاعة مثلاً .

ب - الفداء والعدل :

الفاء : وهناك وسيلة اخرى اعتقاد البدوي بواسطتها التخلص من اسره ، تلك هي وسيلة الفداء ، وذلك ان يدفع الاسير دية يفك بها اسره ، والا فانه يصبح بحکم العرف ملكاً لاسرته ، وتحتفل هذه الدية حسب منزلة الشخص الاجتماعية ، فكان فداء الشخص المتوسط المنزلة مائة بعير (٣) وقد تبلغ خمساً وعشرين بعيراً . اما دية الملوك ، ومن يبلغ منزلتهم في

(١) سورة غافر ٤٠: ١٨ - ٢٠ .

(٢) النكائب ١: ٢٠ .

(٣) المعارف: ٥٥٥ .

العظمة فانها الف بعير (١) ، ومن هنا فخر اهل اليمن بالاشعث بن قيس (٢)
 لانه افتدى نفسه بثلاثة الاف بعير اي بدية ثلاثة ماوك (٣) .
 واذا كانت هذه الارقام تبين لنا دية الاشخاص ، واختلافها حسب
 منزلتهم الاجتماعية ، فأنها من الناحية الآخرى تعكس لنا اهمية البيئة في
 نشوء العادات والتقاليد ، ذلك لأن انتشار الفوضى ، وكثرة الحروب ،
 والغارات ، وما يتبعها من الاسر ، كل ذلك ساعد على ايجاد الديبة والقداء
 لفلك الاسرى ، ولما كانت منزلة الاشخاص مختلف حسب مستواهم المعيشي
 ومنزلتهم الاجتماعية فان ديتها قدرت بـ ذلك . وقد وصف عوف بن
 عطية (٤) في قصيدة له الاسير يمتلك مالاً يستطيع ان يفك به قيود
 اسره ، يقول :

وُمكَبِّلٌ يُقْدَى بِوَافِرٍ مَالِهِ إِنْ كَانَ صَاحِبَ هُجْمَةٍ أَوْ أَيْضَرِ (٥)
 ويظهر الظلم الاجتماعي في هذا الجانب من المجتمع البدوي الذي قد
 يلحق الكثرين . فالحروب مستمرة ، والقتل والأسر يتمثل أمام ناظري المرء
 كل يوم ، ولكنه مختلف باختلاف الأشخاص فمن كان ذا مال وغير لم يعان

(١) نقائض ١ : ٤٣٢ ، ٥٣٥ ، بلوغ الارب ٣ : ٢٢ .

(٢) هو الاشعث بن قيس بن معدى كرب الكندي امير كندة في الجاهلية
 والاسلام . كان شاعراً وسيداً كريماً وكانت اقامته في حضرموت ، ووفد على
 النبي (ص) بعد ظهور الاسلام . توفي نحو ٤٠ هـ . انظر المؤتلف والختلف : ٥٥
 خزانة الادب ٢ : ٤٦٥ .

(٣) المعارف : ٥٥٥ .

(٤) هو عوف بن عطية بن عمرو بن عبس بن وديعة بن مضر شاعر جاهلي
 فحل ادرك الاسلام معجم الشعراء : ٢٧٦ ، خزانة الادب ٣ : ٨٢ - ٨٣ .

(٥) ديوان المفضليات : ٦٣٥ .

من الأسر ، أو عقاب جرمـه شيئاً ، اذ انه سرعـان ما يقدـم مـاله ليغسل جـرمـه
وإذا كان ذـا جـاه ، وـمزـلة كـبـيرـة فـان قـومـه يـسرـعون لـافتـدـائـه بما يـملـكون
من مـال وـجـاه . وفي أخـبار الشـنـفـرـى ان قـومـه قـتـلـوا رـجـلاً كـان في خـفـرة
بعـض الفـهـمـيـن فـرـهـنـوـهم الشـنـفـرـى (١) ، وـامـه ، وـأخـاه ، وـلم يـفـدوـهم (٢) ...
هـكـذـا يـرـهـنُ ثـلـاثـة أـشـخـاص مـقـابـلـشـخـص وـاحـد ، وـمع ذـلـك لا يـحـاـول
قـومـه اـفـنـادـعـهـم وـفـلـكـهـم لـماـذا ؟ لـأنـهـم اـيـسـوا سـادـة ، وـلا أـغـنـاء .
وـقـد شـكـا طـرـفة مـوـلـاهـ في شـهـرـهـ بـأـنـهـ يـضـيـقـ عـلـيـهـ الـأـمـرـ في كلـ حـالـ
سـوـاء شـكـرـهـ ، أو طـلـبـهـ أـنـ يـفـدـي نـفـسـهـ :
فـلـو كـانَ مـوـلـايـ اـمـرـءـ هـوـ غـيـرـهـ

لـفـرـاجـ كـرـبـيـ ، أو لـأـنـظـرـيـ غـدـيـ
وـلـكـنـ مـوـلـايـ اـمـرـءـ هـوـ خـانـقـيـ
عـلـى الشـكـرـ وـالتـسـالـ أـو أـنـ مـفـتـدـيـ (٣)

وـالـفـداءـ المـادـيـ كـما عـرـفـهـ الـجـمـعـ الـعـرـبـيـ وـرـدـ فيـ الـقـرـآنـ الـكـرـيمـ فـقـدـ
أـفـتـدـيـ اـبـنـ الـبـيـ اـبـرـاهـيمـ (عـ) بـكـيـشـ عـظـيمـ (٤) . كـما حـدـدـ اللـهـ -سـبـحـانـهـ وـتـعـالـىـ
فـدـيـةـ الـأـمـرـىـ الـمـشـرـكـينـ ، فـاماـ انـ يـسـمـنـ عـلـيـهـمـ باـطـلـاقـ حـرـيـتـهـمـ ، اوـ انـ

(١) هـوـ عـمـروـ بـنـ مـالـكـ الـأـزـدـيـ مـنـ قـطـنـاـتـ الـعـرـبـ وـشـاعـرـ جـاهـلـيـ مـنـ فـتـاكـ الـعـرـبـ
وـعـدـائـهـمـ ، وـهـوـ أـحـدـ الـخـلـعـاءـ الـذـينـ تـبـرـأـتـ مـنـهـمـ عـشـائـرـهـ . قـتـلـهـ بـنـوـ سـلـامـانـ ، وـهـوـ
صـاحـبـ الـلـامـيـةـ الـمـشـهـورـةـ بـلـامـيـةـ الـعـرـبـ . أـنـظـرـ الـأـغـانـيـ ٨٧:٢١ - ٩٣ ، خـزانـةـ الـأـدـبـ

. ١٦ - ١٧ :

(٢) دـيـوانـ الـمـفـضـلـيـاتـ : ١٩٧ - ١٩٨ .

(٣) دـيـوانـ طـرـفةـ : ٥٧ .

(٤) سـوـرـةـ الصـافـاتـ : ٣٧ : ١٠٥ .

قبل منهم فدية (١) .

هذا الفداء الذي اعتاده العربي في بيته ، وحربه المستمرة ، صورته الآيات الكريمة عند تصويرها للحساب الدقيق يوم القيمة . فالبسري الذي اعتاد في الحياة الدنيا التخلص من جرمه ، وأسره ، بأن يفدي نفسه بمقدار من المال ، فإنه يوم القيمة لا يمكنه التخلص من العقاب الذي ينتظره ، حتى لو امتلك ملء الأرض ذهبًا ، قال الله تعالى : (ان الذين كفروا ، وما توا وهم كفار ، فلن يُقبَلَ من أحدِهِم ملأً الأرضِ ذهباً ، ولو افتدى به ، أولئك هُم عذاب اليم ، وما لهم من ناصرين) (٢) وفي سورة الرعد بين الله سبحانه وتعالى بأن الذين لم يستجيبوا لدعوة الحق لا يتخلصون من العذاب يوم القيمة حتى لو قدموا ما في الأرض من الأموال فدية لهم (للذين استجابُوا لربِّهم الحسنى ، والذين لم يستجيبُوا له لو أنَّ لهم ما في الأرض جميعاً ، ومثله معه ، لأفتدا به ، أولئك لَهُم سوءُ الحساب ، وما واهُم جَهَنَّمْ وبَئْسُ المِهَادُ) (٣) . وقال الله تعالى أيضاً : (فال يوم لا يؤخذُ منكم فِدْيَة ، ولا من الذين كفروا ، مأواكُم النار ، هي مولاكم وبئس المصير) (٤) .

وإذا كان في مقدور الأب ، أو أي فرد من أفراد القبيلة فداء ابنه أو قريبه ، وتقدم ما يملك في سبيل إنقاذه ، فإن هذه الأواصر تقطع كلها يوم القيمة ، فلا يفدي الأب ابنه من العذاب فحسب ، بل يتمنى لو انه يستطيع ان يفدي نفسه بأعز أحبابه في الحياة الدنيا ، بابنه ، أو صاحبته

(١) سورة محمد ٤٧: ٤ .

(٢) سورة آل عمران ٣: ٩١ ، وانظر أيضاً سورة يونس ١٠: ٥٥ .

(٣) سورة الرعد ١٣: ١٨ .

(٤) سورة الحديد ٥٧: ١٥ .

او اخيه ، ولكن هيهات له ذلك ، فلا يقبل فداء ، ولا يبدل عذاب امرىء بعذاب آخر ، فكل انسان يحاسب بما قدم في حياته الدنيا . قال الله تعالى واصفا حيرة الانسان يوم القيمة حيث يقف وحيداً ، فرعاً خائفاً (يُبَصِّرُوْنَهُمْ يَوْمَ الْحِجْرَمُ اَوْ يَقْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بِمَا نَهَا وَصَاحِبِتِهِ ، وَأَخِيهِ وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي تَوَوَّهُ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً هُمْ يُنْسَجِيْهُ ، كَلَا ، انها لظى ، نزاعة للشوى) (١) .

هكذا تعكس الآيات الكريمة صورة الحياة العربية الجاهلية ، وتبيّن لنا كيف تنهار العناصر الأساسية التي تقوم عليها القبيلة ، إذ لا شفاعة ولا فداء ، بل قضاء عادل تنقصم فيه كل عرى القرابة والصداقة ، وكل الروابط الإنسانية ، فيقف الغني والفقير ، وذو الجاه والصلوكة ، وحيدين أمام قانون واحد حازم .

العدل : اما العدل فانه تعبير آخر له دلالته على البيئة العربية الذي نفت وجوده الآيات الكريمة يوم القيمة . (واقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ، ولا يُقْبَلُ منها شفاعة ، ولا يُؤْخَذُ منها عَدْلٌ ولاهم يَنْصُرُون) (٢) . وقال أيضاً : (وَذَرُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لِيَعْبُأُ ، وَطَوَأُ ، وَغَرَّتْهُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، وَذَكَرَ بِهِ اَنْ تُبَسِّلَ نَفْسَ بِمَا كَسَبَتْ لِيَسْ هَذَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيْ " وَلَا شَفِيعٌ " ، وَانْ تَعْدِلَ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذُ مِنْهَا ، او لِثَلَاثِ الَّذِينَ أَبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا ، هُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ الْيَمٌ ، بِمَا كَانُوا يَكْفُرُون) (٣) .

(١) سورة المغارج ١٢: ٧٠ - ١٦

(٢) سورة البقرة ٢: ٤٨

(٣) سورة الأنعام ٦: ٧٠

وقد قال المفسرون ان معنى العدل : الفداء (١) ، واذا كان هذا التفسير منسجماً مع الفداء الذي مر بنا بمحثه . الا اننا نجد في دلالات الكلمة المختلفة معنى جاماً لتفسير المفسرين من جهة ، ويعكس لنا صورة من البيئة العربية من جهة أخرى ، وذلك انهم اطلقوا العَدْل على الحِمْل يوضع على جنبي الدابة . قال الاصمعي : عَدْلُتُ الجوالقَ (٢) ، على البعير ، أَعْدَلْتُهُ عَدْلًا ، يحمل على جنب البعير ، وِعَدْلَلُ بِأَخْرَ (٣) . وقال الأزهري : العَدْل يلتان : الغِرَارَاتَان (٤) ، لأن كل واحدة منها تعادل صاحبتها (٥) . وقال ابن دريد : العَدْلُ الْعُكْمُ اذا عدل بمثله (٦) . والْعُكْمُ هو نفس عَدْلُ البعير كما يقول الزمخشري (٧) . وما سبق من أقوال اللغويين يتبيّن لنا ان العدل هو الحمل الذي

(١) تنویر المقیاس : ٧ ، مجاز القرآن ١ : ٥٣ ، جامع البيان ١ : ٥٧
التبيان ١ : ٢١٥ الكشاف ، ١ : ٥١

(٢) الجوالق : وعاء من الأوعية أَعجمي مغرب ، انظر جمهرة اللغة ٢ : ١١٠ ، الصحاح ٤ : ١٤٥٤ ، المغرب : ١١٠ ، لسان العرب ٣١٨ : ١١

(٣) عن لسان العرب ٣ : ٤٥٩ وانظر ايضاً جمهرة اللغة ٢ : ٤٥٩

(٤) الغرارة : قال الجوهري عنها انها واحدة الغرائر التي للتبّن ، واظنه مغرباً . ويبدو انها كلمة عربية الأصل لقولهم الغرارة شفرتا السيف ، وكل شيء له حد فحدده غراره انظر جمهرة اللغة ٣ : ٤٥٨ ، لسان العرب ٦ : ٣٢٠ لأن جنبي الحملين والعِدَلين يمثلان حدّهما ، ومن هنا سمي الحِمْل غرارة .

(٥) لسان العرب ٣ : ٤٥٩ ، وانظر ايضاً مقاييس اللغة ٤ : ٢٤٧ ، الحكم ، ١١ : ٢

(٦) جمهرة اللغة ٢ : ٢٨١

(٧) اساس البلاغة : ٦٤٩

يوضع على جانبي الدابة يحمل عليه العربي ما يحتاج اليه في سفره ، وسيره على أن يكون ما في الحمل الأول موازيًا ومعادلاً للحمل الثاني ليتوازن سير الدابة . قال ابن الاعرابي : (يقال عدَّكْتُ امْتَعْتَ بِالْبَيْتِ ، إِذَا جعلتها أعدالاً مسْتَوِيَّةً لِلْاعْتِكَامِ يَوْمَ الظُّفَرِ) (١) . وإذا ركب رجل على أحد حلي الدابة ، فلابد من موازنته بوضع ثقل في الجانب الثاني من الحمل ، فيركب معه شخص آخر يساويه ومن هنا قالوا عدل الرجل في المهمَلِ وعَدَّلَه ركب معه (٢) .

وقد ورد هذا المعنى المادي للكلمة في الشعر العربي ، من ذلك قول عوف بن عطية هاجيا :

ولقد أراكَ ولا تُؤْبَنْ هالكَا

عُدْلَ الْأَصْرَةَ في سنام الأكوم (٣)

يريد انه لا يُبكي عليك ان مُتَّ ، وقد كانت امه راعية ، فكانت تحمله على بعير وتعدل به الأصرة . وقال آخر مشبهًا الفتىان بالحمير يحملون أعدالاً قد أثقلها الحمل :

فِي فَتَيَّةٍ مِنْ بَنِي هَنْدٍ كَانُوهُمْ

آذَانٌ أَمْحِسَرٌ يَحِمِّلُنَّ أَعْدَالًا (٤)

أي أن هؤلاء الفتية خاملين لاحراك لهم ، ولا شهامة عندهم كأنهم آذان حمير قد تعبت من حمولة اعدالها . وقال آخر :

(١) لسان العرب ١٣: ٤٥٩ ، وانظر ايضاً أساس البلاغة : ٦١٦

(٢) الحكم ٢: ١١ ،

(٣) المعاني الكبير ١: ٤٦٩ ، والبيت لم ينسبه ابن قتيبة

(٤) نـ ١٠: ٥٧٨

لَا تَغْدِيْتُ تَخْلِقَ الشَّيْبَ أَجْهِلُ عَنْدَلَيْنِ مِنَ التُّرَابِ^(١)
وَمِنْ هَذَا الْمَعْنَى الْمَادِيُّ لِكَلْمَةِ الْعِدْلِ اطْلَقَتِ الْكَلْمَةُ عَلَى الْمَعَادِلَةِ
وَالْمَوَازِنَةِ مُطْلَقاً ، وَعَلَى الْعِدْلِ الْقَسْطَ الْمَرَادُ بِهِ الْإِسْتِقَامَةُ الَّتِي هِيَ ضَدِّ
الْجُورِ^(٢) . قَالَ عَلْقَمَةُ الْفَحْلِ :

فَلَا تَعْدِي لِي بَيْنِ وَبَيْنِ مُغَمِّرٍ
سَقَنَتِكَ رَوَا يَا الْمَزِنِ حِينَ تَصْوِبُ^(٣)

وَالْمَغَمِّرُ الَّذِي لَمْ يَجْرِبْ الْأَمْوَارِ . وَالْمَزِنُ السَّحَابُ الْأَيْضُنُ وَرَوَا يَا
مَا حَمَلَ مِنَ الْمَاءِ : يَرِيدُ مِنْهَا الْأَعْدَلَةَ مَعَ مَنْ لَا حَكْمَةَ وَلَا خَبْرَةَ لَهُ
وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ :

فَقُلْتُ هَذَا وَقُولُ الْحَقُّ مَا يَمْبَلُ وَلَوْ عَدَلَتْ بِهِ الْجَبَالَا^(٤)
وَصُورَةُ عَدْلِي الدَّابَّةِ وَاضْبَحَةُ فِي هَذِهِ الْمَوَازِنَةِ ، وَمِنْ هَنَا اطْلَقُوا
الْعِدْلَ عَلَى الْمِثْلِ قَالَ الْأَزْهَرِيُّ : (الْعِدْلُ) : الْمِثْلُ ، وَاصْلَهُ فِي الْدِيَةِ
يَقُولُ : لَمْ يَقْبِلُوا مِنْهُمْ عَدْلًا وَلَا صَرْفًا . أَيُّ لَمْ يَأْخُذُوا مِنْهُمْ دَيَّةً ، وَلَمْ
يَقْتُلُوا رَجُلًا وَاحِدًا ، أَيُّ طَلَبُوا مِنْهُمْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ^(٥) :
وَيَبْدُو مَا مِنَّا مِنْ بَنَى مِنْ مَعْنَى الْعِدْلِ الْمَادِيِّ إِنْ مَعْنَى الْفَسَدَاءِ وَالْدِيَةِ
لَيْسَ أَصْلِيًّا بَلْ مَتَطَوْرًا عَنِ الْمَعْنَى الْمَادِيِّ ، ذَلِكَ لَأَنَّ الْعِدْلَ لَا يَمْكُنُ

(١) المعني الكبير ١: ٤٩٦

(٢) جمهرة اللغة ٢: ٢٨١ ، المخصوص ٦: ١١٧ ، الحكم ٢: ١٠

(٣) ديوان علقة الفحل : ١٠ ، وانظر أيضاً ديوان حسان : ١٨٢

(٤) ديوان امرئ القيس : ٣٠٩

(٥) الأزهري عن لسان العرب ١٣: ٤٦٠ ، وانظر ايضاً مجالس ثعلب

١: ١١ ، الحكم ٢: ١٠ ، أساس البلاغة ٦١٧ وانظر

ان يوازنَ الا بحِيل آخر موازي ، ومشابه له ومن هنا فهم معنى المماثلة ، والمشابهة الذي أخذَ منه معنى الفداء ، ذلك لأنَّ الغرب قد اعتادوا في حياتهم ان ينتقموا لقتيلهم ، ولا يكتفون بعقاب قاتله بل جاؤزوا ذلك الى ان يقتصوا من غير القاتل ، فيقتلوا نَيْدا له يعدهُ في مقامِه ، ومركزه . وما يروى في هذا الباب انه حين قتل جساس كليبيا عرض بنو تغلب علىبني بكر بن وايل ان يدفعوا لهم جساماً ليقتلوا بهم أصحابهم أو يدفعوا لهم هاماً لانه نَسْد لـكليب (١) وصورة حمل الدابة واضحة المعالم في هذه المعاني ، لأنهم لا يقتلون النَّد الا اذا وزنوا بيته وبين قتيلهم . الا ان معظم اللغويين فرقوا بين معنى العَدْل والعِدْل قال الفراء :

(العَدْل) : في قوله تعالى (او عَدْل ذلك صياما) قال : ما عادل الشيء من غير جنسه و معناه ، فداء شاكل اذا كانت شاة ذلك ، والعِدْل ، المثلث ، وذلك ان تقول عندي عَدْل غلامك و عِدْل تَعْدِل شاة او غلام يَعْدِل غلاما . فإذا أردت قيمته من غير جنسه نصبت العين ، فقلت عَدْل ، وربما كسرها بعض العرب . قال بعض العرب ، عَدْل له ، وكأنه منهم غلط ، لتقارب معنى العَدْل (٢) . وما مر بنا ييدو ان المعنين من اصل واحد وهو عدلا الدابة إلا ان تطور معاني الكلمة ، ودلالتها جعل العَدْل بفتح العين تختص بمعنى المثلث المعنوي ، والعِدْل بكسرها تختص للدلالة على

(١) خزانة الأدب ١ : ٣٠٢ ، الكامل لابن الأثير ١ : ٢١٨ سرح

العيون : ٩٧

(٢) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩ ، وانظر أيضاً جامع البيان ١ : ٢٦٩ ،

البيان ١ : ٢١٥

الِّمِثْلُ الْمَادِيُّ ، وَيُؤْيدُ وَجْهَ الْأَصْلِ الْوَاحِدِ قَوْلَ الْفَرَاءِ فِي رَوَايَةِ بَعْضِ الْعَرَبِ السَّعْدِيِّ بِكَسْرِ الْعَيْنِ لِلدلَّةِ عَلَى الِّمِثْلِ . وَقَالَ الرَّاجِحُ : (الْعَدْلُ وَالِّعَدْلُ وَاحِدٌ) فِي مَعْنَى الِّمِثْلِ . قَالَ وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ ، كَانَ الِّمِثْلُ مِنِ الْجِنْسِ أَوْ مِنْ غَيْرِ الْجِنْسِ) (١) .

هَذِهِ الْمَعْنَى الْمُتَعَدِّدَةُ لِمَعْنَى الْعَدْلِ نَسْطَطِعُ إِنْ نَفَهَمُهَا فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ فَقَوْلُهُ تَعَالَى : (وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا يَنْجِزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفاعةً ، وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يَنْصُرُونَ) (٢) .

إِنْ كُلَّ وَسَائِلِ الشَّفَاعَةِ ، وَالتَّخلُّصِ مِنِ الْعَقَابِ يَنْتَفِي وَجُودُهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَلَا يُمْكِنُ أَنْ يَخْتَاصَ الْإِنْسَانُ دُفْعَ الدِّيَةِ ، وَالْفَدَاءِ ، وَلَا يُؤْخَذُ مَكَانُ الْمُجْرَمِ عَدْلُهُ وَلَا نَدْهُ ، لَأَنَّ (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةً) (٣) :

وَفِي كُلِّ هَذَا نَجِدُ صُورًا مِنَ الْبَيْتَةِ الْعَرَبِيةِ ، صُورَةً مَادِيَةً مَمْثَلَةً فِي الْمَوَازِنَةِ الْدِقِيقَةِ بَيْنَ حَلْيِ الدَّابَّةِ ، وَتَنَقَّلَنَا هَذِهِ الصُّورَةُ إِلَى الْعَدْلِ الْدِقِيقِ فِي مَوَازِنَةِ اِعْمَالِ الْشَّخْصِ ، كَمَا تَجْسِدُ لَنَا صُورَةُ الْفَدَاءِ ، وَالْدِيَةِ الَّتِي اعْتَادَهَا الْعَرَبُ فِي بَيْتَهُ الْحَرَبِيَّةِ ، فَنَفَتُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ وَجُودُهَا ، لَأَنَّ قَضَاءَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عَادِلٌ لَا تُشَوِّبُهُ شَائِبَةٌ مِنْ شَوَّابِ الظُّلْمِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا .

٢ - دَقَّةُ الْحِسَابِ :

أ - تصویرها بالموازين : إذا استعرضنا الآيات الكريمة التي تصور دقة الحساب يوم القيمة وجدنا فيها جانباً آخر من جوانب البيئة العربية فالقضاء يوم القيمة عادل ، لا يبخس الناس شيئاً تقاس فيه أعمال الخير

(١) لسان العرب ١٣ : ٤٥٩

(٢) سورة الميراثة ٢ : ٤٨

(٣) سورة المدثر ٧٤ : ٣٨

والشر ، ويوازن بينهما بدقة بالغة ، وقد صورت هذه الدقة بالموازين
 والمعايير التي عرفها الغرب في بيئتهم ، وحياتهم الاقتصادية ففي سورة
 المؤمنون تصور الآيات الكريمة دقة الحساب وكيف ان الناس بعد نفح
 الصور يحشرون من قبورهم ، ثم توزن أعمالهم ويقارن بين السيء والصالح
 منها ، فتكون نتيجة الحساب اما الجنة واما النار : (فاذا نفح في
 الصور فلا انساب يدينهم يومئذ ، ولا يتسعون ، قلن ثقلت
 موازيته فاوائلهم هم المفلحون ، ومن خفت موازيته فاوائل الذين
 خسروا أنفسهم في جهنّم خالدون) (١) . وقال تعالى ايضا (والوزن
 يومئذ الحق ، قلن ثقلت موازيته فاوائلهم هم المفلحون ، ومن
 خفت موازيته فاوائل الذين خسروا أنفسهم بما كانوا ياباً لنا
 يظالمون) (٢) . وهذه الموازنة عادلة لا تبخس أحدا شيئاً قال الله
 تعالى (ونضع الموازين العدالة ليوم القيمة فلا تظلم نفس
 شيئاً ، وان كان مثقال حبة من خردل أتبينا بها ، وكفى بنا
 حاسبين) (٣) ،

واختلف المفسرون في تأويل هذه الآيات الكريمة هل المراد بالميزان
 وزن أعمال العباد حقاً في ميزان له كفتان ، يُعرف به المؤمن من الكافر
 والصالح من المحرم ؟ أم انه تصوير مجازي للعدالة والقضاء السوي ؟ .
 لقد ذهب ابن عباس وفريق من المفسرين المذهب الأول . أما
 التفسير الثاني فقد روى الطبرى عن مجاهد في تفسير قوله تعالى : (فأما

(١) سورة المؤمنون ٢٣: ١٠١ - ١٠٣

(٢) سورة الاعراف ٧: ٨ - ٩

(٣) سورة الأنبياء ٤٧: ٢١

من ثُقلت موازينه) (١) . قال : (ليس ميزان إنما هو مثل يضرب) (٢) . ونقل الطوسي عنه أيضاً : (الوزن عبارة عن العدل في الآخرة وإنه لا ظلم فيها على أحد) (٣) . فجاهد يرى في الميزان مثلا ضربه الله سبحانه وتعالى ليصور دقة الحساب بصورة ألفها الآسان في حياته .

وقد رد القاضي المعزلي عبد الجبار بن احمد على من اعترض على تفسير الموازين بالمحازاة والحساب الدقيق قال : (وجوابنا ان المراد بذكر الموازين العدل في باب المحازاة ، ولذلك قال تعالى بعدها (فلا تُظْلِمْ نَفْسَنَ شَيْئاً ، وَانْ كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكُفِي بِنَا حَاسِبِينَ) (٤) . وقال الزمخشري بعد ان نقل التأويل الأول (وقيل هي عبارة عن القضاء السوي والحكم العادل فن ثقلت موازينه جمع ميزان او موزون ، أي فن رجحت اعماله الموزونة التي لها وزن وقدر ، وهي الحسنات ، او قانون به حسناتهم) (٥) .

فالله سبحانه وتعالى أراد ان يبين للبشر دقة الحساب الذي يحاسبون به يوم القيمة فصوره بهذا التصوير الرائع الذي لا يخس احدا حقه . وحقيقة الموازنة لا تكون إلا بوضع شيء بكلفة ، يقابلها بالكلفة الأخرى

(١) سورة القارعة ٦:١٠١

(٢) جامع البيان ٣٠:٢٨٢ ، وكذا فسر ابو عبيدة قوله تعالى في سورة الحجر ١٥:١٩ ، انظر مجاز القرآن ١:٣٤٨

(٣) التبيان ٤:٣٧٩

(٤) تنزيل القرآن ، ٥٣٥ ، وانظر ايضاً أمالی الشرييف المرتضى ١:٩ تلخيص البيان: ١٤٢ ، متشابهات القرآن: ١١١

(٥) الكشاف ١:٥٤٠

شيء آخر ، فيوازن بينهما ، وهي نفس صورة الموازنة الدقيقة التي مرت
بنا في صورة عدلية الدابة . ومن هنا قالوا (فلان أوزنبني فلان أي
أوجههم) كما قال الخليل (١) . فكأنهم وزنوا بين رجاحة تفكيره وبين
تفكير قومه فوجدوه حكم منهم فقالوا هو أوزن منهم .

وإذا كان للكلام قيمة في نفس سامعه قالوا عنه انه يوزن وزناً (٢)
وإذا أراد شاعرهم ان يفخر بقبيلته قارن بينها وبين أعدائها بصورة تظهر
فيها رجاحة كفة قبيلته : قال الربع بن زياد العبسي (٣) .

لشن رَحِّيلَتْ جَاهِي لَا إِلَى سُعَةٍ لَا مِثْلُهَا سُعَةٌ عَرَضاً وَلَا طُولًا
بِحَيثِ لَوْ وِزَنْتْ لَخْمَمْ بِأَجْعَهَا

ما وزنتْ رِيشَةً من ريش سَمْوِيلَا (٤)

وهكذا تطور معنى الموازنة من الأصل المادي الى المعنوي ، فالربيع
بن زياد حين أراد أن يبين عظمة قبيلة سمويل كفة ميزان فلم يجد
وقوتها تجاه خصم وضعفها صورها لنا بصورة مادية فكانه وضع خماماً في
ما يقابلها الا ريشة من ريش سمويل ! إنها صورة متعلقة بالموازنة المادية
، والمعادلة بين اثنين متقابلين متماثلين .

وهناك معنى مادي اخر تطور عن معنى الموازنة الحسية إلا وهو
معنى الموازين المستعملة في الكيل والوزن ، وهي وان كانت نتيجة للتطور

(١) عن المخصوص ٢ : ١٦٣

(٢) انظر البيان والتبيين ١ : ١١١ - ١١٢

(٣) هو الربع بن زياد بن عبد الله بن سفيان بن ذاشب العبسي ، أحد
دهاء العرب وشجاعتهم ورؤسائهم في الجاهلية نادم النعمان بن المنذر ثم أفسد
لبيه بينهما ، انظر الخبر ٢٩٩ - ٣٠٠ ، الأغاني ١٤ : ٩٢

(٤) شرح القصائد السبع : ٥٠٩

الاقتصادي والمعيشي في المجتمعات ، فإننا نجد فيها صورة مادية قوية الصلة بالموازنة البدائية المطلقة عن التحديد ، وذلك حين يوضع شيئاً في كفتين متوازيتين أو في عدلين متقابلين . وقد عرف العرب الموازين ومعايرها خاصة في البيئة المكية التي زلت فيها الآيات الخمسة السابقة باعتبارها مركزاً دينياً يتجه سنتياً عدد كبير من العرب ، وبذلك يتبعون للمكيين سوقاً تجارياً للمبادلة والاستهلاك (١) . وقد عبر الباحثون على عدد من المقالات الموازين التي كانت مستعملة في اليمن وعدن وصنعاء (٢) وقد قالوا في اللغة وزنت الشيء وزناً ، والميزان معروف (٣) :

وفي القرآن الكريم آيات تأمر بايقاع الميزان والكيل ، وعدم الخسارة في الوزن (٤) : مما يؤكّد شيوخ استعمال الموازين ومعرفة العرب لها . وهكذا صورت الآيات القرآنية الكريمة العدل المطلق يوم القيمة ورسمته بصورة مادية تنتقل إلى الذهن العربي صوراً عديدة من بيته . صورة الموازنة والمعادلة بين الأشياء ، وصورة الميزان الدقيق الذي لا يبخس أحداً حقه ، فاعمال العباد يوازن بينها موازنة دقيقة فيحاسب الإنسان على أعماله إن خيراً أو شراً ، فإن كانت اعمال الخير أكثر من أعمال الشر ، كان جزاؤه الجنة والثواب ، وإن غلت شرُوره حسناته لقي العقاب في جهنم ، وصور هذا الحساب الدقيق بكفتي الميزان لأنها إذا عوّدت معاداة دقيقة لم تبخس الوزن شيئاً .

ب - المثقال والذرة ، قال الله تعالى في سورة يونس : (وما تكون

(١) محاضرات في تاريخ العرب لصالح العلي : ٩٤

(٢) التاريخ الجغرافي : ٥٠

(٣) الصحيح ٦ : ٢٢١٣ ، وانظر أيضاً الخصص ١٢ : ٢٦٣

(٤) سورة المطففين ٨٣ : ١ - ٣

في شيءٍ ، وما تناول منه من قرآنٍ ، ولا تعملون من عملٍ الا كنا
عليكم شهوداً ، اذ تفicionونَ فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرةٍ
في الأرضِ ، ولا في السماءِ ، ولا اصغرَ من ذلك ولا اكبرَ الا في
كتابٍ مبينٍ) (١) . وقال الله تعالى ايضاً : (يومئذ يصدُّ الناسُ
أشتاناً ليرَوْا اعمالهم فن يعمل مثقال ذرةٍ خيراً يرهُ ، وَمَنْ
يَعْمَلْ مثقال ذرةٍ شرَا يرهُ) (٢) :

فأعمال الإنسان مهما كانت ضئيلة يجدها أمامه يوم القيمة ، ويحاسب
عليها ان كانت خيراً او شراً ، وقد صورت هذه الدقة بمثقال الذرة .
والظاهر ان المثقال من معايير الاوزان الصغيرة وقد ذكر الجوهرى الله
(واحد مثاقيل الذهب) (٣) . ومن الصعوبة بمكان ان نحدد مقدار هذا
الوزن ، لانه اختلف باختلاف البيئات والازمان (٤) . والمهم في هذا انه
اطلق مثلاً في الصغر والضالة (٥) . ولا يهمنا كون المثقال من معايير
الاوzaan التي استعملها البيزنطيون في امبراطوريتهم كما ذهب بعض الباحثين (٦)
انما المهم في ذلك ان المثقال كان معروفاً في بلاد الشام ، وانتشر بين
العرب ، وخاصة في البيئة الملكية على اعتبارها مركزاً دينياً ، وممراً
للقواقل التجارية (٧) . مما يعطينا صورة لشروع استعمال المعايير عندهم

(١) سورة يونس ١٠ : ٦١

(٢) سورة الزمر ٩٩ : ٦ - ٨

(٣) الصدح ٤ : ١٦٤٧

(٤) انظر اغاثة الامة : ٤٩

(٥) الصدح ٤ : ١٦٤٧ ، وانظر ايضاً ديوان الشماخ : ١١٥

Encey . Of Islam . II . P . 1023 (٦)

(٧) انظر محاضرات في تاريخ العرب : ٩٤ وقد ذكر المثقال في الشعر مثلاً

في الموازنة ، انظر البيان والتبيين ٣ : ٣٧٤ ، مجالس ثعلب ١ : ٤٢٣

ثم فهمهم للآيات الكريمة التي ورد فيها ذكر الموازين والمعايير : وقد فسر المفسرون مثقال الذرة بأنه زنة ذرة ، واقتران المثقال بالذرة يعطينا صورة أوضح للدقة المقصود بيانها في الآيات الكريمة ، لأن الذرة هي النملة كما قال المفسرون (١) . وكذا قال اللغويون (٢) : وخصوصها باصغر النمل .

وهناك من فسر الذرة بـان (كل جزء من أجزاء الهباء في الكوة ذرة ، وفيه دليل على انه لو نقص من الاجر ادى شيء واصغره ، أو زاده في العقاب لكان ظلماً ، وانه لا يفعله لاستحقاته في الحكمة) كما قال الزمخشري (٣) . وكذا ورد المعنى في كتب اللغة (٤) :

واقتران المثقال بالذرة يعطينا صورة للدقة والعدالة التامة التي لا تترك للمرء حسنة قام بها في حياته الدنيا دون مجازاة ، ولا سيئة إلا ويحاسب عليها ، وقد قيل لعائشة رضي الله عنها وقد تصدقت بحبة عنب ، أنتصدقين بحبة عنب؟ قالت : ان فيها مثاقيل ذر (٥) . ويصور لنا هذا القول دلالة الكلمة الذرة في الذهن العربي ، وكيف ان حبة العنبر الصغيرة فيها مثاقيل عديدة من الذر . وفي حديث الجاحظ عند ذكر قوله تعالى (فَنَّ يَعْمَلُ مِثْقَالَ ذَرَةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَنْ يَعْمَلَ مِثْقَالَ

(١) تنوير المقاييس : ١٣٥ ، تفسير الخمسة آية : الورقة (٩٣) ، مجاز القرآن ١ : ٢٧٨ ، جامع البيان ١١ : ١٣٠ ، التبيان ٥ : ٤٦٠

(٢) مجالس ثعلب ٢ : ٤٧٥ ، جمهرة اللغة ١ : ٧٨ ، الصحاح ٢ : ٦٦٣ مقاييس اللغة ٤ : ٣٤٣ ، اساس البلاغة : ٢٩٦ ، لسان العرب ٥ : ٣٩١

(٣) الكشاف ١ : ٣٩٧

(٤) مقاييس اللغة ٢ : ٣٤٣ ، لسان العرب ٥ : ٣٩٠

(٥) الحيوان ٤ : ٣٢ ، ثمار القلوب ٣٤٩

ذرَّةٍ شَرَّأَ يَرَهُ) (١) . قال : (فَكَانَ ذَلِكَ دَلِيلًا عَلَى أَنَّهُ مِنَ الْغَيَايَاتِ فِي الصَّفَرِ ، وَالْقَلَةِ ، وَفِي خَفَفَةِ الْوَزْنِ وَقَلَةِ الرَّجْمَانِ) (٢) : وَقَالَ ثَعْلَبٌ أَنَّ مَائَةً مِنْهَا وَزْنٌ حَبَّةٌ مِنْ شَعْبَرٍ فَكَانَهَا جَزْءٌ مِنْ مَائَةِ (٣) :

وَمِنْ هَذَا نَبَيِّنُ لَنَا صُورَةَ الذَّرَّةِ ، وَإِنَّهَا اطْلَقَتْ عَلَى صَغَارِ الأَشْيَاءِ مِنَ النَّمْلِ وَالْتَّرَابِ الدَّقِيقِ النَّاعِمِ ، وَلَا يَوْجَدُ بَيْنَ أَيْدِينَا مِنْ مَصَادِرِ مَا يُشَيرُ إِلَيْهِ اسْتِعْمَالُ الْعَرَبِ ذَرَاتِ التَّرَابِ أَوِ النَّمْلِ اسْسَاسًاً مَادِيًّا لِلْمَوازِنَةِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ ، وَمَعَادِلَتِهَا ، إِلَّا أَنَّهُ يُمْكِنُ القُولُ بِأَنَّهُمْ رِبْعًا اسْتِعْمَلُوهَا فِي المَوازِنَةِ بَيْنَ الْأَشْيَاءِ الدَّقِيقَةِ جَدًّا ، لَا زَهْمٌ ضَرِبُوا مِثْقَالَ الذَّرَّةِ مُثْقَالًا فِي الْقَلَةِ وَالْخَفَفَةِ (٤) :

وَمَا يَدْلِنَا عَلَى أَنَّ مِثْقَالَ الذَّرَّةِ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ ضَرَبَ مُثْقَالًا لِلْدَّقَّةِ الْتَّامَةِ فِي حَسَابِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ هُوَ وَرُودُ آيَاتِ كَرِيمَةٍ أُخْرَى فِي غَيْرِ مَجَالِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ . ضَرَبَ فِيهَا مِثْقَالَ الذَّرَّةِ مُثْقَالًا لِلْدَّقَّةِ وَالضَّالَّةِ ، فَالْآلَهَةُ الَّتِي يَدْعُونَهَا الْمُشْرِكُونَ لَا تَمْلِكُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ (٥) ، وَهَذِهِ الدَّقَّةُ نَفْسُهَا صُورَتْ بِتَعْبِيرٍ آخِرٍ اقْتَرَنَ بِالْمِثْقَالِ إِيْضًا . قَالَ اللَّهُ سَبَّحَنَاهُ وَتَعَالَى : (وَنَسْعَى الْمَوَازِينَ الْقَسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ . فَلَا تُنْظَلِمُ نَفْسٌ شَيْئًا ، وَإِنْ كَانَ مِثْقَالًا حَبَّةً مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا وَكَفِيَ بِنَا حَاسِبِينَ) (٦) . فَلَمْ تَكْتُفِ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ بِذِكْرِ الْمَوَازِينِ الْعَادِلَةِ

(١) سورة الزمر ٩٩ : ٨

(٢) الحيوان ٤ : ٣٨

(٣) نُّعَارُ الْفَلَوْبِ : ٣٤٩

(٤) ن . م

(٥) سورة سبأ ٣٤ : ٣٤

(٦) سورة الأنبياء ٢١ : ٤٧

التي توزن بها أعمال العباد ، إنما ضربت حبة الخردل مثلاً لدقة القضاء وعدها : وحبة الخردل معروفة كما يقول الجوهري (١) . ومن كلمة الخردل جاء استعمال مادي آخر وهو قولهم **خَرْدَلْتُ اللَّحْمَ** اذا قطعوه (٢) . وقال ابن فارس مفسراً العلاقة بين التعبيرين (**خَرْدَلْتُ اللَّحْمَ** : قطعته وفرقته) ، والذي عندي في هذا انه مشبه بالحب الذي يسمى الخردل) (٣) :

ومن الواضح ان هذا التطور الجديد لمعنى الكلمة جاءها نتيجة لصغر حبة الخردل ومن هنا ضربت مثلاً في الصغر والضآلة كما هو الحال مع الذرة (٤) :

ومع ان المصادر العربية لا تشير الى استعمال حبة الخردل في الوزن - كما هو الحال مع الذرة - فن المختتم ان يكون الغرب قد استعملوها عياراً صغيراً للموازنة بين الاشياء الدقيقة ، وضربت الآيات الكريمة حبة الخردل مثلاً لدقة الحساب والموازنة بين اعمال البشر .

ومن هنا تتضح لنا الصورة المتعددة الجوانب التي تعكسها لنا الآيات الكريمة في تصوير الحساب الدقيق ليوم القيمة ، وذلك انه حساب عادل لا يقبل للكافرين وساطة احد ، ولا تقبل منهم فدية ، ولا عدل ، لأن

(١) الصداح ٤ : ١٦٨٤

(٢) جمهرة اللغة ٣ : ٣٣٠ ، وانظر ايضاً الصداح ٤ : ١٦٨٤ ، لسان العرب ١٣ : ٢١٥

(٣) مقاييس اللغة ٢ : ٢٤٩ ، وانظر ايضاً :

Arabic English Lexicon . Book 1 . Part 2 . P . 721

(٤) الوحشيات : ٢١٦ ، الحماسة البصرية الورقة ٢٦٨ (أ) الأشياء

والنظائر : ٣٦

كل انسان محاسب على ما قدم وأخرَ في حياته ، ويزاوزن بين أعماله موازنة دقيقة عادلة ، يضاف الى ذلك جواز الانسان كشهود (١) عدل تشهد على ما اقترفه في الحياة الدنيا ، فلا تظلم نفس شيئاً ، ولا يضيع عمل احد أبداً .

٣ - نتيجة القضاء :

بعد ان توازن اعمال الناس ، وتتقاس حسناتهم وسيئاتهم تظهر نتيجة القضاء العادل ، ومعرفة الانسان لقضاء الله فيه صور بتعبير قرآنی رائع له دلالته على البيئة العربية ، والتفكير العربي ، الى جانب تعبيره عن الغرض الأصلي المراد منه بيان العدالة المطلقة لحساب يوم القيمة .

المؤمن يستلم نتيجة القضاء بكتاب يأخذه بيده اليمنى ، أما الكافر فإنه يستلم كتابه بيده اليسرى قال الله تعالى : (يومَ نَدْعُو كُلَّ أَنْسَى بِإِيمَانِهِمْ ، فَنَأْتِيَ كُتُبَاهُ بِيمِينِهِ ، فَأَوْلَئِكَ يَقْرَأُونَ كُتُبَهُمْ ، وَلَا يُظْلَمُونَ فَتَبِلا) (٢) . وعند استلام الانسان كتابه بيمينه تأخذه الفرحة فلا يستطيع كتمانها فینادي الناس حوله ان تعالوا شاركوني فرحتي واقرأوا نتيجة قضاء ربى اما الكافر فلا حاجة له بقراءة كتابه لأن نتيجته معروفة ما دام قد استلمها بيده اليسرى . وفي سورة الحاقة نقرأ مشاهد عديدة ليوم القيمة حيث يحاسب الناس بعد النفيء فن استلم كتابه بيمينه يجد النعيم والثواب ، ومن استلمه بشماله يجد العقاب والعقاب : (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةً وَاحِدَةً ، وَحُمِّلَتِ الْأَرْضُ وَالْجَهَنَّمُ فُدِّكَتَا دَكَّةً وَاحِدَةً ، فَيُوْمَئِذٍ وَقَعَتِ الْوَاقِعَةُ ، وَانْشَقَتِ السَّمَاءُ

(١) انظر سورة فصلات ٤١: ٢٢

(٢) سورة الاصماء ١٧: ٧١

فهي يومئذ واهية ، والملك على ارجائهما ويحمل عرش ربك فوقهم يومئذ ثانية يومئذ تُعرَضون لا تخفي منكم خافية ، فاما من اوت كتابة بيمنيه فيقول : هؤم اقرأوا كتابيه ، اني ظننت اني ملاقي حسابيه فهو في عشة راضيه ، في جنة عاليه واما من اوت كتابه بشاليه فيقول ياليتي لم اوت كتابيه ولم ادر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ... خذوه فغلوة ، ثم الجحيم صلوه ، ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه) (١) .

وبهذا التغير نفسه اطلق اسم اهل اليمين على المؤمنين الذين فازوا برضي الله وثوابه . اما الكافرون فقد اطلق عليهم اهل الشمال قال الله تعالى : (واصحاب اليمين ، ما اصحاب اليمين ؟ في سدر مخصوص ، وطلع مخصوص ، وظل ممدوه واصحاب الشمال ، ما اصحاب الشمال ؟ في سموم وحيم ، وظل من يحوم ، لا بارد ولا كريم) (٢) . وقد علل بعض المفسرين سبب تسمية المؤمنين باصحاب اليمين ، وتسمية الكافرين باصحاب الشمال فقال بعضهم لان الطائفة الاولى تستلم كتابها بيمنها ، والثانية بشمايلها (٣) او انهم يؤخذ بهم ذات اليمين الى الجنة ، والذين يؤخذ بهم ذات الشمال الى النار (٤) . او يعني به اصحاب اليمين والبركة والثواب من الله تعالى واصحاب المشامة معناه الشر والنكد وعقاب الابد (٥) .

(١) سورة الحاقة ٦٩: ١٣ - ٣٢ .

(٢) سورة الواقعة ٥٦: ٤٤ - ٢٧ ، وانظر ايضا سورة المدثر ٧٤: ٣٩ .

(٣) تنوير المقاييس : ٣٣٨ ، تفسير التسيري : ٩٧ .

(٤) جامع البيان ٢٧: ١٧٠ ، التبيان ٩: ٤٨٩ .

(٥) التبيان ٩: ٤٨٩ .

وللماء ان يتسائل : لماذا اصبحت اليمين دليل الخير ، والسعادة ، والشمال دليل الشر والعقاب المتضرر ؟ حتى اذا تسلم الانسان كتابه عرف نتيجة قضاء الله فيه من اليد التي يستلم بها كتابه .

لقد ذكر الزمخشري توجيهها اديباً لهذه التسمية فقال مضيفاً الى ما سبق ذكره من تعليل تسمية اهل اليمين واهل الشمال بقوله : (واصحاب المشامة الذين يؤمنونها بشمائهم او اصحاب المنزلة السنية ، واصحاب المنزلة الدنية ، من قوله : فلان مني باليمن ، وفلان مني بالشمال ، اذا وصفتها بالرفة والضفة ، وذلك لتمثيلهم بالمليامين ، وتشاؤمهم بالشمائل ، ولتفاؤلهم بالسانخ وتطيرهم من البارح ، ولذلك اشتقاوا اليمن من اليمين ، وسموا الشمال الشومي : وقيل اصحاب الميمنة ، واصحاب المشامة ، اصحاب اليمن والشوم ، لأن السعداء مبادئهم على انفسهم بطاعتكم والاشقياء مشائئم عليهم بمعصيتهم) (١) ومن هذا التعليل الاخير الذي يرى ان اهل اليمين سموا بذلك ، لانهم مبادئ على انفسهم ، وبالعكس اهل الشمال ، من هذا التعليل نعود الى الفكرة الاولى في اطلاق اليمين على الخير ، والشمال على الشوم ، ذلك اننا اذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا فيها صدى الآيات الكريمة واضحاً في تفكير العربي ومثله . فالتشاؤم والتفاؤل لعبا دوراً مهماً في تفكير العربي ، وتوجيهه تصرفاته ، واعماله ، ولنبدأ باليمن والشمال لانها موطن بحثنا .

وأول ما يتबادر الى الذهن هو فكرة الزجر (٢) ، ذلك انهم كانوا

(١) الكشاف ٣ : ١٩٣ ، وانظر ايضاً تفسير التستري : ١٢١ .

(٢) انظر حول فكرة الزجر الحيوان ٣ : ٤٣٨ فما بعدها ، الزينة : الورقة

٢٥٢ (أ) ، زهر الاداب ٢ : ٤٩٠ فما بعدها ، وقد ذكر ابن النديم الكتب المؤلفة في الفؤال والزجر وما اشبه ذلك . انظر الفهرس ٤٥ ، وانظر ايضاً تاريخ العرب لجواب علي ٥ : ٣٢٨ .

يصيرون على الطائر او الظبي اذا مر بهم ، فان انحرف الى جهة اليمين
تفاءلوا به وهو السانح ، وان انحرف الى جهة اليسار تشاءموا منه وهو
البارح (١) ، وقد ذكر بعضهم (٢) اختلاف القبائل العربية في التفاؤل ،
والتشاؤم من البارح ، والسانح ، وليس لهذا الاختلاف اهمية كبيرة فيما نحن
بصدده ، فالقرآن الكريم نزل بلغة قريش ، وتعابيرها ، واكثر ما وردنا
من الشعر يمثل لنا الوجهة الاولى في التفكير العربي : وهي التفاؤل من

السانح ، والتشاؤم من البارح . قال زهير بن ابي سلمى :

فَلَا أَنْ تَحْمِلَ أَهْلُ لَبِيلٍ جَرَّاتٌ بَيْنِي وَبَيْنَهُمُ الظِّباءُ
جَرَّاتٌ سُنْحًا فَقُلْتُ لَهَا أَجِزِي نَوْيٌ مَسْتَحْمَلَةٌ فَتَى اللَّقَاءِ (٣)

وهناك تعليل لطيف اشار اليه المبرد لفكرة التفاؤل من الطائر إذا مر
إلى جهة اليمين ، والتشاؤم منه إذا مر إلى جهة اليسار قال : (والعرب
تزجر على السانح وتترى به ، وتكره البارح ، وتشاءم به . (والسانح ما
أراك ميسره فأمكن صائفه ، والبارح ما أراك ميامنه فلم يمسك الصائف إلا أن
ينحرف له) (٤) . وذكر ابن الأثير هذا التعليل مفصلا فيه : (والسانح
ما مر من الطير والوحش بين يديك من جهة يسارك الى يمينك والعرب تبتعد عنه
لأنه أمكن للرمي ، والصيد . والبارح ما مر من يمينك الى يسارك والعرب

(١) جهرة اللغة ١ : ٢١٦ ، الصحاح ٢ : ٦٦٨ ، مقاييس اللغة ١ : ٢٣٩ ،
اساس البلاغة : ٣٩٤ .

(٢) جهرة اللغة ١ : ٢١٦ ، المعاني الكبير ١ : ٢٧٣ ، وانظر ايضا :

Ency . Of Religion : Vol . 4 . P . 816 .

(٣) شرح ديوان زهير : ٥٩ ، وانظر أيضاً شرح ديوان لبيد : ١٤٤
ديوان عنترة : ٤١ ، ديوان جران العود : ٣ ، ٥٣ ، ديوان الحمامة : ١٧٩ .

(٤) الكامل للمبرد ١ : ٢٧٦ .

تتطير به ، لأنه لا يكذلك أن ترميه حتى تنحرف) (١) .

ويتبين لنا من هذا التعليل اللطيف مدى تأثير البيئة على تفكير الإنسان وسلوكه سبل الحياة . فالبيئة العربية شحذحة بالمواد الغذائية ، مفتقرة إلى ما يقوم حياة البدوي فهمه أن يجوب الفيافي يتابع ظياء ، أو يخاطل طائرًا ليحصل على رزق يومه فإذا تمكّن من صيده فتلك فرحته وغنىته يرجع إلى أهله مسروراً ، وإن لم يتمكن من صيده رجع خائباً ومن هنا جاءت فكرة تفاؤله ، وتشاؤمه ، لأن مرور الطائر إلى يمين الصائد معناه التمكّن من صيده ، وبعكسها ان ابتعد إلى جهة اليسار ، فإنه بذلك يتبع عن سلاح الصيد الذي يُحمل عادة باليد اليمنى ، فيفلت الطائر من صياده .

هذه هي الفكرة الأساسية للفتاول من السانح ، والتشاؤم من البارح أو بالأحرى فكرة اليمين والشمال . وقد ظلت هذه الفكرة عالقة في ذهن العربي حتى في الحالات التي لا يروم فيها الصيد ، وأصبح يستدل من حركات الحيوانات على ما يستقبله من خير أو شر ، كما كانت حالة من قبل مع صيده إذا مر إلى اليمين ، أو الشimal (٢) .

ويتبين مما مرّ بنا أن يدي الإنسان هما الأساس الأصليان في ظهور فكرة التفاؤل ، والتشاؤم . وكون اليد اليمنى هي القوية التي تعين الإنسان على صيده هو الذي أوحى لهم بالتفاؤل من الطائر ، أو الطي لذا مر

(١) النهاية في غريب الحديث ١ ، ٨٥ .

(٢) انظر شرح ديوان كعب بن زهير : ٢٤٠ ، شرح أشعار المحدثين ١ : ٤٢ . المعاني الكبير ١ : ٥٦١ . جمهرة أشعار العرب : ٤٣ . وانظر أيضًا الخصوص ٦ : ١٩٥ ،

سانحاً ، ومن هنا أيضاً جاء اطلاقهم اسم الشؤمى على اليد اليسرى (١) . وقد ورد ذكر اليمين في القرآن الكريم دالة على القوة ، وذلك في قصة النبي موسى (ع) (فتولوا عنه مُلْبِرِينَ ، فراغَ إِلَى آهَنَتِهِمْ) . فقال : ألا تأكلون ؟ مَا لَكُمْ لَا تُنْطَقُونَ فراغَ عَلَيْهِمْ ضرباً بِالْيَمِينِ (٢) فقد اقترب الضرب في الآية الأخيرة باليمن ، لأن فيها القوة وشدة البطش فأخبرنا في الآية عن شدة ضربه لها ، وإنما ذكر اليمين لأن قوة كل شيء في ميامنه (٣) . وقال تعالى أيضاً : « وَلَوْ تَقُولَّ عَلَيْنَا بَعْضَ الْأَقَاوِيلِ ، لَأَخْذَنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ الْوَتِينَ » (٤) .

ومن ثم اقتربت دلالة اليمين في الذهن العربي على الخير ، والبركة ، لأنها مركز القوة ، والسيطرة اللتان تشكلان عmad حياة العربي في بيته المتخصصة ، المتداخنة ، فإذا أرادوا بيان مكانة الرجل عندهم قالوا : انه منزلة اليمين ، وبعكسها إذا أرادوا تحقيقره قالوا هو منزلة الشمال ، قال ابن الدمينة (٥) :

(١) المخصص ٢ : ٣ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٩٠ - ٩٣ .

(٣) مجالس ثعلب ٢ : ٤٦٩ . وانظر أيضاً اسرار البلاغة : ٤٠٢ ،
المخصوص ٣ : ٢٤٩ ، تلخيص البيان : ٢٨٧ ، الكشاف ٣ : ٣٩ .
متباينات القرآن ١ : ٨٠ . وانظر الشعر في ديوان الشماخ : ٩٧ .

(٤) سورة الحاقة ٦٩ : ٤٤ - ٤٦ .

(٥) هو عبد الله بن عبد الله بن أحمد من خشعم ، والدمينة أمه ، شاعر بدوي كان رقيق الشعر ، وهو من شعراء العصر الأموي ، اغتاله مصعب بن عمر السلوبي ، وهو عائد من الحجّ نحو سنة ١٣٠ هـ . انظر معجم الشعراء : ٤٠٢ والأغاني ١٥ : ١٤٤ .

أَيْنِي أَيْ نُمْنِي أَيْدِيكِ جَعَلْتِنِي فَأَفْرَحْ أَمْ صَسَرْتِنِي فِي شَمَالِكِ (١)

أَيْ هَلْ أَنَا مِنَ الْمُقْدَمِينَ عَنْكَ أَمْ مِنَ الْمُؤْخَرِينَ ؟

وَمِنْ مَجْمُوعِ هَذِهِ الدَّلَالَاتِ اشْتَقُوا مِنَ الْيَمِينِ الْيُمْنَ لِلدلَالَةِ عَلَى الْبَرَكَةِ
وَالْخَيْرِ ، فَإِذَا امْتَدُحُوا شَخْصاً قَالُوا عَنْهُ أَنَّهُ مِيمُونَ (٢) وَمِنْ هَنَا نَرَى
أَنَّ التَّعْبِيرَ الْقَرَآنِيَّ الْمُعْجَزَ يَعْطِي مِنَ الصُّورِ وَالْإِيحَاءِتِ مَا تَعْجَزُ عَنِ التَّعْبِيرِ
عَنْهُ صَفَحَاتٍ طَوِيلَةٍ .

(فَأَمَّا مِنْ أَوْقِيَ كَتَابَهُ بِيَمِينِهِ فَيَقُولُ : هَاؤُمْ أَقْرَأُوا كَتَابِهِ ، أَنِي
ظَنَنْتُ إِنِّي مُلَاقٌ حِسَابِهِ ، فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَّةٍ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ ...
وَأَمَّا مِنْ أَوْقِيَ كَتَابَهُ بِشَمَالِهِ ، فَيَقُولُ : يَا لَيْسَنِي لَمْ أَوْتَ كَتَابِهِ ، وَلَمْ
أُدْرِي مَا حِسَابِهِ ، يَا لَيْتَهَا كَانَتْ الْقَاضِيَّةَ ... خُذُوهُ فَغَلُوهُ ، ثُمَّ الْجُحِيمُ
صَلَّوْهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسِلَةٍ ذَرَعُهَا سَبْعُونَ ذِرَاعاً فَاسْلُكُوهُ) (٤) . فَالآيَاتُ
الْكَرِيمَةُ لَمْ تَفْصِّلْ فِي كَيْفِيَّةِ مَعْرِفَةِ النَّاسِ نَتْيَاجَةِ قَضَاءِ اللَّهِ فِيهِمْ ، وَإِنَّمَا
عَرَضَتْ فِي تَعْبِيرِ جَامِعٍ لِكُلِّ الصُّورِ وَالْإِيحَاءِتِ الَّتِي يَتَصَوَّرُهَا الْذَّهَنُ الْعَرَبِيُّ
لِلْيُمْنِ ، وَالْبَرَكَةِ وَالشَّوْمِ ، وَالشَّرِّ . فَإِذَا أَرَدْنَا الْمَعْنَى الْعَامَ الْمَقْصُودَ مِنَ
الآيَاتِ الْكَرِيمَةِ فَهُمْ نَعْلَمُ أَنَّهُ سَبْحَانَهُ وَتَعَالَى بَعْدَ أَنْ يَقْضِي بَيْنَ النَّاسِ قَضَاءَ
عَادِلاً يَنْقُسمُ النَّاسُ إِلَى قَسْمَيْنِ نَتْيَاجَةِ أَعْمَالِهِمْ فَإِذَا كَانَتْ حَسَنَةٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ
وَأَثَابَهُمْ وَإِنْ كَانَتْ سَيِّئَاتِهِمْ كَثِيرَةٌ يَشْوِسُوا ، مَا يَنْتَظِرُهُمْ مِنَ الْعِقَابِ ، وَالْعَذَابِ .
هَذَا الْمَعْنَى نَجُدُهُ فِي الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مُحَلِّي بِاطَّارَ مِنَ الصُّورِ ، وَالْإِيحَاءِتِ

(١) دِيوَانُ أَبْنِ الدَّمِيَنَةِ : ١٧ .

(٢) وَقَدْ وَرَدَتْ هَذِهِ الْفَكْرَةُ فِي بَعْضِ الْأَسَاطِيرِ الْعَرَبِيَّةِ اَنْظُرْ تَارِيخَ

الْعَرَبِ لِلأَصْمَعِيِّ : ١٤ ،

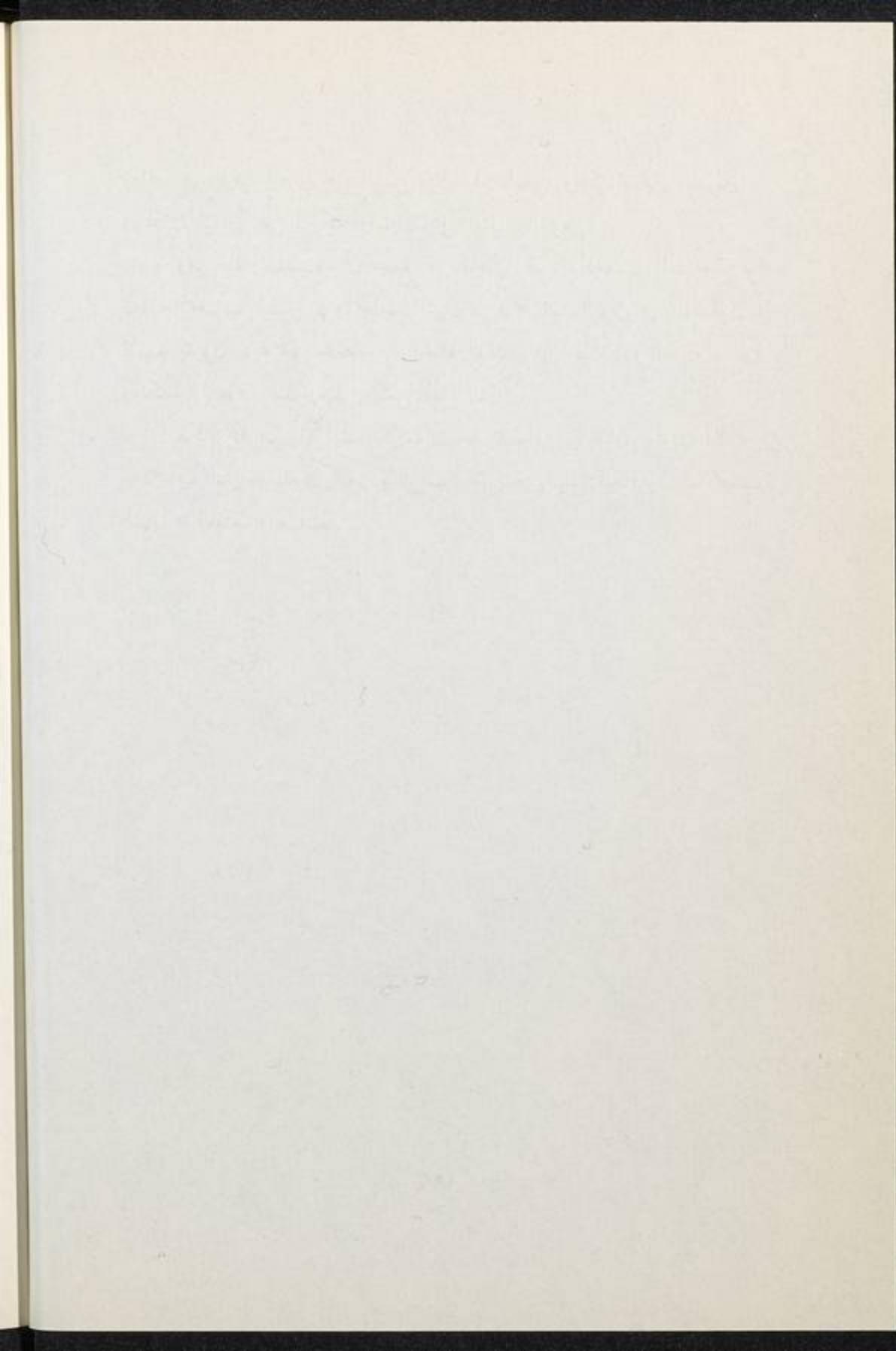
(٣) بِمَهْرَةِ الْلُّغَةِ ٣ ، ١٨١ ، لِسَانِ الْعَرَبِ ١٧ : ٣٥ .

(٤) سُورَةُ الْحَافَةِ ٦٩ : ١٩ - ٢٢ - ٣٢ .

العلاقة في الدهن العربي في التيمن من اليد اليمنى والتشاؤم من اليسرى ،
وطلاق اليمن على البركة والشمال على الشر والشؤم .

ومن هنا نستطيع أن نجمع كل المعاني التي ذكرها المفسرون في
تسمية أصحاب اليمن ، وأصحاب الشمال . فأصحاب اليمن هم المفضلون ،
لأنهم يثابون لأعمالهم الحسنة في الحياة الدنيا وهم أيضاً ذوي المنزلة الحسنة
والمكانة المرموقة عند ربهم بعكس أهل الشمال .

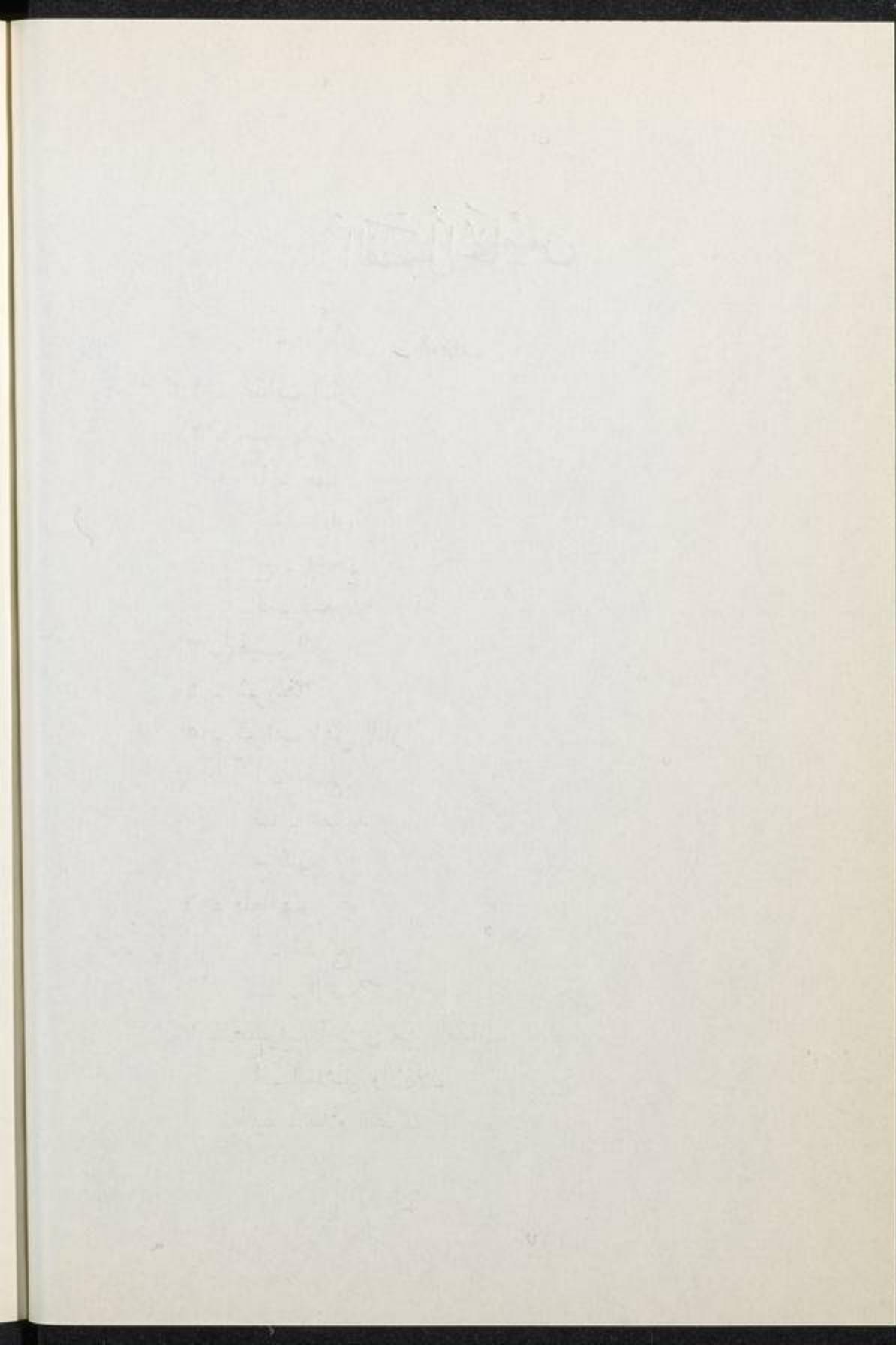
هكذا تعرض الآيات الكريمة نتيجة القضاء بين الناس ، وإن المؤمنين
— أصحاب اليمن — يلقون النعيم والثواب ، على حين يلقى الكافرون — أصحاب
الشمال — العقاب والعذاب .



الفَصْلُ الْخَامِسُ

العقاب

- ١ - عذاب النار
 - أ - جهنم
 - ب - الهاوية
 - ج - الجحيم
 - د - السعير
- ٢ - تسمياتها
 - أ - هبيب النار
 - ب - شررها
- ٣ - شراب اهل النار
 - أ - الحميم
 - ب - الصديد
- ٤ - طعامهم
 - ج - المهل
 - أ - الفريغ
 - ب - الزقوم
- ٥ - صنوف اخرى من العذاب
 - أ - السلسل والاغلال
 - ب - طلاء القطران



عذاب النار :

بعد ان يحاسب الناس حساباً دقيقاً ، ويقضى بينهم ينقسمون الى فريقين : فريق المجرمين حيث العقاب والنار ، وفريق المؤمنين حيث الجنة والثواب . وفي المقابلة بين الصورتين يتجلّى الاعجاز القرآني في تصوير البوons الشائع بين عقاب المجرمين ، ونعم المؤمنين ، وكلتا الصورتين تشير في النفس احساساً وصورة شتى تراءى فيها ملامح البيئة العربية واضحة كل الوضوح ، كما نجد فيها صوراً انسانية زاخرة بالحياة . يقرأها المرء فيفزع من صور العذاب ، ثم يعود ليطمئن ، ويرتاح عند قراءته لآيات النعيم : قال الخطابي ذاكراً بلاغة القرآن وتأثيره السحري في النفوس (فانك لا تسمع كلاماً غير القرآن منظوماً ، ولا منتبراً ، اذا قرع السمع خلص الى القلب في اللذة ، والحلوة في حال ، ومن الروعة ، والمهابة في اخرى ما يخلص منه اليه ، تستبشر له النفرس ، وتنشرح له الصدور ، حتى اذا اخذت حظها منه ، عادت مرتاحه ، قد عرها الوجيب ، والقلق وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلد ، وتذرع له القلوب ...) (١) . قال الله تعالى : (فاما من اوتى كتابه بيسمينه فيقول هاؤم اقرؤا كتابيه اني ظنتُ اني ملاق حسابيه ، فهو في عيشة راضية ، في جنة عاليه ، قطوفها دانية) كلاوا واشربوا هنثيا بما أسلفتم في الأيام الخالية واما من اوتى كتابه بشحاله فيقول : يا لستني لم اوت كتابيه ، ولم ادر ما حسابيه ، ياليتها كانت القاضية ، ما أغنى عن ماليه ، هلك عني سلطانيه ، خذنوه فغلووه ثم الجحيم صلووه ثم في سلسله ذر عها سبعون

(١) رسالة في بيان اعجاز القرآن ٦٤ .

ذراعاً فاسلكوهُ ، إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ ...) (١) . انه الاعجاز القرآني الرائع الذي ينقل النفس في لحظات متعددة من المدح والشامل ، والنعيم الرائع ، تنساب فيه ، وتأمله باعجاب ، الى الخوف والرعب والعذاب الموجع ترتعش منه ، وتتصدع خوفاً وهلاعاً قصور النار ، وعذابها الرهيب قد اذهلت المسلمين من عرب واعاجم ، كما اذهلت غير المسلمين ، فراحوا يبحثون عن تعليل يعللون به الرهبة العظيمة التي تثيرها التعبيرات القرآنية في وصف نار جهنم ولظاتها :

لقد علل المتكلمون ترهيب زرادشت لاصحابه ، وتوعده لهم بعقاب الثلج دون النار بان زرادشت كان من اهل بلخ ، وهي منطقة لم يعرف سكانها (الا الاذى بالبرد ولا يضر بون المثل الا) به ، حتى يقول الرجل لعبدة : لئن عدت الى هذا لا زعن عنك ثيابك ، ولا قيتك في الريح ، ولا وقفتك في الثلوج ، فلما رأى موقع البرد منهم هذا الموقع ، جعل الوعيد يتضاعفه ، وظن ان ذلك ازجر لهم عما يكره) (٢) .

وهذا التعليل صادر عن فكر عميق عارف باثر البيئة ، واهميتها ، بالنسبة لتفكير السكان ، وطبعي ان يناقش المحسوس وغيرهم عذاب نار الآخرة في القرآن الكريم من هذه الوجهة ايضاً ، فقال بعضهم : (فعل ايا صاحبكم اما توعد اصحابه ، لان بلادهم ليست ببلاد ثلج ، ولا دمق وانما هي ناحية الحرر ، والوهج ، والسحوم ، لان ذلك المكره ازجر لهم) (٣) . وقد رد الجاحظ على هذا الادعاء بان العرب لم يعرفوا السحوم

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ١٩ - ٣٤ .

(٢) الحيوان ٥ : ٦٧ .

(٣) ن . م ٥ : ٦٩ والدمق : الثلج مع الريح يغشى الانسان من كل اوب حتى يكاد يقتل من يصبه .

والوهج القاتل فحسب ، إنما عرّفوا التطرف المناخي في بيئتهم من حر ، وبرد . قال : (فقلت له : ان أكثر بلاد العرب موصوفة بشدة الحر في الصيف ، وشدة البرد في الشتاء ، لأنها بلاد صخور ، وجبال . والصخر يقبل الحر والبرد ، ولذلك سمت الفرس بالفارسية العرب والأعراب « كهيان » والكله بالفارسية هو الجبل ، فتى احبيت ان تعرف مقدار برد بلادهم في الشتاء ، وحرها في الصيف ، فانظر في اشعارهم ، وكيف قسموا ذلك ، وكيف وصفوه ، لتعرف ان الحالين سواء عندهم في الشدة) (١)

ورد الجاحظ هنا مفهوم للزرادشتية ، ومن يذهب مذهبهم ، لأن النار التي يصفها الله سبحانه وتعالى في قرآن الكريم لم يصفها عقابا للعرب فحسب وإنما هي عقاب وترهيب للبشرية جموع ، يرهب منها الناس الذين عانوا لظى الحر الشديد ، كما يرهب منها من لم يعان الحر ، لأنه عرفها من الوجهة الثانية حين أخذ النار وسيلة للتدافئة وقت البرد .

ونجد مصداق قول الجاحظ في تأمل مناخ البيئة العربية المتطرف ، ذلك لأن العرب عرّفوا التطرف المناخي في بيئتهم ، وساعدتهم هذه المعرفة على تصور الصور الرهيبة لعذاب الآخرة لأنهم عانوا بعض جوانبها أيام الحر والسموم ، كما ساعدتهم أيام البرد الشديد على معرفة النعيم الرائع الذي وعد به المتقون في جنة معتدلة الهواء ، وارفة الظلال :

فقد وصفت معظم اقاليم الجزيرة العربية بشدة الحر ، والسموم المؤذية (٢) . وفي الاحاديث النبوية الشريفة ما يعكس شدة الحر التي كان المسلمون يعانونها في بعض المواسم حتى امر الرسول (ص) بتأخير

(١) الحيوان ٥: ٦٧

(٢) احسن التقاسيم : ٩٥ ، آثار البلاد : ٨٦ .

صلوة الظهر الى ان تمر الماجرة لانها كما يقول : (شدة الحر من فيح جهنم) (١) .

اما شدة الحر في مكة فيعكسه حديث نبوي اخر وهو قوله (ص) (من صبر على حر مكة تباعدت منه جهنم مائة عام ، وتقررت منه الجنة مائتي عام) (٢) ، وعدم تحديد النبي (ص) ملدة الصبر يزيد في تصوير شدة الحر وظاهه في مكة .

وكذلك صفة المدينة وحرها التي يكون فيها النبي (ص) شفيعاً لمن يصبر على لأواهها (٣) .

اما في الشعر العربي فاننا نجد فيه صور الحر يعرضها الشعرا بدقة وتفصيل لا نجدها في المعاجم الجغرافية . فقد وصفوا سيرهم وقت الماجرة ، وكيف ان شدة الحر تجاوز أذاهم الى اذى حيواناتهم . فالناقة يصيّها المزال (٤) . وتحتقر الظباء والثيران كُنُسًا تتنقى فيها لفح الماجرة (٥) وفصلوا في وصف صورة الحيوانات حين تهزى من اذى الرمضاء كالضباب (٦)

(١) الموطأ ١: ١٦ ، سنن أبي داود ١: ٩٦ ، الجامع الصحيح ١: ٢٩٥

(٢) مختصر البلدان ١٧ ، معجم البلدان ٤: ٦١٩ .

(٣) مسنن الإمام أحمد ١١٣: ٢ ، ١١٩ ، ٢٨٨ ، ٣٤٣ ، ٣٩٧ ، وانظر ايضاً اثار البلاد: ١٠٨ ، وفاء الوفا ١: ٤ فما بعدها .

(٤) انظر ديوان الشماخ: ١٣ .

(٥) ديوان طرفة: ٣٨ ، ديوان سعيم: ١٥ ، ديوان الشماخ: ١٢ ، المفضليات ١٣٣ ، شرح القصائد: ١٦٢ .

(٦) انظر ديوان الحيوان ٦ ، ١٣٦ .

والجناذب (١) ، والحرباء (٢) ، بل نرى بعضهم يبالغ في وصف هيب الحر فيقول عنه انه يكاد يشوى اللحم (٣) او ان ملابسهم تكاد تشتعل لشدة لفح المهاجرة (٤) .

ووصفو ا أيام الحر باوصاف كثيرة واسماء عديدة (٥) . على ان شدة الحر هذه لا تؤيد قول من اعرض بان عذاب الآخرة كان بواسطة النار لأن العرب اهل سهوم ، وحر شديد ، ذلك لأنهم مع معاناتهم الحر الشديد ، فقد عانوا البرد القارص في بيتهم ايضاً (٦) ، وذكروه في اشعارهم - وان لم يصلح مبلغ الحر في اذاه وشده - وقد فسر بعض المفسرين الغساق الذي يسقاهم اهل النار (٧) ، بأنه السائل الذي لا يستطيعون ذوقه لشدة برده (٨) مما يدلنا على انهم عرفوا اذى البرد كما عرفاوا اذى الحر ، وانهم فهموا ان البرد يمكن ان يكون وسيلة من وسائل التعذيب . ومعرفتهم للحر والبرد هو الذي ساعدهم على تصور عذاب القيمة ، وتخيل نعيم الجنة ،

(١) انظر ديوان كعب بن زهير: ١٦ ، المفضليات: ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، الملاهي واسماؤها الورقة ٣٢ .

(٢) انظر ديوان امرىء القيس: ٣٠٤ ، ديوان كعب بن زهير: ١٤ ، ٢٥٢ ، ٤٧ ، ديوان شعر ذى الرمة: ٤٧ ، ارجيز العرب: ١٠ ، الحيوان: ٦ : ٣٦٦ .

(٣) المفضليات: ١٩٩ شرح ديوان الحماسة: ٤ : ١٨٠٣ .

(٤) ديوان القطامي: ٢٦ ، ٢٧ ، ارجيز العرب: ١٢١ .

(٥) العين: ١٥ ، الاذمنة لقطرب: ٤٠ .

(٦) انظر الفصل السادس: الثواب بالجنة - ٢ - اعتدال جوها .

(٧) سورة ص: ٣٨ ، ٥٧ ، النبأ: ٧٨ : ٢٥ .

(٨) جامع البيان: ٣٠ - ١٣ ، الكشاف: ١٨٤٣ .

وما مر بنا تتبين لنا شدة الحرارة التي كان العرب يعانونها في بيئتهم
 وإنما جاوزت أذاهم إلى أذى حيواناتهم، ودوابهم ومن هنا نستطيع ان نتصور اي
 إيماء رهيب ترسمه الآيات الكريمة في وصف هول النار ، وعذاب طبيتها
 قال الله تعالى واصفا لظى النار الحرق : (يُبصرونَهُمْ يَوْمَ الْمُجْرُمُ لَوْ
 يَفْتَدِي مِنْ عَذَابٍ يَوْمَئِذٍ بَيْنَهُمْ ، وَصَاحِبَتِهِ أَخْيَهُ ، وَفَصِيلَتِهِ الَّتِي
 تُؤْوِيهِ ، وَمَنْ فِي الْأَرْضِ جَيْعًا ثُمَّ يُنْجِيْهِ ، كَلَّا إِنَّهَا لَظَى ، تَزَاعَة
 لِلشَّوَّى ، تَدْعُو مِنْ أَدْبَرٍ وَتَوَّلِي) (١) . إنها صورة تعيد إلى الذاكرة
 أذى الحر ولفع المساجرة حتى إذا تجسست هذه الصورة جاءت الآيات
 القرآنية الكريمة لتزيد إيماء الرهبة ، والاملع بان حر النار وعقابها لا يقارن
 بصورة من صور الحياة الدنيا ، ولا تدركه عقول البشر منها تخيلته ،
 (سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرَ ، لَا تُبْتَقِي ، وَلَا تَذَرُّ كَلَوَّاهَةَ
 لِلْبَشَّرِ) (٢) . وقال تعالى أيضا : (كَلَّا لَيَنْبَذِنَ فِي الْمُحَاطَةِ ، وَمَا
 أَدْرَاكَ مَا الْمُحَاطَةُ ، نَارُ اللَّهِ الْمَوْقَدُ ، الَّتِي تَطَالَعُ عَلَى الْأَفْنَادِ) (٣)
 انه استبعاد للذهن من ان يتصور نار الآخرة كما يصفها الله سبحانه وتعالى
 ولكنه يستطيع ان يتصور بعض ملامحها فيما عاناه في حياته الدنيا من الاذى
 والعذاب ، وما ترسمه الآيات القرآنية الكريمة من صور العذاب في البيئة
 العربية .

(١) سورة المعارج ٧٠: ١١ - ١٧ .

(٢) سورة المدثر ٧٤: ٢٦ - ٢٨ .

(٣) سورة الهمزة ١٠٤: ٤ - ٧ .

٢ - تسميتها :

ورد تعبير النار في احدى وعشرين ومائة آية في القرآن الكريم (١) على أنها دار العذاب التي يحل بها المحرمون يوم القيمة ، ويعذبون بلهبها ولظاها الحرق . وقد سميت بعدة أسماء تجتمع كلها لرسم صورة العذاب ، الرهيبة . فقد أطلق عليها اسم جهنم ، والجحيم ، وهي نار الحريق (٢) ، واللظى (٣) وهي السعير وستقر .

أ - جهنم :

أما جهنم فقد اختلف المفسرون في أصلها ، فقال بعضهم أنها عربية وأنها مشتقة من قوطم بثر جهَنَّام ، لل بعيدة الفَسْرُ (٤) . وقال بعضهم أنها عربية مأخوذه من التَّجَهَّمَ والتَّكَرَّهُ ، ويقال جهنم الوجه أي كريه الوجه (٥) .

(١) انظر المعجم المفهرس ٧٢٣ - ٧٢٥ .

(٢) سورة آل عمران ٣ : ١٨١ . الانفال ٨ : ٥٠ ، الحج ٩ : ٢٢ ، البروج ٨٥ : ١٠ :

(٣) المعارج ٧٠ : ١٥ ، سورة الليل ٩٢ : ١٤ .

(٤) وقد وردت في سبع وسبعين آية انظر المعجم المفهرس ٧٧ : ١٨٤ - ١٨٥

(٥) انظر الاشتقاء : ٣٥٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٤٠٤ ، المخصص ٣٦ : ١٠

لسان العرب ١٤ : ٣٩٦ ، النهاية في غريب الحديث ١ : ١٩٢ ، الألفاظ السريانية ، مجلة الجمع العلمي العربي ٢٣ ج ٣ : ٣٤٥ .

(٦) الزينة : الرازي ٢١٢ .

أما الفريق الثاني فقد قالوا بأعميتيها ، وانختلفوا في أصلها أيضاً ، فقال بعضهم أنها فارسية (١) ، وقال آخرون بل هي سريانية (٢) . ويبدو أن أرجح الأقوال هو قول من قال بأنها عبرية الأصل . قال يونس بن حبيب وقيل هو تعريب كهينام بالعبرانية (٣) ، ويرى . كارادي فو : إن الكلمة مشتقة من اللفظ العبري جِيِحُون ، أو وادي هِنْتُوم (٤) وكان وادياً بالقرب من بيت المقدس تُقَدَّم فيه القرابين (٥) . ومع ترجيحنا كون جهنم عبرية الأصل ، فإننا نجد فيها دلالة واضحة للبيئة العربية ، وذلك ان الألفاظ الأعجمية حين تطلق على مسمياتها ، إنما تعكس سبب اختيار العرب لها ، وتعكس لنا تفكير من أطلقها ، ودلالتها في ذهنه . فجهنم حين عرفت في العبرية بالوادي العميق ، وجد العربي فيها صورة لظاهر من مظاهر بيته ، ألا وهي صورة الآبار التي اعتمدت عليها في حياته إلى جانب الأمطار . فكان منها العميقa الفعر ، وكان منها الصغيرة الضحلة ، فاستعار لفظة جهنم للدلالة على البئر العميق (٦) ومن هنا جاء التعبير القرآني ليربط بين المعنى المادي المستمد من البيئة العربية وبين أصل الكلمة الذي عرفته العبرية بالوادي العميق ومع ان الكلمة عبرية الأصل فمن الممكن أن نضيف إلى معناها قول من قال أنها عربية

(١) الصباح ٥ : ١٨٩٢ ، المغرب : ١٠٧ ، المفردات : ١٠١ .

(٢) الألفاظ السريانية ، مجلة الجمع العامي العربي م ٢٣ ج ٣ : ٣٤٥ .

(٣) انظر لسان العرب ١٤ : ٣٩٧ .

(٤) انظر الكلمة في قاموس الكتاب المقدس ٢ : ٤٥٤ .

(٥) دائرة المعارف الإسلامية ٧ : ١٩٥ ،

(٦) راجع الصفحة السابقة .

الأصل ، وأنها مشتقة من التجهم والتكره (١) ، ذلك لأن هذا المعنى يعطينا فكرة عن الصورة التي رسماها العربي في ذهنه بجهنم . وكيف أنها شديدة على الكافرين ، تحطمهم ، وتأخذهم بقوه (٢) . وهي عميقه الفعر بعيدة الأغوار ، يهوي فيها الجرم ، فلا يجد له قراراً ، وهو معنى ، رسماه تعبير قرآني آخر وهو :

ب - الهاوية :

قال الله تعالى : (فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ راضيةٍ ، وَأَمَّا مَنْ خَفَقَتْ مَوَازِينُهُ فَأُمَّهُ هَاوِيَةً ، وَمَا أُدْرَاكَ مَا هِيَ ؟ نَارٌ حَامِيَةٌ) (٣) . فقد قالوا في تفسير الهاوية بأنها سميت كذلك لأنها عميقه يهوي من يرمي بها إلى قعرها العميق (٤) .

(١) راجع الصفحة السابقة .

(٢) وقد تعسف كارادي فوفي شرحه لتصور المسلمين بجهنم حين زعم أن الرسول (ص) تمثلها في بعض الآيات على صورة حيوان . فهي في نظره أشبه بوحش هائل فغر فاه ، وكشف عن أنابيبه وتأهب لانتهام المغضوب عليهم . انظر دائرة المعارف الإسلامية مادة جهنم ٧ : ١٩٦ . وهذا تعسف من الكاتب لأن الأسلوب القرآني المعجز قد سار في معظم آياته - خاصة في الترهيب والترغيب - برسم صور مجازية تثير الذهن ، وتهزه هزاً ، وهي معانٍ لا يدركها إلا من عرف أسرار العربية ، وروعتها في التعبير ، والمخازن .

(٣) سورة القارعة ١٠١ : ٦ - ١١ .

(٤) انظر تنوير المقاييس : ٣٩٤ ، جامع البيان ٣٠ : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢١٢ ، التبيان ١٠ : ٤٠١ . وقد ورد في قاموس الكتاب المقدس أن =

وذهب بعضهم بتعير الأم إلى معناها الحقيقي المشهور . روى الطبرى عن ابن عباس قوله : (وإنما جعل النار أمّة ، لأنّها صارت مأواه) ، كما تؤوي المرأة ابنها (١) . وقال ابن قتيبة : (كانت الأم كافلة الولد وغاذيته ومأواه ، وقربته ، وكانت النار للكافر كذلك ، جعلها أمّة) (٢) . ويؤيد هذا التفسير قوله تعالى واصفاً الجنة والنار بالـمأوى : (فأمّا من طغى ، وآثر الحياة الدنيا ، فان الجحيم هي المأوى ، وأمّا من خاف مقام ربّه ، ونهى النفس عن الهوى ، فلأن الجنّة هي المأوى) (٣) ، وكون جهنم بمنزلة الأم للكافر ، وأنها الهاوية اعتمد في فهمها على استعمال لغوی وهو قوله : هـوت أمّه أي هـلتـكـت (٤) ، وهـوت أمّه فهي هاوية أي ثـاـكـلـة (٥) .

ويمكن القول أن هذا المعنى متتطور عن المعنى الحسي الأول وهو السقوط والتردي لأن من يهلك أو تصيبه مصيبة تشكل امه ، وفي ذلك هلاك لها لعظم مصيبتها . ونقل أبو حاتم الرازي تفسيراً آخر وهو قوله أن النار = (هاوية ترجمة الكلمة شبول العبرانية ، ومعنى هذه الكلمة في الأصل موضع الموتى ، وتوصف الهاوية بالعمق) انظر قاموس الكتاب المقدس ٢: ٤٥٨ ، ومع أن دلالة الكلمة في العبرية هي نفسها في العربية إلا أن هذا لا يعني أنها أبجيمية لأن دلالتها في العربية مشهورة ، واستعمالها اللغوي معروف . انظر الصبحاح ٦: ٢٥٣٨ ، لسان العرب ٢٠: ٢٤٨ .

(١) تأويل مشكل القرآن : ٧٧ ، انظر أيضاً جامع البيان ٣٠: ٢٨٣ .

(٢) انظر جامع البيان ٣٠: ٢٨٢ ، وانظر أيضاً تنوير المقاييس : ٣٩٤ .

(٣) سورة النازعات ٧٩: ٣٧ - ٤١ .

(٤) لسان العرب ٢٠: ٢٥٠ .

(٥) الصبحاح ٦: ٢٥٣٩ ، وانظر لسان العرب ٢٠: ٢٥٠ .

سميت كذلك لأنهم يهون فيها أبداً (يعذبون لا يستقررون ، ولا يجدون قراراً فهم يهون ، وهو مأخوذ من الهواء بين السماء والأرض ، كأنهم أبداً في الهواء لا قرار لهم) (١) . ويبدو أن التفسير الأول ، وهو أن الماوية وصف لنار الآخرة بأنها عيقة يهوي فيها المجرمون ، هذا التفسير ارجح التفاسير الأخرى ، لأنه ينسجم مع الوصف العام للنار ، وكيف أنها رهيبة مخيفة عيقة ، يهوي فيها المجرم فلا يجد لها قراراً ، وهو معنى ورد في اللغة حين قالوا : هو في البئر إذا سقط فيها وتردى (٢) ومن الطبيعي أن ينتشر هذا الاستعمال اللغوي نظراً لكثره الآبار ، وما يطرأ للعربي في سيره في الصحراء من تعرضه إلى السقوط والزلل في حفرة ، أو بئر قدية ويفيد هذا التفسير قوله تعالى : (انَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدُّرُكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا) (٣) .

ج - الجحيم (٤) :

قال الله تعالى : (والذين كفروا بآياتنا أولئك أصحابُ الجحيم) (٥) وقال ايضاً : (فَإِنْ كَانَ مِنَ الْمُقْرَبِينَ ، فَرُوحٌ وَرِيحَانٌ وَجَنَّاتٌ نَعِيمٌ . وَإِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ ، فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ)

(١) الزينة ٢ : ٢١٢ .

(٢) الصبح ٦ : ٢٥٣٨ ، لسان العرب ٢٠ : ٢٤٨ .

(٣) سورة النساء ٤ : ١٤٥ .

(٤) وقد وردت في ست وعشرين آية انظر المعجم المفهرس : ١٦٤ - ١٦٥ .

(٥) سورة المائدة ٥ : ١١ .

واما إن كانَ من المكذبينَ الصدالينَ ، فنُرُلُّ من حِيمٍ ، ونصلية جحِيمٍ) (١) فالجحِيم في الآيات السابقة ، تعبير اخر وصفت به نار الاخرة لشدة تأججها وحرها (٢) ، من قولهم جَحَّمَتِ النَّارُ اذا اضطرمت (٣) ، وحجر

جاحِم اذا اشتد اشتعاله (٤) . قال الاعشى :

بُمشْعِلَةٍ يغشى الفراشُ رَشَا شَهَا بَيْتٌ هَا ضَوْءٌ مِنَ النَّارِ جَاهِمٌ (٥)
اي ضوء نار متقد شديد الحرارة . وقال قيس بن الخطيم :

وَنَصْدُقُ فِي الصَّبَاحِ إِذَا تَقَبَّلَ وَلَوْ كَانَ الصَّبَاحُ جَحِيمٌ جَمِيرٌ (٦)
فقد اطلق الجحِيم هنا على شدة الحر والتهابه ، واستعاروا هذا

اللفظ في التعبير عن شدة الحرب واستعارها (٧) .

فلفظة الجحِيم تصور شدة الحر في البيئة العربية ، وتعكس لنا اهمية البيئة في ايجاد التعبير والالفاظ ، وكيف ان شدة الحر جعلتهم يديرون في كلامهم تعبير عديدة تصف شدة الحر والتهابه . وتسمية النار بالجحِيم تشرك مع التعبير الاخر في رسم صورة لهيب النار وعذابها الموجع .

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٨٨ - ٩٤ .

(٢) جامع البيان ١ : ٥١٧ ، الزينة ٢ : ٢١١ ، التبيان ١ : ٤٣٧ المفردات:

٨٦ النهاية في غريب الحديث ١ : ١٤٥ .

(٣) الصحاح ٥ : ١٨٨٣ ، المفردات : ٨٦ ، اساس البلاغة : ١٠٩ .

(٤) بجهرة اللغة ٢ : ٥٩ .

(٥) ديوان الاعشى : ٨١ .

(٦) ديوان قيس بن الخطيم : ٦١ تحقيق ابراهيم السامرائي :

(٧) انظر شرح ديوان الحماسة ٢ : ١٨٦٢ ، ٤ ، ٥٠٠ .

د - السعير (١) :

قال الله سبحانه وتعالى : (كِتَابٌ عَلَيْهِ أَنَّهُ مِنْ تَوْلَاهُ ، فَإِنَّهُ يُضِلُّهُ ، وَيَهْدِيهِ إِلَى عِذَابِ السَّعِيرِ) (٢) . وَفُسِّرَ السَّعِيرُ بِالنَّارِ الْمُوْقَدَةِ (٣) : (بَلْ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهِى وَأَمْرٌ إِنَّ الْجَحْرَمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ، يَوْمٌ يُسْهِبُونَ فِي النَّارِ عَلَى وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ) (٤) وَفُسِّرَ بَعْضُهُمُ السُّعْرَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ بِالْحَرِيقِ وَالنَّيْرَانِ : (٥) وَخَصَّ بَعْضُهُمُ السُّعْرَ بِالْعَنَاءِ (٦) فَقَطْ ، وَيُمْكِنُ أَنْ نُجْمِعَ هَذِينَ التَّفْسِيرَيْنِ بِالْحَرِيقِ الَّذِي يُعَذَّبُ بِهِ الْمُشْرِكُونَ يَتَرَكَّمُونَ فِي عَنَاءٍ ، وَنَصْبٍ .

وَهُنَاكَ مِنْ فُسِّرَ السَّعِيرَ بِالْجَنُونِ رَوَى السَّجْسَتَانِيُّ : (سُعْرٌ جَمْعُ سَعِيرٍ) فِي قَوْلِ أَبِي عَبِيدَةَ . وَقَالَ غَيْرُهُ : فِي ضَلَالٍ وَسُعْرٍ ، فِي ضَلَالٍ وَجَنُونٍ ، يَقَالُ : نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ إِذَا كَانَ بِهَا جَنُونٌ) (٧) . وَقَالَ الزَّمْخَشْرِيُّ (السَّعِيرُ بِالْجَنُونِ . يَقَالُ : نَاقَةٌ مَسْعُورَةٌ قَالَ :

كَانَّ بِهَا سُعْرًا إِذَا عَيْسَ هَزَهَا ذِيْمِيلٌ وَإِرْخَاءٌ مِنَ السَّيْرِ مَتَعِيبٌ) (٨)

(١) وقد وردت في ست عشرة آية انظر المعجم المفهرس : ٣٥٠ - ٣٥١.

(٢) سورة الحج : ٢٢ : ٤.

(٣) تنوير المقياس : ٢٠٦ ، مجاز القرآن ١ : ١٣٠ ، جامع البيان ١٧ : ١١٦.

(٤) سورة القمر : ٥٤ : ٤٦ - ٤٨.

(٥) مجاز القرآن ٢ : ٢٤١ ، جامع البيان ٢٧ : ٢٧ ، ١٠٩ ، الكشاف ٣ : ١٨٦.

(٦) تنوير المقياس : ٣٣٥ ، الفراء عن لسان العرب ٦ : ٣١ ، جامع البيان ٢٧ : ١٠٩.

(٧) غريب القرآن : ١٣٦ ، وكذا قول الفارسي في الحكم ١ : ٢٩٩.

(٨) الكشاف ٣ : ١٨٤.

وكذا ورد معنى السعر في كتب اللغة (١) . وتفسیر السعر بالجنون واقترانه بالناقة المسغورة يثير الانتباه ، لانه ابتعد عن معنى الحريق ولأنه اقترن بالناقه التي اعتادها العربي وجعلها صديقته في سيره الطويل فخبر كل حركاتها ، وسكناتها ، وعرفها في حالات مرضها وصحتها ، فاذا اصابها السعر ركضت على غير هدى ، واسرعت في سيرها ، ومن هنا فسر بعضهم السعر بالجنون في قوله تعالى : (ان المجرمين في ضلال وسُعْرٍ) (٢) لان المجرمين في النار يفقدون رشدهم ، وتفكيرهم ، لشدة العذاب وهول النار ، ويكونون في ضلال وحيرة ، فيشبهون بذلك الناقه المسغورة التي اصابها الجنون ، فسارت على غير هدى . اما في المجال اللغوي فنجد ان الكلمة اطلقت في الاصل على اشتعال النار وشدة حرارتها (٣) ، فاذا كانت الريح شديدة الحرارة قوية - وهي التي يسمونها السوم - اطلقوا عليها اسم السعار (٤) ، لان شدة حرارتها شبيهة بشدة حرارة النار ، واستعالها . واذا كان المفسرون لم يشاروا الى معنى السوم في تفسيرهم الآية الكريمة فاننا نفهمه من دلالة الكلمة اللغوية ، ومن ورود السوم في

(١) انظر قول الخليل في المخصوص ٣:٥٥؛ ٧:٥٥؛ ١٢٢:٦ ، وانظرا ايضاً غريب

القرآن: ١٣٦ ، الصحاح ٢: ٦٨٥ ، لسان العرب ٦: ٣٠ .

(٢) سورة القمر ٥٤: ٤٧ .

(٣) جمهرة اللغة ٢: ٣٣٠ ، الصحاح ٢: ٦٨٥ ، مقاييس اللغة ٣: ٢٧٥ ، الزينة ٢: ٢٠٨ ، الحكم ١: ٢٨٩ ، اساس البلاغة : ٤٤٠ ، النهاية في غريب الحديث ٢: ١٦٢ . وانظر الشعر في شرح ديوان زهير : ٢١٤ ، المفضليات ٨٤: ١٢١ .

(٤) الخليل عن المخصوص ٩: ٩٠ ، جمهرة اللغة ٢: ٣٣٠ ، الصحاح ٢:

٦٨٥ مقاييس اللغة ٣: ٧٥ ، الحكم ١: ٢٩٩ .

القرآن الكريم ، فقد وصف الله سبحانه وتعالى عذاب النار يانه عذاب السّموم ، حيث يفرح المؤمنون بنجاتهم من النار فيتبashرون ببنهم (وأفبَلَ بعضاً هم على بعضٍ يتساءلونَ : قالوا أنتا كنا قبلُ فِي أهلنا مشفقينَ ، فنَّ اللَّهُ علَيْنَا ، ووكانا عذابَ السَّموم) (١) : وقال الله تعالى واصفا اصحاب الشّمال : (واصحابُ الشَّمَالِ ، ما اصحابُ الشَّمَالِ ، في سَمومٍ وَجِيمٍ ، وظَلَّ مِنْ يَحْمومٍ ، لا باردٍ ولا كَرِيمٍ) (٢) لقد عانت البيئة العربية من لفع السّموم الحارة ما عانت ، ولم يقتصر اذاها على الانسان بل جاوزته الى الحيوان ، فذكر ذلك الشعراء في اشعارهم ووصفوا الصور التي اعتادوها عند هبوب السّموم ، وارتفاع الحر (٣) ، حتى اذا جاء التعبير القرآني واصفا عذاب الكافرين : (بل الساعَةُ موعدُهُم والساعة ادهى وأمر ان الجرمين في ضلالٍ وسُعْرٍ ، يوم يسحيبون في النار على وجوههم ذوقوا مسَّ سَقَرَ) (٤) تذكر العربي السعّار وتمثلت له لظاه الحارة فاستطاع ان يتصور الامحاءات الرهيبة التي توحّيها الآية الكريمة في تصوير عذاب الجرمين .

وهناك معنى اخر للكلمة ، وهو قوله اذا اشتد العطش والجوع . استعر : قال ابن السكّيت (٥) (رجل مسحور وبه سعّار اي جوع

(١) سورة الطور ٥٢ : ٢٧ - ٢٥ .

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .

(٣) انظر شرح ديوان لبيد : ١٠٢ ، ديوان الشماخ : ٨٣ ، المفضليات ١٨٢
شرح ديوان الحماسة ٤ : ١٨٠٣ ، الجبال والامكنة : ٤٦ ، ذيل النوادر : ٢٠٧
الطرائف الادبية : ٦٢ معجم البلدان ١ : ١٥٥ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٦ - ٤٨ .

(٥) ابن السكّيت في المخصص ٥ : ٣٥ ، وانظر ايضاً بجهة اللغة ٢ : ٢٣٠ =

وشهوة) . وقال الزمخشري ، (ومن المجاز . . . وبه سعار وهو توهج العطش) (١) ، فكأن شدة العطش تلتهم في جوف الإنسان حرارة شبهوها بالنار . ونستطيع أن نفهم هذا المعنى اللغوي في الآية الكريمة السابقة ، لأن معنى العطش معنى عاشه البدوي في بيته ، وأحسن به في اسفاره الطويلة ، حين يتשוק إلى قطرة من الماء تروي ظاهه ، ومع انهم قالوا إن السعار شدة العطش أو الجوع ، الا ان دلالة العطش على البيئة العربية اوضح من دلالته على الجوع (٢) ومع ذلك يمكن اضافة المعنى الاخير إلى التفاسير السابقة لنجتمع صور العذاب والحرمان في عذاب النار فإذا جمعنا كل هذه التفاسير عرفنا اي اعجاز عظيم تحمله كامنة واحدة في تسمية زار المجرمين يوم القيمة ، لأنها تجمع عدة صور رهيبة عاشهها البدوي في حياته وعانيا من اذاهما ما عانى ، فيكون معناها ان المجرمين في ضلال ، وحيرة من حر النار ، ولاظاهما المؤذى . وتنقلهم هذه الصورة إلى صورة السموم الحارقة التي عانوها في بيتهما ، ومع عذاب النار يجتمع الحرمان من الماء والطعام ، بكل ما يحمله معنى العطش من معان رهيبة لها دلالتها على النفس العربية . ثم هم فاقدوا الوعي حائزون ، تائرون يشبه حالمهم حال الناقة المسغورة التي تركض على غير هدى ، وتسير إلى غير غاية ، هم حيارى ، عطاشى ، تلفحهم السموم بحرها ، وتحرقهم النيران باظاهما كل هذه الصور يعكسها التعبير القرآني في تسمية النار ووصفها بالسعا (٣)

= الصباح ٢ : ٦٨٥ ، فقه اللغة : ٥٠ .

(١) اساس البلاغة ٤٤ ، وانظر ايضا لسان العرب ٦ : ٣٠ .

(٢) انظر الفصل الخامس - ٦ - طعامهم - ب - الزقوم .

(٣) انظر في هذا موضوع الاشتراك من اسباب البلاغة في التعبير في

كتاب دروس في البلاغة : ١٩٧ .

٥ سقر :

وسقر اسماً اخر من اسماء النار التي يعذب بها الكافرون يوم القيمة .
قال الله تعالى : (سَاصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا ادْرَاكَ مَا سَقَرُ ، لَا تَبْقَى
وَلَا تَذَرُ ، لِوَاحَةِ الْبَشَرِ) (١) . وقال ايضاً : (الا اصحابَ
اليمين ، في جناتٍ يتساءلون عن المجرمين ، ما سَلَكَكُمْ في سَقَرَ ؟
قالوا لم نك من المصلين) (٢) وقال تعالى ايضاً : (ان المجرمين في
ضلالٍ وَسُعْيٍ ، يوم يُسْتَحْبَبُونَ في النار على وجوهِهمْ ذوقوا مَسَّ
سَقَرَ) (٣) .

قال المفسرون في سقر انها علم من اسماء النار (٤) ، وخصها بعضهم
بالباب الرابع من النار (٥) .

وقال بعض المفسرين ان سقر اسماً اعجمي (٦) . ويبدو ان للكامنة
استعمالاً عربياً من قوتهم سقرته الشمس تسقراه سقرا بالسين والصاد اذا
آلمت دماغه (٧) . وقالوا الصقرة : شدة الحر (٨) ، وكذا وردت

(١) سورة المدثر ٧٤:٢٦ - ٢٩ .

(٢) سورة المدثر ٧٤:٣٩ - ٤٣ .

(٣) سورة القمر ٥٤:٤٧ - ٤٨ .

(٤) التبيان ١٠:١٨٠ ، وانظر ايضاً المفردات ٢٣٤ ، الكشاف ١٨٦:٣ .

(٥) تنوير المقياس ٣٧٣ ، وانظر ايضاً جامع البيان ٢٩ - ١٥٨ .

(٦) النهاية في غريب الحديث ٢:١٦٨ .

(٧) الزينة ٢:٢١٤ التبيان ١:١٨٠ ، المفردات ٢٣٤ ، الكشاف ١٨٦:٣
وانظر اللغة في جمهرة اللغة ٢:٣٣٤ ، الخصوص ٩:٦٩ .

(٨) الغريب المصنف الورقة (٢٧٦) .

في الشعر (١) .

وشدة الحرارة وايلامها للإنسان اوحت للعرب استعمالاً آخر للكلمة وهو قوله : الصقر الضرب على أعلى الرأس (٢) ، وسموا الفأس العظيمة التي تكسر الصخر والجحارة القوية بالصاقور (٣) .

ومعنى الكلمة المختلفة تساعدننا كلها على فهم الجو المرعب الذي تثيره الآيات الكريمة (يوم يُسْتَحْبِونَ في النار على وجوهِهِمْ ، دُوقوا مس سَقَرْ) (٤) . او قوله تعالى (سَأَصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ ، كَوَافِحةً لِلْبَشَرِ ...) (٥) . فالنار التي يعذب بها المجرمون شديدة الحر تلفع المعذبين بظاهرها الحرق ، فتفلق رؤسهم ، وتذيب ما في بطونهم ، وتنقل لنا هذه التسمية شدة حر الماجرة في الحزيرة العربية الذي يكاد فيه الحجر ان يذوب ويفلق الصخر ، الا ان هذه الصورة لا يمكن ان تقارن بشيء من صورة نار الآخرة التي لا تبقي ولا تذر . ويلاحظ في تعبير سقر في سورة المدثر انها محاطة بالابهام والغموض فكأن سقر مجھولة للسامع فتكررها الآية لتزيد من ايجاء الرعب

(١) ديوان شعر ذى الرمة : ٥٠٤ ، امامي اليزيدي ١ : ١٤٤ ، الحيوان

. ٢٣٢ : ٥

(٢) المخصص ٦ : ٩٦ .

(٣) جهرة اللغة ٢ : ٣٥٧ ، الصحاح ٢ : ٧١٥ ، المخصص ١٠ : ١٠ ،

لسان العرب ١٣٦:٦ ، اساس البلاغة : ٥٣٥ ، النهاية في غريب الحديث ١٦٨:٢ وانظر الشعر في مجالس ثعلب ٢ : ٤٥٨ ، المؤتلف والمختلف : ١١٩ .

(٤) سورة القمر ٥٤ : ٤٧ .

(٥) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ .

(سَأُصْلِيهِ سَقَرَ ، وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ ؟ لَوَاحَةٌ لِلْبَشَرِ) (١)
 انك لا تعرف معنى سقر ، فليست كالتي عرفتها في الحياة الدنيا الماهي شديدة
 قوية ، لا تبقي ولا تذر وفي هذا استبعد لذهن الانسان بأنه منها تخيل
 سقر ، فإنه لن يستطيع ان يتصورها حق تصورها ، الا ان العربي يستطيع
 ان يجد فيها ايجاء واضح الملامح للبيئة العربية ، فترسم في ذهنه صقرات
 شمس الجزيرة ، وحرها المؤذى الذي يذكرهم بالفؤوس القوية تفلق الصخر ،
 ولكن هيبات لهم ان يقارنوا بين الصورتين ، لأن الآية الكريمة تقول وما
 ادراك ما سقر ؟ انه الهول الذي يتجسد امام الكافرين يوم القيمة ويعكسه
 تعبير سقر في الآيات الكريمة .

٣ - هيب النار :

اما هيب النار فإنه تارة يكون لها خالصا لا يشوبه دخان ، وتارة
 يلف المعذبين بدخان قائم . قال الله تعالى : (يَا مُعَاشَ الْجَنِّ وَالْأَنْسِ
 إِنْ أَسْتَطِعُمْ أَنْ تَنْفَذُوا مِنْ أَقْطَارِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَنْفَذُونَ إِلَّا
 بِسُلْطَانٍ فَبِإِيْ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ رُسَّلٌ عَلَيْكُمَا شَوَاظٌ مِّنْ نَارٍ
 وَخَاسٌ فَلَا تَنْتَصِرُانِ ، فَبِإِيْ آلَاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ) (٢) .
 فالآيات الكريمة تصور هيب النار بتعبير الشواطئ ، وقد قال المفسرون
 عن الشواطئ بأنه الهيبة بلا دخان (٣) . وفي المسائل التي سألهما نافع بن

(١) سورة المدثر : ٧٤ : ٢٧ .

(٢) سورة الرحمن : ٥٥ : ٣٣ - ٣٦ .

(٣) تنویر المقياس : ٣٣٧ ، مجاز القرآن : ٣ : ٢٤٤ ، جامع البيان : ٢٧ : ١٣٩
 التبيان : ٩ : ٤٧٤ .

الازرق لابن عباس انه سأله عن الشواطئ (فقال : اللهب الذي لا دخان له ، قال : فهل كانت العرب تعرف ذلك قبل ان ينزل الكتاب على محمد ربك ؟ قال : نعم اما سمعت بقول أمية بن خلف (١) : الا متن مبلغ حسان يعني مغلغلة تدب الى عكاظ اليمن ابوك فيما كان قينا لدى القينات (فسلام) (٢) في الحفاظ يمانيا يظل يشد كيرا وينفح دائيا لب الشواطئ قال : صدقت) (٣) وفي رواية اخرى انه تمثل بآيات حسان التي رد فيها على أمية :

فتايه قصائد محكمات وتنشد بالمجاز الى عكاظ مرتك فاخضعتك بذات ذل فقاقع تاجج كالشواطئ (٤) ومن هنا يتضح لنا ان الشواطئ عرفه العرب في بيتهما ، وعرفوا ان النار اذا كانت على اشدها فانها تكون لها خالصا لادخان له ، وكذا

(١) أمية بن خلف بن وهب ، من بنى اؤي احد جبابرة قريش في الجاهلية ومن ساداتهم ، ادرك الاسلام ولم يسلم ، وهو الذي عذب بلا لا الحشي عند ظهور الاسلام ، اسره عبد الرحمن بن عوف يوم بدر ، فراه بلال ، فصاح الناس يحرضهم على قتله فقتلوه . انظر سيرة النبي ٧٢١:٢ ، عيون الامر ١:٢٥٩ الكامل ابن الاثير ٢:٤٨ .

(٢) في المخطوط ضئيلا ، والصواب كما هو مثبت اعلاه ، وهكذا رويت الآيات في ديوان حسان بن ثابت : ١٤١ ، وكذلك ورد في الصحاح لسان العرب ٩: ٣٢٦ .

(٣) مسائل نافع بن الازرق الورقة ٨ (ب) .

(٤) ن . م الورقة ٦ (أ) وانظر الآيات في ديوان حسان : ١٤١ ، ١٤٢ مع اختلاف في رواية البيتين .

قال اللغويون (١) .

اما النحاس فقد قالوا في تفسيره انه الصفر المذاب (٢) . وقال بعضهم انه الدخان (٣) وحين سُئل ابن عباس عن معرفة العرب له قبل الاسلام تمثّل بقول النابغة :

تُضيِّعُكُمْ مِنْ سَرَاجِ السَّلَيْطِ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ فِيهِ نُحَاسًا (٤)
والسلط هو دهن الزيت (٥) . وقد استدل ابن عباس بهذا البيت على معرفة العرب لهذا المعنى القرآني . ويبدو ان هناك علاقة متينة بين النحاس الذي هو الدخان ، وبين النحاس ذلك الجوهر المعروف من المعادن والظاهر ان المعادن هو الاساس في التسمية ، لأن النحاس او اي معادن من المعادن اذا اذيب سبب دخانا قاتما ، ومن هنا اطلق على كل دخان قاتم اسم النحاس . . . ومن الطبيعي ان يعرفه العرب في بيتهم على اعتباره من المعادن المتوفرة في الصحراء العربية (٦) .

وقد فسر اليحوم بالدخان الاسود ايضا في قوله تعالى : (وأصحاب

(١) الكامل المبرد ١ : ٣٢٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٦٠ ، الصحاح ١١٧٢:٣
مقاييس اللغة ٣ : ٢٢٣ .

(٢) جامع البيان ٢٧ : ١٤٠ ، الكشاف ٣ : ١٩٠ .

(٣) تنویر المقیاس : ٣٣٧ ، مجاز القرآن ٢ : ٢٤٤ ، جامع البيان ١٤١:٢٧
المفردات : ٥٠٣ ، الكشاف ٣ : ١٩٠ .

(٤) مسائل نافع بن الازرق الورقة ٨ (ب) والبيت منسوب للنابغة الذبياني في الخطوط وجامع البيان ٢٧ : ١٤١ ، والصواب انه للنابغة الجعدي كما هو مذكور في ديوانه : ٨١ ، وانظر ايضا التبيان ٩ : ٤٧٥ .

(٥) الصحاح ٣ : ١١٤٩ .

(٦) انظر زکاة المعادن في الموطأ ١ : ٢٤٩ .

الشَّالِ ، مَا أَحْبَابُ الشَّالِ ؟ فِي سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ، وَظَلِيلٌ مَنْ يَحْمُومُ
لَا بَارِدٌ وَلَا كَرِيمٌ) (١) . فَعِجْوَ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ يَسْاعِدُنَا عَلَى تَصْوِيرِ هَذَا
الْمَعْنَى ، لَأَنَّ السِّيَاقَ الْعَامَ يَوْحِي بِهِولِ الْعِذَابِ ، فَقَدْ ذَكَرَ الْمُجْرَمُونَ وَهُمْ
أَحْبَابُ الشَّالِ ، ثُمَّ تَبَعَهُ اسْتِفْهَامٌ يُثْبِرُ فِي الْذَّهَنِ جَوَانِيِّ الْغَمْوُضِ وَالرَّهْبَةِ
حَتَّى إِذَا اتَّضَحَ هَذَا الْإِبَاهَمُ ظَهَرَ عَنْ سَمُومِ لَافْحَةِ تَلُوحِ الْمُجْرَمِينَ وَتَخْرُقِهِمْ
بِلَظَاهِرِهَا ، وَلَكِنَّهَا لَيْسَ كَالسَّمُومِ الَّتِي عُرِفَوْهَا فِي بَيْتِهِمْ ، فَاخْتَاطُوا لَهَا
بِوَسَائِلٍ ، وَاحْتَمُوا مِنْهَا بِنَخْلَهُ أَوْ خَيْمَةً . . . مَثَلاً .

إِنَّهَا سَمُومٌ حَارَّةٌ لَافْحَةٌ لَا يُوجَدُ مَعَهَا ظَلٌّ ، فَإِذَا وَجَدُوهُ فَإِنَّمَا هُوَ
ظَلٌّ مِنْ دُخَانٍ قَاتَمَ تَثِيرَهُ النَّارُ الرَّهْبَيَّةُ ، فَلَا يَجِدُونَ فِيهِ الْبَرَدَ الَّذِي وَجَدُوهُ
فِي ظَلِّ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ، وَلَا الطَّبَانِيَّةَ الَّتِي يَحْتَاجُونَ إِلَيْهَا ، فَهُوَ ظَلٌّ ، وَلَكِنَّهُ
يُثْبِرُ السُّخْرِيَّةَ عَلَى كُلِّ مَنْ يَخْتَمِي بِهِ ، لَأَنَّ أَذَاهَ أَشَدُ وَاضْعَفَنِي مِنْ أَذَى النَّارِ
وَلَظَاهِرِهَا !! هَذِهِ السُّخْرِيَّةُ تَذَكَّرُ الْعَرَبُ بِالظَّلِيلِ الْبَارِدِ الَّذِي فَاعَوْا إِلَيْهِ فِي
حَيَاةِهِمُ الدُّنْيَا ، لَيَتَقَوَّلُوا بِهِ صَقَرَاتُ الْمَجِيرَةِ ، وَلَفْحُ سَمُومِهَا ، وَكَيْفَ إِنَّ
شَاعِرَهُمْ مَثَلاً يَحْنِنُ إِلَى نَخْلَةٍ أَسْتَظْلَلُ تَحْتَهَا يَوْمًا ، وَجَعَتْهُ مَعَ مَنْ يُحِبُّ ،
فَيَرْدُدُ حَنِينَهُ إِلَيْهَا ، وَيَبْعِثُ لَهَا سَلَامَهُ ، وَاشْوَاقَهُ ، كَمَا لَوْ أَنَّهَا كَائِنٌ حَيٌّ
يَبَادِلُهُ الشَّعُورَ :

أَلَا يَنْخَلُّهُ مِنْ ذَاتِ عَرْقٍ بَرُودَ الظَّلِيلِ شَاعِرَكُمُ السَّلَامُ (٢)
وَذَاتَ عَرْقٍ : مَوْضِعُ الْحِجَازِ (٣) ، وَقَدْ نَهَى الرَّسُولُ (ص) عَنْ
كَسْرِ اغْصَانِ السَّدْرِ أَوِ التَّنْضِبِ ، لَأَنَّهَا مِنْ ذَوَاتِ الظَّلَالِ يَسْكُنُ النَّاسُ

(١) سورة الواقعة ٥٦: ٤١ - ٤٤ .

(٢) مجالس ثعلب ١: ١٩٨ ، وَقَبْلَ أَنْهُ كَنِيَّةً بِالنَّخْلَةِ عَنِ الْمَرْأَةِ ، وَهَذِهِ لَوْ

كَانَ هَذَا القَوْلُ كَنِيَّةً ، فَإِنَّهُ يَعْكِسُ لَنَا الصُّورَةَ الْمُحِبَّةَ .

(٣) انظر معجم البلدان ٣: ٦٥١ .

إليها في البرد ، والحر (١) ، وفي هذا دليل واضح على شدة تعلق العرب
 بالأشجار ، والنخيل التي تمنحهم الظل اذا اشتد الحر ، او داهمهم البرد ،
 والمطر ، وهي من الناحية الاخرى تساعدنا على فهم الآيات الكريمة التي
 تصور نار جهنم ، وظلها القائم ، وكيف يتصورها العربي الذي عانى من
 الحر ، وعرف طيب الظل ، والبرودة ، فاذا به في الآخرة يلتجأ الى الظل
 الذي يتراءى له ، فلا يجد فيه الامان ، ولا البرودة التي ينشدها . قال الله
 تعالى : (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظَلَلٌ مِنْ النَّارِ ، وَمِنْ تَحْتِهِمْ ظَلَلٌ
 ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهُ بِهِ عِبَادِهِ يَا عِبَادِ فَاتَّقُونِ) (٢) . وقال تعالى مخاطبا
 الكافرين بأسلوب يسخر منهم وذلك بدعوتهم الى الالتجاء الى ظل من النار
 يزيد لهم اذى النار ، وعذابها : (انطَلَقُوا إِلَى مَا كَنْتُمْ بِهِ تَكْتَبُونَ ،
 انطَلَقُوا إِلَى ظِلٍّ ذِي ثَلَاثٍ شُعَبٍ ، لَا ظَلَلٌ ، لَا يُغْنِي مِنَ
 الْمَهَبِ ، إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ كَانَهُ جَهَالَاتٍ صَفَرٌ ، وَبَلْ
 يَوْمَئِذٍ لِلْمَكْذِبِينَ) (٣) واذا قارنا هذه الصورة الرهيبة بصورة ظلال الجنة
 الوارفة اكتملت لنا الصورة الرائعة واتضح الاسلوب المعجز في بيان عذاب
 المجرمين ، ونعم المؤمنين : (وَالَّذِينَ آمَنُوا ، وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَنَدِلُهُمْ
 جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْإِنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ، لَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ
 مُطَهَّرَةٌ ، وَنَذِلُلُهُمْ ظِلًاً ظَلِيلًا) (٤) . وقال تعالى ايضا واصفا
 نعم المؤمنين بين الظلال الوارفة ، (إِنَّ اصحابَ الْجَنَّةِ الْيَوْمَ فِي شُفَلٍ
 فَاكِبِهِنَّ ، هُمْ وَازْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ ، عَلَى الْأَرَائِكِ مُتَكَبِّنُونَ ، لَهُمْ

(١) انظر سنن أبي داود ٢: ٦٥٠.

(٢) سورة الزمر ٣٩: ١٦.

(٣) سورة المرسلات ٧٧: ٢٩ - ٣٤.

(٤) سورة النساء ٤: ٥٧.

فيها فاكهة ، ولهم ما يدعون ، سلام قولاً من رب رحيم (١) .
 هذه الظلال الوارفة ، والنعيم الرائع يوضح لنا معالم الاذى الذي
 يلاقيه المجرمون في النار ، والمقارنة بينها تزيد الصورة وضوحا ، فال مجرمون
 لا يجدون ظلاً يفيضون تحته ، ويختبئون به من هيب النار وشرها ، فإذا
 وجدوه فانما هو ظليل من دخان اسود ، وهيب من نحاس يتعالى فوق
 رؤسهم .

٤ - شرها :

ولم تكتف الآيات الكريمة بتصوير النار ، ولظاها ، انما وصفت
 الشر الذي يتغابر منها ، فشرر النار الذي عهده الناس في حياتهم الدنيا
 صغيراً ، قصير الامد نجده في وصف نار الآخرة صور تصويراً رهيباً
 لطولة ، واستمرار قدره ، ثم لونه القاتم . قال الله تعالى : (انطلقوا
 الى ما كنتم به تكذبون انطلقوا الى ظل ذي ثلات شعوب ، لا ظليل
 ولا يُغْنِي من اللهم ، إنها ترمي بشّرر كالقُصْر ، كأنه جمالات
 صفر ويل يومئذ للمكذبين) (٢) .

فقد شبه شرر النار بالقصر ، واختلف المفسرون في تفسيره
 تبعاً لاختلافهم في قراءته ، فمن قرأه بإسكان الصاد فسره بالبناء المشيد ،
 المسمى بالقصر (٣) . وفسره ابن قتيبة بالقصر من قصور مياه الاعراب (٤)

(١) سورة يس ٣٦:٥٥ - ٥٨ .

(٢) سورة المرسلات ٧٧:٢٩ - ٣٤ .

(٣) جامع البيان ٢٩:٢٣٩ ، التبيان ، ١٠:٢٣١ ، المفردات : ٤١٤ .

الكافش ٣: ٣٠٢ .

(٤) تأویل مشکل القرآن : ٢٤٥ .

والملاحظ في التفسير الاول انه لا ينقل صورة من صور البيئة العربية ، فالقصر - وان ذكره بعض الشعرا في اشعارهم - (١) قليلا ما عرفته البيئة العربية في فيافيها الواسعة ، واطنانها المضروبة ، وانما سمي هذا البناء قصرا ، لأن جذوع النخيل ، والخشب هي اساس بنائه ، وهي التي يطلق عليها القصر كما سماه ذكره .

اما القصر من قصور مياه الاعراب الذي فسر به ابن قتيبة الآية الكريمة فإنه لا يعطينا صورة واضحة عن قصده ، ولا يوجد في الشعر العربي ما يصوره ، الا اذا كان المراد منه تلك العريشة التي تُبني حول البئر يُحبس[ُ] الماء فيها ، ويقصَّر[ُ] ، وذلك انهم قالوا في صفات البئر المعروفة بانها التي تطوى قدر قامة من اسفلها بالحجارة ، ثم يطوى سائرها بالخشب وحده ، وذلك الخشب هو العرش (٢) . ولكننا ايضا لا نجد بين هذه الصورة وشرر النار في الآية الكريمة وجه شبه قوي ، مما يبعدنا عن تفسير ابن قتيبة السابق . اما قراءة من قرأ **القصَّر** بفتح الصاد ، فانها تعطينا تفسيرا هو اقرب الى البيئة العربية ، من القراءة الاولى . قال ابن عباس **القصَّر** كاسفل الشجر العظام (٣) . وقال ابن قتيبة ، ومن قرأ **القصَّر** شبهه باعنق النخل ، ويقال بأصوله اذا قطع (٤) . وهنا يبدو اختلاف بسيط فهل القصر لغة اعناق الابل ام اعنق النخل واصوله ؟

(١) ديوان الاعشى : ٤٣ .

(٢) الغريب المصنف الورقة : (٢٤١) ، الصحاح ٣ : ١٠١٠ ، الخصوص ٤٢ ، اساس البلاغة ٦٢٢ . لسان العرب ٨ : ٢٠٤ .

(٣) تنوير المقياس : ٣٧٧ .

(٤) تأويل مشكل القرآن : ٢٤٥ ، وانظر المفردات : ٤١٤ ، الكشاف ٣٠٣ ، النهاية في غريب الحديث ٣ : ٢٥٦ ، وانظر اللغة في العين : الورقة (١٥) .

الا اننا نجد في الشعر الجاهلي صورا طلما رسمها الشعرا في اشعارهم الا وهي صورة الناقة التي يشبهونها بجذع النخلة (١) ، وصورة الظاعان التي وصفوها وشبهوها بجموعة التخيل (٢) مما يرجع كون القصر ، اطلاق في الاصل على النخلة ، ومنه على الناقة ، ومن ثم اطلق بصورة عامة على اصل العنق سواء كان للشجرة ، او النخل ، او الابل (٣) . وفي كلتا الصورتين نجد دلالة واضحة للبيئة العربية ، فقد اعتاد العربي رؤية عنق ابله الطويلة ، كما اعتاد رؤية التخيل ، وجذوعها السامقة ، فاستمد منها مادة لتشبيهاته ، وانياته .

ومن هنا يبدو ان التفسير الاخير اقرب التفاسير الى البيئة العربية فقوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بَشَرَرَ كَالْقَصْرِ) (٤) يرسم لنا صورة لشرر النار يوم القيمة ، وكيف انه مختلف عن الشرر القصير الامد في الحياة الدنيا ، لانه طويل الامد ، بعيد المدى ، ينفل الى ذهن العربي صورة عنق الابل الممتدة الطول ، او صورة جذوع النخل الجباره . ويتبعد هذا التشبيه تشبيه اخر للشارارات يقصد منه تبيان لونها وهو قوله تعالى : (إِنَّهَا تَرْمِي بَشَرَرَ كَالْقَصْرِ كَأَنَّهُ جَالَاتُ صَفْرٍ) (٥) . قال بعض

(١) ديوان كعب بن زهير : ١٣ ، ٨١ ، ٢١٧ ، ٢١٧ ، ١٣ ، وانظر ايضا الطرائف الادبية : ٦٩ .

(٢) انظر ديوان كعب بن زهير : ١٢٢ ، ١٩١ ، ٢٥٢ ، ٢٥٢ ، ديوان علقمة الفحل : ٣١ ، ارجيز العرب : ٤٤ ، الاصمعيات : ٢١٧ .

(٣) المخصص ١١ : ١٠ .

(٤) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ .

(٥) ن : م .

المفسرين إنَّ معنى الجِمالات الجَمال (١) . فيكون معنى الآية ان الشر الذي يتظاهر بكثرة وقوة شديدة يشبه الجمال السود ، وخصَّ بها الجمال او النوق الضخمة التي شبهت بالجمال اضياعتها (٢) ليدل على عظم الشرارات بالإضافة الى لونها القاتم . فاللون الاصفر كثيراً ما اطلقه العرب على لون السواد (٣) . وقد علل ابن قتيبة هذه التسمية وسبب تخصيص اللذين يسبحانه تعالى للجمال السود . قال : (وإنما سميت السواد من الإبل صفراً ، لأنَّه يشوب سوادها شيءٌ من صفرة كما قبل ليبيض الظباء أدمًّ ، لأنَّ بياضها تعلوه كُدرة ، والشرر اذا تظاهَرَ فسقط وفيه بقية من لون النار اشبه شيءٍ بالإبل السود لما يشوبها من صفرة) (٤) .

وهنالك تفسير اخر لمعنى الجِمالات الصفر في الآية الكريمة وهو قولهم انها جبال السفن الضخمة ، معتمدين في ذلك على استعمال لغوي عرفه العرب . قال الخليل : (الجُمَلُ : حَبْلُ السفينة) (٥) .

(١) تنویر المقياس : ٣٧٧ ، تأویل مشکل الحديث : ٢٤٥ ، المفردات : ٩٦ ، الكشاف ٣:٢:٣ .

(٢) غريب الحديث : ٢٨٠ ، مقاييس اللغة ١:٤٨١ ، وانظر الشعر في ديوان الشماخ : ٤٠ ، ٥٤ ، المفضليات : ٢٢٩ ، الحيوان ٦:٧٠ .

(٣) انظر الغريب المصنف الورقة (٢٢) ، الصحاح ٢:٧١٤ ، مقاييس اللغة ٣:٢٩٤ ، المخصص ٦:٧ .

(٤) تأویل مشکل القرآن : ٢٤٥ .

(٥) عن المخصص ١:٢٥ ، الصحاح ٤:٦٦١ ، وانظر ايضا النهاية في غريب الحديث ١:١٧٩ وفسر بعضهم قوله تعالى (ولا يُدْخَلُونَ الجنةَ حَتَّى يَلْجُجَ الْجَمْلُ فِي سُمَّ الْخِيَاطِ) سورة الاعراف ٧:٤٠ بأنه حبل السفينة انظر تنویر المقياس : ١٠١ ، الكشاف ١:٥٤٨ وقد ذكر الاب مار اغناطيوس =

وإذا كانت صورة الشر الذي يتطاير بقوة من نار الآخرة يشبه إلى حد ما صورة الحال الغليظة الممتددة ، فإن تفسير الجمالات في قوله تعالى (انها ترمي بشعر كالقصرين ، كأنه جمالات صفر) (١) بالحال السود أقرب إلى البيئة العربية التي اعتمدت على الأبل في حياتها اليومية اعتماداً كلياً ، على حين نجد أهمية السفينة عند العرب لا تصل إلى مستوى الضروريات ، نظراً للصحراء الواسعة التي انعدمت فيها البحار والأنهار الدائمة ، ويفوكد هذا القول ما نراه في كتاب المخصوص ، وإن ما استغرقه بحث السفينة من هذه الموسوعة الكبيرة لا يتجاوز الست صفحات ، على حين كاد البحث عن الجمل يشكل جزءاً كاملاً بذاته (٢) :

٥ - شراب أهل النار :

تصور الآيات الكريمة العطش ، والحرمان من الماء على أنها وسيلة من وسائل التعذيب التي يعانيها المجرمون يوم القيمة . فشراب أهل النار ، وتعذيبهم بالعطش صور بصورة رائعة يظهر فيها الاعجاز القرآني متجلياً ويقف أمامها الإنسان ذاهلاً . وفي اللحظة التي تصدر فيها نتيجة الحساب يبدأ عقاب المجرمين فيساقون سوقاً شديداً إلى جهنم ، وهم عطاشى محرومين من الماء . أما المؤمنون فإنهم يخرون إلى الجنة بعزة وكراهة . قال الله = الجمل على أنه لفظ سرياني ، وفي هذا دلالة على بعد الكلمة عن البيئة العربية .

انظر مقال الألفاظ السريانية مجلة الجمع العلمي العربي م ٢٣ ج ٣ ص ٣٤٣ .

(١) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ - ٣٣ .

(٢) انظر المخصوص عن الأبل ٧ : ١٧٤ - ٢٩ ، السفينة ١٠ : ٢٩ - ٣٣ .
وانظر أيضاً نظام الغريب ١٣٢ - ١٥١ .

تعالى : (يوم تَحْشِرُ الْمُتُقْبَنَ إِلَى الرَّحْنِ وَفَدًا ، وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَى جَهَنَّمَ وَرُدًا) (١) . وقد فسر المفسرون الورد في الآية الكريمة بمعنى العطاشي (٢) . ومن المشهور أن معنى الورد في اللغة هو اتيان الماء وهو خلاف الصدر (٣) . وإنما اطلق تعبير الورد في الآية الكريمة على العطاش ، لأن من يرد الماء لا يرده الا لعطش كا يقول الزمخشري (٤) الا ان مجرمين لا يرتوون بوردهم جهنم ، بل تبدأ مرحلة اخرى للتعذيب والعقاب . . . فع شدة وهبها الحرق - الذي مرت بنا صوره - يعقوب المجرمون بلون اخر من صنوف التعذيب ، وهو حرمانهم من الماء . وقد صور هذا الحرمان بشكل محاورة جرت بين اهل الجنة واهل النار : (ونادى اصحاب النار اصحاب الجنة : أنْ فِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ أَوْ مَا رَزَقْنَاكُمْ اللهُ قَالُوا : انَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ الَّذِينَ أَخْذُوا دِينَهُمْ لَهُمَا وَلَعِبَّا وَغَرْتَهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا ، فَالْيَوْمَ نَسْأَهُمْ كَمَا نَسَرُوا لِقَاءَ يَوْمِهِمْ هَذَا وَمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحُدُون) (٥) . ف بهذه الآيات الكريمة ترسم صورة رهيبة لحرمان مجرمين من الماء . وقد فهم العرب والمسلمون هذه الصورة ، واستطاعوا ان يتمثلوها بما وجدوه في بيئتهم ، ولم يكتفوا بتصور الآيات الخاصة بالحرمان من الماء بل فسروا بالعطش الآيات التي تبدو بعيدة عن

(١) سورة مريم ١٩:٨٦.

(٢) اللغات في القرآن: ٣٦. جامع البيان: ١٦: ١٢٩ ، ١٣٠ ، التبيان: ٧: ١٥٠.

(٣) انظر جمهرة اللغة ٢: ٢٥٨ الصبحاح ١: ٢٥٨، مقاييس اللغة ٦: ١٠٥، المخصص ٩: ١٥٥ ، وانظر شواهد الشعر في المفضليات: ٢٢٥؛ الامالي للقالي ٢: ٢٤٥.

(٤) الكشاف ٢: ٢٩٢.

(٥) سورة الاعراف ٧: ٥٠ - ٥١.

الماء ، والعطش في مفهومها العام (١) وقد فسر النعم في قوله تعالى (كلا
لو تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ ، ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ الْيَقِينِ ، ثُمَّ
لَتُسْتَشِلُّنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (٢) . مما يعطينا صورة عن أهمية الماء
عندهم وكيف انهم احسوا ان حرمانه عذاب لا يدانيه عذاب ، وان
توفره في الجنة نعيم وثواب فالعربي الذي طالما احس بأذى العطش والظماء
في بيته الصحراوية ، ثم عرف اللذة في الحصول عليه بعد ظمآن قاتل .
هذا العربي يستطيع ان يتصور في الآيات الكريمة مدى العذاب الذي يعذب
به المجرمون في النار بحرمانهم من الماء ويستطيع ان يتصور الآيات التي
تعرض عطش المجرمين ، وحرمانهم . ومن هنا جاء التأثير العظيم في نفوس
العرب من مسلمين ومشركين .

لقد عانى العرب من حرمانهم الماء في بيتهما الحارة ما عانوا ، تلك
البيئة التي يلقي فيها الحيوان ما يلاقيه الإنسان من شدة القيظ ، والأذى
فقد روى الأصمعي انه قيل لأعرابي ما لو حَجَّ جسمك ؟ قال الأداوى
والنجم . يريد انه كثير الأسفار فهو يراعي أدواته كم فيها من الماء (٣) .
فن الطبيعي اذن ان نجد them متلهفين الى الماء في مثل هذه الأجواء الشديدة
الحر وان يجدوا فيه اعظم النعم ، وأحسنه ، يفرح العربي ويبلغ غاية سعادته
اذا تيسر له شيء من الماء ، ويعتبر الحصول عليه بشارة يبشر بها وفرجاً
منه الله عليه . فالراجز :

تَبَشَّرِي بِالرَّفْهِ وَالْمَاءِ الرَّوْيِ وَفَرْجِ مَنَاثِ قَرِيبٍ قد أتى (٤)

(١) راجع ص ١٤٩ .

(٢) سورة التكاثر ١٠٢ : ٨ - ٥ .

(٣) معاني الشعر : ٢٦ .

(٤) شرح القصائد السبع : ١٩٨ ، لسان العرب ٦٣:١٩ والبيت غير منسوب الى قائله

ويحن العربي الى الماء حنينه الى اهله ، ووطنه ، ومرتع صباه . ولا يجد اجل من تمنيه شربة ماء يشربها بعد عطش (١) وفخروا بكرمهم الذي لا ينفعه جوع ، ولا عطش ، وإنهم يجودون بما لديهم في الحالتين (٢) . ولندرة الماء عندهم صار اعظم ما يمدح به الرجل هو الصبر على تحمل العطش ، وقرنوه بالجمل ذلك الحيوان الذي احبوه لتحمله العطش الشديد في الصحاري الواسعة من ذلك ما يذكر في خبر عامر بن الطفيلي حين توفي ، ونصب حول قبره حمى ، ان احد ابناء قومه قال لهم : (ضيق قسم على أبي علي أن ابا علي بان في الناس ثلاث : كان لا يعطش حتى يعطش الجمل) ، وكان لا يصلح حتى يصلح النجم . . .) (٣) . كل هذا يعكس اهمية الماء في البيئة العربية ، لأنهم عانوا من فقدانه ما عانوا ، فاستطاعوا ان يعرفوا قيمة الماء البارد بعد ا渥حة شديدة وعطش مضن ، وشبهوا به الحديث الجميل الذي يترك اثراً طيباً في نفوس سامعيه قال القطامي :

فُهُنَّ يَنْبَذُنَّ مِنْ قَوْلٍ يُصْبِنَّ بِهِ
مَوْاقِعَ الْمَاءِ مِنْ ذِي الْغَلَةِ الصَّادِيِّ (٤)
واذا اراد الشاعر ان يبين شدة وجده ، ووطنه بصاحبته شبهه بوجود الظمان للاء اذا حرم منه . قال امرؤ القيس :

(١) انظر الحيوان ٦: ٨٦ ، الوحشيات : ٢٠٢ ، ٢٠١ ، ثمار الفلوب : ٤٤٥ ، الحماسة البصرية : الورقة ٣٠٨ (أ) .

(٢) منتهى الطلب : الورقة (٢٤٧) .

(٣) الاغاني ١٥: ١٣٩ ط هولاق وانظر حول حمى الماء بجمع الامثال . ٣٤ : ٢

(٤) ديوان القطامي : وانظر ايضاً الحيوان ٥: ٤١ .

لَعْمَرُكَ إِنِّي لَأُحِبُّ مَيَا كَحْبَ مُحَلَّاءِ ظَمَانَ رَيَا (١)
وانشد ابن دريد لاعرابي قوله :

وَانِي لَأَهُواهَا وَأَهُوَ لِقَاءهَا كَمَا يَشْتَهِي الصَّادِي الشَّرَابُ الْمُبَرَّدَ (٢)
وشدة الشوق الذي يشعر به الحب لا يتصوره الا حرّاً يأكلُ
احشاءه ، فاذا اراد المبالغة في اظهار ألمه قال : انه حرّ لا برد فيه (٣)
وقال الشعالي : برد الشراب يتمثل به في كل محبوب وعند كل مشتهي (٤)
وأخيراً فقد سئل الإمام علي عن حب المسلمين للرسول (ص) فقال :
(كان والله احب اليها من اموالنا ، واولادنا ، وابائنا وامهاتنا ، ومن
الماء البارد على الظما) (٥) .

هذه الصورة الحبيبة للماء ، وما يلاقيه العرب في بيئتهم الصحراوية
الشحيحة تساعدنا على تصور الجو الرهيب الذي تثيره الآيات الكريمة :
(ونادي اصحاب النار أصحاب الجنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا علينا من الماءِ أَوْ
مَا رَزَقْكُمُ اللَّهُ ، قالوا : إِنَّ اللَّهَ حَرَمَهَا عَلَى الْكَافَّرِينَ) (٦) .
فهذه الآيات وحدتها كافية لأنارة الجو الرهيب في نفس الانسان ، فكيف

(١) ديوان امرىء القيس : ٢٥٩ .

(٢) الامالي للقالي ١ : ٣٣ ، وانظر ايضا ارجيز العرب : ٦٧ ، والبيت
منسوب للاحوال الشاعر الاسلامي المعروف في الاغاني ١١ : ٢٢ وانظر ايضا
زهر الاداب ٢ : ٣٧٢ ، التنبية على اوهام ابي علي : ٢٧ .

(٣) الحيوان ٥ : ١٩٢ ، الصناعتين : ٧٧ ، الكامل للمبرد ٢ : ٦٠٦ ،
الأمالي للقالي ٢ : ١٩٢ .

(٤) ثمار القاوب : ٤٩٩ ، وانظر ايضا النهاية في غريب الحديث ١ : ٧١ .

(٥) الكامل للمبرد ٢ : ٦٠٧ ، ثمار القاوب : ٤٩٤ .

(٦) سورة الاعراف ٧ : ٥٠ .

بالعربي الذي يرى في حرمان الماء عذاباً لا يدانيه عذاب؟ ان الآيات الكريمة تشير في ذهنه معلم بيته القاسية التي عرف فيها أهمية الماء ، وما يصيب الإنسان من الأذى والحرمان حين يُحرّم منه او يفتقره في مجاهل الصحراء وفيها .. . !

انها مشاهد رهيبة تشيرها الآيات الكريمة في رسم صور العذاب بالعطش والحرمان من الماء حين يطلب اهل النار من اهل الجنة ان يفيضوا عليهم شيئاً من الماء يروي عطشهم ، ولكن الرد يأتمهم قاسياً رهيباً ، اذ لارحة لاهل النار ، ولا يفيض اهل الجنة عليهم بشيء من الماء ، حتى اذا بلغ بهم الظماء مداره ، وقطعت اعماوهم لفرا على الماء ، سقوا شراباً حاراً واي شراب؟ انه شراب صور بعده تعابير ، كل منها يعطي صورة مفزعة ، فهو تارة الحميم ، وآخر الغساق ، وبشبة مرة بالمهمل ، وبالصديد مرة اخرى :

أ - الحميم :

ورد الحميم في الآيات الكريمة محاطاً بسياق عام يعرض عذاب جهنم الآليم ، ولظاها المحرق ، ففي سورة الدخان عرضت الآيات الكريمة طعام اهل النار الذي يغلي في بطونهم وبؤذهم ، فإذا الشراب ليغلي هو الآخر في بطونهم ، ويزيد عذابهم (ان شجرة الزَّقْوَم طعامُ الْأَلِيم ، كالمهمل يغلي في البطون كغليِّ الحَمِيم ، خَذْرُهُ ، فاعتاوهُ إلَى سَوَاءِ الْجَحِيم ثم صبوا فوق رأسِهِ من عذابِ الحَمِيم ، ذُقْ إِنْكَ انتَ الْعَزِيز

(1) ورد في حمس عشرة آية انظر المعجم المفهرس : ٢١٢ ،

الْكَرِيم) (١) ، وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا : (أَذْلَكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ
 الْزَّقْوُم ؟ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فَتَنَّةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَبَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ
 طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُؤُسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا كَلُونَ مِنْهَا ، فَالثَّلَاثُونَ مِنْهَا
 الْبَطْوَنَ ، ثُمَّ إِنَّهُمْ عَلَيْهَا كَشُوبًا مِنَ الْحَمِيمِ ، ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ إِلَى
 الْجَحِيمِ) (٢) . وَفِي سُورَةِ الرَّحْمَنِ صُورَةُ الْمُحْرَمُونَ وَهُمْ يَطْوَفُونَ فِي جَهَنَّمَ
 بَيْنَ الْحَمِيمِ ، وَمَاءِ الْحَارِ الَّذِي بَلَغَ أَقْصَى درَجَاتِ الْحَرَارَةِ : (يُعْرَفُ
 الْمُحْرَمُونَ بِسِيمَاهُمْ فَيُبُوَّحُدُونَ بِالنَّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ ، فَبِأَيِّ أَلَاءِ رَبِّكُمْ
 تَكَذِّبَانِ ؟ هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُحْرَمُونَ ، يَطْوَفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ
 الْحَمِيمِ آنِ) (٣) . وَفِي سُورَةِ الْوَاقِعَةِ نَجْدُ وَصْفَهَا دَقِيقًا لِهَذَا الشَّرَابِ الْمُؤْذِي
 الَّذِي يَلْجَأُ إِلَيْهِ الْمُحْرَمُونَ بَعْدَ أَنْ يُحْرَقَ الْزَقْوُمُ بِطَوْنِهِمْ ، فَيَشْرِبُونَ مِنَ الْحَمِيمِ
 فَلَا يَرْتَوْنَ ، بَلْ يَزِيدُ اذَّاهُمْ ، وَعَطْشُهُمْ ، وَبِشْهُونَ بِذَلِكَ الْأَبْلَهِمِ :
 (ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيَّهَا الضَّالُّونَ الْمُكَذِّبُونَ ، لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرَةِ مِنْ زَقْوُمٍ
 فَالثَّلَاثُونَ مِنْهَا الْبَطْوَنَ ، فَشَارِبُوْنَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ ، فَشَارِبُوْنَ شُرْبَ
 الْحَمِيمِ ، هَذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (٤) . وَنَجْدُ فِي صَفَةِ هَذَا الشَّرَابِ
 أَيْضًا أَنَّهُ يَقْطَعُ الْأَعْمَاءَ لِشَدَّةِ حَرَارَتِهِ : (وَسُقُوا مَاءَ حَمِيمًا فَقَطَّعَ
 أَعْمَاءَهُمْ) (٥) .

لقد فسر بعض المفسرين الحميم في الآيات السابقة بأنه الماء الحار

(١) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٩ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٨ .

(٣) سورة الرحمن ٥٥ : ٤١ - ٤٤ .

(٤) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦ .

(٥) سورة محمد ٤٧ : ١٥ - ١٥ .

المغلٰى الذي تناهى حره ، وبلغ أقصى الدرجات (١) : وقال اخرون ان الحميم دموع اعين المجرمين في النار ، تجتمع في خنادق فُيسيقونه (٢) . وكلا التفسيرين يعطي معنى واحداً هو أن ما يُسقى منه المجرمون شراب شديد الحرارة ، سواء كان مغلياً او كان دموع المجرمين الحارة . ومن الضروري تتبع دلالة الكلمة ، ومعانٰها في الذهن العربي لمعرفة الایحاء الذي تشيره الآيات الكريمة .

فالحر في الصحراء العربية – وقد مرت بنا صوره – جعل العرب يكتّرون من وصف شدة القبيط والايام الحارة ، فسموا القبيط الحميم (٣) وقالوا حمّة الحر وشدته (٤) . وقد وردت بهذا المعنى الحسي في القرآن الكريم ايضاً حين ذكرت اموال الباطل ، وكيف انها يُجمىء عليها في نار جهنم ، ويكون بها اصحابها (٥) ، ووصفت النار بالحامية لشدة حرارتها (٦) وكذلك وردت في الحديث النبوي الشريف (٧) . ومن هنا اطلق الحميم على كل ما اشتدت حرارته ، فاطلق مشلا

(١) تنوير المقياس : ٨٩ ، مجاز القرآن ١ : ٢٧٤ ، جامع البيان ١٧ : ١٣٣ ، ٣٠ ، تفسير القمي : ٣٤٦ ، التبيان ٨ : ٥٠٣ ، الكشاف ١ : ٥١١ .

(٢) جامع البيان ٣٠ : ١٣ .

(٣) الازمنة لقطرب : ٤٥ ، النوادر ١ : ١٥ ، الصحاح ٥ : ١٩٠٥ . لسان العرب ١٥ : ٤٣ .

(٤) الصحاح ٥ : ١٩٠٤ ، لسان العرب ١٥ : ٤٢ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٣٥ .

(٦) سورة الغاشية ٨٨ : ٤ .

(٧) مستند الامام احمد ١ : ٢٦٢ ، ٢٠٧ ، ٨٣ .

على العيون الحارة التي وجدت في بعض أنحاء الجزيرة العربية وسمّوها
الحُمَّة (١) .

ومن ثم اطلق الحميم على كل ماء حار (٢) . اما العرق الذي اطلق
عليه الحميم (٣) فقد سمي بذلك على التشبّه ولأنه لا يخرج من مسامات
جسم الإنسان الا عند اشتداد الحر اما الحميم الذي هو القريب او الصديق
والذى ورد في القرآن الكريم ايضاً (٤) فقد علل الراغب تسميته بأنه
يختد لحراية ذويه (٥) .

وفي كل هذه المعاني المتعددة للكلمة نجد انها تعني شدة الحر وبلوغه
اقصى الدرجات وهو المعنى الذي فسرت به الآيات الكريمة بان المجرمين حين
تشويههم النار بظواهراً فيتمنون ماء يطفئون به غليلهم ويختفون به شدة الحر
وعذاب النار ، فإذا بهم يسقون ماء بلغ في غلبيه اقصى درجات الحرارة
فيقطع امعاءهم ، ويزيد عذابهم .

وورد الحميم في آياتين على انه وسيلة من وسائل التعذيب الجسدية
بالاضافة الى اعتباره شراباً قاسياً (هذان خصمان اختصموا في رِبِّهم

(١) صاحب العين عن الخصص ١٠: ٢٣ ، جهرة اللغة ١: ٦٤ ، الصحاح

١٩٠٤: ٥

(٢) ابو عبيدة وابن السكikt عن الخصص ١٠: ٣٣ ، جهرة اللغة ١: ٦٤ ،
الصحاح ١٩٠٤: ٥ .

(٣) صاحب العين عن الخصص ٩: ١٣٩ ، جهرة اللغة ٦٤: ١ ، المسلسل:
٢٨٧ ، المفردات: ١٢٩ وانظر الشعر في شرح ديوان ليبد: ١٣٢ ، ديوان النابغة
الجعدي: ١١ ، ديوان المزركش بن ضرار: ٤١ ، شعر المتنبّع العبدى: ٢٥ .

(٤) انظر المعجم المفهوس: ٢١٢ .

(٥) المفردات: ١٣٩ .

والذين كفروا قطعَتْ لهم ثياب من نارٍ يُصَبُّ من فوق رؤسهم الحميم ، يُصَبِّهِمْ به ما في بطونهم والجلود ، ولهُم مقامٌ من حديد)١(ففي هذه الآيات نجد تصويراً موجزاً رائعاً لشدة حرارة الحميم ، فهو اذا صب على رؤسهم صهر جلودهم ، وبطونهم ، ومنع ذلك بعادون الى خلقتهم الاولى ، ليعاد عذابهم ، وقوله تعالى لهم مقام من حديد يزيد تصوير شدة حرارة الحميم الذي يصب على رؤوس من المحرمين ، وقد قنعوا بالحديد ، فيلتهب بحرارته رؤسهم ، وينفذ الحميم الى بطونهم فيذوبها ، فتشكل الصورة الكاملة لعذاب الحريق مع الشراب الحار الذي يسوقونه ، ويصب على رؤوسهم .

ب - الصديد :

اما الصديد فقد وصف به الماء الذي يغاث به المحرمون في النار حين يستد عطشهم (واستفتحوا ، وخاب كل جبارٍ عنده ، من ورائه جهنمُ ويسقى من ماءٍ صديداً ، يتجرعهُ ، ولا يكاد يسيغهُ ، ويأنه الموتُ من كل مكان ، وما هو بمبأة ، ومن ورائه عذاب غليظ))٢(.

فقد فسر الصديد بأنه ما يخرج من اجسام المعدين في النار من قبح ودم)٣(. وهكذا عرفه العرب في حياتهم ، وتعابيرهم

(١) سورة الحج : ٢٢ - ٢٠ .

(٢) سورة ابراهيم : ١٤ - ١٥ .

(٣) تنوير المقاييس : ١٦١ ، مجاز القرآن ٣٣٨:١ ، جامع البيان ١٩٥:١٣ ، البيان ٦: ٢٨٣ ، الكشاف ٢: ١٧٥ ، النهاية في غريب الحديث ٢: ٢٥٤ .

اللغوية (١) ، وهذا المعنى الذي فسرت به الآية الكريمة يعطي إيحاء رهيباً
اضافة الى إيحاء العطش ، والحرمان من الماء ، لانه يوحى بالاذى والام
الشديد ، فهو يخرج من اجسام المعدبين ، وحروفهم في النار ، ومع ذلك
لا يجدون شراباً غيره فيضطرون الى شربه وتجرعه ، ولكنهم لا يستطيعون
احتماله ، لانه لا يشفي غليلهم اولاً ، ولأنه يثير التفزر في النفوس ثانياً
فيتمون الموت ، ولكنهم لا يموتون ، لأنهم قد كتب عليهم العذاب
الأزلي الدائم .

ج - المهل :

ومثل الصديد فسر بعضهم المهل في قوله تعالى : (وَقُلْ لِكُمْ مِنْ
رِبَّكُمْ قَنَنْ شَاءَ فَلَيُبُوِّئُ مِنْ) ، ومن شاءَ فَلَيُكَفِّرُ ، إذا اعتدنا للظالمين
ناراً احاطَ بهم سُرَادِّ قَهَا ، وان يَسْتَغْيِيْشُوا يُغَاثُوا بِمَاءَ كَالْمُهَلَّ يَشْوِي
الوجهَ ، يَشْسَسَ الشَّرَابَ ، وساعَتْ مُرْتَفَقَاهَا (٢) الا ان في الآية
الكريمة إيحاء آخر غير معنى الجروح والقرح ، وهو معنى المهل الذي
فسره معظم المفسرين بالتحاس الذائب كما مر بنا سابقاً (٣) . فهذا المعنى
يزيد الآية إيحاء آخر ، ذلك ان الماء الذي يُغاث به المجرمون يغلي كغليان
التحاس والمعدن ، ولشدة غليانه يحرق الوجه ، ويشويبها ، فكيف بهم
اذا أجبروا على شربه وتجرعه ! وهو في هذه الحالة مقزز غير ساعغ

(١) الغريب المصنف الورقة : ١١٢) ، جمهرة اللغة ٣ : ١٩٠ ، الصحاح

١ : ٤٩٣ ، مقاييس اللغة ٣ : ٢٨٢ ، المخصص ياب الجراح والقرح ٥ : ٩١

(٢) سورة الكهف ١٨ : ٢٩

(٣) راجع : ص ٨٣

كالصادق والقيح ، ومثل هذا فسر بعضهم الغساق في قوله تعالى : (إنْ
جَهَنَّمُ كَانَتْ مِرْصَادًا ، لِلطَّاغِينَ مَآبًا ، لَا يَشْيَنَّ فِيهَا أَحَقَابًا ، لَا يَدُونَ وَقُونَ
فِيهَا بَرْدًا ، وَلَا شَرَابًا ، إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَاقًا) (١) ، فقالوا انه ما يسئل
من جلودهم من الصديق ، والقيح (٢) . وقالوا في تفسير البرد في الآية
الكريمة بأنه سبحانه وتعالى حرم على الكافرين الشراب البارد الذي يبرد
حر السعير (٣) ، فهم لا يسوقون إلا الحميم والغساق . وقد اجتمعت
في هذا الشراب شدة الحرارة ، وتنق الرائحة . وقال بعضهم البرد هنا
النوم . ويبدو ان المعنى الأول اكثراً انسجاماً مع سياق الآيات العام الذي
يعرض شدة العطش والحرمان من الماء البارد الا الشراب الذي يزيد عطشهם
ويحرق ابدانهم . هذه التعبير تجتمع كلها لتصور شراب أهل النار على
انه وسيلة من وسائل التعذيب اضافة الى معاناتهم نهب النار ، ولظاهراً الحرق
ومن الواضح ان اطلاق الشراب على هذا الضرب من العذاب اما صدر
عن سخرية لاذعة بال مجرمين » حين تقطع امعاؤهم عطشا ، فيغاثون بماء
لا يروي غلتهم ، ولا يقيدهم فائدة الماء ، ولكنهم يشربون منه ، لأنهم
لا يجدون شراباً غيره ، ولأن الطعام الذي يتجرعونه يزيد عطشهم ويحرق

(١) سورة النبأ: ٧٨ - ٢١

(٢) جامع البيان: ٣٠، ١٣، الكشاف: ٣: ١٨، وكذلك قال اللغويون انظر
شواهد الشعر في المفضليات: ٢٩، الوحشيات: ٢٢٦

(٣) تنوير المقياس: ٣٧٩، جامع البيان: ٣٠، ١٢: ٣٠، تنزيل القرآن: ٣٦١
الكاف: ٣: ٣٠٦

(٤) تنوير المقياس: ٣٧٩ جامع البيان: ٣٠، ١٢: ٣٠، الكشاف: ٣: ٣٠٦
والنظر ايضاً المدخل: مجلة الجمع العلمي العربي: ٩٢: ٨: ٤٦٠

بطونهم ، فيشربون من هذا الشراب دون ان يجدوا فيه لذة الشراب
ونعيم الماء .

وعذاب العطش والحرمان من الماء صور في آية أخرى بتعبير رائع
يجعل من صورة العطش لوعة دائمة التجدد ، تتجدد فيها صور في البيئة
العربيّة قال الله سبحانه وتعالى : (إِنَّمَا أَنْتُمْ إِلَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكْذُوبُونَ لَا كَلُونَ
مِنْ شَجَرٍ مِّنْ زَقْوَنَ ، فَالثَّلَوَنَ مِنْهَا الْبَطْوَنَ ، فَشَارِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْحَمِيمِ
فَشَارِبُونَ شُرْبَ الْهَمِيمِ ، هَذَا نُزُلُّهُمْ يَوْمَ الدِّينِ) (١) .

ففي هذه الآيات الكريمة ترسم لنا صورة العطش الدائم ، والحرمان
الأزلي من الماء ، وشبه شربهم المتواصل الذي لا يجد لهم بشرب الهيم :
وقد اختلف المفسرون في تفسير الهيم ، فقال بعضهم ان الهيم
(هي الابل الظماء اذا اخذها الداء الهيم لا تقاد ان تروي) (٢) :

وقال آخرون بان الهيم هي الابل العطاش ، ولم يخصوها بالمرضى
قال ابن عباس : (وقيل كشرب الابل العطاشى اذا اكلت الحمض) (٣)
وكذا قال اللغويون (٤) . وقد اعتمد المفسرون في هذا التفسير على معنى
عرفوه في بيئتهم ، وكثير استعماله في لغتهم وتعابيرهم ، ذلك انهم اعتادوا

(١) سورة الواقعة ٥٦ : ٥٦ - ٥١

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٩ ، جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ ، التبيان ٩ : ٥٠٢
الكاف ٣ : ١٩٥

(٣) تنوير المقياس ٣٣٩ ، وانظر ايضاً جامع البيان ٢٧ : ١٩٥ - ١٩٦

(٤) جمهرة اللغة ٣ : ١٨٢ ، الصبحاح ٥ : ٢٠٦٣ ، اساس البلاغة ١٠٧١
لسان العرب ١٦ : ١١٠ ، ديوان الشماخ ٨٥

ان يرافقوا ابليهم في حاله صحتها ، ومرضها ، فعرفوا فيها داء اسموه الهيام وهو (داء يصيب الابل من ماء تشربه مستنقعاً) (١) . وقال ابن السكين (الهيام داء يأخذ الابل عن بعض المياه بهامة) (٢) . وقد عرف الجغرافيون العرب هذا الضرب من الماء في وصفهم لانحاء الجزيرة العربية فذكره عرام في وصفه اواد شس في تهامة فقال وهو بلد مهيمنة موبأة ، لا تكون بها الابل ، يأخذها الهيام عن نقوى بها ساكرة لا تجري قال الشاعر :

كأنك مردوع شس منتظر
يفارقه من عقدة البعير هيمها (٣)

أي كأنك جمل مبعد عن وادي شس مصاب باوجاع مؤلمة ، يريد ان يفارقه ، وخصت هذه المنطقة بالذكر ، لأنها موبأة بمرض الهيام : واذا كان هذا الماء الذي يسبب مرض الابل قد عرف بعيته في منطقة تهامة ، وعرفوا نتائجه الوخيمة على ابليهم فمن الجائز ان نجد ماء راكدا مثله في مناطق أخرى من الجزيرة العربية يسبب مرض الهيام ايضاً ، ومن هنا نجد شيوع استعمال كلمة الهيام في اشعارهم ، ووصفهم لابليهم . قال الحادرة (٤) :

(١) الغريب المصنف : الورقة (٤٠٢)

(٢) عن الخصوص ٥: ٣٧ . وانظر ايضاً ٧: ١٧٠

(٣) اسماء جبال تهامة : ٢٩ ، والبيت غير منسوب لقائله ، وانظر ايضاً

معجم البلدان ١: ٦٧٢

(٤) الحادرة لقب غلب عليه ، والحويدرة ايضاً اسمه قطبة بن اوس بن محصن من شعراء قيس ، شاعر جاهلي مقل ، وانما سمي الحادرة لقول زبان بن صباح الفزارى كأنك حادرة المنكرين رصعاء تنقض في حائر

انظر ديوان المفضليات : ٤٨ - ٤٩ ، الآغاني ٣: ٧٩

أودى السُّفَارُ بِرْمَهَا فَتَخَالُهَا هِيمًا مُقَطَّعَةً حِبَالَ الْأَذْرَعِ^(١)
أي ذهبت كثرة الاسفار بالحوم هذه الابل ، وشحومها ، واصابها
الهيم فقصـد عروقها وقطعها ، لانها تشرب من الماء فلا تروى . وقال لبيد :
أَجَزَتُ إِلَى مَعَارِفِهَا بُشِّعْتُ وَاطْلَاحَ مِنَ الْعِيدِي هِيمٌ^(٢)
هذه الصورة للابل العطاشي المريضة قد علقت في اذهان العرب
وشعراهم ، فجعلوا منها مادة لاتنضب لتشبيهاتهم ، واحتيلتهم . قال اعرابي :
فَإِنْ جَدْ مَلَوَاحٍ مِنَ الْهِيمِ حُلِّيَتْ عَنِ الْمَاءِ حَتَّى جَوْفُهَا يَتَصَلَّصِلُ
تَحْوُمُ وَتَغْشَاهَا الْعَصِيُّ وَحَوْلَهَا أَفَاطُعُ أَنْعَامٍ تُتَلَّ وَتُتَنَهَّلُ
بِأَكْثَرِ مِنِي غُلَةً وَتَعَطَّفُنَا إِلَى الْمَاءِ إِلَّا أَنِّي أَتَجَمَّلُ^(٣)
صورة الابل المصابة بمرض الهيم ، المشوقة الى الماء الدائمة العطش
الا انها محرومة يمنعها اصحابها عن الورد بالضرر والعصي ، ومع ذلك
ترى امامها الانعام ترد الماء وترتوى منه ، فيزيد وجدها وتشوقيها الى الماء
هذه الصورة شبه بها الاعرابي حاله في شدة عطشه الا انه اكثر صبرا
وتجلما من الابل الهيم ، والاعرابي في هذه التشبيهات انا استند على صورة
اعتدادها في الصحراء الواسعة .

ومن هنا جاء تفسير المفسرين لقوله تعالى : (ثُمَّ إِنْكُمْ إِيَّاهَا الضَّالُّونَ
الْمَكْذِبُونَ ، لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ ، قَالُ الثَّوْنَ مِنْهَا الْبَطُونَ)

(١) المفضليات : ٤٧ ، وانظر ايضاً قول ربيعة بن مقرئ : ١١٨

(٢) شرح ديوان لبيد : ١٠٣

(٣) الحيوان ٣ : ١٠٤ ، وانظر شواهد شعرية أخرى في ديوان عامر بن

الطفيل : ٣٢ ، ديوان شعر ذي الرمة : ٥٨٨ ، تاريخ العرب للاصمعي : ١٠٣

الصحاح ٥ : ٦٠٣

فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون شرب الهم (١) وذلك ان عطش اهل النار الشديد يجعلهم يشربون من الماء المغلي فلا يرتوون ، بل يزداد عطشهم ، وألمهم ، ومثلهم في هذا مثل الايل الهم التي مرت بنا صورها ، والتي اعتادها الغرب في بيتهنم .

اما التفسير الثاني للآية الكريمة فقد ذهب به بعضهم بعيدا عن معنى الايل العطاشى فقالوا (الهم هي الارض السهلة) (٢) . وقال الطبرى (يقال ان الهم الرمل ، بمعنى ان اهل النار يشربون الحميم شرب الرمل الماء) (٣) : وقد استمد المفسرون هذا المعنى من استعمال لغوی الكلمة عرفه العرب ، وشاع استعماله ايضا ، وهو اطلاقهم للهيم على نوع من الرمل . قال الاصمعي (الهيم الذي لا يقالك ان يسيء من اليد من لينه) (٤) ، قال لبيد :

تَجْتَافُ أَصْلًا قَالَ صَاحِبُهُ مُتَبَّدًا
بَعْدُ جُوبِ أَنْقَاءِ يَمِيلُ هِيَامِهَا (٥)

يقول ان هذه البقرة تدخل نفسها في جوف شجرة كبيرة ، بعيدة عن المسالك نابتة في اطراف كثبان تهال رمالها بسرعة وقال ايضا :

(١) سورة الواقعة ٥٦:٥١ - ٥٦

(٢) تنوير المقياس : ٣٣٩.

(٣) جامع البيان ٢٧:١٩٥ ، الكشاف ٣:١٩٥ .

(٤) عن الغريب المصنف : الورقة ٢١٤ ، وانظر ايضاً مجالس ثعلب ٤٦٨ ، جمهرة اللغة ٣:١٨٢ ، الصلاح ٥:٢٠٦٣ ، اساس البلاغة ١٠٧١:٢ لسان العرب ١٦، ١١٢ .

(٥) شرح ديوان لبيد ٣٠٩ ، والشطر الثاني من شواهد الخليل في العين ١٤ والاصمعي في المخصص ١٠:١٤٥ .

يَرَعُ الْهَيَامَ عَنِ التَّرِى وَبَدَأَ بُطَاحَ تَهَايُلُهُ عَلَى الْكَثْبَانِ^(١)
 هذا الرمل الذي يتسلط بسرعة ، ويسلل منها لادنى حرقة لايمسك
 الماء اذ سرعان ما تبتلعه ذراته ، وتغور به ، فلا يبقى له اثر ، وهي
 صورة تشبه صورة الابل الهيم التي لا يجد فيها الماء شيئاً ، فها شربت عادت
 الى حالها الاولى من لوعة العطش والتشوق الى الماء وفي كلا الصورتين
 نجد معنى ماديا وثيق الصلة بالبيئة العربية بحيث يصعب علينا تحديد دلالة
 الكلمة الاولى .

وهكذا يعرض لنا تعبير الهيم في الآيات الكريمة صورة العطش الدائم
 واللوعة المستمرة التي يعاينها المجرمون يوم القيمة ، كما يعكس لنا صورا
 من البيئة العربية . صورة الابل المريضة بالهيم تشرب الماء فلا ترتوي ،
 وصورة الرمل المنوال الذي لا يمسك الماء ، ولا يحفظه ، وهي صورة
 تكمل ملامح عذاب المجرمين في النار حين يسقوون الطعام المؤذى الذي يلهب
 بطونهم ، فيشربون فوقه شرابا حارا يزيد عطشهم ويلهب احشاءهم .

٦ - طعامهم :

اما طعام اهل النار فقد صور في القرآن الكريم بعدة تعبيرات تجتمع
 كلها لاثارة جو رهيب لصنف آخر من صنوف عذاب المجرمين في النار :

أ - الضرير

قال الله تعالى : (وَجْوَهٌ يَوْمَئِذٍ خَاشِعَةٌ ، عَامِلَةٌ نَاصِبةٌ ، تَصْلِي

(١) شرح ديوان لبيد : ١٤٤ .

ناراً حاميةً ، تُسقى من عين آنيةٍ ، ليسَ لهم طعامٌ الا من ضرِيعٍ لا يسمِّنُ ولا يُغْنِي من جوعٍ (١) . فقد سمي طعام المحرمين بالضرِيع ووصف بأنه لا يسمِّن ولا يُشبع كما هو معروف في طعام الناس . وقد اختلف المفسرون في تفسيره ، فقال بعضهم : (لا ادري ما الضرِيع ، لم اسمع عن اصحاب محمد صلَّى الله عليه وسلم فيه شيئاً) (٢) ، وقال آخرون ان الضرِيع شجر من نار (٣) .

وقرن فريق من المفسرين الضرِيع بنبات عهدوه في البيئة العربية ، وعرفوا ميزاته وصفاته قال ابن عباس : (شوك يكون في الباذنة) (٤) وقال ابن قتيبة مفسراً الضرِيع بأنه (نبت يكون في الحجاز ، يقال لرطبه الشبرق ، لا يسمِّن ، ولا يُشبع ، قال امرؤ القيس : فاتبعتهم طرُفَي وقد حال دونهم غوارب رَمْلِ ذي ألاء وشِبرق والعرب تصفه بذلك) (٥) . وقال ابن قتيبة ايضاً ان (الضرِيع من اقوات الانعام ، لا من اقوات الناس ، واذا وقعت فيه الابل لم تشبع وهلكت هزلاً قال الذهلي يذكر ايلاً وسوء مرعاها : وُحِسِنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيعِ فَكُلُّهَا حَدَباءُ دَامِيَّةُ الْبَدِينِ حَرَودُ) (٦)

(١) سورة الغاشية ٨٨:٢-٦ .

(٢) هو قول الحسن البصري في التبيان ١٠: ٣٣٤ - ٣٣٥ .

(٣) تأويل مشكل القرآن ٤٨ ، جامع البيان ٣٠: ١٦٢ وانظر ايضاً متشابهات القرآن ٢: ١١٦ .

(٤) اللغات في القرآن : ٥٤ .

(٥) تأويل مشكل القرآن : ٤٨ ، والبيت في ديوان امرئ القيس ١٦٩ ، وانظر ايضاً الم نهاية في غريب الحديث ٣: ١٨ .

(٦) تأويل مشكل القرآن : ٤٩ .

وهذا البيت لقيس بن خويلد بن العيزارة (١) في أبيات يرثي بها
أخاه وروايته في الديوان :
وَحُبِّسْنَ فِي هَزْمِ الضَّرِيعِ فَكُلُّهَا حَدَبَاءُ دَامِيَةُ الْيَدِينِ جَدُودُ (٢)
 وهي ارجح من رواية ابن قتيبة ، لأنها تبين صورة الأبل التي شبه
بها الشاعر القوم الذين يقتاتون مالاً يشعرون به ، بأنهم كالابل التي حبست ،
ومنعت إلا من أكل الضريح - وهو الشرق - فهزلت وبدت عظامها ،
وانقطع لبنها .

وقال آخرون ان الضريح هو الحجارة (٣) ، ولا يوجد في
استعمال الكلمة اللغوي ما يساعدنا على فهم الضريح بانه الحجارة . اما
الذين قالوا بان الضريح شجر من نار (٤) ، فأنما ردوا بقولهم على من
اعتراض على وجود طعام في النار التي تحرق كل شيء .
 ويبعد ان اقرب هذه التفاسير هو قول من قال ان الضريح نبت
معروف في الجزيرة العربية ، وليس القصد من هذا اطعامهم ، ضرباً من
الطعام ، انا المراد السخرية بالحرمين ، ذلك لأن الناس تأكل لتزيد قواها
وتشبع ، اما طعام اهل النار فإنه لا يعني من جوع ولا يسمى ابداً ، وله
صورته الواضحة في البيئة العربية ، فقد اعتقاد العرب للنباتات المتوفرة في
بيئتهم ، وخبروا انواعها ، وما يفيد حيوانها ، وما يضره ، فكان من بينها

(١) شاعر جاهلي من بني هذيل ، والعيزارة امه ، وبها يعرف ، وهو قيس
ابن خويلد ، اسرته فهم فافتنتهم ، وأخذ سلاحه تأبط شرا . انظر شرح
أشعار الذهليين ٢ : ٤٨٩ .

(٢) شرح ديوان الذهليين ٢ : ٥٩٨ ، وانظر ايضاً الصحاح ١٠٨:١ ، ٤٦١ .

(٣) جامع البيان ٣٠ : ١٦٢ .

(٤) انظر : ص ٢٤٧

ضرب خاص من النباتات اذا رعت فيه حيواناتهم ساءت حالها وتدهورت صحتها ، وذلك هو الشبرق اليابس الذي اطلقوا عليه اسم الضريح (١) . ومن هنا فخرروا بخوبهم القوية ، واعتنائهم بها ، وكيف انهم لا يطعمونها الا الطعام الجيد لا الضريح المؤذى :

الَا مَنْعَتْ نُهَلَّةً بِطْنَ وَجْهٍ بِجُرْدِ لَمْ تُبَاحَتْ بِالضَّرِيعِ (٢)
ومن هذا النبت الذي يهزل الابل ويضعفها اطلقوا تعير الضرع على الضعف والذل بصورة عامة (٣) : لأن من يضعف ، ويهزل تذل نفسه ، وتسكن ومن هنا فسر بعضهم الضريح بقولهم : (الضريح بمعنى المضرع أي يضر بهم) .

وهذا المعنى المتتطور من الاصل المادي يساعدنا على فهم الآية الكريمة وذلك انه ما دام طعام اهل النار لا يسمى ، ولا يعني من جوع ، وانه الضريح الذي اذا اكلته الابل هزلت قواها ، فان هذا الطعام يؤدي حتما الى ضعف قواهم وهزتهم ، وانما سمي طعاما (من حيث يستطيع) (٤)

(١) انظر الفاخر : ١٠٧ ، جمهرة اللغة ٢ : ٣٦٢ ، فقه اللغة : ٤٧

الحكم ١ : ٢٥٠

(٢) الفاخر : ١٠٧ ، والبيت منسوب لمالك بن عمود الغامدي في امساك البلاحة : ٣٢

(٣) جمهرة اللغة ٢ : ٣٦٢ ، الصحاح ٣ : ١٢٤٩ ، تمام فصيح الكلام : الورقة ١٥ ، مقاييس اللغة : ٣٩٥ ، الحكم ١ : ٢٤٩ ، وانظر شواهد الشعر في ديوان الاعشى ٣٩ : ١٠٩ ، المفضليات : ٢٠١ ، الوحشيات : ٢٣ ، الحماسة البصرية : الورقة (ب) . وكذا وردت في القرآن الكريم ١٢٢

انظر سورة المؤمنون ٢٣ : ٧٦

(٤) تنزيل القرآن : ٣٥٣

أو (اريد انه لا طعام لهم اصلا ، لأن الضريح ليس بطعم للبهائم فضلا عن الانس ، لأن الطعام ما اشع ، او اسمن ، وهو منها معزول كما تقول ليس لفلان ظل الا الشمس ، تريده نفي الظل على التوكيد) (١) : وهذا الجوع المهزل الذي يعذب به الجنون تضاف اليه شدة العطش ، والحرمان من الماء ، فتكمم صورة المعذبين في النار وما يلاقونه من صنوف العذاب والأذى .

ب - الزقوم :

وهناك تعبير آخر يخص طعام اهل النار ونجده فيه وصفاً للشجرة التي يأكل المعذبون منها . قال الله تعالى : (الا عباد الله المخلصين أولئك لهم رزق معلوم ، فواكهُ لهم مكرمون ، في جنات النعيم على سرير متقابلين ، يُطاف عليهم بكلام من معين ... ذلك خير نُزلَّ) ام شجرة الزقوم ؟ انا جعلناها فتنة للظالمين ، انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ، طلعتها كأنه رؤوس الشياطين فانهم لا يكلون منها فالاثنين منها في بطونهم ، ثم ان هدم عليها لشوبا من حميم ، ثم إن مرجعيهم ، إلى اصل الجحيم) (٢) ، وقال تعالى ايضاً واصفاً ثواب أهل الجنة معدداً نعمهم (واصحاب اليمين ، ما اصحاب اليمين ؟ في سدر منضود وطلح منضود وظل ممدود وماء مسكون وفاكهه كثيرة لا مقطوعة ولا منوعة وفرش مرفوعة) (٣) . وقال سبحانه وتعالى واصفاً عذاب الجنين وطعمتهم : (ان شجرة الزقوم طعام الايثم ، كل اهل يغلي في بطون

(١) الكشاف ٣ : ٣٣٢

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٤١ - ٦٨

(٣) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٦ - ٣٤

كَفَلُ الْحَمِيمٍ ، خُذُوهُ فَاعْتُلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ثُمَّ صَبُوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ) (١) فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ مُقَابَلَةٌ رائِعةٌ بَيْنَ شَجَرَةِ الزَّقُومِ الَّتِي يَأْكُلُ الْجَبَرُومُونَ مِنْهَا فَتَمَلَّأُ بَطْوَنَهُمْ ، وَتَغْلِي فِيهَا كَفَلُ الْحَمِيمٍ ، وَبَيْنَ صُورَةِ الْمُؤْمِنِينَ الْآمِنِينَ فِي جَنَانِهِمْ حِيثُ الْفَاكِهَةِ الْمُتَنوِّعَةِ ، وَلَحُومِ الطَّيْرِ ، وَكُلُّ مَا تَشَهِّدُهُ أَنفُسُهُمْ .

وَطَعَامُ الْجَبَرُومِينَ فِي هَذِهِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ عَبْرُ عَنْهُ بِشَجَرَةِ الزَّقُومِ ، إِلَّا أَنَّ الْمُفَسِّرِينَ لَمْ يَفْسُرُوا لَنَا مَا هِيَهُ هَذِهِ الشَّجَرَةُ ، لَأَنَّهُمْ لَمْ يَعْرِفُوا شَجَرَةً بَعْيَنَهَا فِي بَيْتِهِمْ تَسْمِي الزَّقُومَ ، وَلَكِنَّ فِي أَذْهَانِهِمْ صُورَةً لَهَا ، ذَلِكَ لَأَنَّهُمْ اعْتَادُوا أَنْ يَسْمُوا كُلَّ طَعَامٍ ثُقِيلًا بِالزَّقُومِ (٢) . وَقَدْ اعْتَرَضَ نَاسٌ عَلَى وُجُودِ شَجَرَةٍ فِي النَّارِ الَّتِي تَحْرُقُ كُلَّ شَيْءٍ ، وَإِنَّ هَذِهِ الشَّجَرَةَ لَا يَعْرِفُهَا الْعَرَبُ فَكَيْفَ يَخَاطِبُهُمُ اللَّهُ سَبَّحَهُ وَتَعَالَى بِمَا يَجْهَلُونَ؟ قَالَ الْقَاضِي عَبْدُ الْجَبارِ بْنُ أَحْمَدَ رَادِّاً عَلَى هُؤُلَاءِ : (وَجَوَابُنَا أَنَّهُ إِذَا وَصَفَ حَالَهَا صَحَّ التَّخْوِيفُ بِهَا ، وَلَذِكْرِ قَالَ اللَّهُ تَعَالَى (كَالْمَهْلِ يَغْلِي فِي الْبَطْوَنِ كَفَلُ الْحَمِيمِ) (٣) . وَقَالَ إِيْضًا (وَرَبِّا قَبْلَ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى (ثُمَّ إِنَّكُمْ إِلَيْهَا الضَّالُّونَ الْمَكَذِّبُونَ لَا كَلُونَ مِنْ شَجَرٍ مِنْ زَقُومٍ) كَيْفَ يَصْحُّ التَّوْعِيدُ بِمَا لَا يَعْرِفُ مِنْ جَمْلَةِ الْأَشْجَارِ؟ وَجَوَابُنَا أَنَّ لِفَظَةِ الزَّقُومِ مَعْرُوفَةٌ بِأَنَّهَا تَسْتَعْمِلُ فِي الْكَرِيمَةِ مِنَ الْأَشْيَاءِ فَيُجازِي أَنْ يَتَوَعَّدَ اللَّهُ تَعَالَى بِذَكْرِهِ) (٤) : رَوِيَ أَنَّهُ لَمَّا نَزَّلَتِ الْآيَاتِ الْكَرِيمَةِ بِذَكْرِ الزَّقُومِ لَمْ يَعْرِفْهُ الْعَرَبُ فَقَالَ أَبُو جَهْلٍ : هَذَا شَجَرٌ لَا يَنْبَتُ بِأَرْضِنَا فَهُنَّ مِنْكُمْ يَعْرِفُهُ؟ فَقَالَ رَجُلٌ

(١) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٨

(٢) لسان العرب ١٥ : ١٦١ ، النهاية في غريب الحديث ١ : ١٢٨

(٣) تَنْزِيهُ القرآن : ٣٥١

(٤) ن . م

من افريقيا الزقوم بلغة افريقيا الزبد والتمر : فقال ابو جهل يا جارية هات نمراً وزيداً نزد قمه ؟ فجعلوا يأكلون ويذقون ويقولون : ابها يخوننا محمد في الآخرة ؟ فيبين الله تعالى في آية أخرى الزقوم بقوله (الها شجرة تخرج في اصل الجحيم) . ومن هذه الرواية يتبيّن لنا ان العرب لم يعرفوا شجرة بعينها تسمى الزقوم . واذا كان هذا الأفريقي - ان صحت الرواية - قد ادعى انها عندهم التمر والزبد ، وان أبو جهل استغل قوله للسخرية من الرسول الكريم (ص) فقول الأفريقي هذا يؤكّد لنا جهل العرب في بنيتهم بالزقوم ، أمّا دلالتها على الطعام الثقيل او المكرور فانما عرفت بعد نزول الآيات الكريمة :

وتأتي بشاعة الزقوم من الآيات التي تليها ، وتصفها وصفاً رهيباً تضع سخرية أبي جهل في صورة شاحبة سرعان ما تتلاشى لتحول محلها صورة الرهبة من هذه الشجرة (أذلك خيرٌ نُزِّلَ أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومُ ، إِنَا جعلناها فتنَّةً لِلظَّالِمِينَ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ، طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُؤُوسُ الشَّيَاطِينِ ، فَإِنَّهُمْ لَا يَكُونُونَ مِنْهَا فَالثُّوْنَ مِنْهَا الْبَطْوَنَ) (١) . وتشبيه طلع شجرة (الزقوم برؤوس الشياطين اثار نقاشاً بين المفسرين فقال بعضهم الشياطين هنا الحيات وذكر هنا ابن قتيبة حين قال : (والشياطين حبات خفيفات الأجسام قبيحات المناظر . قال الشاعر ذاكراً ناقته :

تُلَاهِبُ مُثْنَى حَضْرَمَيْ كَأَنَّهُ
تَعْمَجَ شَيْطَانٍ بِذِي خَرْوَعَ قُفْرَ (٤)

(١) تنزيه القرآن : ٣٢١ .

(٢) سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٨ .

(٣) تنوير المقياس : ٢٧٨ :

(٤) لم ينسبه ابن قتيبة الى قائله ، وكذا قال الجوهرى في الصحاح -

يعني زماما ، شبه تلويه بتلوى الحياة . وقال آخر :
 عَجِيزٌ تَحْلِفُ حَبْنَ أَحْلِفُ
 كَمِيلٌ شَيْطَانُ الْحَمَاطُ أَعْرَفُ^(١)
 والحماط شجر ، والعرب تقول ذلك اذا رأت منظراً قبيحاً كأنه
 شيطان الحماط ، يريدون حية تاوي في الحماط)^(٢) :
 وتفسير المفسرين هذا صادر عن معرفتهم ضرباً خاصاً من الحيات
 اطلقوا عليه اسم الشيطان كما ورد في كتب اللغة^(٣) .
 وقال آخرون : ان رؤس الشياطين شجر معروف في البيئة العربية ،
 وذكر الاصمعي انه يسمى الصوم^(٤) ، واطلق عليه بعضهم اسم الاستن
 وقالوا عنه انه شجر بشع ، منكر الصورة ، يقال لثمرة رؤس الشياطين ،
 وهو الذي ذكره النابغة :
 تَحِيدُّ عنِ اسْتَنِّ سُودٍ أَسْفَلُهُ
 مثلُ الْأَمَاءِ الْغَوَادِي تَحِيدُ الْحُزُّ مَا^(٥)
 - ٥ : ٢١٤٤ ، وهو منسوب لطرفة بن العبد في الحيوان ٤ : ١٣٣ ، والبيت غير
 موجود في ديوانه .

(١) البيت غير منسوب وانظر ايضاً التبيان ٨ : ٥٠٣ .

(٢) تاویل مشکل القرآن : ٣٠٢ ، ٣٠٣ ، وانظر ايضاً ادب الكاتب :
 جامع البيان ٢٣ : ٦٤ ، التبيان ٨ : ٥٠٣ ، الكشاف ٢ : ٦٠٣ .

(٣) الغريب المصنف : الورقة (١٧٩) ، الصحاح ٥ : ٢١٤٤ ، مقاييس
 اللغة ٣ : ١٨٤ .

(٤) عن الكامل للمبرد ٣ : ٨٢١ ، وانظر ايضاً جامع البيان ٢٣ : ١٦٤ ،
 التبيان ٨ : ٥٠٣ .

(٥) الكامل للمبرد ٣ : ٨١٨ ، الحيوان ٤ : ٦ ، ٣٩ : ٢١١ ، الصناعتين ،
 ٨٥ : والبيت في ديوان النابغة ١٠٣ .

وهناك تفسير آخر يجمع التفسيرين السابقين ، وهو أقرب التفاسير إلى الناحية الأدبية يرى بأن الله سبحانه وتعالى اراد ان يصور بشاعة شجرة الزقوم فشبه طلعها برؤس الشياطين لأن الناس رسموا في اذهانهم صورة منكرة لها ، واول من ذكر هذا التفسير - فيما قرأت من مصادر - هو ابو عبيدة حين سئل في مجلس الفضل بن الريبع عن قوله تعالى : (طلعها كأنه رؤس الشياطين) (١) (بان الوعد والوعيد إنما يقع بما عرف مثله وهذا لم يعرف قال فقلت إنما كلم الله تعالى العرب على قدر كلامهم

اما سمعت قول امرئ القيس :

أيَقْتُلُنِي وَالْمَشْرِفُ مَضَا جَعِي وَمَسْنُونَةٌ زُرْقُ كَأْنِيَابِ أَغْوَالٍ (٢)
وهم لم يروا الغول قط ، ولكنهم لما كان امر الغول يهولهم أو عدوا به) (٣) :

وقال الملاحظ معملاً لهذا التشبيه ايضاً بأنه سبحانه وتعالى (قد جعل في طباع جميع الامم استقباح جميع صور الشياطين ، واستحسانه ، وكراهيته واجرى على السنة جميعهم ضرب المثل في ذلك) (٤) . وقال ايضاً راداً على من انكر هذا التشبيه لأن الناس لم يروا الشيطان ، ولا وصفت لهم صورته فقال : (قلنا : وان كنا نحن لم ز شيطاناً قط ، ولا صور رؤسها لنا صادق بيده ، ففي اجماعهم على ضرب المثل بقبح الشيطان ، حتى

(١) سورة الصافات ٣٨: ٦٤ .

(٢) البيت في ديوان امرئ القيس : ٣٣ .

(٣) معجم الادباء ٧: ١٦٧ ، وذكر انه بعد ان رأى استحسان الفضل لقوله واستحسان السائل ايضاً عزم على ان يضع كتاباً في القرآن الكريم ثم وضع كتاباً بمحاز القرآن ، الا ان الملاحظ انه لم يذكر هذا التفسير في محازه .

(٤) الحيوان ٤: ٩٤ .

صاروا يضعون ذلك في مكائن احدهما ان يقال : هو اقبح من الشيطان ، والوجه الآخر ان يسمى الجميل شيطانا على جهة التطير . . . ففي اجاع المسلمين العرب ، وكل من لقيناه على ضرب المثل بقبح الشيطان دليل على انه في الحقيقة اقبح من كل قبيح والكتاب اثنا انزل على هؤلاء الذين قد ثبت في طبائعهم بغایة التثبت) (١) .

ويبدو هذا التفسير اقرب التفاسير الى الناحية الادبية ، ذلك لأنهم جروا في تشبيهاتهم على ما عهدهم اذهانهم ، وتمثله اخيلتهم ، وللشياطين في اذهانهم صورة واضحة الملائحة للشاشة والقبح ، وتعكس لنا هذه الفكرة نادرة يرويها الجاحظ عن امرأة اخجلته ، وذاك انها انته يوما وهو على باب داره فقالت له : (لي اليك حاجة ، واريد ان تمشي معي ، فقمت معها الى ان انت بي الى صائغ يهودي فقالت له : مثل هذا ، وانصرفت فسألت الصائغ عن قوله فقال : انت الي ب Finch وأمرتني ان انقض لها عليه صورة شيطان فقالت : ياستي ما رأيت الشيطان ، فاتت بك ، وقالت ما سمعت ! !) (٢) واذا كانت هذه النادرة تعكس لنا روح النادرة والنكتة التي عرف بها الجاحظ ، والتي استدل بعضهم بها على بشاعة خلقه ، فان فيها انعكاساً لصورة الشيطان كما تمثله الذهن العربي ، ومن هنا شبهوا به كل شيء كريه المنظر بشع الصورة (٣) . كما سموا كل خبيث مهلك بالغول (٤) . ومن هنا ايضاً نفهم سبب تسميتهم ذلك الضرب من

(١) الحيوان ٦: ٢١٣ وانظر ايضاً تاويل مشكل القرآن : ٣٠٢ ، الكامل

للمبرد ٣: ٨١٨ - ٨٢١ ، جمهورة اللغة ٢: ١٥٠ .

(٢) سرح العيون ٠: ٢٥٠ .

(٣) الحيوان ١: ٣٠٠ ، نمار القلوب : ٦٠ .

(٤) الصلاح ٥: ١٧٨٦ ، لسان العرب ١٤: ٢١ .

الحيات بالشياطين ، لأن رؤسها كرمه المنظر ، أو لأنها شديدة الاذى ، وكذلك القول في النبات الذي اسموا ثمره بالشياطين ل بشاعة منظره فصدر تفسير القائلين في وصف شجرة الزقوم بان طلعها كأنه رؤس الشياطين او رؤس الحيات .

اما التفسير الجامع لكل هذه الصور فهو الذي مر بنا سابقاً بان طلع شجرة الزقوم شبه في القرآن الكريم برؤس الشياطين الحقيقة ، لأن كفار قريش حينما استهزأوا واستهانوا بشجرة الزقوم نزلت الآيات بعدها لتصف صورة هذه الشجرة الملعونة بانها ليست كما تتصورها اذهانهم انما هي بشعة مؤذية كصورة الشياطين التي تخيلتها اذهانهم ، ومع ذلك فان التفسيرين الاولين يصفيان على شجرة الزقوم ايماء اخر لل بشاعة ، والرهبة مقترباً برؤس الحيات المنكرة ، ورؤس ثمار الشجر البشع الصورة المسماة بالشياطين .

ومما مرّ بنا نجد ان طعام اهل النار وصف في كل الآيات الكريمة بانه ليس كالطعام الذي اعتاده الناس ، فهو لا يسمن ، ولا يشبع ويتجرعه الجرمون على مضض لانهم مجبرون على اكله (انَّ لِدِيْنَا أَنْكَالًا ، وجحِيْماً وطَعَامًا ذَا غُصَّةً وَعَذَابًا أَلِيمًا) (١) ، وهم في هذه الحالة كأنهم قد حرم عليهم الطعام ، اذ كيف تستطيع النفس ان تندو من طعام هذه صفتة واذاه ؟ ومن هنا جاء قوله تعالى (فليس له اليوم ه هنا حميم ، ولا طعام الا من غسلين) (٢) في نفي وجود الطعام لاهل النار الا ما يخرج من جروحهم من الدّم ، والصديد (٣) . وقال ابن عباس : أن الغسلين

(١) سورة المزمل ٧٣: ١٢ - ١٣ .

(٢) سورة الحاقة ٦٩: ٣٦ .

(٣) مجاز القرآن ٢: ٢٦٨ : تأويل مشكل القرآن : ٤٨ ، الكامل للمبرد

٤٥ ، تنزيل القرآن : ٣٥٣ الكشاف ٣: ٢٦٦ .

هنا معناه الحر (١) وكذا قال اللغويون (٢) وطبعي ان يكون الصدید الذي يخرج من ابدانهم حاراً ، لأن كل ما يحيطهم هو اللهب ، والظى المستعر بالإضافة الى ان شرابهم شديد الحرارة مغلي . ولا يمكن ان نفهم ان الغسلين ضرب آخر من الطعام ، وان المعذبين في النار على طبقات ، ومنهم من يأكل الزقوم ، ومنهم من يأكل الغسلين ، ومنهم من يأكل الضريح ، كما ذهب بعض المفسرين (٣) ، وذلك لأن الغسلين ليس ضرباً من الطعام ، وإنما اريد به نفي وجود الطعام الذي يسمى ، ويُشَعَّ كـا هو مصور في الزقوم ، والضريح . فليس لهم طعام الا من الصدید الذي تفرزه اجسادهم ، وفي ذلك تبشير لحاظم .

ويلاحظ في كل التعبيرات التي تحدثت عن طعام اهل النار في القرآن الكريم انها اقتصرت على وصف بشاعة الطعام ، فلو قارنا هذه الآيات بالآيات التي تخص الشراب والتي ورد ذكرها سابقاً لوجدنا في الطائفنة الاولى تصويراً ل بشاعة الطعام الذي يُكـره على استساغته الجرمون دون الحديث عن عناء الجوع ، والحرمان من الطعام ، على حين نرى الآيات التي تخص الشراب تحدثت عن العطش وما يلاقيه المعذبون من اذى حرمانه . ولعل خير ما يعلل به هذه الظاهرة القرآنية هو تخرج العربي ، وباوه الذي يحول دون وصف جوعه ، وما يلاقيه من حرمان الطعام ، او ما يسد رمقه . قال الاستاذ جميل سعيد في حديثه عن وصف الطعام عند العرب : (على اتنا حين ننظر في الشعر العربي - ولا سيما الجاهلي منه - نجد الشعراء قد كتبوا احساسهم بالجوع كثيـاً ، وفخروا به وجعلوا التصريح بهذه الاحساس امراً

(١) اللغات في القرآن : ٥٠ ، وانظر ايضاً متشابهات القرآن : ١٠٦ .

(٢) الصبحاج ٥ : ١٧٨٢ ، إسان العرب ٧ ، ١٤ .

(٣) تأويل مشكل القرآن : ٤٨ الكشاف ٣ : ٣٣٢ .

يجزى الانسان منه ، ويلام عليه . . والشعراء الاسلاميون تابعوا الشعراء الجاهلين في هذا ، وعدوا شكاوة الجوع منقصة توجب اللوم) (١) . على ان هذا القول لا يعني ان العرب لم يعانون من شدة الجوع ما عانوه من العطش ، ذلك لأننا نعرف ان الجزيرة العربية أرض جدب وفقر في معظم اجزائها وقد كثرت فيها المجاعات ، واشتهدت فيها الحاجة الى الطعام في كثير من الاحيان ، ومن هنا ذكرت هذه المجاعات في اشعارهم في موضوع فخرهم (٢) حين يفضلون صيفهم وجارهم على أنفسهم عند المسبحة ، وانهم لا يدنون الى الطعام ، وان كانت بهم حاجة اليه يؤثرون به غيرهم على أنفسهم (٣) ، كما هجوا اعداءهم بخبيثهم الطعام (٤) :
 هذا الاباء النفسي يجعل العربي يأنف من ذكر جوعه ، و حاجته إلى الطعام بل نراه يفخر بتحمله الجوع : قال الشنفرى في لاميته المشهورة :

(١) الوصف في شعر العراق : ٤٠٠

(٢) وهذا لا يعني انعدام ذكر الجوع في الشعر الجاهلي في غير موضوع الفخر ، فقد وجدت اشارات اليه ، الا انهم لم يقصدوا فيها اظهار أنهم من الجوع ، وال الحاجة الى الطعام انظر في هذا اعجب العجب : ٣٢ ، ٣٦ وشعر السليمك في أمثال العرب : ١٤ .

(٣) انظر ديوان عروة بن الورد : ٦٢ ، متنهى الطلب : الورقة (٣٤٦) في شعر عروة بن الورد ايضاً ، ديوان علقة الفحل : ٥٢ ، ٧٢ ، ديوان عدي ابن زيد : ١٤٧ ، وانظر ايضاً اعجب العجب : ٢٠ ، مجالس ثعلب ١: ٦٨ ، ٦٩ امامي الزجاجي : ٢٠٤ ، أسماء المقاتلين : ٢٤٢

(٤) انظر ديوان المزرد بن ضرار : ٥٠ - ٥١

أَدِيمُ مِطَالَ الجُسْوَعَ حَتَّى أَمْيَهُ
 وَاضْرِبُ عَنْهِ الْذِكْرَ حَسْفَحًا فَأَذَهَلُ (١)
 ومثل هذا قول أبي خراش المذلي (٢) :
 وَلَانِي لَا تُؤْيِي الجُسْوَعَ حَتَّى يَسْمَلَنِي
 فِي ذَهَبٍ لَمْ تَدْنُسْ ثَيَابِي ، وَلَا جَرْمِي (٣)
 أَرَدُ شَجَاعَ الْمَوْتَ قَدْ تَعْلَمَنِي
 وَأَوْثَرَ عَبْدِي مِنْ عِيَالِكِ بِالْطَّعْمِ

فهو هنا يفخر بأنه لا يبالي بالجوع الذي يؤذيه ، ويرأ بنفسه عن الحصول على الطعام الذي يدنس سيرته ، واباهه ، وإنما يتغلب على جوعه ويؤثر عبده ، وعياله بما لديه من الطعام ، هذا هو المثل الأعلى الذي رسمه العربي لنفسه حين ترفع عن ذكر حاجته إلى الطعام ، أو وصف أنه من شدة الجوع ، وهو يختلف عن وصفه لعطشه ، وشدة تشوهه إلى الماء كما مر بنا سابقاً (٤) . ومن هنا لم تتحدث الآيات الكريمة عن حرمان المحرمين من الطعام الذي يشبعهم جرياً على عادة العرب في تحرجهم من الحديث في هذا الموضوع ، على حين زرى عكس ذلك في الحديث عن المطش الذى صورته الآيات الكريمة أروع تصوير ، وذلك جرياً على عادة

(١) اعجم العجب :

(٢) هو خويلد بن مرة من بنى هذيل من مصر . شاعر مخضرم وفارس
 فارِنك مشهور بالعدو فكان يسبق الخيول . اسلم وهو شيخ كبير توفي
 نحو ١٥٥هـ . انظر الشعر والشعراء ٢ : ٥٥٤ ، الأغاني ٢١ : ٣٨ فما بعدها ، الاصابة
 ١ ، ٤٥٧ ، خزانة الادب ١ : ٢١٣ ، الاصابة ١ : ٤٥٧

(٣) الأشباه والنظائر :

٢٣٢ ص

العرب في وصف شدة العطش الذي عانوه في أسفارهم ، وآوقات الهاجرة الحارة وسنجد هذه الفكرة أيضاً في الحديث عن شراب أهل الجنة وطعامهم (٥) .

٧ - صنوف أخرى من العذاب :

وبالإضافة إلى وسائل التعذيب التي مرت بها صورها تجده في القرآن الكريم صنوفاً أخرى تعرض جوانب جديدة لتعذيب المجرمين في النار وتنعكس فيها أيضاً بعض ملامح البيئة العربية .

أ - السلاسل والأغلال :

فالسلاسل والأغلال من الصور التي تؤكد الآيات الكريمة وجودها حيث يقيد المعدبون : (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ سَلَسَلًا وَاغْلَالًا) (٢) ووصفت الآيات الكريمة هذه القيود بأنها تغلّف أعناق الكافرين فيسحبون بالنار على وجوههم : (الَّذِينَ كَذَّبُوا بِالْكِتَابِ وَبِمَا أَرْسَلْنَا بِهِ رُسُلًا فَسُوفَ يَعْلَمُونَ إِذَا الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَالسَّلَسَلُ يُسْحَبُونَ فِي الْحَمِيمِ ، ثُمَّ فِي النَّارِ يُسْجَرُونَ ، ثُمَّ قَبْلَهُمْ أَيْنَ مَا كُنْتُمْ تُشْرِكُونَ) (٣) . وقال تعالى أيضاً : (وَانْتَعْجَبَ فَقَعَدْجَبَ قَوْلُهُمْ : أَلَا كُنَّا لِرَبِّ الْأَنْوَافِ خَلِقِيْ جَدِيدَ ؟ أَولُئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ ، وَأَوْلُئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ ، وَأَوْلُئِكَ

(١) انظر ص : ٣٠٧

(٢) سورة الإنسان : ٧٦

(٣) سورة غافر : ٤٠ - ٧٠ - ٧٣

أصحابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (١) . والاغلالُ جمعُ غُلٌّ : وهي الجديدة التي تجمع يد الأسير الى عنقه (٢) . اما السلاسل فهي جمع سلسلة وهي حلقة منتظمة من جهة الطول مستمرة (٣) . وكذلك قولهم في الاصفاد (٤) . هذه القبود الرهيبة تثير في النفس تساؤلاً ما اذا كان العرب يعرفون القيد ، والسلسل ؟ . ام انهم بمجرد سماع الآيات الكريمة يستطيعون تخيلها من الجلو الرهيب الذي يرسمه سياق الآيات العام . واذا بخثنا عن هذه الصورة في البيئة الجاهلية وجدناها واضحة كل الوضوح فقد فخر الشعرا بقبائهم ، وبطولاتهم التي ينتصرون فيها على أعدائهم . ويكتبونهم بالأغلال ، وقد كررها الشعرا الفرسان في اشعارهم ، وكيف انهم يعودون من الغارات ، وقد كبلوا اسراهم بالاصفاد ، والقيود .

قال عنترة :

قَرَكَنْدَا ضَرَارًا بَيْنَ عَانٍ مُكَبَّلٍ وَبَيْنَ قَتْلَى غَابَ عَنِ التَّنَوَّحِ (٥)
وقال أيضاً :

وَعَدْنَا بِالنَّهَابِ وَبِالسَّبَايا وَبِالْأَسْرِ تُكَبَّلُ بِالصِّفَادِ (٦)

(١) سورة الرعد ١٣ : ٥ وانظر ايضاً سورة سباء ٣٤ : ٣٣

(٢) الصحيح ٥ : ١٧٣٢ ، لسان العرب ١٤ : ١٣

(٣) التبيان ٩ : ٩٥ ، وانظر اللغة في الصحيح ٥ : ١٧٣٢ ، لسان العرب ١٣ : ٣٦٧

(٤) الفصيح : الورقة ١٧ ، الصحيح ١ : ٤٩٥ ، لسان العرب ٤ : ٢٤٣

(٥) ديوان عنترة : ٤٥

(٦) نـ مـ : ٥٥ وانظر ايضاً ٦٤ ، ٧١ ، ٩٧ ، ديوان سلامه ابن جندل : ١٨ ، ٤٧ ، ٤٨ ، النقائض ١ ، ٧٦ ، ١٥٣ ، اسماء المغتابين : ٢٢٧

وقال يزيد بن عمرو بن الصمعق (١) في يوم المروت (٢) مفتخرا
وَضَرَّ جُنَاحَهُ عِيْدَةً بِالْعَوَالِي فَأَصْبَحَ مُونَفًا فِيْنَا أَسِيرًا (٣)
ونجد ذكر القيد مصورا في جانب شعرى آخر ، حين وصفها
الشعراء الذين عانوا ثقلها واحسوا بوطئها الشديد على أيديهم ، وقد ادّا لهم
قال المهلل بن ربيعة ذاكراً القيد التي أوثق بها فحالت دون حرائه :
وَالْيَكَ ابْنَةَ الْجَلَلِ عَنِ لَا يُوَاتِيَ الْعَنَاقَ مَنْ فِي الْوَثَاقِ (٤)
وقال أبو مجتن الشفقي ، وقد اوثق بالحديد والسلالس التي حالت
دون حرائه وسيره قال :

اذا قُمْتُ عَنَانِي الْحَدِيدُ وَأَغْلَقْتُ مَصَارِعَ دُونِي قَدْ تُصْمِمُ الْمُنَادِيَا (٥)

(١) يزيد بن عمرو بن الصمعق من وجوه قيس . ذكر انه كان يحضر
مجلس ابن جفنة ، وهو الذي اسر رؤبة بن رومانس اخا المنذر لامه . انظر
الأغاني ١ : ١٣٨ معجم الشعراء : ٢٣٧

(٢) هو يوم بينبني تميم وعامر بن صعصعة . وكان سببه انه التقى قعنبر
ابن عتاب الرياحي وبجير بن عبد الله العامري بعكاظ . فقال بجير لقعنبر :
ما فعلت فرسك البيضاء ؟ قال هي عندي وما سؤالك عنها ؟ قال : لأنها نجتك
في يوم كذا وكذا . فانكر قعنبر ذلك وتلاعنا وتداعيا ، فكانت بعدها غارات
وامری بين الطرفین . انظر الكامل لابن الاثیر : ٢٦٤ . ٢٦٥

(٣) النقاد ١: ٧٢ .

(٤) اسماء المغتالين : ٢٠٨ . وانظر ايضاً شرح ديوان عنترة : ٩٧ ،
ديوان عدي بن زيد : ٢٤٠ ديوان النابغة الجعدي : ١٠٣ : ديوان النساء :
١٢ . ٢٢ وانظر ايضاً الشعر والشعراء ٢ : ٥٨٣ ، امثال العرب : ٦٢ غريب
الحديث ١ : ٣٢٢ - ٣٢٤

(٥) ديوان : أبي مجتن ٦٧

فتصوره القيود والسلسل الوضحة الملامة في البيئة العربية تتمثل في الذهن العربي حين يتناول الآيات الكريمة : (خَذُوهُ فَغْلَوْهُ ، ثُمَّ الْجَحِيمَ صَلُوْهُ ، ثُمَّ فِي سِلْسَلَةٍ ذَرْعُهَا سَبْعُونَ ذَرَاعاً فَاسْكُوْهُ إِنَّهُ كَانَ لَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ الْعَظِيمِ) (١) . ففي هذه الآيات الكريمة تتبع مشاهد التعذيب ، والعقاب ، حيث يوثق المجرمون بالسلسل ، والأغلال تلف أجسادهم فلا يطيقون الحركة ، ثم تتلاشى هذه الصورة لتتحل محلها صورة أشد رهبة ، ورعبا ، وهي صورة الأصفاد التي يوثقون بها : فتلفهم لفأ ، لأن سياق الآيات العام يساعدنا على تصور هذه الرهبة حين يوجه المخاطب إلى الملائكة بأنخذ المجرمين عنوة وقوة (٢) ، وتضييق وثاقهم بالسلسل والقيود .

اما تحديد طول السلسلة التي يقييد بها المجرمون في النار : والتي ذكرت الآيات الكريمة انها سبعون ذراعاً ، فقد ذهب فريق من المفسرين الى العدد الحقيقي فقالوا : (سبعين ذراعاً من ذراع الملك) (٣) . وروي عن نوف البكري (٤) انه قال : كل ذراع سبعون باعاً كل باع أبعد مما بينك وبين مكة ، وهو يومئذ في مسجد الكوفة (٥) .

(١) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٠ - ٣٤

(٢) ويؤكد معنى القوة في اخذ المجرمين قوله تعالى : (يُؤْخَذُ الْمُجْرِمُونَ بِالنُّوَاصِي وَالْأَقْدَامِ) سورة الرحمن ٥٥ : ٤١

(٣) تنوير المقاييس : ٣٦٦ ، جامع البيان ٢٩ : ٦٣

(٤) هو نوف بن فضالة البكري . كان اماماً لأهل دمشق . ذكره ابن حبان في الثقة وقال : كان راوية للقصص استشهد مع محمد بن مروان في الصائفة وتوفي نحو سنة ٥٩٥ هـ انظر تهذيب التهذيب ١٠ : ٤٩٠

(٥) جامع البيان ٢٩ : ٦٣

هكذا فهم بعض المفسرين طول السلسلة وتحديدها ، إلا أن الذي يتبع الاستعمال اللغوي للعدد سبعة ، والأسلوب القرآني الكريم يجد أنه سبحانه وتعالى نهج في بيانه البلاغي منهج العرب في أساليبهم ، وتعابيرهم فقد ذكرت السبعة والسبعون في التضعيف ، والتکثیر . وهكذا وردت في القرآن الكريم (١) ، والحديث النبوی الشريف (٢) في مواضع عديدة لا يراد منها العدد حقيقة ، وإنما مجازاً على سبيل المثل والکثرة لا العد والحصر .

ومن الذين أشاروا إلى هذه النهاية الازهرى بقوله : (وأرى قول الله عز وجل لنبيه صلی الله علیه وسلم ان تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعَيْنَ مَرَّةً ، فَلَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ) (٣) . في باب التکثیر والتضعيف ، لا باب حصر العدد ، ولم يرد الله عز وجل أن زاد على السبعين غفر لهم ، ولكن المعنى أن استکثرت من الدعاء ، والاستغفار للمنافقين ، لم يغفر الله لهم) (٤) . وقال الزمخشري مؤكداً هذه الفكرة : (وجعلها سبعين ذراعاً اراده الوصف بالطول كما قال (ان تستغفر لهم سبعين مرّة) (٥) : يريد مرات كثيرة ، لأنها اذا طالت كان الارهاق اشد) (٦) .

(١) المعجم المفهوس : ٣٤٠

(٢) النهاية في غريب الحديث ٢ : ١٤٣ :

(٣) سورة التوبة ٩ : ٨٠ :

(٤) عن اسان العرب ٨ : ١٠ .

(٥) سورة التوبة ٩ : ٨٠ .

(٦) الكشاف ٣ : ٣٦٤ .

ب - طلاء القطران :

قال الله تعالى : (يوَمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّمَاوَاتِ
اللهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ وَتَرَى الْجَنَّمِينَ يَوْمَئذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ سَرَابِيلُهُمْ
مِّنْ قَطْرَانٍ ، وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ، لِمَجْزِي اللَّهُ كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ :
إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ) (١) :
ففي هذه الآيات نجد وصفاً للملابس اهل النار ، وكيف انها تصنى
صوراً رهيبة أخرى تزيد ملامح العذاب هولاً ورعباً .

فالسرابيل هي القمص كما قال المفسرون (٢) واللغويون (٣) . أما
القطران فيه ثلاثة لغات قطران ، قطراً ، قطراً : وقد اختلف
المفسرون في تفسيره فقال بعضهم انه اهانة الذي تهنا به الابل الجري (٤) .
وقال بعضهم بل هو الصفر المذاب (٥) . وبمثل هذا التفسير الآخر

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٤٨ .

(٢) تنوير المقياس : ١٦٣ ، مجاز القرآن ١: ٣٤٥ .

(٣) جمهرة اللغة ٣: ٣٥٥ ، الصحيح ٥: ١٧٢٩ ، لسان العرب ٦: ٣٥٦
وانظر شواهد الشعر في ديوان عامر بن الطفيلي : ١٤ ، شرح ديوان أبيد : ٣٥٨
المفضليات : ١٤٥ ، الوحشيات : ٢٢٦ ، وانظر ايضاً الصناعتين : ٥٩ .

(٤) جامع البيان ١٣: ٢٥٥ ، التبيان ٦: ٣١٠ ، الكشاف ٢: ١٨٥ .

(٥) جامع البيان ١٣: ٢٥٥ ، التبيان ٦: ٣١٠ .

(٦) تنوير المقياس : ١٦٣ ، جامع البيان ١٣: ٢٥٦ .

قال من قرأ قطران^(١) اي من صفر مذاب قد تناهى حره^(٢)
 ومع ان القراءتين تقدم لنا معنى مشتركا واحدا وهو السائل المذاب
 الشديد الحر سواء كان من صفر مذاب ، او من ال�ناء الذي تهنا به الابل
 فالذى يبدو ان القراءة الاولى واعتبار الكلمة اسمها واحدا (القطران) هي
 الارجح ، لأن اكثرا القراء عليها^(٣) . ولاتهم تقدم لنا صورة واضحة
 الملائم للبيئة العربية ، شديدة الصلة بخيونها ، وذلك ان ابلهم كثيرا
 ما كانت تصاب بالجرب فاضطروا الى معرفة دواء يعالجونها به فكان ال�ناء
 او القطران . وقد قالوا عنه (انه عصارة الابل ، والارز ، ونحوها ،
 يطيخ فيتحلبه منه ، ثم تهنا به الابل)^(٤) . وقال ابو حنيفة : (زعم من
 ينظر في كلام العرب ان القطران هو عصير الصنوبر ، وان الصنوبر هو
 اسم لوزة ذاك ، وان شجرته به سميت صنوبرا)^(٥) . ولا يهمنا في هذا
 الباب اختلافهم في استخراج مادة القطران^(٦) . وانما المهم معرفة صفة
 القطران ، ثم دلالته على البيئة العربية ، ومعرفة العرب له قال علقة
 الفحل واصفا ناقة :

(١) وبهذا المعنى ورد القطر في قوله تعالى : (حتى اذا جعلته نارا وقال
 اتوني افرغ عليه قطرانا) سورة الكهف ١٨:٩٦ .

(٢) تنوير المقاييس : ١٦٣ ، جامع البيان ١٣ : ٢٥٧ . وانظر ايضا ادب
 الكاتب : ٢٢١ لسان العرب ٦:٤١٧ .

(٣) التبيان ٦:٣١٠ .

(٤) لسان العرب ٦:٤١٦ ، الابل حمل شجر الغرعر ، انظر الصحاح
 ٤:١٦٤٣ .

(٥) لسان العرب ٦:٤١٧ .

(٦) قد يكون هذا الاختلاف صادر عن اختلافهم في استخراجه ، فيصنفه

ـ قدْ أَذْبَرَ الْعُرُّ عنْهَا وَهِيَ شَامِلُهَا

من ناصِحِ القَطْرَانِ الصِّرْفِ سِيمٌ (١)

يقول قد ذهب الجرب عن هذه الناقة ، ولكن بقايا القطران مازال مطليا على جسدها ، ومع اتنا لا نستخلص من هذا البيت صفة من صفات القطران ، الا انه يعكس لنا دلالته في الذهن العربي ، ومعرفة العرب له قال الزمخشري مفسراً القطران ، ذاكراً صفاتيه بانه : (ما يتحلب من شبر يسمى الابل فيُطْبَخُ فتُهَانَ بِهِ الابل الجريء ، فيحرق الجرب بحره وحدته ، ومن شأنه انه يسرع في اشتعال النار ، وقد يستسرج به ، وهو اسود اللون ، ذلن الربيع ، فتطلي به جلود اهل النار حتى يعود طلاوه كالسرابيل وهي القمص لتصجم عليهم الاربع : لذع القطران ، وحرقة ، واسراع النار في جلوتهم ، واللون الوحش وذلن الربيع) (٢) . فالزمخشري هنا يجمع كل اليماءات التي تدل عليها كلمة القطران ، فهو شديد الحر تطلي به اجسام الكافرين ، فتسرع النار اليها وتحيطهم من كل مكان . وقول الزمخشري بأنه اسود اللون منسجم مع صفة الجرميين يوم القيمة ، وانهم يكونون سود الوجوه (٣) ومن هنا يبدو ان قوله تعالى : (وترى المُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقْرَنِينَ فِي الْأَصْفَادِ ، سَرَابِيلُهُمْ مِّنْ قَطْرَانٍ ، وَتَغْشَى وُجُوهَهُمُ النَّارُ ، لِيَجزِي اللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ ، إِنَّ

= بعضهم من مادة ، ويصنفه اخرون من مادة اخرى .

(١) ديوان علامة الفحل : ٦ ، وانظر ايضا شرح ديوان كعب : ١٦٠ ،
والنظر ص ٨٤ .

(٢) الكشاف ٢ : ١٨٥ .

(٣) انظر ص ١٣٩ فما بعدها :

الله سَرِيعُ الْحِسَابِ) (١) لا يراد به وصف لباس حقيقي لأهل النار (٢)
 وإنما رسم صورة رهيبة لعذاب النار ، حيث تطلي أجسادهم بعادة يسرع
 فيها هيب النار ، وتحرق جلودهم حتى يصل اللهب إلى داخل أبدانهم . وقد
 عبر عن هذه الصورة بتعبير القطران الذي ينقلنا إلى صور اعتادها العرب
 في بيئتهم . واطلاق اسم السراويل على هذه المادة يزيد من هول الوصف ،
 ذلك لأن الناس قد عهدوا الملابس تقليم اذى الحر ، والبرد (٣) ، فإذا
 بال مجرمين في النار يُسرِّيْنَ بِلَوْنَ بِعَادَةً لَا تَمْنَعُ عَنْهُمُ الْأَذَى ، بل تزيد في
 سرعة اشتعال أجسادهم ، واذاهم . هذه المادة اعتادها العربي في بيئته ،
 وألِفَ ان يطالها ابله الجريء ، فعرف صفتها ، وخبر شدة حرارتها ،
 فكيف به اذا قيل له انها ستكون بمثابة السرير للمجرم يوم القيمة !!
 وبمثل هذا التعبير جاء قوله تعالى : (هذانَ خَصْمَانٍ أَخْتَصَمُوا
 في ربِّهِمْ ، فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ ، يُصَبَّ
 مِنْ فَوْقِ رُؤُسِهِمُ الْجَحَمُ ، يَصْنَهَرُ بِهِ مَا فِي بَطْوَنِهِمْ ، وَالْجَلْوَدُ ،
 وَلَهُمْ مَقَامٌ مِنْ حَدِيدٍ ، كَمَا ارَادُوا اَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا مِنْ غَمَّ
 أَعْيُدُوا فِيهَا ، وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) (٤) فكأنَّ شمول النار واحاطتها
 باجساد الكافرين تشكل لباما لهم .

إنها صورة رهيبة تكمل جوانب العذاب حين تجتمع مع لظى النيران ،
 والقيود والأصفاد التي تشنَّل حركتهم ، فلا يستطيعون المرب ، أو التخلص

(١) سورة إبراهيم ١٤: ٤٨ .

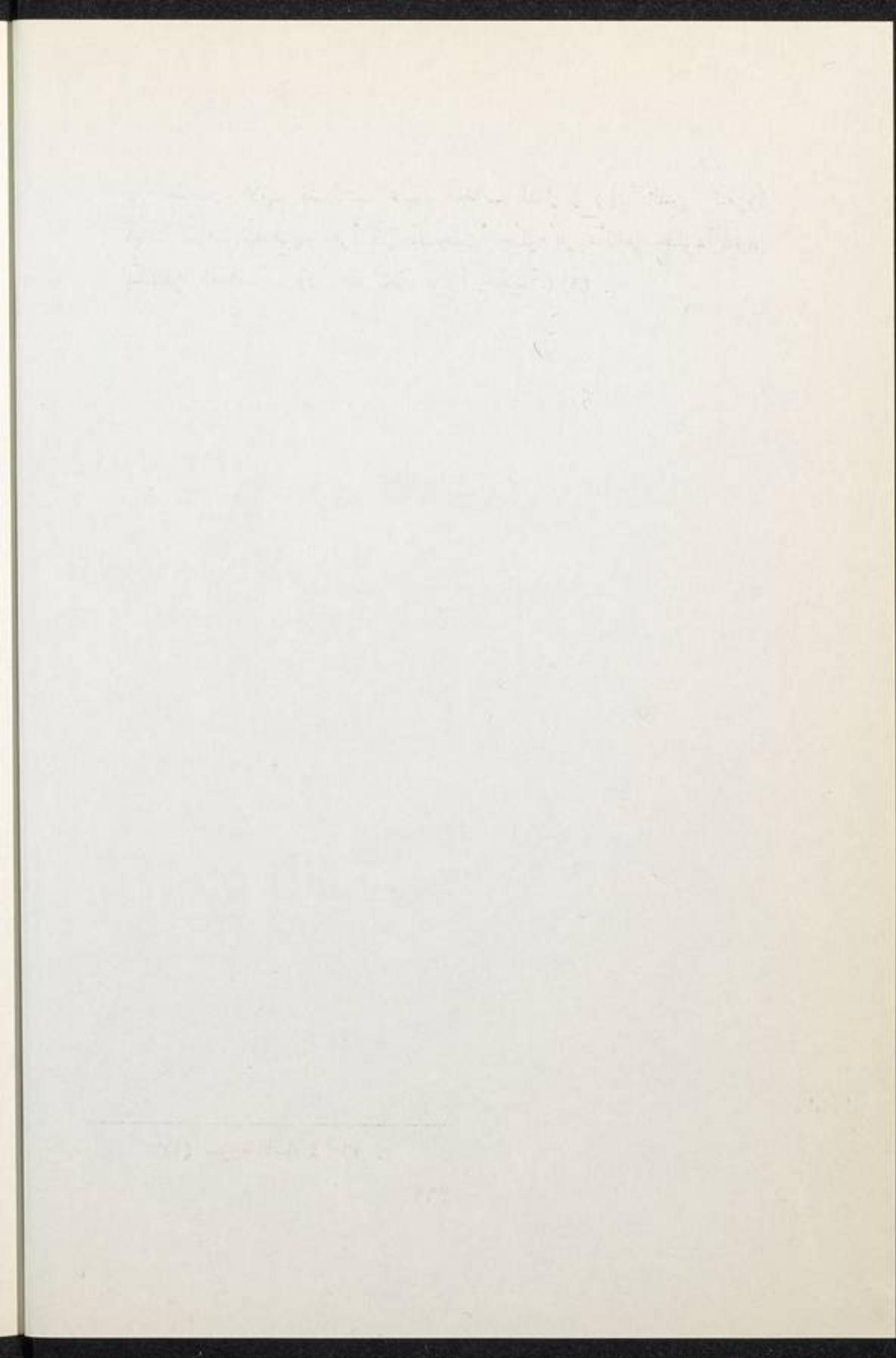
(٢) تلخيص البيان : ٢٣٨ .

(٣) وبهذا المعنى ورد اللباس في قوله تعالى (وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ
 الْحَرَّ ، وَسَرَابِيلَ تَقِيكُمْ بِأَسْكَمْ . . .) سورة النحل ١٦: ٨١ .

(٤) سورة الحج ٢٢: ١٩ - ٢٢ .

من العقاب ، لأنهم قد كتب عليهم العذاب الدائم . (إنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا
بِآيَاتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضَجَتْ جُلُودُهُمْ بِدَنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرُهَا
لِيَسْتُوْقُوا الْعَذَابَ ، إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَزِيزًا حَكِيمًا) (١) .

(١) سورة النساء ٤: ٥٦ .



الفَصْلُ السَّادِسُ

الثواب بالجنة

١ - وصف طبيعتها

٢ - اعتدال جوها

٣ - أنهارها وشرابها

أ - أنهار الماء

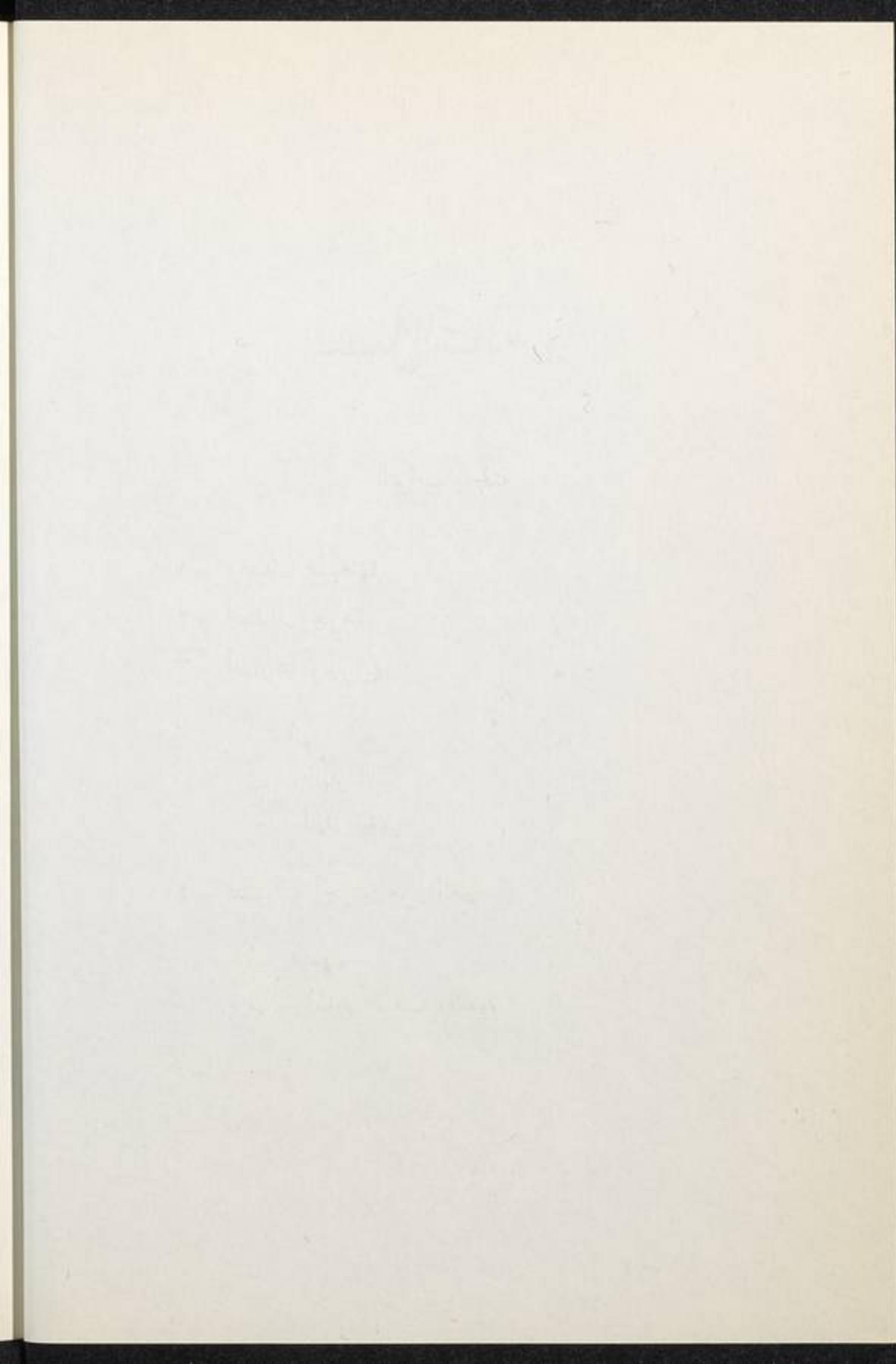
ب - أنهار اللبن

ج - أنهار الخمر

٤ - صنوف أخرى من النعيم

أ - لباسهم

ب - أساور الذهب والفضة



١ - وصف طبيعتها

لقد مررت بنا سابقاً صور العذاب في النار . ودلالتها على البيئة العربية ولنقارنها الآن بصور النعيم التي يثاب بها المؤمنون . فالنار الحامية التي يعذب بها المجرمون ، ويُسقون من شرابها الحار المحرق ، تقابلها صورة الجنة العالية والعيون والأنهار الجارية ، والفرش الجميلة المنصوبة . قال الله تعالى : (وجوه يومئذ خاشعةٌ ، عاملة ناصبةٌ ، تَصْلُّ ناراً حامِيَةً) . تُسْقى من عينٍ آنيةٍ ، ليس لهم طعاماً إلا مِنْ ضَرَبِعٍ ، لا يُسْمِنُ ولا يُغْنِي من جُوعٍ وجوهٍ يومئذ ناعمةٌ ، لساعيَها راضيةٌ ، في جنة عالية ، لا تسمعُ فيها لاغية ، فيها عينٍ جاريةٍ ، فيها سُرُرٌ مرفوعةٌ ، وأكوابٌ موضوعةٌ (١) وفي سورة التكوير نجد العرض السريع لشاهد القيامة المتتالية من اضطراب السموات والأرض ، ثم موقف الحساب ، والقضاء حيث يصدر بعدها قرار الحكم في النار أو الجنة : (إذا الشَّمَسُ كُوْرَتَ ، وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ ، وَإِذَا الْجِبَالُ سُيَرَتْ ، وَإِذَا الْعِشَارُ عُطَلَّتْ .. وَإِذَا الْمَوْدَةُ سُهُلَتْ بِأَيِّ ذَنْبٍ قُتُلَتْ ؟ وَإِذَا الصَّحْفُ نُسَرَّتْ ، وَإِذَا السَّمَاءُ كَشِطَتْ وَإِذَا الْجَحِيمُ سُعِرَتْ ، وَإِذَا الْجَنَّةُ أُزْلِفَتْ ...) (٢) وقد ورد ذكر الجنة في (١٢١) آية (٣) على أنها المأوى الأخير للمؤمنين ، وتقابلها النار قرار المجرمين الأبدي .

(١) سورة الغاشية ٨٨: ٢ - ١٤ .

(٢) سورة التكوير ٨١: ١ - ١٣ .

(٣) انظر المجمع المفهرس ١٨٠ - ١٨١ .

وقد فسرت الجنة بأنها البستان المحفوف بالشجر ، المتكافئ بالتخيل (١)
وكذلك قال اللغويون (٢) . وقد وردت في الشعر الجاهلي دالة على هذا
المعنى . قال أمرؤ القيس :

تَبَصِّرُ خَلِيلِيْ هَلْ تَرَى مِنْ ظَعَانِ
سَوَالِكَ نَقَاباً بَيْنَ حَزَمِ شَعَبَعَ
عَلَوْنَ بَانِطَاكِيَةَ فَوْقَ عَقْمَةَ
كَجَرِّمَةِ تَخْلِيْ أَوْ كَجَنَّةِ يَشْرِبِ (٣)

في مجموعة الظعاين في سيرها ، وارتفاعها ، تشبه عند الشاعر مجموعة
التخيل ، او جنة يشرب بخيلاها واشجارها العالية ، مما يعطينا صورة
واضحة للدلالات الجنة في الذهن العربي ، واطلاقها على البستان المتكافئ
الأشجار . وكذلك فسروا الفردوس بالجنة (٤) ، الا انهم اختلفوا في
اصلها (٥) .

(١) معاني القرآن الورقة ١٨ (ب) تفسير الخمسين آية : الورقة ٥٠
البيان : ١٣٧ التبيان ٦ : ٢٤٦ : حقائق التأويل ٥ : ٢٤٦ : الكشاف ١ : ١٩٨

(٢) الصحاح ٥ : ٢٠٩٣ ، لسان العرب ٦ : ٢٥٣

(٣) ديوان امرئ القيس : ٤٣ ، ٥٨ ، ١١٥ ، شرح ديوان عنترة
المفضليات : ٨٠

(٤) جامع البيان ١٦ : ٣٦ : التبيان ٧ : ٩٨

(٥) قال بعضهم انها عربية مأخوذة من الفردسة وهي السعة . الفراء عن
لسان العرب ٨ : ٤٣ - ٤٤ ، جمهرة اللغة ٣ : ٣٣٣ ، المغرب : ٢٤١ ،
وقال بعضهم بل هي رومية - جامع البيان ١٦ : ٣٦ : التبيان ٧ : ٩٨ ،
الاتفاق ٢ : ١٣٩ ، شفاء الغليل : ١٩٩ ، وذهب آخرون - وهو الأرجح -
انها كلمة توافقت فيها اللغات القديمة السامية والشرقية بصورة عامة انظر ذيل =

وإذا قارنا صورة الجنة كما وصفها القرآن الكريم بالبيئة العربية استطعنا أن نتصور الإيحاءات الجميلة التي توحّي بها الآيات الكريمة في الذهن العربي ذلك لأننا نجد للزرع ، والأشجار بصورة عامة أهمية عظيمة في حياة العرب وتعابيرهم وتفكيرهم . ونظرًا لتعلقهم بصور التخييل فقد أداروها في اشعارهم وتشبيهاتهم فكثيراً ما وصفوا الضعاين في ارتفاع هoad جهن ، واختلاف الوانهن ، وشبهوها بالنخيل ، وطلعه المختلف الألوان . قال أمرؤ القيس :

فَشَبَّهُتُمْ فِي الْآلِ مَا تَكَمَّشُوا
حَدَائِقَ دَوْمٍ أَوْ سَفِينَا مُمَقِّراً
أَوْ الْمَكْرَعَاتِ مِنْ تَخْيِلِ ابْنِ يَامِنٍ
دَوْنِنَ الصَّفَا الْلَّاثِي يَلِينَ الْمُشَقَّرَةَ
سَوَامِقَ جَبَارٍ اثِيثَ فُرُوعُهُ
وَعَالَيْنَ قَنَوَانَا مِنَ الْبُسْرِ أَهْرَا

فسرعة الاعطان ، وسيرها في الصحراء الواسعة تشبه عند الشاعر التخييل التي تتعالى ساقمة في السماء . وتسخنوا بوصف الناقة وشبهوها بالنمحة في امتداد صلبها . (1) كل هذه التشبيهات تعطيها صورة لأهمية الشجر ، والنخيل في الذهن العربي (2) ، وكيف انها وجدت في بيئتهم واحبوها كل الحب ، الا ان وجودها كان محدود النطاق اذ انقررت اليه

= الالفاظ السريانية ، مجلة المجمع العلمي العربي م ٢٦ ج ٣ ص ٣٣٦ ، الدخيل في اللغة العربية ، مجلة كلية الآداب جامعة فؤاد الأول م ١١ ج ٤

(1) راجع في هذا تشبيه شرر النار بالجمادات ص ٢٢٨

(2) لقد بلغ تعلقهم بالأشجار ان بعضهم قدسها وعبدها . انظر الميشولوجيا

عند العرب : ١٠٩ فما بعدها

كثير من المناطق ، نظراً للبيئة الصحراوية التي تفتقر في كثير من أماكنها إلى العشب إضافة إلى الشجر والنخيل .

هذه الصورة تعكس في الذهن العربي نعيم الجنة ، وجمالها الطبيعي الرائع الذي طالما تاقت إليه نفوسهم فنجده في وصف الجنة والنخيل ، والأشجار المقدانية القطوف الوفيرة الأثمان ، والاعناب : (ولَمَنْ خافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ ذَوَاتَا أَفْنَانِ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا عَيْنَانِ تَسْجُرَيْنِ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا مِنْ كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ مَدْهَامَتَانِ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَاحَتَانِ ، فَبِأَيِّ الَّاءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ؟ فِيهِمَا فَاكِهَةٌ ، وَنَخْلٌ ، وَرُمَانٌ . . .) (١) وقال تعالى معدداً نعم الجنة الكثيرة ، والفاكهه المتنوعة ، والطعام اللذيد ، والظل الوارف الجميل مع وفرة المياه ، والنخل ، والأشجار : (واصحابُ اليمين ، ما اصحابُ اليمين ، في سدرٍ مَخْضودٍ ، وَطَلْحٍ مَنْضودٍ وَماءٍ مَسْكوبٍ ، وفاكهه كثيرة لا مقطوعةٍ ، ولا ممنوعةٍ) (٢) . لقد احب العرب العشب الذي ترعاه ما شيتهم ، واحبوا المطر ، وترقبوه لأن في انعدامه افتقاراً للعشب وموتاً لحيوانهم ، وماشيتهم . ولما كان لون العشب اخضر فقد تعلقوا بهذا اللون ، واعتبروه احب الاولان الى نفوسهم ، فهو لون الشباب الحبيب ولذلك قيل اذا توفي الرجل شاباً قد اختضر (٣) . ذلك لأنه توفي في ريعان شبابه كالغضن حين يكون

(١) سورة الرحمن ٥٥ : ٤٦ - ٥٣ ، ٦٢ - ٦٨

(٢) سورة الواقعة ٥٦ : ٢٧ - ٣٣

(٣) الصحاح ٢ : ٦٤٧ ، لسان العرب ٥ : ٣٢٧ .

على أحسن حال ، واجمله ، ايام حضرته ، ونضارته .
 اما اذا ارادوا الدعاء على قوم ، فانهم يدعون عليهم بالجلد ،
 والحرمان من الخصب فيقولون : اباد الله حضرة اهم (١) . لان الحضرة
 مقرنة بالخير والنعيم ، واذا ارادوا التعبير عن دوام الحبة قالوا : (الامر
 بيننا اخضر اي جديد لم تخلق المودة بيننا) (٢) . ومن هنا قال ذو الرمة
 واصفا الوصال بالحضره :

أرابُّ مِيَّ وَالوصالُ أخْضَرُّ وَلَمْ يَغِيَّرْ وَصَلَّهَا المَغِيَّرُ (٣)
 فايام الوصال وصفها بالحضره بجدها ، واقترانها بالجلدة والبهجه
 اما وصف الاشخاص بالحضره ، فقد ذهب بعضهم الى ان المراد به الفخر
 وانهم اذا ارادوا مدح الرجل نعتوه بالاخضر (٤) كقول اللهبي (٥) .
 وأنا الأخضر من يعمر فيني أخضر الجلادة في بيست العرب (٦)
 ويبدو ان هذا النعت لا يراد به الفخر من حيث دلالة اللون على

(١) الفراء عن لسان العرب ٥: ٣٢٩ ، ادب الكاتب : ٥٠ ، مجمع الامثال ١٠٩ : ١

(٢) اساس البلاغة : ٢٣٦ .

(٣) ديوان شعر ذي الرمة : ٢٠٢ ، ارجيز العرب : ١٠ .

(٤) احسان الشعراء العرب بالالوان والاصوات ، مجلة كلية الاداب العدد الاول لسنة ١٩٥٦ ص ٨ ، الوصف في شعر العراق : ٩٧ .

(٥) هو الفضل بن عباس بن عتبة بن ابي هلب احد شعراءبني هاشم وكان من قدم على عبد الملك بن مروان انظر المعرف : ١٢٦ ، الاغاني ١٥ : ٨ - ١٠ . المؤتلف والمختلف : ٤١ : .

(٦) الحيوان ٣: ٢٤٨ ، المؤتلف والمختلف : ٤١ ، اساس البلاغة : ٢٣٦ .
 لسان العرب ٥: ٢٨ ، فخر السودان : رسائل الحافظ ١: ٢٠٧ .

النعمة ، والخير ، وإنما أريد به لون البشرة . قال ابن قتيبة معلقاً على البيت : (الخضراء السواد اراد الأدمة) (١) .

وروى ابن منظور تفصيلاً على البيت (يقول ان لون العرب السمرة) (٢) وقال المبرد شارحاً آياتاً لحسان ، ورد فيها ذكر خضر بني خلف قال : (يريد سواد جلودهم كما قال الفضل بن العباس) (٣) (البيت) : وقال فهذا على القول الاول . وقال اخرون شبههم في جودهم بالبحار ، لما يرى من لون الخضراء في مياهها) (٤) . وكون الشاعر مدحهم لأنهم شبههم بالبحار التي وصفت بالخضراء غير واضح المعنى ، الا اذا أراد به اللون القاتم الذي يرى في مياه البحر حين تربد ، وتضطرب بشدة : ومن هنا يبدو لنا ان الشاعر اراد الفخر بكونه من العرب الخالص الذين لم تُشبههم حرة الاعاجم (٥) . وهذه التسمية هي التي تفسر لنا وصفه جملة من قائل الجنة بالدهمة : (ومن دونها جنتان ، فبأي اداء ربكم تكذبان ؟ مُدْهَا مَتَان) (٦) . وذلك وصف لحضرتها بانها لشدة رياها ، ونصرتها .

(١) المعارف : ١٢٦ .

(٢) لسان العرب ٥ : ٣٢٥ .

(٣) الكامل للمبرد ١ : ٢١٧ .

(٤) ن . م .

(٥) واطلاق الخضراء على السمرة او السواد ناتج عن طبيعة الالوان ، وصعوبة تحديدها وقد مر بنا سابقاً ان الذوق العربي اعتبار البياض المشوب بالصفرة اجمل الالوان واحلالها انظر ص ١٤١ :

(٦) فخر السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٤ .

تبعد زاهية ، وتقرب الى لون السواد . قال الجاحظ . (واحسن الخضراء ما صارع السواد . قال الله عز وجل ومن دونها جنتان ، ثم قال لما وصفها وشوق اليها مدهامتان) .

هذا اللون المحبب الى نفس العربي هو الذي يتمثل في الذهن عند قراءة الآيات الكريمة التي تخص ثواب الجنة ، وابخارها ورياضها .
وهناك آيات اخرى تجسّد صورة الخضراء الحبيبة الى نفس العربي ، وذلك ان لون ثياب اهل الجنة وصفت بالخضراء دون الالوان الباقية لما لهذا اللون من ايماء جميل في نفوس العرب ، وذوقهم العام . قال الله تعالى (اوئلئك هُمْ جناتٌ عَدُونَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ ، يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ اسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبِسُونَ ثِياباً خُضْراءً مِنْ سُنْدَنٍ وَاسْتَبْرَقٍ ، مَتَكِينٍ فِيهَا عَلَى الارائِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ ، وَحَسِنَتْ مِرْفَقاً) (١) .
وقال تعالى . (مَتَكِينٍ عَلَى رُفَافِ خُضْرَى) (٢) . هذا اللون الجميل المحبب نجده في وصف ملابس الملوك ، وذلك انهم كانوا يوشونها باللون الاخضر (٣) . كما نجد في وصف الملابس ان بعضها لا تكون الا خضراء اللون (٤) . مما يعكس لنا اهمية هذا اللون ، وحب الذوق العربي له (٥) .

(١) سورة الكهف ١٨ : ٣١ .

(٢) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٦ ، وانظر الكشاف ٣ : ١٩١ .

(٣) انظر ديوان النابغة الذبياني : ١٢ .

(٤) انظر في هذا مقال الأزسجة في مجلة الأبحاث ج ٤ كانون الأول السنة ١٤ ١٩٦١ ص ٥٦٦ ، ٥٧١ .

(٥) انظر في هذا مقال البيئة العربية في القرآن الكريم مجلة البيئة السنة الأولى العدد ١٠ - ١٩٦٣ - ١٣٨٢ هـ .

ومن هنا يتضح لنا ان الحضرة في القرآن الكريم تجسيد للذوق العربي الذي احبا وشغف بها ، لأنها تمثل في نظره الخبر ، والرفاية ، والحياة الدائمة . وكل هذه الصور ترسم في الذهن عند قراءة وصف الجنة ، وطبيعتها المشرقة الزاهية .

٢ - اعتدال جوها

ان لظى النار ، وحرها الشديد تقابله في الجنة صورة معاكسة إذ وصف جوها بالاعتدال ، وطيب الهواء : (لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ، وَلَا زَمْهُرِيرًا) (١) أي انهم في الجنة في جو معتدل لا يعانون الحر الشديد الذي يعانيه أهل النار ، ولا البرد القارص المؤذى . وفي هذا رد لاعتراض الزرادشتية الذي مر بنا ذكره (٢) . فكما تفي عن الجنة الحر الشديد الذي عاناه العرب ، فكذلك تفي عنها البرد الشديد القارص ، وهو أيضاً مما عاناه العربي في بيته لأن بلاد العرب لم تكون أرض سوم وحر فقط ، إنما عانت البرد والحر على اختلاف فصول السنة ، وان كانت صور الحر أوضح ملامح في الشعر الجاهلي من صور البرد ولعل ذلك الى ان الحر يصبحه عطش مغضّر يعلم العربي ويؤذيه . أما في البرد فقد اكتفوا بوصف شدة البرد ، وحاجتهم الى الدفء .

ومعرفة العرب للبرد هو الذي أوحى لبعض المفسرين تفسير الغساق في قوله تعالى : (لَا يَنْدُو قَوْنَ فِيهَا بَرًّا ، وَلَا شَرَابًا إِلَّا حَيْمًا وَغَسَاقًا) (٣)

(١) سورة الانسان ٧٦ : ١٣ .

(٢) أنظر ص ٢٠٥ .

(٣) سورة النبأ ٧٨ : ٢٥ .

وذلك لأنهم قالوا بأن ما يسكنه أهل النار إنما هو شراب لا يستطيعون ذوقه لشدة البرد (١) . مما يدلنا على أن العرب عانوا من أذى البرد ، مثلما عانوا الحر ولظاه حتى فهموا أن البرد يمكن أن يكون وسيلة من وسائل التعذيب يوم القيمة .

لقد عرفت الطائف باعتدال هواها ، وطيب جوها ، ومع ذلك فقد ذكر أن درجة البرودة تصل فيها أحياناً إلى درجة يجمد فيها الماء (٢) ، وكذلك الحال مع باقي جبال الجزيرة العربية . قال المقدسي : (وأما مكان من ناحية الجبال فهي باردة) (٣) ، وسميت آكام بلاد الازد (آل قراس لكثرة ثلوجها) (٤) .

وكما وجدنا صورة الحر واضحة الملامح في الشعر الجاهلي ، فكذلك نستطيع ان نجد فيه وصفاً لشدة البرد ، ورياحه القارصه . قال حاتم الطائي : أوقيد فانَّ الليلَ ليلٌ قرُّ والريحُ يامو قيدُ ريحٌ صُّ (٥) وقال آخر (٦) :

اذا كانَ الشتاءُ فادُّ فئوني فانَّ الشیخَ يَهْدِمُهُ الشتاءُ (٧)
ومن هنا كثُر وصفهم لنار الاصطلاء ، وقربهم منها ، وحبهم لدفئها

(١) جامع البيان : ٣٠ - ١٤ ، الكشاف : ٣ : ١٨ .

(٢) صورة الأرض : ٣٢ ، احسن التقاسيم : ٧٩ ، آثار البلاد : ٩٨ ، قطعة من كتاب في الجغرافية : الورقة ٦٦ (ب) .

(٣) احسن التقاسيم : ٧٠ .

(٤) معجم البلدان ٤ : ٤٦ ، معجم ما استعجم ١ : ٩٢ .

(٥) ديوان حاتم الطائي : ٥٩ .

(٦) حقائق التأويل ٥ : ٢١٧ ، ولم أغير على نسبة البيت .

(٧) ثمار القلوب : ٤٦٠ .

وما يمحك في هذا الباب ان اعرابياً اشتد عليه البرد ، فأصابه ذاراً ، فدنا منها ليصطلي وهو يقول : (اللهم لا تحرمني في الدنيا والآخرة) (١) . ومع ان الطابع الاسلامي واضح في هذه الحكاية الطريفة ، فان لها دلالتها على البيئة الغربية وقت الشتاء وكيف ان البرد يشتد فيها الى درجة يتنى فيها المصطلح الناري في دنياه وآخرته ! ومن هنا وصفوا أذى البرد الذي تعانيه حيواناتهم (٢) .

ومع ذكرهم لصور البرد ، ومعاناتهم له في البيئة العربية إلا انه لا يبلغ مبلغ تصويره الحر الشديد ، ومعاناتهم العطش فيه ، ومن هنا كان تحريف القرآن الكريم بالحر اضعف ما خوف بالبرد .
ومن هنا يستطيع العربي ان يتمثل الصورة المشرقة للجنة في انعدام الحر ، والبرد الشديدين ، ويستطيع ان يتصور السعادة المتناهية التي يثاب بها المؤمنون في الجنة .

٣ - انهارها وشرابها :

١ - انهار الماء .

والى جانب الخضراء الخببة ، والأشجار الجميلة نجد في وصف الجنة صورة أخرى تزيد المشهد روعة وجمالاً ، الا وهي صورة الأنهر الجارية

(١) ثمار القلوب : ٤٦٠

(٢) ديوان جران العود : ٧ شرح اشعار الذهليين ١ : ٦٨ ، المفضليات :

١٢٦ ، ١٧٧ اسماء المتعالين : ٢٤٢ ، الحيوان ٥ : ٧٥ ، الأزمنة والأمكنة

٢ : ٢٤٢ ، اراجيز العرب : ١٠٩

الوفيرة المياه . وقد وردت في (٣٨) آية (١) : كلها تصف الجنة التي تجري من تحتها الانهار (وَبَشَرَ الدِّينَ أَمْنَا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلُّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثُرَّةٍ قَالُوا : هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلِهِ ، وَاتَّوَابَهُ مِنْ تَبَاهِيهِ ، وَلَهُمْ فِيهَا ازْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (٢) . وقال تعالى أيضاً : (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَّ الْمُتَقْوِنَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُّهَا دَائِمٌ وَيُظْلَمُهَا : تَلْكَ عُقَبَى الَّذِينَ اتَّقَوْا ، وَعُقَبَى الْكَافِرِينَ النَّارَ) (٣) وفي سورة محمد (ص) نجد صورتين متعاقبتين احداهما صورة الجنة التي تجري فيها الانهار وقد عدد الله سبحانه وتعالى انواع هذه الانهار فبعضها من ماء صاف وبعضها من لبن ، او حمر ، او عسل كلها اعدت لينعم بها المؤمنون . هذه الصورة تقارن بأخرى تليها ، وهي صورة العذاب وما يلاقيه المجرمون في النار حين يسقوهم الماء الحميم الشديد الحرارة ، فتقطع اعاؤهم (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَّ الْمُتَقْوِنَ فِيهَا أَنْهَارٌ مِّنْ مَاءٍ غَيْرِ أَسِنٍ ، وَانْهَارٌ مِّنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيِّرْ طَعْمُهُ ، وَانْهَارٌ مِّنْ تَحْمِيرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ، وَانْهَارٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفَّى ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ ، وَمَغْفِرَةٌ مِّنْ رَبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ ، وَمُسْقُوْمَا ماء جيماً) (٤) .

وإذا بحثنا الماء في القرآن الكريم في غير الآيات التي تخص القيمة

(١) انظر المعجم المفهرس ٧٢٠ - ٧١٩

(٢) سورة البقرة ٢ : ٢٥

(٣) سورة الرعد ١٣ : ٣٥

(٤) سورة محمد ٤٧ : ١٥

نجد له أهمية كبيرة ، فقد ورد في (١) آية (٣٤) تصور الماء على أنه من النعم العظيمة التي أسبغها الله سبحانه وتعالى على البشر ، فهو أساس الحياة : (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيًّا) (٢) ومع ذلك نجد شح الماء ، وقلته في البيئة العربية ، وحيثما نقرأ نجد ذكر الماء ، والعطش ذلك أن الصحراء العربية لا توجد فيها انهار دائمة الجريان ، وإنما وديان تسير فيها المياه وقت الأمطار ، وسرعان ما تتلاشى ، وتتغير (٣) : فلا يوجد في مكة مثلاً ماء جار أبداً (٤) ، الا ما يحتفرونه من الآبار والعيون (٥) : فالمدينة حياتها على السيل وقت الأمطار ، وعلى الآبار سائر السنة (٦) . أما جدة فإن اهلها في تعب دائم ، من الماء كما يقول المقدسي (٧) . أما سائر الجزيرة العربية فإن اعتمادها الكلي على الأمطار التي قد تشح أحياناً فتتركهم في يأس من الحياة والمداعي (٨) . وقد

(١) المعجم المفهرس : ٦٨٤

(٢) سورة الأنبياء ٢١ : ٣٠

(٣) صورة الأرض : ٢٧ ، وانظر أيضاً هذا العالم : ٣٣٣ . أما ما يذكر عن سد مأرب والمياه التي تجري في انهاره ، فانما احتضر العرب هذه الانهار ليوجهوا إليها السيل التي تسيل من الجبال . انظر الاعلاق النفسية :

٩٥ ، احسن التقسيم :

(٤) اسماء جبال تمامة : ٤٤

(٥) البلدان : ٣١٦ ، صورة الأرض : ٢٩ المسالك والممالك : ١٣٤ ،

معجم ما استعجم ١ : ٢٦٩ ، معجم البلدان ٤ : ٦٢٢

(٦) البلدان : ٣١٢

(٧) احسن التقسيم : ٧٩

(٨) هذا العالم : ٣٣٣

تخلو بعض المناطق من الآبار ، والعيون ، فتنعدم فيها الحياة (١) . وحول الماء وحفر الآبار دارت الأساطير الغربية ، وكلها تصور التقديس الذي أحيط به الماء (٢) .

وقلة المياه ، والحرمان منها عرضت العرب في كثير من أسفارهم إلى المخطر الخدق حيث يعانون من أذى العطش والظماء ما يعرضهم إلى الهالاك : ومن هنا أوجدوا طريقة يقتسمون بها الماء ، وذلك إنهم يضعون حصاة في إناء ، ثم يصب فيه من الماء قدر ما يغمر الحصاة ، فيعطيها كل رجل منهم ، وأسموا هذه الحصاة بالملقة (٣) . وهذه الطريقة تطلعنا على شح الماء في يبيتهم إلى درجة يقتسمونه فيها ، بقدر ما يغمر الحصاة .
وإذا كانت البيئة الغربية قد حرمـت الأنـهـار ، وشـحتـ فيهاـ المـاهـ فـنـ الطـبـيـعـيـ انـ يـكـونـ اـعـتمـادـهـ الـكـلـيـ عـلـىـ الـأـمـطـارـ ، وـمـنـ هـنـاـ صـارـتـ لهمـ خـبـرـةـ عـظـيمـةـ فـيـ تـبـيعـ مـوـاقـعـ الـمـطـرـ وـمـعـرـفـةـ السـحـابـ الـمـطـرـ ، أوـ الـخـادـعـ (٤) . فإذا انقطع عنـهـمـ الـمـطـرـ وـاحـبـسـ فـانـ هـنـاكـ فـرـوضـاـ

(١) صورة الأرض : ٣٤ ، جزيرة العرب لبيري : ٢١

(٢) المثالب : الورقة ٣٠ - ٣١ ، المتنق : ٤١٣ فـاـ بـعـدـهـ ، الحـاسـنـ والأـضـدـادـ : ٧٨ ، الحـاسـنـ : ٤١٥ ، ثـمـ القـلـوبـ : ٤٤٤ . وقد خـصـ الـعـربـ الـقـدـمـاءـ الـمـاءـ بـأـحـادـيـثـ طـوـيـلـةـ ، فـدـحـوـاـ الـمـاءـ الـبـارـدـ ، وـذـكـرـواـ مـنـافـعـ الـمـاءـ وـمـيـزـوـاـ بـيـنـ الـعـذـبـ وـالـرـدـيـءـ كـلـ ذـكـرـ نـتـيـجـةـ خـبـرـهـمـ بـهـ . انـظـرـ الدـلـائـلـ وـالـاعـتـبارـ : ٦١ـ الحـاسـنـ : ٤٧٠ـ مـخـتـصـ الـبـلـدـانـ : ٢٢٠ـ أـحـسـنـ التـقـاسـيمـ : ١٠١ـ

(٣) أمثال العرب : ٦١ ، الغريب المصنف : الورقة (٢٤٨) مجالـسـ الـعـلـمـاءـ : ٢١٦ ، ٢١٧ـ

(٤) انـظـرـ الأـشـيـاءـ وـالـنظـائـرـ ١ : ٥٥ ، اـمـالـيـ القـالـيـ ١ : ٨٤ـ

عديدة يقدمونها لاستنزال المطر ، ومنها صلاة الاستسقاء (١) ، أو النيران التي يوقدونها (٢) ومن هنا عبد بعضهم الكواكب التي لا يمطرون عندها رهبة منها ، وخوفاً (٣) . كما عبد آخرون النجوم التي اذا طلعت عليهم توقعوا نزول الأمطار ، وكثرة المخارات (٤) .

ومن هنا نرى أي صورة جميلة ، تلك التي ينقلها لنا الاعرابي حين يشبه صوت حبيبه بالقطر الذي يسمعه الراعي بعد سنين طويلة مجده وقد أصاخ سمعه ، وملأه الفرحة قلبه في انتظار المطر :

وَحْدَ يُشَهِّدُ كَالْقَطْرِ يَسْمَعُهُ رَاعِيْ سَنِينَ تَتَابَعُهُ فَاصَّاخَ يَرْجُوْ أَنْ يَكُونَ حَيَا وَيَقُولُ مِنْ فَرَحِ هِيَا رِبَا (٥)

ومن هنا كان دعاؤهم للميت ان يسقي قبره المطر (٦) : كما نجد

(١) انظر صحيح مسلم ٣ : ١٢١٢ : الأذمنة والأنواع : ١٣٦ ،
بلغ الأربع ٢ : ٣٠١

Ency of Religion . Art Religion of the Semitic (2)
1 : 669

(٣) من ذلك عبادتهم للذران انظر بلوغ الأربع ٣ : ٢٣٩ : الميثولوجيا
عند العرب : ٧٨

(٤) من ذلك عبادتهم للثيريا انظر بلوغ الأربع ٢ : ٢٤٠ ، الميثولوجيا
عند العرب : ٨٤ ، ١٠٠

(٥) الأشباء والنظائر ١ : ٥٥ ، الامالي للقالى ١ : ٨٤ . وانظر
 ايضاً المنازل والديار : الورقة ٣٧ ، اسرار البلاغة : ١٢٤

(٦) ديوان الخنساء : ١٥ ، امالي اليزيدي : ٢٢ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٣٤ ،
الاشباء والنظائر : ٦

في ذكر إيمانهم أنهم كانوا يقسمون بالمطر ، وبمترّل المطر (١) . وقال الجاحظ : والماء قد يكون القسم كقول الشاعر :

ـَغَضِبَيْ وَلَا وَاللهِ يَا أَهْلَهَا لَا أُشَرَّبُ الْبَارَدَ او ترضى
ويقولون لو علم فلان إنَّ شربَ البارد يضع من مروعته لما ذاقه (٢)
وقال طفيل مقسماً بالماء .

ولا أقولُ وَجِمَّ الماءِ ذُوَنَفْسٍ من الحرارةِ إِنَّ الماءَ مَشْغُولُ^٣
ولأهمية الماء في نفوسهم سموا بعض الأشخاص باسم ماء السماء (٣) .
ونجد أهمية الماء في البيئة العربية متمثلاً في الشعر العربي في كافة أغراضه ،
فنجد في الفخر والمديح والغزل وغيرها من فنون الشعر ، فإذا أراد شاعرهم
الفخر ، فاما يفخر بشرب قومه الماء الصافي على حين يشرب غيرهم الكدر
قال الحارث بن حلزة اليشكري :

وَاتَّا الشَّارِبُونَ الماءَ صَفْوًا وَيَشْرَبُ غَيْرُنَا كَدْرًا وَطَبِنَا (٤)
ويفخر شاعرهم بأنه يمنع نفسه لذة الشراب ، لأنَّه يؤثِّر رفيقه

(١) من ذلك قوله لا وقطع القطر ، انظر الأمالي للقالي ١ : ٥٠ ، إيمان العرب : ٢٠ ، وروى لا وقطع القطرة . انظر المخصص ١١٨:١٣ ، المزهر : ٢٦٢.

(٢) الحيوان ٥ : ١٤٨ ، وقد علق محقق الكتاب على قول الجاحظ بقوله :
(والحق ان الماء مقسم عليه لامقسم به ، وأما المقسم به فهو لفظ الجلالة) ويبدو انه حتى في حالة كون الماء مقسم عليه فإن له دلالته على أهميته في البيئة العربية .
والبيت غير منسوب ، وانظر أيضاً مختصر البلدان : ٢٢٢ .

(٣) الحيوان : ١٤١ ، وانظر أيضاً شرح القصائد السابعة : ٤٧٥ .

(٤) شرح القصائد السابعة : ٤١٩ .

بالشراب قبله ، مما يظهر لنا قلة الماء ، و حاجتهم اليه ، قال أبو دؤاد (١) :
 لا يَخَافُ النَّدِيمُ جَهَنَّمَ عَلَى الْكَأسِ وَلَا يَحْذَرُ الصَّدِيقُ عَقْوَةَ
 أَمْنَعُ النَّفَسَ لَذَّةَ الْمَاءِ ظَمَانَ إِذَا لَمْ يَتَّهِ قَبْلَ رَفِيقِي (٢)
 أما في الهجاء الذي تتعكس فيه مثل الفخر وال مدح ، فنجدهم إذا
 أرادوا هجاء شخص شبهوه بالماء الكدر المالح .

لو كنتَ ماءً كنتَ لا عذبَ الْمَذَاقِ وَلَامْسَوْسَا (٣)
 ومن اتياي الماء ووروده صدرت عن العرب أمثال عديدة تعكس
 كلها أهمية الماء (٤) . وأثره العظيم في نفوسهم ولغتهم ، ومن هنا لو أنَّ
 الماء تعبيرهم ، واكتسبت به ألفاظهم فقالوا : (صيغ له ماء ، وفلان ليس
 في وجهه ماء) (٥) .

هذه الصورة الخبيثة للماء ، والأهمية العظيمة التي تجدها في حياة العربي
 هي التي تجسد لنا الصورة الرائعة للجنة التي أعدها الله للمؤمنين ، وأجرى

(١) هو أبو دؤاد الأيدري اختلقوا في اسمه فقال بعضهم هو جارية بن
 الحجاج ، وقال غيرهم هو حنظلة بن الشري . شاعر جاهلي كان من وصاف الخيل
 وكان في عصر كعب بن امامه الأيدري الذي آثر بتصنيبه من الماء رفيقه التمرى
 فمات عطشاً . انظر الشعر والشعراء ١ : ١٦١ ، الأغاني ١٥ : ٩١ ، خزانة الأدب
 ٤ : ١٩٠ .

(٢) الحماسة البصرية : الورقة ١٧٢ (ب) .

(٣) ديوان السموال : ٩٣ ، ديوان النابغة الجعدي : ٧ شرح القصائد السبع :
 ٢٧٣ ، الأمالي للقالي ١ : ٣ ، ثمار القلوب : ٤٤٥ ، الجبال والأمكنة : ٦٦ :

(٤) أمثال العرب : ٢٢ .

(٥) ثمار القلوب : ٤٤٥ ، ٤٤٧ ، وانظر في هذا ، الماء في الأدب العربي : ٧ .

فيها الأنهار الواسعة ، والمياه الوفيرة . وكما استطعنا من قبل ان نتصور مدى التصور المعجز الذي رسّمته الآيات الكريمة للعطش : (ونادى أصحاب النار أصحابَ الجنةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ الْمَاءِ ، أَوْ مَارَزَ قَكْمُ اللَّهُ ، قَالُوا إِنَّ اللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى الْكَافِرِينَ) (١) . فمع ان الآيات الكريمة تصور لنا العطش المؤلم الذي يعانيه أهل النار ، فيتمون قليلاً من الماء ، فإنها من الناحية الأخرى تعكس لنا نعم الجنة ، فتتجتمع الصورتان لتكمل الإعجاز الرائع في تصوير عذاب النار ، ونعم الجنة . فصورة الجنة الوارفة الفلال المتنوعة الأشجار مع الأنهار الوفيرة والعيون المتفجرة ، تقابلاً صورة النار ولظاها ، والحرمان من الماء .

وصورة الأنهار الجارية هي التي تكمل صورة الطبيعة الرائعة في القرآن الكريم وقد ذكر هذا الزمخشري بقوله : (ولولا ان الماء الجاري من النعمة واللذة الكبرى ، وان الجنان والرياض وإنْ كانت آنف شيء وأحسنها لاترافق النواظر ، ولا تبهج الانفس ، ولا تجلب الأريحية والنشاط حتى يجري فيها الماء . والا كان الانس الأعظم فائتاً والسرور الأوفر مفقوداً . وكانت كثاثيل لاروح فيها ، وصور لاحياء لها لما جاء الله بذكر الجنات مشفوعاً بذكر الأنهار الجارية من تحتها مسوقين على قرآن واحد كالشئين لا بد لأحدهما من صاحبه) (٢) .

وفي الآيات التي وردت فيها الجنة غير مقترنة بالأنهار بمنها مقرونة بالعيون المتفجرة بالمياه والى جانبيها صورة أخرى هي صورة الجنون مع الماء الحار قال الله تعالى : (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْخَرْمَوْنَ ، يَطْوُ فُونَ بَيْنَهَا ،

(١) سورة الأعراف ٧ : ٥٠ .

(٢) الكشاف ١ : ١٩٩ - ٢٠٠ .

وَبَيْنَ حَيْمٍ أَنِّ ، فَبَأْيِ الْأَاءِ رِبَّكَا تَكَذِّبَانِ ؟ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ
جَنَّتَانِ ، فَبَأْيِ الْأَاءِ رِبَّكَا تَكَذِّبَانِ ؟ (١) . وَقَالَ أَيْضًا : (هَلْ أَنَاكَ
حَدِيثُ الْغَاشِيَةِ ، وَجَوَهُ يَوْمَئِذٍ خَاسِعَةٌ عَامِلَةٌ نَاصِيَةٌ ، تَصْلِي نَارًا حَامِيَةٌ
تُسْقِي مِنْ عَيْنِ آتِيَةٍ ، لَيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيعٍ ، لَا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي
مِنْ جُوعٍ ، وَجَوَهُ يَوْمَئِذٍ نَاعِيَةٌ ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَةٍ ،
لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةٌ ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ) (٢) .

وَإِذَا كَانَتْ عَيْنُونَ وَآبَارَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَعْرَضَةً لِلْجَفَافِ وَالنَّفَادِ ، فَانْ
عَيْنُونَ الْجَنَّةِ وَفِيرَةُ الْمَيَاهِ دَائِمَةُ التَّفْجِيرِ (عَيْنًا يَشَرَّبُ بِهَا عَبْدُ اللَّهِ يَفْجُرُونَهَا
تَفْجِيرًا) (٣) . فَاقْتَرَانُ عَيْنِ الْجَنَّةِ بِالْمَصْدَرِ (تَفْجِيرًا) تَبَيَّنَ مِيزَتُهَا ، وَجَاهَهَا
بِأَنَّهَا دَائِمَةُ التَّفْجِيرِ غَيْرُ مَقْتَرَنَةٍ بِزَمْنٍ مَعِينٍ .

وَفِي كُلِّ هَذِهِ الْآيَاتِ تَرَسِّمُ فِي الْذَّهَنِ الصُّورَةُ الْخَيْرَيَةُ لِلْمَاءِ ، وَالْجَهَالِ
الَّذِي تُثِيرُهُ الْآيَاتُ الْكَرِيمَةُ فِي تَصْوِيرِ أَنْهَارِ الْجَنَّةِ وَوَفَرَةِ الْمَيَاهِ فِيهَا (٤) .
وَقَدْ وَصَفَتْ كُؤُوسُ شَرَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ بِأَنَّهَا مَزِيَّوْجَةُ بَطْعَمِ الزَّنجِبِيلِ
فَالَّهُ تَعَالَى : (وَيُطَافُ عَلَيْهِمْ بَأْنَيَةٍ مِنْ فِضَّةٍ وَأَكْوَابٌ كَانَتْ قَوَارِبًا
قَوَارِبًا مِنْ فِضَّةٍ قَدَرُوهَا تَقْدِيرًا ، وَيُسْقَوْنَ فِيهَا كَأسًا كَانَ مِزاجُهَا
زَنجِبِيلًا عَيْنًا فِيهَا تَسْمَى سَلْسِبِيلًا) (٥) فَالْزَنجِبِيلُ مَمَّا يَنْبُتُ فِي بَلَادِ الْعَرَبِ
بِأَرْضِ عُمَانِ ، وَهُوَ عَرْوَقٌ تَسْرِي فِي الْأَرْضِ .. وَأَجْوَدُهُ مَا يُوقَنُ بِهِ مِنْ الزَّنْجِ

(١) سورة الرحمن ٥٥: ٤٤ - ٤٥ .

(٢) سورة الغاشية ٨٨: ١٢ - ٢ .

(٣) سورة الإنسان ٧٦: ٦ .

(٤) أَنْظُرْ فِي هَذَا مَقَالَ الْبَيْنَةِ الْعَرَبِيَّةِ فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ مجلَّةُ الْبَيْنَةِ السَّنَةُ الْأُولَى

الْعَدْدُ الْعَاشِرُ ١٩٦٣ ص ٣٣ فَمَا بَعْدُهَا .

(٥) سورة الإنسان ٧٦: ١٤ .

او بلاد الصين (١) . وكانت العرب تستلذ طعمه ، و تستطعه . قال الطوسي (الزنجيل) ضرب من القرفة طيب الطعام ، يلذع اللسان ، يربى بالعسل ، يستدفuw به المضار اذا مزج به الشراب فاق في الالذاذ . والعرب تستطع الزنجيل جداً قال الشاعر :

كأنَّ القرْنَقْلَ والزَّنْجِيلَ باتاً بفِيهَا وَأُرْيَا مَشُورَا (٢)
فالزنجبيل مما استلذته العرب ، واستطابته ، وقد شبهوا به ريق المرأة في تغزلم بها ، قال امرؤ القيس :

كأنَّ الْمُسَدَّامَ بِأَنْيَا بِهَا وَصُوبَ السَّغَامَ بِمَاءِ غَلَّ
وَطَعْمَ السَّسَفَرِ جَلَّ والزنجبيل عَلَّ بِهِ ، وبصافي العَسَلِ (٣)
وقال الأعشى متغلاً :

كأنَّ طَعْمَ الزنجيلِ وَتَفَا حَمْ على أري الدَّبُورِ نَزَل (٤)
اما رائحة الشراب فانه معطر بالكافور قال الله تعالى : (انا اعتدنا
للكافرين سلاملا وأغللا) وسعيرا ، ان البرار يشربون من كأس
كان مزاجها كافورا ، علينا يشرب بها عباد الله يُفجرونها
تفجيرا) (٥) . قال الطوسي : (كان مزاجها كافورا قيل ما يشم من

(١) لسان العرب ١٣ : ٢٣٢ . وقيل ان الكلمة اعجمية . انظر شفاء الغليل : ١٤٠ وقد قال فؤاد حسنين الزنجيل (بقلة يقال لها فلفل الماء الدخبل . في العربية مجلة كلية الآداب ، جامعة فؤاد الأول مايو ١٩٤٩

(٢) التبيان ١٠ : ٢١٤ : والبيت للأشعشى في ديوانه ٩٣ مع اختلاف في الرواية ، وانظر ايضا الكشاف ٣ : ٢٩٨

(٣) ديوان امرؤ القيس : ٢٩٨

(٤) ديوان الأعشى ص ٢٧٧

(٥) سورة الانسان ٧٦ : ٤ - ٦

ريحها لا من جهة طعمها ، والكافور في اللغة ضرب من الطيب) (١) . وقد ذكر ابن دريد انه ليس بعريني مغض مستدلا بقولهم **الكافور والكافور**) (٢) . وليس في هذا القول دليل قاطع على اعجمية الكلمة ذلك لأن هناك نباتاً معروفاً يسمى الكافور قال الليث : (الكافور : نبات له نور ايض كنور الاشواخ)) (٣) . فمن الجائز ان يكون الكافور مستخرجأ منه .

ومن هنا نرى ان القرآن الكريم بعد ان وصف وفرة المياه ، وتنوع الشراب للذين ينعمون به المؤمنون في الجنة ، وصف لنا طعمه بأنه مخلوط بطعم الزنجبيل الذي احبه العرب واستطابته نفوسهم ، ثم ان رائحته طيبة كطعم الكافور الذي اعجبوا به واستلذوا رائحته .

ب - أنهار اللبن :

ولى جانب انهار المياه التي تجري في الجنة نجد وصفاً آخر لانهار من اللبن والخمر ، قال الله تعالى : (**مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَقْبَلُونَ** فيها **أَنْهَارٌ** من ماء غير آسن وانهار من **لَبَنٍ** لَمْ يَتَغَيَّرْ طعمُه **وَانْهَارٌ** من **خَمْرٍ** لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ ، وانهار من عسل مصفي)) (٤) . وذكر اللبن ضمن انهار الجنة يثير صورة في الذهن العربي ، صورة

(١) جمهرة اللغة ٢ : ٤٠١ ، الصداح ٢ : ٨٠٨ ، لسان العرب

٦ : ٤٦٦

(٢) جمهرة اللغة ٢ : ٤٠١ ، وانظر ايضاً المعرف : ٢٨٤ ، ٢٨٦

(٣) لسان العرب ٦ : ٤٦٦

(٤) سورة محمد ٤٧ : ١٤ - ١٥

البيئة التي عاشهـا العربيـ . فالـلـبن من منتجـات حـيوانـهم ، وـهـو شـرابـهم المـفضل إـلا أـن شـح البيـئة العـربـية بالـكـلـأـ ، والـزـرـع فـي أـكـثـر أيام السـنة كانـ يـؤـدي إـلـى قـلـة الـخـيرـات ، وـانـعدـام الـلـبن فـي اـثـدـائـها ، وـمـن هـنـا نـجـد نـدرـة الـلـبن - وـخـاصـة فـي الشـتـاء - فـتـبـعـت مـن نـدرـةـهـ نـفـهـات جـديـدة يـبعـثـها الشـاعـرـ في فـخـرـهـ وـحـاسـةـهـ ، فـقـد خـصـوا بـشـرـب الـلـبن أـعـزـ منـ فـي مـنـازـلـهـمـ : الصـيفـ وـالـفـرسـ .

اما الصـيفـ فقد عـرـفـنا عـادـةـ العـربـ ، وـما حـتـمـتـهـ البيـئةـ العـربـيةـ الشـحـيـحةـ منـ تـعـودـ الـكـرـمـ وـبـذـلـ الـمـالـ ، وـالـنـفـسـ لـهـ ، فـكـانـوا يـؤـثـرونـ الصـيفـ بـالـلـبنـ وـتـلـكـ سـمـةـ مـنـ سـمـاتـ الـكـرـمـ . قالـ الـخـارـثـ بـنـ حـلـزةـ مـخـاطـبـ صـاحـبـهـ لـيـقـدـمـ الـلـبنـ الـخـالـصـ لـلـضـيـافـ :

لـأـنـكـسـعـ الشـولـ بـاغـبـارـهـ اـنـكـ لـا تـدـرـيـ مـنـ النـاتـيجـ^١
وـأـصـبـ لـاـضـيـافـكـ مـنـ رـسـلـهـ فـانـ شـرـ الـلـبـنـ الـوـالـجـ (١)
وقـالـ الحـطـيـةـ :

ـقـرـوـاـ جـارـكــ العـمـيـانـ لـمـاـ جـفـوـتـهـ
وـقـلـصـ عنـ بـرـدـ الشـرـابـ مشـافـرهـ
سـنـامـاـ وـمـحـضـاـ أـنـبـتـ الـحـمــ فـاكـتـستـ

عـظـامـ اـمـرـىـءـ مـاـكـانـ يـشـبـعـ طـائـرـهـ (٢)

يـقـولـ لـقـدـ قـلـصـتـ مشـافـرـ جـارـكـ عنـ بـرـدـ المـاءـ ، فـلمـ يـقـدرـ عـلـىـ شـرـبـهـ لـشـهـوـةـ الـلـبـنـ ، وـاـنـهـ لـشـدـةـ هـزـالـهـ اـذـا وـقـعـ عـلـيـهـ طـائـرـ وـهـوـ مـيـتـ لـمـ يـشـعـ مـنـ

(١) المعـانـيـ الـكـبـيرـ ١: ٤٠ ، وـانـظـرـ اـيـضاـ ١: ٣٩٨ـ ، وـالـكـسـعـ انـ يـنـصـحـ الـضـرـعـ بـالـمـاءـ الـبـارـدـ ثـمـ يـضـرـبـهـ بـالـكـفـ صـعـداـ . اـرـادـ فـشـرـ الـلـبـنـ مـاـ حـقـنـ فـيـ الـضـرـعـ .

(٢) نـ. مـ ١: ٤٠٤ـ ـ ٤٠٥ـ ، وـالـبـيـتـ الـأـوـلـ غـيـرـ مـوـجـودـ فـيـ دـيـوـانـ

الـحـطـيـةـ : ١٧٧ـ .

قلة حمه ، وهزله ، فكونه متشوقا الى اللبن بدرجة عافت نفسه الماء ، مما يدلنا على تعلق نفس العربي باللبن ، واهميته في حياته .

اما في الهجاء فانهم كانوا يعكسون هذه الناحية التي اعتبروها من اهم صفات المدح ف قالوا عن المهجو انه يخصل نفسه باللبن ، ولا يسقيه اهله وجيرانه . قال الشاعر :

وَيُشْرِبُهُ مَحَضًا وَيُسْقِي أَبْنَعَمَهُ

سِجَاجَحًا كَأَقْرَابِ التَّعَالَبِ أَوْرَفَا (١)

والسجاج الذي مذق حتى تغير طعمه .

اما سقي الفرس اللبن ، فاننا نجد صداحا واضحا عند شعراء الفروسيه الذين اولوا الفرس حياتهم ، ونزل في نقوشم منزل العزيز الكريم وذلك لكونها الاساس الذي يعتمد عليه العربي في الدفاع عن شرفه ، وقبيلاته حين يغار عليه ، ومن هنا اعتنوا بالخيول اعتناءهم باولادهم ، ونسائهم بل جاؤوا ذلك الى تفضيله على عيالهم جميعا . قال عنترة بن شداد : (٢)

فَنْ يَكُ سَائِلاً عَنِ فَلَانَى وَجَرْوَةً لَا تَرُودُ وَلَا تُعَارُ

مُقَرَّبَةً الشَّتَاءِ وَلَا تَرَاهَا وَرَاءَ الْحَيَّ يَتَبَعَّهَا الْمَهَارُ (٣)

هَا بِالصِّيفِ أَصْبَرَةً وَجِلَّةً وَنِيبٌ مِنْ كِرَائِمَهَا غَيْزَار (٤)

(١) المعاني الكبير ١ : ٤٠ .

(٢) شرح ديوان عنترة : ٧٨ والشهر منسوب الى شداد بن معاوية العبسي

انظر امثال العرب : ٣٦ .

(٣) لقد خصن الشتاء هنا لانه زمان المحن ، والجذب ، فالكرم فيه مدح اي انها للركوب لا للنسنل .

(٤) الاصبرة من الغنم والابل التي تروح وتغدو على اهلها لا تعزب عنهم والجلل بالكسر البهير ، والنبيب المسنة من الابل ، وانظر ايضاً شرح اشعار =

وفي الشتاء حين تهزل الماشية وتتجفف البانـا يخضون الفرس بالبنـا
المحض ويعتبرون غيرهم بسوء صيانتهم الخيل ؛ واذلامهم لها (١) . يقول
مالك بن نورة :

أَعْلَىٰ أَهْلِي عن قلبي متابعيهم

وأُسْقِيَهُ مِحْضَ الشَّوْلِ وَالْحَيْ هَاتِفٌ (٢)

فهو هنا يقول بأنه يحرم أهله شرب اللبن ، ويعلهم ، ويلهم ،
ليسقي فرسه اللبن الشول الحالص ونخصها به . وتبلغ ندرة اللبن احياناً
إلى درجة لا يسقي الرجل عياله الا ما فضل من شرب الفرس قال متم
ابن ذورة :

فَلَهُ ضَرِيبُ الشَّوْلِ الْأَسْوَءِ رَهُ وَإِجْلٌ فَهُوَ مَرْبُّ لَا يُخْلِعُ^(٣)
يُرِيدُ بَانِهِ يَسْقِي فَرْسَهُ الْبَنِ الْحَضْنُ ، وَمَا بَقِيَ سُورَهُ لَا يَرْدِهُ عَلَيْهِ
بَلْ يُشْرِبُهُ هُوَ وَأَهْلُهُ .

ومن هنا نجد في اخبار الشعرا ، واعشارهم اشارات الى ان النساء كانوا يلومون ازواجهم بحرمانهن اللبن ، وخصبهم الفرسن به ، وهم في اشد الحاجة اليه ايام الحمل ، والجذب . فيذكر عنترة زوجته ، ولو مها له ، مظهرا قلة اكتراثه بانيتها ، وتوجعها ، وينذرها بالهجران ان استمرت على لومه :

= المذلين ١: ١١٣ ، الشعراء ١: ٢٢٧ .

(١) انظر الخيل : ١٢ نخبة عقد الجياد : ٢٢٣ ، وانظر هذا في اخبار عنترة
الاغاني : ٤٤٣ ط دار الكتب .

(٢) الخيل : ١٢ ، حلية الفرسان : ١٨٢ ، والشول من الابل ما أتى عليها من حلها سبعة أشهر فخفف لبنيها .

٥٢) المفضلات .

لا تذكري مهري وما أطعمنته
 فيكون جلدك مثل جلد الأجرب
 ان الغبوق له ، وأنت مسودة
 فنأ هي ما شئت ثم تحبني (١)
 ويقول الأعرج المعنى (٢) ذاكرآ زوجته ولو منها لايشاره الفرس عليها
 بشرب اللبن :
 أرى أم سهل ماتزال تفجع
 تلوم وما تدرى علام توجع
 تلوم على أن أعطي الورد لقمة
 وما تستوي الورد ساعة تفزع (٣)
 ونجد أهمية اللبن في الحديث النبوى الشريف ، وذلك انه كان (ص)
 يحب اللبن (٤) وانه أوصى بالدعاء عند شرب اللبن . قال : (اذا أكل
 أحدهم طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه ، وأطعمتنا خيراً منه ، وإذا سقي لينا
 فليقل ، اللهم بارك لنا فيه ، وزدنا منه ، فإنه ليس شيء يجزئ من
 الطعام والشراب إلا اللبن) (٥) . فالرسول (ص) أوصى هنا أن يدعوا الإنسان
 ربه اذا أكل الطعام بأن يرزقه خيراً منه ، على حين انه إذا شرب اللبن
 لم يطلب خيراً منه ، وإنما يدعوا الله ان يزيده منه ، لأنه لا يوجد طعام ولا
 شراب يكفى الإنسان ، أو يغنيه مثل اللبن .
 ومن الطبيعي أن يكون اهتمامهم باللبن صادراً عن كونه من أهم

(١) ديوان عنترة : ١٩ .

(٢) هو عدي بن موسى بن ريان الأعرج الطائي المعنى وقيل اسمه موسى بن عدي وهو مخضرم . أنظر معجم الشعراء : ٢٥١ .

(٣) شرح ديوان الحماسة ١ : ٣٤٩ .

(٤) المحسن : ٤٠٩ ، الطيب النبوى : ٨٠ .

(٥) سنن أبي داود ٢:٣٠٤ ، سنن ابن ماجة ١١٠٣:٢ ، الطيب النبوى : ٨٠ .

منتجات حيوانهم . ويندو ان هناك سبباً آخر لهذا الاهتمام ، ذلك لأن اللبن عندهم يمثل الفطرة ، فهو أول مايسقى منه رضيعهم ، وحيوانهم بالفطرة فإذا رضع رضيعان من ثدي واحد ربطهما اللبن بالأخوة الطبيعية . وان اختلف نسبهما وأصلهما .

فاللبن هو الخير الطبيعي الذي يلازم الإنسانية في وجودها . وقد دار الفكر العربي حول هذه الفكرة يحب اللبن ويقدسه ، حتى تبلورت في ذهنه فكرة الخير المطلق ، وارتبط اللبن باليمن والبركة فقاموا ايمان من اللبن (١) ، لهذه الدلالات المفترضة بالخير الدائم . وما يروى ان رسول الله(ص) قال عن عمار بن ياسر : (أبو اليقظان على الفطرة لن يدعها حتى يموت ، أو ينسيه الهرم) (٢) . وعنده (ص) انه قال عن عمار أيضاً بأن آخر شربة يشربها من الدنيا شربة لبن ، وأنه قد شرب اللبن قبل مقتله فصدق قول الرسول الكريم (٣) . ويمكن أن نقرن بين الروايتين بأن عمار بن ياسر عاش حياته على الطبيعة والسلبية ، فكان اللبن قوام طعامه وشرابه ، حتى ختم حياته الفطرية باللبن الذي يمثل شراب الفطرة ، وفارقه إلى الجنة حيث يلقى هناك شراب الخير الطبيعي الدائم .

ومن هنا تتضح لنا الصورة الجميلة لأنهار اللبن في الجنة بالإضافة إلى كونها توفر لهم الشراب المفضل للذيد ، لأنها توكل لهم فكرة الخير المطلق والبركة الدائمة التي تضل المؤمنين ، لأن اللبن شراب الفعارة ، الشراب الميمون المبارك الذي يجدونه في الجنة متوفراً ، بل ينتظرون أنظارهم بمشهد جريه في أنهار جليلة رائعة .

(١) أساس البلاغة : ٨٤٤ .

(٢) الطبقات الكبرى ج ٣ ق ١ : ١٨٨ .

(٣) ن . م : ١٨٤ ، مسند الإمام أحمد ٤ : ٣١٩ .

ج - أنهار الخمر

أما أنهار الخمر التي ذكرتها الآيات الكريمة : (مثل الجنة التي وعد المُتقون فيها أنهار من ماء غير اسن ، وأنهار من لبَنٍ لم يتغير طعمُه ، وأنهار من خمر لذة للشاربين) (١) . فانها تعطينا صنفا آخر من أصناف شراب أهل الجنة ، واذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا للخمرة صدى عميقا في نفوس العرب وحياتهم (٢) .

فقد ذكرت الخمرة في الشعر العربي ، ذكرها الشاعر ليغمور في كأسه أحزانه ، ويدفن فيها قلبه . وقد تغنى الشعراء بشربها ، ووصفوا تأثيرها السحرى على نفوسهم . قال عمرو بن كلثوم :

الْأَلَهَيِّ بِصَمَحْنِكِ فَاصْبِحِينَا وَلَا تُبْقِي خُمُورَ الْأَنْدَرِينَا
مُشَعَّشَعَةً كَانَ الْحَصِّ فِيهَا اذَا مَا مَاءَ خَالَطَهَا سَخِينَا
تَسْجُورُ بَنِي الْلَّبَانَةِ عَنْ هَوَاهُ اذَا مَا ذَاقَهَا حَتَّى يَلْبِينَا (٣)

وقد فخرروا بشربها . قال طرفة بن العبد :
إِنْ تَبَغِّنِي فِي حَلْقَةِ الْقَوْمِ تَلْقِنِي
وَإِنْ تَقْتَنِصِنِي فِي الْحَوَابِتِ تَصْطَبِي

(١) سورة محمد ٤٧: ١٥ .

(٢) انظر في هذا تطور الخموريات : ٢٨ فما بعدها .

(٣) جمهرة أشعار العرب : ١١٧ ، وانظر أيضاً ديوان ابن مقبل ٢٨٧ ، ٢٩٢ ، ديوان حميد بن ثور : ٥٩ ، شرح أشعار المذلين ١ : ٤٨ ، ٤٩ :

مني تأتي أصبعحنك كأساً رَوِيَةَ
 وإنْ كنْتَ عَنْهَا غَانِيَا فاغْنِ وازدَادَ (١)
 ووصفووا أواني الشراب وكؤوسه . قال عنترة بن شداد واصفاً زجاجة
 الحمر :
 ولَقَدْ شَرِبْتُ مِنَ الْمَدَامَةِ بَعْدَ مَا
 رَكَدَ الْهَوَاجِرُ بِالْمَشْوُفِ الْمُعْلَمِ
 بِزُجَاجَةِ صَفْرَاءَ ذَاتِ أَسِرَّةَ
 قُرِنَتْ بِأَزْهَرَ فِي الشَّهَالِ مُفَدَّمٌ (٢)
 وقد شبهوا ريق المرأة بالحمرة (٣) . ولم يكتفوا بوصف مجالس الحمر
 بل نجد عندهم نظرات تأميمية يعللون بها شرم الحمر ، وانغارهم في المللات .
 يقول طرفة بن العبد مخاطباً الذين يلومونه على كثرة شربه ، ولهوه ، بأنه
 مadam لا يستطيع دفع منيته فان عليه أن يسادر الى اشباع رغبات نفسه ،
 تلك المنية التي تهدده في كل لحظة في بيته الحرية المتطاھنة :
 الا أَيُّهُذَا الْلَّائِمِي احْضَرْ الْوَغْيَ

وإنْ أَشْهَدَ اللَّذَاتِ هَلْ انتَ مُخْلِدِي
 فإنْ كنْتَ لَا تُسْطِعُ دُفْعَ مَنْيَتِي
 فَدَعْنِي أَبِادْرُهَا بِمَا مَلَكْتَ يَدِي
 فَذَرْنِي أُرْوَهَمِي فِي حَيَاَتِهَا مَخَافَةَ شَرْبِ فِي الْحَيَاَةِ مُصَرَّدِ

(١) ديوان طرفة : ٤٧ ، جمهرة اشعار العرب : ١٣٨ ، وانظر ايضا ديوان النابغة الجعدي : ٨٦ .

(٢) شرح ديوان عنترة : ١٤٨ ، ديوان علقمة الفحل : ٦٩ .

(٣) ديوان جران العود : ١٥ ، ٤٥ ديوان سلامة بن جندل : ١٤ ، شرح اشعار المذليين ١ : ١٤١ ، جمهرة اشعار العرب : ١٤١ ، ٨٥ .

كَرِيمٌ يُروي نَفْسَهُ فِي حِسَاتِهِ
سَعْلَمْ إِنْ مَتَّنَا غَدًّا إِيَّنَا الصَّدِّي (١)

انها البيئة التي حَتَّمت على العربي هذا الضرب من العيش حين اعوزته الاستقرار ، والامان . فكان العربي فيها مهددا في كل لحظة بغارقة مفاجئة تشكله بأعز الناس اليه ، أو نقتله . ومن هنا عكروا على شربها وقضوا لياليهم وأيامهم ينهلون منها قبل أن تصيبهم يد الظروف القاسية . يقول الاستاذ جيل معيد (فالقبيلة تصبح وكل شيء فيها هادئ ثم تنسى ، فإذا هي قد اغير عليها ، وفقدت نعمها ورجالها ، فلا يبقى أمامها إلا أن تبحث عن الخمر تفرق فيها احزانها) (٢) .

و جاء الاسلام ومعه نظام دقيق لاصلاح البشرية ، ودفع دفة الحياة بالعمل ، والتفكير ، دون الانهاب بالملذات والكبائر ، ولم يشا الله سبحانه وتعالى ان يحرم الخمرة على المسلمين فجأة ، بل كانت مشيئته الربانية في معاملة النقوص البشرية بالرقة ، واللطف ، فكان تحريم الخمر على مراحل بدأت بذكر اثم الخمر ، وانه أكثر من نفعها (٣) ، وانه لا يجوز الصلاة في حالة السكر (٤) ، وأخيراً كان التحريم المطلق لشرب الخمر ، وحد-

(١) ديوان طرفة : ٥ ، جمهورة أشعار العرب : ١٤١ .

(٢) الوصف في شعر العراق : ٦٢ ، وانظر أيضاً تطور الخمريات : ٢٩
فا بعدها .

(٣) قال الله تعالى : (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ ، قُلْ فِيهَا إِثْمٌ كَبِيرٌ ، وَمَنَافِعٌ لِلنَّاسِ :) سورة البقرة ٢١٩ .

(٤) قال الله تعالى : (وَلَا تَنْقُرُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى ، حَتَّى تَعْلَمُوا مَا تَقُولُونَ) سورة النساء ٤ : ٤٣ .

شاربها^(١) . ومع ذلك نجد في وصف أنهار الخنة ان فيها أنهاراً من الخمر وان هذه الخمرة تقدم بكأس يضاء جميلة ، وووصفت بأنها ليست كخمر الدنيا : (أولئك لهم رزق " مَعْلُومٌ " فواكهُ وهم مُكْرَمُونَ ، في جنات النعم على سُرُرٍ مِتْقَابِلَيْنَ ، يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَاسٍ مِنْ مَعِينٍ ، يُضَاءُ لِلشَّارِبِينَ ، لِفِيهَا غُولٌ وَلَا هُمْ مِنْهَا يَنْزَفُونَ)^(٢) . قال ابن عباس مفسراً^(٣) الغول بأنه (وجع البطن ، وذهب العقل والأذى) . ونقل الطبرى عن ابن عباس أيضاً^(٤) بأنه فسر الغول هنا بالصداع . أما أبو عبيدة فقد خص الغول بأنه ما يغتال العقل ، ولم يعمه على وجع البطن ، والاثم قال : (ليس فيها غول) والغول ان تغتال عقوبهم قال الشاعر :

وَمَا زَالَتْ الْكَأْسُ تَسْعَنَا إِلَيْنَا وَتَذَهَّبُ الْأُولَى بِالْأَوَّلِ^(٥)

وقال الزمخشري : (الغول ماغاله يغوله اذا اهلكه وأفسده ، ومنه الغول الذي في تكاذيب العرب ، وفي أمثالهم الغضب غول الحليم)^(٦) . وفي الاستعمال اللغوي ما يؤكد هذا المعنى فالغول (المهلكة ، وكل

(١) قال الله تعالى : (أَنَّا نَخْمُرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رجسٌ من عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوه) سورة المائدة ٥:٩٠ .

(٢) سورة الصافات ٣٧:٤٧ .

(٣) تنویر المقیاس : ٢٢٧ .

(٤) جامع البيان ٢٣:٥٣ ، وكذلك قول الخليل كما نقله ابن سيدة في المخصوص ٥:٧٤ ، وانظر أيضاً التبيان ٨:٤٩٦ ، وهو معنى أكدته آيات أخرى بقوله تعالى (لا يَصْدِعُونَ عَنْهَا وَلَا يَنْزَفُونَ) سورة الواقعة ٥٦:١٩ ، فقيل ان معنى يصدعون يصيبهم الصداع انظر مجاز القرآن ٢:٢٤٩ ، الكشاف ٣:١٩٤ .

(٥) مجاز القرآن ٢:١٦٩ ، جامع البيان ٢٣:٥٣ .

(٦) الكشاف ٢:٦٠١ .

ما أهلكَ الْإِنْسَانَ فَهُوَ غُولٌ) (١) . قال طفيلي الغنوبي :
 ولا أَخَالُفُ جَارِيَ فِي حَلَبِتِهِ وَلَا بْنَ عَمِيَّ غَالَتِي إِذَا غُولٌ) (٢)
 أي أصابتي داهية أهلكتني ، ومنه سميت الصحراء البعيدة المرامي
 بالغول (٣) . لأنها تغتالَ الْإِنْسَانَ بِمَجَاهِلِهَا ، وبهذا تكون الآية الكريمة قد
 نفت بتعبير واحد معظم عيوب الخمر ، وذلك أن المنعمين في الجنة لا يصيّبهم
 صداع ، ولا ألم في بطونهم ، إذ لا تؤذُهم الخمر ، ولا تهلكهم ، إنما هي
 خر من ضرب آخر أعدت للمؤمنين في الجنة .

ويتبع هذا النعت وصف آخر لحمر الجنة ، وهو إنها لا تنزف
 إذا شربوها ، (لا فِيهَا غَوْلٌ ، وَلَا هُمْ عَنْهَا يَسْتَرْفُونَ) (٤) . قال ابن
 عباس مفسراً لهذا التعبير بقوله : (يَنْفُونَ يَنْفُذُونَ وَيَقَالُ وَلَا هُمْ يَسْكُرُونَ
 وَلَا تَصْدُعُ رُؤُسَهُمْ) (٥) . وقال أبو عبيدة (لا يَسْكُرُونَ) (٦) .
 وقد ذكر الطبرى أن سبب الاختلاف في تفسير التزف هو اختلافهم في
 قراءة الكلمة قال : (والصواب في ذلك أن أهل الجنة لا ينفذ شرابهم
 ولا يسّكريّم شرابهم إِيَّاهُ فِي ذَهَبِ عَوْلَمِهِ) (٧) .

فالحمر حين حرمت في الحياة الدنيا على المسلمين ، إنما حرمت

(١) فقه اللغة : ١٩ ، المخصص ٦ : ١٢٨ ، لسان العرب ١٤ : ٢٠ .

(٢) ديوان طفيلي : ٣١ ، وانظر أيضاً المفضلات : ٥٩ .

(٣) المخصص ١٠ : ١١٥ ، وانظر شاهـدـ الشـعـرـ في مـجـالـسـ ثـعلـبـ ١ : ٨ .

١١٨ ، ١٠ .

(٤) سورة الصافات : ٣٧ : ٤٧ .

(٥) تنوير المقياـسـ : ٢٧٧ .

(٦) بـجاـزـ القرـآنـ ٢ : ٢٤٩ .

(٧) جامـعـ البـيـانـ ٢٣ : ٥٥ .

لعيوبها ، ومضارها . وقد عرف العرب عيوبها من قبل ، ونجد ذكرها في الحديث عن أيام هودهم ، ووصف مجالس شرفهم . قال عدي بن زيد :
 إِذْ غَبَقَتْهُ حِمَرٌ أَصَافِيَّةٌ وَالْخَمْرَ وَهُلْ^١ يَهِيمٌ شَارِبَهَا (١)
 أي ان الخمر تذهب بباب شاربها فيهيم ، ولا يستطيع التفكير الصحيح .
 قال ابو ذؤيب واصفاً مجلس الندامى ، بأنهم لكترا شرفهم يبدون ، وكان
 برؤسهم جراحاً :

تَرَى شَرَبَهَا خُمُرَ الْعَيْوَنَ كَأَنَّهُمْ أَسَاوِي إِذَا مَا سَارَ فِيهِمْ سَوَارَهَا
 وَالْأَسَاوِي جَمْعُ آسٍ وَأَسِيَانٍ . يُرِيدُ كَانْ شَرَبَهَا بَهْمٌ جَرَاحٌ فِي
 رُؤُسِهِمْ قَدْ دُوِيَّتِ . شَبَهَ السَّكَارَى بِذَلِكَ لَانْكَسَارَ اعْيُنِهِمْ ، (٢)
 وقد تفقد الخمر لب الانسان ، وتفكيره ، مما يؤدي به الى مشاكل
 عديدة (٣) . ومن هنا نفي الشعراء في اشعارهم ان تذهب الخمرة عقوتهم
 قال عنترة بن شداد :

فَإِذَا سَكَرْتُ فَإِنَّنِي مُسْتَهْلِكٌ مَالِي ، وَعِرْضِي وَافِرٌ لَمْ يَكُلِّمْ
 وَإِذَا صَحَحْتُ فَإِنَّا أَقْصَرُ عَنْ زَدِي
 وَكَمَا عَلِمْتُ شَمَائِلِي وَتَكَرْمِي (٤)

ومن هنا نرى أي اعجاز عظيم ذلك الذي نجده في الآيات الكريمة حين
 تصف خمر الجنة ، وانهارها الجارية ، بان خمرها خالص المتعة قد نفيت
 عنه كل عيوب خمر الحياة الدنيا . فهي لا تسكر ، ولا يصيب شاربها
 الصداع ، أو أي الم كان ، ثم ان خمر الجنة مخلوط بالمسك قال الله تعالى :

(١) ديوان عدي بن زيد : ٤٨

(٢) المعاني الكبير ١ : ٤٢٢ .

(٣) انظر ديوان أبي مججن : ٦٧

(٤) شرح ديوان عنترة : ١٤٩

(إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ ، عَلَى الْأَرَائِكِ يَسْتَوْرُونَ ، تَعْرِفُ فِي
وَجْهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ ، يُسْقَوْنَ مِنْ رِحْيقٍ مَخْنُومٍ ، خَتَّاً مِهْ مَسْكٌ
وَفِي ذَلِكَ فَلِيَسْتَأْفِسِ الْمُتَنَافِسُونَ) (١) . فَخَمْرُ الْجَنَّةِ صَافِيَةٌ مَخْلُوطَةٌ
بِالْمَسْكِ ، وَهُوَ طَيْبُ الرَّاهِنَةِ (٢) . وَكَانَ الْعَرَبُ يَتَطَبَّبُونَ بِهِ (٣) . وَيَحْفَظُ
عَادَةً فِي قَوَارِيرٍ ، وَهُوَ مِنْ الطَّيْبِ الثَّمِينِ الَّذِي يَبَاعُ بِأَعْمَانِ عَالِيَّةٍ كَمَا يَقُولُ
الْأَسْتَاذُ جَوَادُ عَلَيْ (٤) .

ج - انها للعسل :

وَآخِرًا فَهَنَاكَ انْهَارٌ مِنْ عَسلٍ تَجْرِي إِلَى جَانِبِ انْهَارِ الْمَيَاهِ وَالْخَمْرِ
وَاللَّبَنِ ، وَإِذَا كَانَ العَسْلُ شَرَابًا مُتَوَفِّرًا فِي كَثِيرٍ مِنَ الْبَيْئَاتِ ، فَانْتَهِيَتْ
نَظَرَةُ الْعَرَبِ إِلَيْهِ تَشَكَّلُ لَنَا صُورَةً لَاهِيَّةً فِي بَيْتِهِمْ ، وَنَفْوسُهُمْ ، فَقَدْ
ذَكَرَ وَجُودُ العَسْلِ فِي بَعْضِ اِنْحِيَاءِ الْجَزِيرَةِ الْعَرَبِيَّةِ حَتَّى صَارَ مِنْ أَهْمَّ مَوَادِ
تِجَارَتِهِمْ ، قَالَ ابْنُ الْمَاجَوِرِ : (كَانَ لِبَنِي سَلِيمٍ فِي الْجَاهِلِيَّةِ نَحْلٌ عَظِيمٌ
يَشْتَرِيهُ الْحَجَاجُ ، وَأَهْلُ الْحِجَازُ ، وَبَعْضُ أَهْلِ الْيَمَنِ) (٥) . اَمَا فِي بَاقِي

(١) سورة المطففين ٨٣ : ٢٢ - ٢٦

(٢) وقد قال الجوهري انه فارسي مغرب . انظر الصحاح ٤ : ١٦٠٨ ،
العرب : ٣٢٥ ، لسان العرب ١٢ : ٣٧٧ . وصيغة الكلمة لا توحى بكونها
اعجمية ، الا انهم ذكروا انها مادة متوفرة في الصين ، والتبت ، موجودة في
قرون ظبائها انظر آثار البلاد : ٧٩

(٣) ديوان الأعشى : ٥٥

(٤) تاريخ العرب بجوداد علي ٨ : ٩٣ ، ١٣٥

(٥) صفة بلاد اليمن : ١٥

انداء الجزيرة العربية ، فقد ذكر العسل في اشعار الشعراء ، ووصفوه
 الاماكن التي يكثر فيها ، ووصفوا معاناة المشتار في اشتياره الغسل^(١) .
 ولم يحب العرب العسل لأنّه شراب حلو فحسب ، بل لأنّهم اعتقادوا
 فيه ما لا يعتقدون بغيره من انواع الشراب ، وذلك انّهم اعتبروه من
 الادوية التي يعالجون بها امراضهم ، بالإضافة الى كونه شراباً لذذا حلوا
 وقد اكّد القرآن الكريم هذه الناحية بذكر نعم الله الوفيرة التي انعمها على
 عباده ومنها العسل (وأُوحى ربّكَ إِلَيَّ النَّحْلَ إِنِّي أَتَخْذِي مِنَ الْجَبَالِ
 بِوَتًا ، وَمِنَ الشَّجَرِ ، وَمِمَّا يَعْرُشُونَ ، ثُمَّ كُلِّي مِنْ كُلِّ الشَّمَراتِ
 فَاسْلَكِي سُبُّلَ رَبِّكَ ذُلْلًا ، يَسْخُرُجُ مِنْ بَطْوَنِهَا شَرَابٌ مُخْلَفٌ
 الْوَانَهُ ، فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ)^(٢))
 كما اوصى به الرسول الكريم (ص) بقوله : (عليكم بالشفائين العسل
 والقرآن)^(٣) . وقد طبق الرسول (ص) قوله هذا في حياته ، فقد
 روي انه كان يشرب كل يوم قدر عسل ممزوج بالماء على الريق^(٤) .
 وروي عن عائشة أنها قالت : (كان احب الشراب الى رسول الله صلى
 الله عليه وسلم العسل)^(٥) . وقالت ايضاً (ان النبي صلى الله عليه وسلم
 كان يحب الحلوى والعسل)^(٦) .

وهذا الاهتمام بالعسل مرده الى الفكرة التي رسخت في اذهانهم ،

(١) شرح اشعار المذلين ١: ١٤١ .

(٢) سورة النحل ١٦: ٦٩ - ٧٠ .

(٣) سنن ابن ماجة ٢: ١١٤٢ ، الطبل النبوى : ٦٩ .

(٤) الطبل النبوى : ٧٠ .

(٥) ن . م : ٦٩ .

(٦) المحسن : ٤١٥ ، سنن الدارمي ٢: ١٠٧ ، الطبل النبوى : ٦٩ .

وجريدةها في حياتهم ، باعتبار العسل شفاء لكثير من الامراض . هذا من ناحية ومن الناحية الاخرى ، فان طعمه الحلو يجعل الشارب يستزيد منه ، ويستلذه ، ومن هنا تغزلوا بالمرأة وشبواريتها بالعسل . قال النابغة الذبياني : **كأنَّ مِسْمُولَةً يَصُرُّ فَأَبْرِقْتَهَا مِنْ بَعْدِ رَقْدَتِهَا أَوْ شَهْدَدَ مُشْتَارِهِ** (١) وقالوا في مدح الرجل ، ورثائه بأنه كالعسل الحالص في لينته ، **وَعَوْمَ نَفْعِهِ** . (٢) وكان شاعرهم اذا ذكر العسل استطرد الى وصف النحل الذي يجمعه ، والى وصف ما يعانيه المشتار حين يجمع العسل ، معروضا نفسه الى اذى النحل ، لاجل الحصول على هذا الشراب اللذيد (٣) .
ومن هاتين الناحيتين جاء اهتمام القرآن الكريم بالعسل ، فذكرت انهار العسل الجارية في الجنة لزيادة متعة المؤمنين بعد المساب ، تلك المتعة التي تشرك فيها الناحيتان النفسية في كون العسل شفاء ، وعافية ، والمادية بكل منه شرابا لذينا يتمتع به المؤمنون الى جانب النعم الاخرى التي يوفرها الله سبحانه وتعالى في الجنة :

هذه هي صورة الانهار المتعددة التي تجري في الجنة ، فيتمتع بشربها ومنظرها المؤمنون ، واذا قارنا هذه الصورة بصورة التعذيب بالعطش وجدنا فرقا شاسعا بين الصورتين ، فرقا بين من يتосل ، ويتمني شربة ماء صاف ، وبين المؤمن الذي يجد امامه نعما متوفرا من خمر ولبن وعسل . وقد اورد القرآن الكريم هاتين الصورتين معا لزيادة ملامح كل صورة وضوها ، وبيانا : **(وَجْهَهُ يَوْمَئذٍ خَاشِعَةٌ، عَامِلَةٌ نَاصِبَةٌ، تَصْنَلِي**

(١) ديوان النابغة : ٥٠ ، جمهرة اشعار العرب : ٧٩ ، وانظر ايضا الغريب

المصنف : الورقة (٩٨) .

(٢) جمهرة اشعار العرب : ٢٧٥ ، الشعر والشعراء ١ : ١٠٧ .

(٣) اشعار الهدليين ١ : ٤٨ - ٤٩ .

ناراً حاميةً ، تُسقى مِنْ عَيْنٍ آنيةً ، لَيْسَ لَهُ طَعَامٌ إِلَّا مِنْ ضَرِيع
 لا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِي مِنْ جُوعٍ ، وَجْوَهٌ يُومَشِدَ نَاعِمَةً ، لَسْعَمَهَا
 رَاضِيَةً ، فِي جَنَّةٍ عَالِيَّةٍ ، لَا تَسْمَعُ فِيهَا لَاغِيَةً ، فِيهَا عَيْنٌ جَارِيَةٌ
 فِيهَا سُرُورٌ مَرْفُوعَةٌ وَاكْوَابٌ مَوْضُوعَةٌ) (١) . وَقَالَ تَعَالَى أَيْضًا :
 (مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتُقْبَلُونَ ، فِيهَا أَهْمَارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسَنٍ ،
 وَأَهْمَارٌ مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُ ، وَأَهْمَارٌ مِنْ خَمْرٍ لَذَّةٍ لِلشَّارِبِينَ ،
 وَأَهْمَارٌ مِنْ عَسَلٍ مَصْفَىٰ ، وَلَهُمْ فِيهَا مِنْ كُلِّ الشَّمَرَاتِ ، وَمَغْفَرَةٌ
 مِنْ رَبِّهِمْ ، كَمَنْ هُوَ خَالِدٌ فِي النَّارِ وَسُقُوا مَاءً حَمِيَّا فَقَطَّعَ
 امْعَاءَهُمْ) (٢) . وَتَكْرَارُ لِفَظَةِ الْأَهْمَارِ مَرَّةً بَعْدَ مَرَّةٍ يُزِيدُ بِهَا الْآيَةُ
 وَيُرْسِخُ الصُّورَةَ الرَّائِعَةَ لِلْأَهْمَارِ ، وَالشَّرَابُ الْمُتَوَفِّرُ فِي الْجَنَّةِ ، حَتَّى إِذَا
 اكْتَمَلَتْ هَذِهِ الصُّورَةَ جَاءَتْ صُورَةُ الْحَمْرَمَيْنِ الْخَالِدِيْنِ فِي النَّارِ الَّذِينَ
 لَا يَسْقُونَ إِلَّا حَمِيمَ الْحَارِ الَّذِي يَقْطَعُ امْعَاءَهُمْ وَيُخْرِقُ بِطُوْنَهُمْ :

وَتَحْبِطُ الْأَهْمَارُ الْمُتَوَفِّرَةُ فِي الْجَنَّةِ الْأَشْجَارُ وَالنَّخْلُ بِظَلَالِهَا الْوَارِفَةُ ،
 وَجُوْهَرُ الْمُعْتَدَلِ الطَّيِّبِ . اِمَّا الْعَطْشُ وَالْحَرْمَانُ مِنْ المَاءِ ، فَتُحْبِطُهُ صُورَةُ
 النَّارِ ، وَلَظَاهِرُهَا الْحَرْقُ وَصُنُوفُ عَذَابِهَا . وَبِهِذَا تَتَجَلِّي الصُّورَتَانِ فَتَغْمُرُ
 الرَّاحَةُ ، وَالسَّعَادَةُ نَفْسُ الْمُؤْمِنِ حِينَ يَقْرَأُ وَصْفَ الْجَنَّةِ ، عَلَى حِينَ يَقْشَعُرُ
 جَسْدُهُ ، وَتَمْلِكُهُ الرَّهْبَةُ حِينَ يَقْرَأُ وَصْفَ عَذَابِ النَّارِ) (٣) .

(١) سورة الغاشية ٨٨ : ٢ - ١٤ .

(٢) سورة محمد ٤٧ : ١٥ - ١٦ .

(٣) من حديث الماء في الأدب العربي : ٨ ، وقد أهلت الحديث عن طعام
 أهل الجنة ، لأن دلالته على البيئة العربية غير واضحة كامراً بنا في الحديث عن طعام
 أهل النار انظر ص ٢٥٧ أما ذكر أشجار الفاكهة المتنوعة فأنها تدخل ضمن الحديث
 عن وصف الجنة وأشجارها الوارفة . انظر ص ٢١٤ :

٤ - صنوف اخرى من النعيم :

أ - لباسهم :

لقد مر بنا وصف اللوان لباس المؤمنين في الجنة ، وكيف انها اقرنت بالخمرة احب الالوان الى نفوسهم . اما نسيجها فهو من الحرير الناعم الخالص (ان الله يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ، إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَرِيدُ . . . يَحْلَوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ ، وَلُؤْلُؤًا ، وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ) (١) : وقال تعالى (وَجْزَاهُمْ بِمَا صَبَرُوا جَنَّةً وَحَرِيرًا ، مُتَكَبِّشِينَ فِيهَا عَلَى الْإِرَاثَكِ ، لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا ، وَلَا زَمْهَرَيْرًا) (٢) .

و اذا عدنا الى البيئة العربية وجدنا الحرير قد شاع استعماله في العصر الجاهلي خاصة عند الاغنياء منهم . اما النساء فقد كثُر وصف ملابسهن المصنوعة من الحرير (٣) . ولبسه الرجال ايضا الى درجة بالغوا فيه ، حتى جاء الاسلام فاراد ان يحد من هذا الترف فحرم لبسه على الرجال دون النساء (٤) . ومن هنا اباحه الله سبحانه وتعالى للمؤمنين في الجنة ، فالحرير محرم على الرجال في الدنيا ، لانه يمثل الترف المبالغ فيه ، اما في الجنة فان الله سبحانه وتعالى لا يحرم عباده هذه النعمة .

(١) سورة الحج ٢٢ : ١٤ - ٢٣ .

(٢) سورة الانسان ٧٦ : ١٢ .

(٣) المفضليات : ٤١١ : الشعر والشعراء ١ : ٣١٧ .

(٤) سنن ابي داود ٢ : ٣٦٩ ، ٣٧٢ .

ب - أساور الذهب والفضة

وهناك صورة أخرى تعرضها الآيات الكريمة للترف الذي ينعم به المؤمنون في الجنة تلك هي صورة تزيينهم بأساور الذهب والفضة (يُسْحَلُونَ) فيها من أساورَ من ذَهَبٍ ، وَيَلْبَسُونَ ثِياباً خُضْرَا (١) وقال تعالى أيضاً : (عَالِيَّهُمُ ثِيابٌ سُنْدَمٌ خُضْرٌ وَاسْتَبْرَقٌ) ، وَحَلُوا أساورَ من فضةٍ ، وَسَقَاهُمْ رِبُّهُمْ شَرَاباً طَهُوراً (٢) . وللقارئ ان يلاحظ ان الآية الكريمة لا تحدد لبس الأساور بالنساء دون الرجال ، وإنما قد يفهم منها ان الرجال يخلون بها أيضاً . ومن هنا نتساءل ما اذا كان الرجال في الجاهلية يتخلون بالحلي والأساور؟ ان ما وصل اليانا من المصادر لا يعيننا على فهم هذه الصورة إلا اننا نجد في الحديث النبوى ما يعكس لنا ذلك فالرسول عليه الصلاة والسلام قد نهى الرجال ، وشدد في منع لبس الذهب والتختم به (٣) وأباح لهم الفضة لأنها أقل ترفاً من الذهب . وهناك حديث شريف يقول : (من أراد ان يُسُورَ حبيبه بسوار من نار ، فليسوره بسوار من ذهب) (٤) . ولا يمكن ان يوجه هذا الحديث الى منع لبس المرأة الذهب والأساور لأن حكم الاسلام معروف فيه ، وقد أحل لها لبس الذهب على أن تؤدي

(١) سورة الكهف : ١٨ : ٣١ .

(٢) سورة الانسان : ٧٦ : ٢١ .

(٣) سنن أبي داود : ٢ : ٤٠٦ ، مسنن الإمام أحمد : ١ : ١٦٩ ، ٣٣٤ : ٢ ، ٣٣٤ : ٤٠٦ .

. ٣٧٨

(٤) مسنن الإمام أحمد : ٢ : ٤١٤ ، ٣٣٤ : ٤ ، ٣٧٨ ، ٤١٤ : ٤ .

زكاته (٥) . إلا إننا يمكن أن نفهم أن بعضهم كان يتسرّر في الإسلام فشدد الرسول (ص) بمنع هذه الخلية ، لأنها تجعل لابسها في رُفِّ مبالغ فيه ، قد يبعده عن العمل الجدي .

(٥) سنن الترمذى ٣: ٢٩ ، سنن ابن ماجة ٢: ١٢١ ، مسنن الإمام أحمد

: ٢٠٤ ، ٢٠٨ .

الخاتمة

واخيراً وبعد ان مرت بنا فصول الرسالة تبين لنا ان صور الحساب التي وردت في مواضع متفرقة من القرآن الكريم قد تجلت لنا بصورة واضحة في هذا البحث ، ويتبين لنا انه سبحانه وتعالى عرض لنا يوم الحساب في مشاهد متتابعة ما إن يكتمل مشهد حتى يليه اخر يكمل صورته ويقدم ساعة الحساب مرحلة جديدة ابتداء من ساعة التغير حتى ساعة القضاء ثم الثواب ، والعقاب ، وفي كل مشهد من هذه المشاهد وجدنا صوراً عديدة متحركة تجتمع كلها لتتكامل لنا ملامح الموقف وفي كل تعبير نجد جانباً من البيئة العربية .

وإذا استعرضنا هذه التعبيرات نستشف منها أهمية البيئة العربية في وفرة بعض الالفاظ دون غيرها نجد ان الامور التي كانت لها علاقة وثيقة بحياة العربي قد دارت حولها الالفاظ في مفرداتها اكثر من غيرها .

فالجزيرة الغربية صحراء متaramية الاطراف في معظم اجزائها ، كادت تخرب من المياه في كثير من المناطق . ومن هنا نجد ان القرآن الكريم اولى هذه الناحية اهميتها العظيمة ووجدها واضحة تمام الوضوح في مشاهد القيامة : فالمحرمون يساقون الى النار عطاشي محروميين من الماء (ص ٢٣٠) وهي اول وسيلة من وسائل التعذيب بالنار . وتتجلى هذه الصورة اكثراً في التعبير الذي تصور شراب أهل النار (ص ٢٣٠ في بعدها) والآيات التي تعرض وصف الجنة ووفرة المياه فيها ، والانهار الجارية فيها (٢٨٢ فما بعدها . هذه الاهمية العظيمة للماء تأثر بها المفسرون ايضاً ففسروا بعض التعبيرات التي تبدو بعيدة عن معنى الماء في سياقها العام كقوله تعالى (نخسر المحرمين يومئذ زرقاً) سورة طه ٢٠: ١٠٣ (وانظر ص ١٤٩) . وهناك

تعبير لها علاقة بالماء ، وصفاته كالكدرة (ص ٩٢) والقصر (ص ٢٢٧) ولما كانت الانهار الجارية قليلة تكاد تندم في البيئة العربية لذا وجدنا قلة التعبير التي تخص السفينة الا تعبيرا واحدا يخص جبالها (ص ٢٢٩) وهذه تعبير عكست لنا صورا من الصحراء العربية كالسراب (ص ٦٧) والكثيب المهلل (ص ٧٨) وتداعي الكثيب (ص ٢٩) ثم مور التراب (ص ٨٦) والرمال الحيم السهلة (ص ٢٤٩) . اما النبات فقد اولاه القرآن الكريم أهمية كبيرة في تعبير عديدة كالنضرة (١٥٩) والفتر وهو شق النبات وخروجه من الأرض (٨٩) واخيرا في اوضح مشهد يعرض لنا صفة الجنة وخضرتها الخبيبة واسيجارها المتقدمة (ص ٢٧٣) فما بعدها .
 أما التعبير التي تخص الحيوانات فوجدنا ان مجموعة الالفاظ التي مر بختها قد وفرت حول الحيوانات التي لها علاقة كبيرة في حياة العربي . فالبعير حيوان الصحراء المعتمد احبه العربي ولازمه في اسفاره ، ورحلاته ، ونجاجه مناجاة الصديق . هذا البعير وفرت حوله التعبير سواء كان في خلقه او صفاتيه ، او مايعرض له من عوارض من ذلك تعبير الفاقرة : الذاهية التي قال بعضهم انها مشتقة من فقر انف البعير حين يحز (ص ١٢٢) وكذلك تعبير الفطر في قوله تعالى (اذا السماء انفطرت) سورة الانفطار ٨٢ : ١ التي نفهم منها فطر ناب البعير اذا شق (٨٩) . لو قوله تعالى (انها ترمي بشرر كالقصر) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ الذي فسره بعضهم بأنه اعتناق الابل (٢٢٧) او قوله تعالى (كانها حالات صفر) سورة المرسلات ٧٧ : ٣٢ ، بأن شر النار يشبه الجحالة وهي النافقة الضخمة (٢٢٩) وفي صفة الناس يوم القيمة (مهطعين مقنعي رؤسهم) (سورة القمر ٥٤) ٨) بان الاهطاع مشتق من اهطاع البعير اذا كان في رأسه ميل خلقة (١٢٩) او المور في قوله تعالى (يوم تمور السماء مورا) (سورة

الطور ٥٢ : ٩) بان المور هو الاضطراب من مارت الناقة اذا سارت
 ونثر التراب على جانبيها (٨٦) او قوله تعالى (ويوم تقوم الساعة يلمس
 الخبرمون) (سورة الروم ٣٠ : ١٢) من ايلاس الناقة اذا اصابها عارض
 فتألمت ويشتت (ص ١١٦) وفي صفة الخبرمين حين يشربون فلا يرتوون
 (فشاربون شرب الهم) (سورة الواقعة ٥٦ : ٥٦) بان الهم الايل
 العطاش المريضـة اما ما يطلى به البعير حين يصاب بالجرب او ايام
 الشتاء الباردة فقد ورد في تعبيرين هما المهل (ص ٢٤١) والقطران (ص ٢٦٥)
 وهذه هي التعبيرـة التي خصت الايل اكثـر من غيرها من الحيوانات
 على حين نجد بعض الحيوانات لم يرد حولها الا تعبير واحد او تعبيران
 كالذئب (١٠٤) والحيـات (١٠٥) والكلـاب (١٠٥) وغيرـها من
 الحـيوانـات التي قلت اهميتها عن البعـير كـما وجدـنا تعبـيرـات خـصـتـها الدـاـبة
 بصورة عامـه كالـعـدـل (ص ١٧٩) والـبـسـ (ص ٧٢) والـصـورـ الذي
 فـسرـ بالـقـرنـ (ص ١٨) والنـاقـورـ المـقـرنـ بنـقـرـ الخـيلـ (ص ٢٣) :
 اما النـاحـيـةـ الـاجـمـاعـيـةـ فقد وـفـرتـ حـوـلـهاـ تـعـبـيرـاتـ عـدـيدـةـ عـكـسـتـ لـنـاـ
 جـوـانـبـ مـنـ الـحـيـاةـ الـعـرـبـيـةـ فـالـغـارـاتـ مـثـلاـ كـانـتـ سـائـدـةـ فـيـ الـجـمـعـ الـعـرـبـيـ
 يـفـاجـيـءـ بـهـاـ الـحـيـ فـيـعـلـوـ الصـرـيـخـ ،ـ وـيـبـدـأـ القـتـالـ وـمـنـ هـنـاـ وـجـدـنـاـ فـيـ الـتـعـبـيرـ
 الـقـرـآنـيـةـ الـفـاظـاـ هـاـ دـلـالـتـهاـ عـلـىـ هـذـهـ النـاحـيـةـ كـالـدـاعـيـ (ص ٣١) وـالـمـنـادـيـ
 (ص ٤١) وـالـهـمـسـ الـذـيـ فـيـ اـيجـاءـ صـفـةـ لـيـلـةـ الـهـمـسـ الـذـيـ يـخـشـيـ فـيـهـاـ
 السـيـرـ مـنـ هـوـهـاـ (ص ١٣٨) وـالـرـجـةـ الـذـيـ قـرـنـتـ بـرـجـةـ السـهـمـ (ص ٦٢) وـ
 (اـيلـاسـ وـجـوـهـ الـقـوـمـ عـنـدـ الـحـرـوبـ وـيـأسـهـاـ (ص ١١٧) ثـمـ المـورـ فـيـ مـورـ الـدـمـاءـ
 بـعـدـ القـتـالـ (ص ٨٧) وـالـسـلـاسـلـ وـالـقـيـودـ الـذـيـ تـعـكـسـ لـنـاـ جـوـانـبـ الـأـسـرـ
 (ص ٢٦٠) وـاخـيـراـ مـاـيـتـبعـ القـتـالـ مـنـ اـسـرـ وـفـداءـ وـدـيـةـ (ص ١٧٨)
 وـعـدـلـ (ص ١٨٢) .

وهناك تعبير خصت طعامهم وشرابهم كالبس الذى يذكرنا بالبسية
(ص ٧٢) والبن (ص ٢٩٢) ، والعسل (ص ٢٧٨) ، وغيرها مما
ذكرناه في فصول الرسالة .

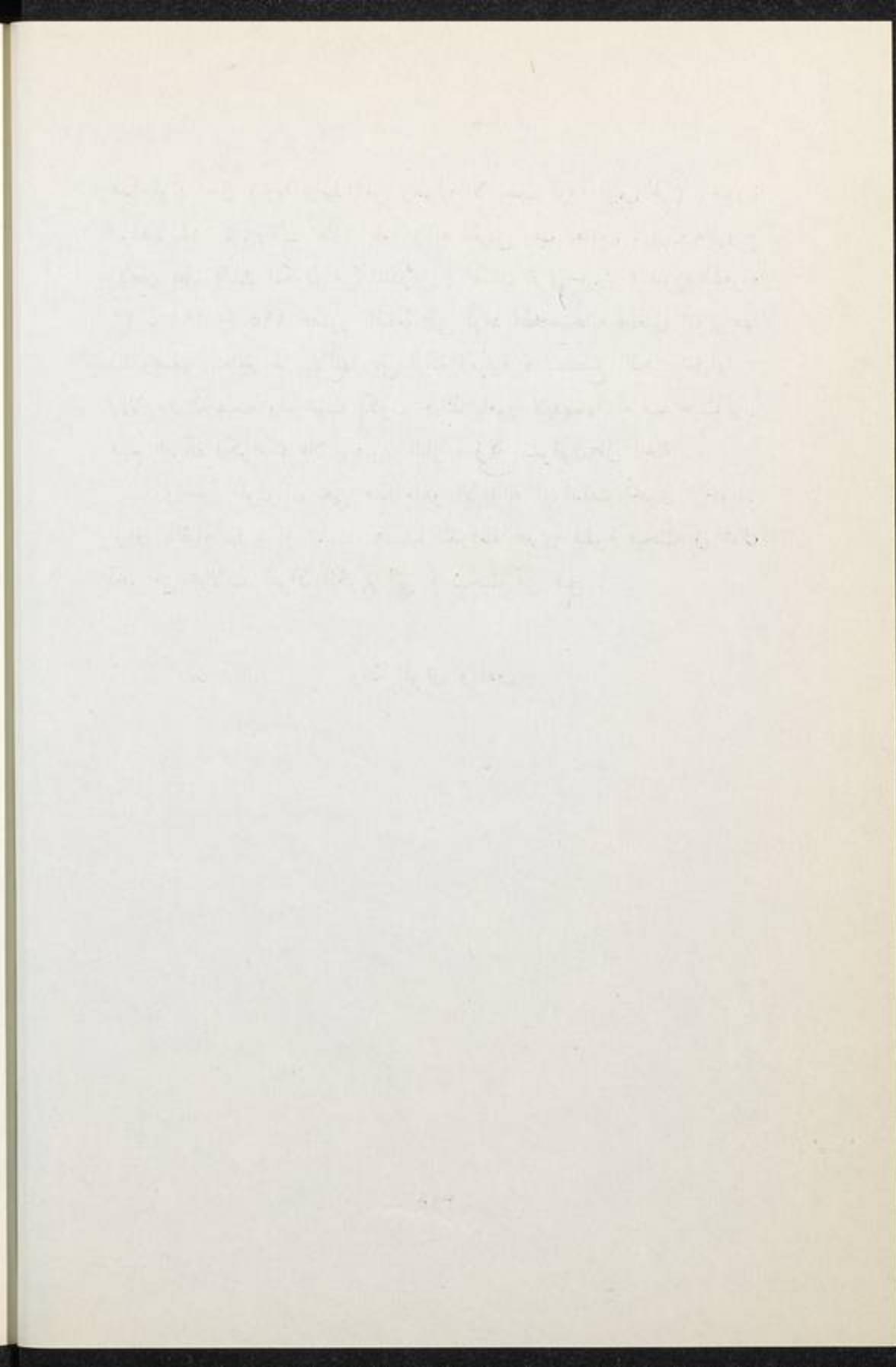
أما الذوق العربي فقد وجدناه في عدة تعبيرات واضحةً غاية الوضوح
وذلك في تصوير الآيات الكريمة لصفة وجوه المؤمنين يوم القيمة وكيف
انها تكون على اللون الذي احبه الذوق العربي وهو البياض (ص ١٣٩)
على حين تكون وجوه الكافرين على اللون الاسود الذي كرهه العرب
وتشاءموا منه (ص ١٤٢) وكذلك وجدنا في صفة المجرمين حين يخرون
زرقاً بما يحمله تعبير الزرقة من ايماءات دالة على الذوق العربي ، وكرهه
للزرقة وتشاؤمه منها اذا كانت في العيون (ص ١٥٠) ثم فكرة التشاوُم
والتفاؤل التي وجدناها واضحةً تمام الوضوح في تصوير نتيجة القضاء باستلام
لنتائج باليمين وما تحمله من معاني التفاؤل والبركة ، أو بالشمال بما تحمله
من معاني الشر والتشاؤم (ص ١٩٢) ،

ومما مر بنا تتضح لنا اهمية البيئة العربية في توجيه تفكير الغربي وفي
وفرة بعض التعبيرات دون الاخرى تبعاً لاهميتها في شؤون حياته ومن هنا
ايضاً تبيّن لنا اهمية هذا البحث في تعميق الدراسات اللغوية لانه يعطينا
من المعاني والاماءات الرائعة عند قراءة الآيات الكريمة مالا نفهمها حين
قراءتنا لها قبل تطبيق هذا المنهج فيتجلى لنا اسلوب القرآن الكريم المعجز
ما يقرب النقوس الى النص القرآني فنفهم منه معاني عميقه رائعة .

ومن دراستنا لهذه التعبيرات دلالتها على البيئة العربية ، وما تعكسه
الآيات الكريمة من ايماءات رائعة مقتربة بالحياة العربية ، من هذه التعبيرات
نستخلصن حقيقة واضحة اخرى وهي ان المشاهد التي عرضها الله سبحانه
وتعالى انما صورها بكلام العرب واساليبهم البلاغية وفنونهم في التعبير ورؤى كد

هذا قوله تعالى (وما أرسلنا من رسول الا بلسان قومه ليبين لهم) . سورة
ابراهيم ١٤: ٤ . وقال تعالى ايضا (انه لتنزيل رب العالمين ، نزل به الروح
الامين على قلبك لتكون من المتربيين ، بلسان عربي مبين) سورة الشعرا
٢٦: ١٩١ - ١٩٥ فصور القيامة التي اراد الله سبحانه وتعالى ان يرسمها
لنا وصفها بتعابير لها دلالتها على البيئة العربية ، ليستطيع الذهن تخيلها ،
ولالا فان الترهيب والرُّغَيْب يكون حينئذ بأمور لايفهمها العرب حيث نزل
فيهم القرآن الكريم ، فلا يرهبون النار ، ولا يتشوقون الى الجنة .
واخيراً اقول ان بحثي هذا ما هو الا بداية لدراسات اخرى ارجو ان
أوفق بالقيام بها ، او تلتفت هذه الدراسة غيري فيقوم ببحث في مجال
آخر من مجالات القرآن الكريم التي لم تبحث من قبل .

والله الموفق والمعين



المراجع والمصادر

- أ - المخطوطات
- ب - المطبوعات
- ج - المقالات
- د - الكتب الاجنبية

Aug 21st

ad. ♂

ad. ♀

ad. ♂

ad. ♀

أ - المخطوطات :

- ١ - تفسير ابن أبي حاتم الرازي - ابو محمد عبد الرحمن بن حاتم محمد ابن ادريس الرازي المتوفى سنة ٢٢٧ هـ دمشق المكتبة الظاهرية .
برقم ٧٣١٢ .
- ٢ - تفسير الحمسة آية من القرآن - مقاتل بن سليمان الخراساني ١٥٠ هـ المتحف البريطاني برقم Or. 8033 .
- ٣ - عَام فصيح الكلام - ابن فارس ابو الحسين احمد بن فارس ابن زكريا ٣٩٥ هـ . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٢١٩٤ .
- ٤ - التهذيب في اللغة ج ١ - الأزهري ، ابو منصور . بغداد معهد الدراسات الإسلامية العليا برقم ١٨٣ .
- ٥ - الحاسة البصرية . صدر الدين علي بن ابي الفرج بن الحسن البصري . اسطنبول . راغب باشا : برقم ١٠٩١ (نشر هذا الكتاب في حيدر آباد الدكن في الوقت الذي تم فيه طبع هذه الرسالة فلم يتسع لي مقابلته مع المخطوط) .
- ٦ - الزينة - محمد بن ادريس بن المنذر بن داود بن بهران الرازي . بغداد .
مكتبة المتحف العراقي برقم ١٣٠٦ .
- ٧ - العين - القسم الثاني - الخليل بن احمد الفراهيدي . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٥٠٩ .
- ٨ - الغريب المصنف - ابو عبيد القاسم بن سلام . بغداد مكتبة المتحف العراقي برقم ٦٢٨ .
- ٩ - الفصيح - ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى ٢٩١ هـ بغداد

معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٧٣ .

١٠ - قطعة من كتاب في الجغرافية - مجهول (من اهل القرن السادس للهجرة) . بغداد . مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ٣٢٤ .

١١ - المثالب - ابن الكلبي ابو المنذر هشام بن محمد بن السائب ٢٠٤ هـ بغداد مكتبة معهد الدراسات الاسلامية العليا برقم ١٢٤ .

١٢ - مسائل منشورة - القاسم بن ابراهيم الرسي - ٢٤٦ هـ . نسخة مصورة عن مخطوطه المتحف البريطاني ٢٠٣ .

١٣ - مسائل نافع بن الازرق - (سأله عبد الله بن عباس عن معاني كلامات من القرآن الكريم) . دمشق ، المكتبة الظاهرية برقم ٢٨٤٩ (١١٣ الجامع) .

١٤ - معاني القرآن - الزجاج ، ابراهيم بن السري - ٣١١ هـ . نسخة مصورة عن مخطوطه جامعة الدول العربية برقم ٢٤٨ ، ٢٤٧ تفسير .

١٥ - منتهي الطلب في اشعار العرب - محمد بن المبارك بن محمد بن ميمون . القاهرة . دار الكتب المصرية برقم ٥٣ س .

١٦ - نزهة العيون والتواظر في الاشباه والنظائر . ج ٢ - ابن الجوزي جمال الدين ابو الفرج عبد الرحمن بن محمد بن علي - ٥٩٧ هـ . مكتبة الأوقاف بغداد مجموع برقم ٦٥٧٦ .

ب - المطبوعات :

- ١٧ - آثار البلاد واخبار العباد - الفزويي ، زكريا بن محمد بن محمود - ١٢٨٣ م . دار صادر . دار بيروت . بيروت ١٣٨٠ هـ ١٩٦٠ م .
- ١٨ - ادب الكاتب - ابن قنية ابو محمد عبد الله بن مسلم الدينوري ٢٧٦ هـ تحقيق ماكس غريونت . ليدن . مطبعة بربيل ١٩٠٠ .
- ١٩ - الاتقان في علوم القرآن - السيوطي : جلال الدين عبد الرحمن ٩١١ هـ . مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده بمصر ١٣٧٠ هـ ١٩٥١ م .
- ٢٠ - احسن التقاضيم في معرفة الاقاليم - المقدسي محمد بن احمد بن ابي بكر ٣٧٥ هـ ديفويه مطبعة بربيل ١٩٠٦ .
- ٢١ - اخبار الزمان - المسعودي : ابو الحسن علي بن الحسين بن علي - ٣٤٦ هـ . مطبعة عبد الحميد احمد حنفي بمصر ١٣٥٧-١٩٣٨ م .
- ٢٢ - ارجيز العرب - البكري محمد توفيق الصديق . القاهرة ١٣١٣ .
- ٢٣ - ارشاد الأريب إلى معرفة الأديب : المعروف بعمجم الأدباء او طبقات الأدباء - ياقوت الحموي . شهاب الدين ابو عبد الله الرومي البغدادي - ٦٢٦ هـ . تحقيق دوس . مرجعيات ، مطبعة هندية بالموسكي بمصر ١٩٢٣ - ١٩٢٥ .
- ٢٤ - ارشاد الساري لشرح صحيح البخاري - القسطلاني ، احمد بن محمد بن ابي عبد الملك - ٩٢٣ هـ .
- ٢٥ - الاذمنة - قطربي ، ابو علي محمد بن المستير - ٢٠٦ هـ . نشر

في مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق ج ١ كانون الثاني المجلد
الثاني سنة ١٩٢٢ م

٢٦ - الأزمنة والأمكنة - المرزوقي ، ابو علي الأصفهاني - ٤٥٣ هـ
مطبعة دائرة المعارف العثمانية بميدان آباد الدكـن ١٣٣٢ هـ

٢٧ - الأزمنة والأنواع - ابن الأجدابي ، ابو اسحاق إبراهيم بن اسماعيل
٦٥٠ هـ ، تحقيق الدكتور عزة حسن - دمشق - وزارة الثقافة
والارشاد ١٩٦٤ م

٢٨ - اساس البلاغة - الزمخشري ، ابو القاسم جار الله بن عمر - ٥٣٨ هـ
دار ومطابع الشعب بالقاهرة

٢٩ - اسد الغابة في معرفة الصحابة - ابن الأثير ، عز الدين ابو الحسن
علي بن محمد بن عبد الكريم الجزرـي - ٦٣٠ هـ ، تصحیح مطبعة
مصطفی وهي . طهران ، المطبعة الاسلامية ١٢٨٠ هـ

٣٠ - اسرار البلاغة - الجرجاني ، عبد القاهر - ٤٧١ او - ٤٧٤ هـ ،
تحقيق احمد مصطفى المراغي . القاهرة . مطبعة الاستقامة
١٣٥٢ م | ١٩٣٢ هـ

٣١ - اسماء جبال تهامة وسكانها - عرام بن الاصبع السلمي (القرن
الثالث المجري) ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة .
مطبعة امين عبد الرحمن ١٣٧٣ هـ

٣٢ - اسماء المقاتلين من الانتراف في الجاهلية والاسلام - ابن حبيب ،
محمد بن حبيب البغدادي - ٢٤٥ هـ ، تحقيق عبد السلام هارون
سلسلة نوادر الخطوطات الجموعة السادسة والسابعة . القاهرة مطبعة
لجنة التأليف والترجمة والنشر | ١٣٧٣ م | ١٩٥٤ م

- ٣٣ - الاشباء والنظائر من اشعار المقدمين والجاليلية والمخضرمين -
الحالديان ، ابو بكر محمد بن هشام ٣٨٠ م ، وابو عثمان سعيد
ابن هشام ٣٩٠ - ٣٩١ م ، ج ١ تحقيق الدكتور السيد محمد يوسف ،
القاهرة ، لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٨ م .
- ٣٤ - الاشتقاد - ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن ٣٢١ م ،
تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون . نشر مؤسسة الحاخامي
١٣٧٨ / ١٩٥٨ م .
- ٣٥ - الاشتقاد - الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قریب ٢١٦ م ،
تحقيق سليمان ظاهر . نشر مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق .
١٩٥٤ م ٢٩ ج ، ٢٠١ م ١٩٥٣ ج ٤ ، ٣ م .
- ٣٦ - الاصابة في تمیز الصحابة - ابن حجر العسقلاني ، احمد بن علي
ابن محمد - ٨٥٢ م المكتبة التجارية الكبرى ١٣٥٨ / ١٣٣٩ م .
- ٣٧ - الاصمعيات - الاصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قریب - ٢١٦ م ،
تحقيق احمد محمد شاکر ، عبد السلام هارون . دار المعارف
١٣٧٥ / ١٩٥٥ م .
- ٣٨ - الاصنام - ابن الكلبي ، ابو المنذر هشام بن السائب ، ٢٠٤ م ،
تحقيق احمد زكي . القاهرة المطبعة الاميرية ٩١٤ م .
- ٣٩ - اعجم العجب في شرح لامية العرب - الزمخشري ، ابو القاسم
محمد بن عمر ٥٣٨ م قسطنطينية . مطبعة الجواب ١٣٠٠ م .
- ٤٠ - الاعلاق النفيضة - ابن رسته ، ابو علي احمد بن عمر (كان حياً
عام ٢٩٠ م) باعتماد ديفويه . ليدن مطبعة بربيل ١٨٩١ م .
- ٤١ - اغاثة الأمة يكشف الغمة - المقرizi ، احمد بن علي بن عبد

- الفادر - ٨٤٥ هـ لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٧
- ٤٢ - الاغانى - الاصفهانى : ابو الفرج علي بن الحسين بن محمد القرشى
 ٣٥٦ هـ مطبعة التقدم ١٣٢٣ مـ
- ٤٣ - الافعال - ابن القوطية ، ابو بكر محمد بن عمر بن عبد العزيز -
 ٣٦٧ هـ ، تحقيق علي فودة . مطبعة مصر ١٩٥٢ مـ
- ٤٤ - الامالي - الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق -
 ٣٤٠ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون بالقاهرة . المؤسسة
 العربية الحديثة ١٣٨٢ مـ
- ٤٥ - الامالي - ابو علي القالى ، اسماعيل بن القاسم القالى البغدادى -
 ٣٥٦ هـ ط ٢ مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٢٦ مـ
- ٤٦ - امالي المرتضى - الشريف المرتضى ، علي بن الحسين الموسوي
 العلوي - ٤٣٦ هـ ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . دار احياء
 الكتب العربية ١٣٧٣ مـ / ١٩٥٤ مـ
- ٤٧ - امالي اليزيدي - اليزيدي ، ابو عبد الله محمد بن العباس -
 ٣١٠ هـ مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن ١٣٦٧ هـ
- ٤٨ - امثال العرب - المفضل الضبي - توفي نحو ١٦٨ هـ . قسطنطينية ،
 مطبعة الجواب ١٣٠٠ هـ
- ٤٩ - انباء الرواة على انباء النحوة - القفطى ، جمال الدين ابو الحسن
 علي بن يوسف ، تحقيق محمد ابو الفضل ابراهيم . القاهرة دار
 الكتب المصرية ١٣٦٩ - ١٣٧٤ مـ / ١٩٥٠ - ١٩٥٥ مـ
- ٥٠ - انساب الاشراف - البلاذري ، احمد بن يحيى ٢٧٦ هـ تحقيق
 محمد حيدر الله . دار المعارف بمصر ١٩٥٩

- ٥١ - انيس الجلساء في شرح ديوان الخنساء ، تحقيق لويس شيخو
اليسوعي . بيروت المطبعة الكاثوليكية ١٨٩٦ م .
- ٥٢ - ايمان العرب في الجاهلية - النجيرى ، ابو اسحاق ابراهيم بن عبد الله
الكاتب : تحقيق محب الدين الخطيب ط ٢ . المطبعة السلفية بصر
٠ ١٣٨٢
- ٥٣ - بغية الوعاة في طبقات اللغويين والنحاة - السيوطي ، جلال الدين
عبد الرحمن ابن ابي بكر - ٩١١ هـ . القاهرة ١٣٢٦ هـ
- ٥٤ - البلدان - اليعقوبي ، احمد بن ابي يعقوب - ٢٨٤ هـ نشر ديفو
لiden مطبعة برييل ١٨٩١ م .
- ٥٥ - بلوغ الأربع في معرفة احوال العرب - الآلوسي ، محمود شكري ، تحقيق
محمد بهجة الاثري ط ٣ دار الكتاب العربي بمصر ١٣٤٢ هـ
- ٥٦ - البيان والتبيين - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ
تحقيق عبد السلام هارون . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٣٨٠ م - ١٩٣٥ م | ١٣٨١ م .
- ٥٧ - تاج المروس من جواهر القاموس - الزيدى ، محب الدين ابو
الفیض السيد محمد مرتضى الحسيني الواسطى - ١٢٠٥ هـ . المطبعة
الخيرية المنشأة بمحاللة مصر ٣٠٦ هـ
- ٥٨ - تاريخ بغداد او مدينة السلام - الخطيب البغدادي ، احمد بن
ابي بكر - ٤٦٣ هـ ، تصحيح محمد حامد الفقي . القاهرة مطبعة
السعادة ١٣٤٩ م | ١٩٣١ م .
- ٥٩ - التاريخ الجغرافي في القرآن الكريم - السيد مظفر الدين نادفى .
القاهرة .

- ٦٠ - تاريخ العرب قبل الاسلام - الاصمعي ، عبد الملك بن قریب / ٢١٦ هـ تحقیق محمد حسن آل یاسین . بغداد مطبعة المعارف ١٣٧٩ هـ
- ٦١ - تاريخ العرب قبل الاسلام - جواد علی . مطبعة المجمع العلمي العراقي ١٩٥٣ | ١٩٥٩ م .
- ٦٢ - تاريخ الموسيقى العربية - فارس ، هـ : ج ، ترجمة حسين نصار ومراجعة عبد العزيز الاھوازی . مکتبة مصر بالفجالة .
- ٦٣ - تاريخ الیعقوبی - الیعقوبی ، احمد بن ابی یعقوب - ٢٨٤ . لیدن مطبعة بربل ١٨٨٣ م .
- ٦٤ - تأویل مشکل القرآن - ابن قتیبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم - ٢٧٦ هـ ، تحقیق احمد صقر . القاهرة ، دار احیاء الکتب العربية ١٣٧٣ | ١٩٥٤ م .
- ٦٥ - التبیان في تفسیر القرآن - الطوسي ، ابو جعفر محمد بن الحسن ٤٦٠ هـ . تحقیق اغا بزرگ الطهراني النجفی . المطبعة العلمية ١٣٧٦ | ١٩٥٧ م .
- ٦٦ - تطور المثیرات في الشعر العربي - جیل سعید . القاهرة ١٩٤٥ م .
- ٦٧ - التفسیر البیانی للقرآن الكريم - بنت الشاطئ ، هائشة عبد الرحمن . دار المعارف بمصر ١٩٦٢ م .
- ٦٨ - تفسیر فرات الکوفی - الکوفی ، فرات بن ابراهیم (عاش في القرن الثالث) . النجف المطبعة الحیدریة .
- ٦٩ - تفسیر القرآن الكريم - التستری ، ابو محمد سهل بن عبد الله - ٢٨٣ هـ . تصحیح لجنة ، دار الکتب العربية الکبری بمصر ١٣٢٩ هـ .

- ٧٠ - تلخيص البيان في مجازات القرآن - الشيريف الرضي نحو ٤٠٦ هـ
تحقيق محمد عبد الغني حسن . القاهرة . دار احياء الكتب العربية
١٩٥٥ م
- ٧١ - تهذيب التهذيب - ابن حجر العسقلاني ، ابو الفضل احمد بن
علي - ٨٥٢ هـ حيدر آباد الدكن : مطبعة دائرة المعارف العثمانية
١٣٢٧ هـ - ١٣٢٥ هـ
- ٧٢ - التنبيه والرد - الملطي ، ابو الحسين محمد بن احمد بن عبد الرحمن
القاهرة ١٩٤٩ م
- ٧٣ - تزويه القرآن عن المطاعن - عمار الدين ابو الحسن عبد الجبار
ابن احمد ٤١٠ هـ المطبعة الجمالية بمصر ١٣٢٩ هـ
- ٧٤ - تنوير المقاييس من تفسير ابن عباس - الفيروزابادي : ابو طاهر
محمد بن يعقوب ٨١٧ هـ القاهرة ، مطبعة الاستقامه ١٩٦٠ م
- ٧٥ - غار القلوب في المضاف والمنسوب - الشعالي ، ابو منصور عبد
الملك بن محمد ٤٢٩ هـ القاهرة ١٩٠٨ م
- ٧٦ - جامع البيان عن تأويل القرآن - الطبرى ، ابو جعفر محمد بن
جرير ٣١٠ هـ مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٣ هـ / ١٩٥٤ م
- ٧٧ - الجامع الصحيح او سنن الترمذى - الترمذى ، ابو عيسى محمد بن
عيسى ٢٧٩ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة : مطبعة مصطفى
البابي الحلبي ١٩٣٧ م
- ٧٨ - الجبال والأمكنة والمياه - الزمخشري ، ابو القاسم محمود بن عمر
٥٣٨ هـ تحقيق محمد صادق آل بحر العلوم . النجف ، المطبعة
الحيدرية .

- ٧٩ - جزيرة العرب - بيربي ، جان جاك ، ترجمة نجدة هاجر ، وسعيد الغز . بيروت ، المكتب التجاري ١٩٦٠ .
- ٨٠ - جزيرة العرب في القرن العشرين - حافظ وهبة ، ط٤ ، القاهرة مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٦١ م .
- ٨١ - جغرافية العالم ج ١ - الدكتورة دولت احمد صادق ، الدكتور محمد السيد غلاب ، الدكتور جمال الدين الدناصوري ، القاهرة ، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٩ م .
- ٨٢ - جهرة اشعار العرب - القرشي ، ابو زيد محمد بن ابي الخطاب المكتبة التجارية الكبرى ١٣٤٥ هـ - ١٩٢٦ م .
- ٨٣ - جهرة اللغة - ابن دريد ، ابو بكر محمد بن الحسن الاذدي - ٣٢١ هـ . مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحیدر آباد الدکن ١٣٥١ هـ .
- ٨٤ - الحاوي في الطب ج ٢ - الرازى ، ابو بكر محمد بن ذكرياء - ٣١٣ هـ ، مطبعة دائرة المعارف العثمانية بحیدر آباد الدکن .
- ٨٥ - حقائق التأويل - الشرييف الرضي . النجف ١٩٣٦ .
- ٨٦ - الحاسة - البحترى ، ابو عيادة ، تحقيق كمال مصطفى . المكتبة التجارية الكبرى بمصر ١٩٢٩ م .
- ٨٧ - حلية الفرسان وشعار الشجعان - ابن هذيل الاندلسي ، علي بن عبد الرحمن ، تحقيق عبد الغني حسن . دار المعارف بمصر ١٣٦٩ هـ ١٩٤٩ م .
- ٨٨ - الحيوان - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر - ٢٥٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي واولاده ١٩٣٨ م - ١٩٤٥ م .

- ٨٩ - خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب على شواهد شرح الكافية -
البغدادي عبد القادر بن عمر ١٠٩٣ هـ ، بولاق المطبعة الأميرية
١٣٩٩ هـ
- ٩٠ - الخصائص - ابن جني أبو الفتح عثمان بن جني - ٣٩٢ هـ ، تحقيق
علي النجاشي . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ -
١٣٧٦ هـ ١٩٥٢ / م ١٩٥٦ -
- ٩١ - الحليل - أبو عبيدة ، معمر بن المثنى نحو - ٢١٠ هـ . مطبعة
دائرة المعارف العثمانية . حيدر إباد الدكن ١٣٥٨ هـ
- ٩٢ - دائرة المعارف الإسلامية - (المترجمة) . مادة جهنم ، وحرة . ترجمة
أحمد الشنطاوي وآخرون .
- ٩٣ - درة التنزيل وغرة التأويل - الخطيب الاسكافي ، أبو عبد الله
محمد بن عبد الله - ٤٢١ هـ ، تحقيق عبد المعطي السقا . مطبعة
السعادة بمصر ١٣٢٦ هـ ١٩٠٨ / م ١٩٠٨ -
- ٩٤ - دروس في البلاغة وتطورها - جميل سعيد . بغداد ، مطبعة المعارف
١٣٧٠ هـ ١٩٥١ / م .
- ٩٥ - الدلائل والاعتبار على الخلق والتديير - الجاحظ ، أبو عثمان عمرو بن
بحر - ٢٥٥ هـ ، تصحيح محمد راغب الطباخ . مطبعة حلب
١٣٤٦ هـ ١٩٢٨ / م .
- ٩٦ - ديوان ابن الدمينة ، عبد الله بن عبيد الله ، تحقيق أسد راتب
النفاخ . القاهرة مطبعة المدى ١٣٧٨ هـ ١٩٥٩ / م .
- ٩٧ - ديوان ابن مقبل - ابن مقبل تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق ،
وزارة الثقافة والارشاد القومي ١٣٨١ هـ ١٩٦٢ / م .

- ٩٨ - ديوان أبي محجن الثقفي وشرحه - العسكري ، أبو هلال الحسن
ابن عبد الله بن سهل ، تحقيق عمر السويدي ، ليدن ، مطبعة
بريل ١٣٠٣ هـ ١٩١٦ م .
- ٩٩ - ديوان الأعشى الكبير - الأعشى الكبير ، ميمون بن قيس ، شرح
وتعليق محمد محمد حسين ، المطبعة الموذجية .
- ١٠٠ - ديوان امرئ القيس - إمرؤ القيس ، تحقيق محمد أبو الفضل
إبراهيم . دار المعارف بمصر ١٩٥٨ م .
- ١٠١ - ديوان بشار بن برد - بشار بن برد تحقيق محمد الطاهر بن عاشور .
القاهرة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٦٩ - ١٩٥٠ هـ ١٣٧٦ .
- ١٠٢ - ديوان بشر بن أبي خازم - بشر بن أبي خازم ، تحقيق الدكتور
عزة حسن . دمشق ١٣٧٩ هـ ١٩٦٠ م .
- ١٠٣ - ديوان جران العود الميري - القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية
١٣٥٠ هـ ١٩٣١ م .
- ١٠٤ - ديوان جرير . تحقيق كرم البستاني . دار صادر ، دار بيروت
١٩٦٠ م .
- ١٠٥ - ديوان حاتم الطائي - دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٣ هـ ١٩٦٣ م .
- ١٠٦ - ديوان حسان بن ثابت الأنصارى - دار صادر . دار بيروت
١٣٨١ هـ ١٩٦١ م .
- ١٠٧ - ديوان الخطيب - شرح ابن السكين والسكري والسبستاني ،
تحقيق نهان أمين طه . القاهرة . مصطفى البابي الحلبي وأولاده
١٣٧٨ هـ ١٩٥٨ م .

- ١٠٨ - ديوان حيد بن ثور الهملاي - تحقيق عبد العزيز الميمني القاهرة
مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧١ / ١٩٥١ م .
- ١٠٩ - ديوان سعيم عبد بني الحسحاس - تحقيق عبد العزيز الميمني .
القاهرة . دار الكتب المصرية ١٣٦٩ / ١٩٥٠ م .
- ١١٠ - ديوان سلامة بن جندل - تحقيق الأب لويس شيخو اليسوعي .
المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين بيروت ١٩١٠ .
- ١١١ - ديوان السموال (مع ديوان عروة بن الورد) - دار صادر ،
دار بيروت . بيروت ١٣٨٤ / ١٩٦٤ م .
- ١١٢ - ديوان شعر ذو الرمة - ذو الرمة ، غيلان بن عقبة العدوي ،
عني بتصحيحه وتنقيحه كارليل هنري هيس مكارفي ، مطبعة كلية
كمبرج ١٣٣٧ / ١٩١٩ م .
- ١١٣ - ديوان الشماخ - الشماخ بن ضرار الصحافي الفطحياني ، تحقيق
احمد الشنقططي - مطبعة السعادة بمصر ١٣٢٧ م .
- ١١٤ - ديوان طرفة بن العبد - تحقيق الدكتور علي الجندي ، مكتبة
الأجلو المصرية ١٣٧٨ / ١٩٥٨ م .
- ١١٥ - ديوان الطرامح - الطرامح ، بن حكيم بن نفر الطائى (طبع
مع شعر طفیل الغنوی) تحقيق كرنکو : لندن ١٩٤٧ م .
- ١١٦ - ديوان عاص بن الطفیل - تحقيق كرم البستاني ، دار صادر .
دار بيروت . بيروت ١٣٨٣ / ١٩٦٣ م .
- ١١٧ - ديوان عبيد بن البرص - تحقيق كرم البستاني . دار صادر .
دار بيروت ١٣٧٧ / ١٩٥٨ م .
- ١١٨ - ديوان عدي بن زيد العبادي - تحقيق محمد جبار المعید . بغداد

- وزارة الثقافة والارشاد ١٣٨٥ / ١٩٦٥ م .
- ١١٩ - ديوان عروة بن الورد - تصحيح الشيخ ابن أبي شنب . طبع بالجزائر ١٩٢٦ م .
- ١٢٠ - ديوان الفرزدق - تحقيق كرم البستاني . دار صادر ، دار بيروت ١٣٨٠ / ١٩٦٠ م .
- ١٢١ - ديوان القطامي - تحقيق إبراهيم السامرائي ، واحد مطلوب بيروت دار الثقافة ١٩٦٠ م .
- ١٢١ - ديوان قيس بن الخطيم - تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد . القاهرة مطبعة المدى ١٣٨١ / ١٩٦٢ م .
- ١٢٣ - ديوان المزرد بن ضرار الفطافني . تحقيق خليل إبراهيم العطية بغداد ، مطبعة اسعد ١٩٦٢ م .
- ١٢٤ - ديوان المفضليات - الانباري ، ابو محمد القاسم بن محمد بن بشار ٣٠٤ ، تحقيق كارلوس يعقوب لайл . بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ١٩٢٠ م .
- ١٢٥ - ديوان النابغة الذبياني - تحقيق وشرح البستاني . دار صادر ، دار بيروت . بيروت ١٣٧٩ / ١٩٦٠ م .
- ١٢٦ - ذيل الأمالي والنواذر - البغدادي ، ابو علي اسماعيل بن القاسم - ٣٥٦ . القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٤٢ / ١٩٢٦ م .
- ١٢٧ - رسالة في بيان اعجاز القرآن - الخطابي ، ابو سليمان احمد بن محمد بن ابراهيم ٣٨٨ - ضمن ثلاث رسائل في اعجاز القرآن - تحقيق محمد خلف الله ، محمد زغلول سلام . دار المعارف بصرى .
- ١٢٨ - رسالة في المعاد - ضمن رسائل الجاحظ ج ١ ، تحقيق وشرح -

عبد السلام محمد هارون . القاهرة . مكتبة الحاخنجي ١٣٨٤ هـ

١٩٦٤ م .

١٢٩ - زهر الآداب ونهر الالباب - الحصري القيرواني ، ابو اسحاق

ابراهيم بن علي علي ٤٥٣ هـ . تحقيق محمد حفي الدين عبد الحميد .

وشرح زكي مبارك . مطبعة السعادة بمصر ١٣٧٢ هـ | ١٩٠٣ م ١٩٠٣ م .

١٣٠ - الزينة في الكلمات الاسلامية العربية - الرازي ، ابو حاتم احمد

ابن حدان ٣٢٢ هـ . تحقيق حسين بن فيض الله المهداني .

القاهرة ١٩٥٧ م .

١٣١ - سرح العيون شرح رسالة ابن زيدون - ابن باتة ، جمال الدين

محمد بن محمد - ٧٦٨ هـ . المطبعة الاميرية المصرية ١٢٧٨ هـ .

١٣٢ - سنن ابن ماجة - ابو عبد الله محمد بن يزيد القزويني - ٢٧٥ هـ .

تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء الكتب العربية ١٩٥٢ م .

١٣٣ - سنن ابي داود - ابو داود سليمان بن الاشعش بن اسحاق الاذدي -

٢٧٥ هـ ، تحقيق احمد سعد علي . مطبعة البايي الحلبي واولاده

بمصر ١٣٧١ هـ - ١٩٥٢ م .

١٣٤ - سنن الدارمي - الدارمي ، ابو محمد عبد الله بن عبد الرحمن

ابن الفضل بن بهرام ٤٥٥ هـ . عن طبعه محمد احمد الدهان .

دمشق . مطبعة الاعتدال ١٣٤٩ هـ .

١٣٥ - سنن النسائي - ابو عبد الرحمن احمد بن شعيب بن علي - ٣٠٣ هـ .

المطبعة العصرية بالأزهر .

١٣٦ - سيرة النبي - ابن هشام ، ابو محمد عبد الملك ٢١٣ او ٢١٨ هـ .

تحقيق محمد حفي الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي .

- ١٣٧ - شجر الدر في تداخل الكلام بالمعنى المختلفة - ابو الطيب عبد الواحد بن علي اللغوي ٣٥١ هـ . تحقيق محمد عبد الجواد دار المعارف بمصر ١٩٥٧ م .
- ١٣٨ - شرح ابن عقيل على الفية ابن مالك - تحقيق محبي الدين عبد الحميد . القاهرة المكتبة التجارية الكبرى ١٩٦١ م .
- ١٣٩ - شرح اشعار المذلين - تحقيق عبد الستار احمد فراج . القاهرة مطبعة المدقق .
- ١٤٠ - شرح ديوان الحاسة - المرزوقي ، ابو علي احمد بن الحسن ٤٢١ هـ باعتماء احمد امين وعبد السلام هارون . القاهرة مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٣ هـ - ١٩٥٣ م .
- ١٤١ - شرح ديوان زهير بن أبي سلمى - شرح ثعلب : أبي العباس احمد بن محبي بن يزيد الشيباني ٢٩١ هـ . القاهرة ، الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٤ م .
- ١٤٢ - شرح ديوان علقة الفحل تحقيق احمد صقر . القاهرة ، المطبعة محمودية ١٣٥٣ هـ ١٩٣٥ م .
- ١٤٣ - شرح ديوان عنترة بن شداد - تحقيق عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي . القاهرة المكتبة التجارية الكبرى .
- ١٤٤ - شرح ديوان كعب بن زهير - القاهرة . الدار القومية للطباعة والنشر ١٣٨٥ هـ ١٩٦٥ م .
- ١٤٥ - شرح ديوان لبيد بن ربيعة العاصمي - تحقيق احسان عباس . الكويت ١٩٦٢ م .
- ١٤٦ - شرح القصائد السبع الطوال الجاهليات - ابن الأباري ، ابو بكر

- محمد بن القاسم ٣٢٨ هـ ، تحقيق وتعليق عبد السلام هارون بدار
ال المعارف ١٩٦٣ م .
- ١٤٧ - شعر طفيلي بن عوف الفنوبي - تحقيق فـ . كرنيك ، لندن ١٩٢٧ م
- ١٤٨ - شعر المنقب العبدى - تحقيق محمد حسن آل ياسين . مطبعة المعارف
١٩٥٦ م .
- ١٤٩ - شعر النابغة الجعدي . تحقيق عبد العزيز رباح . دمشق ، المكتب
الإسلامي ١٩٦٤ م - ١٣٨٤ هـ .
- ١٥٠ - الشعر والشعراء - ابن قتيبة ، أبو محمد عبد الله بن مسلم بيروت
دار الثقافة ١٩٦٤ .
- ١٥١ - شفاء الغليل فيما في كلام العرب من الدخيل - الخفاجي ، شهاب
الدين احمد بن محمد ١٠٦٩ هـ . القاهرة ، مطبعة السعادة ١٣٢٥ هـ .
- ١٥٢ - الصاحبي في فقه اللغة وسفن العرب في كلامها - ابن فارس ،
ابو الحسين احمد - ٣٩٥ . القاهرة ، مطبعة المؤيد ١٣٢٨ هـ /
١٩٠٠ م .
- ١٥٣ - الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) - الجوهرى : اسماعيل بن
حmad ٣٩٣ هـ ، تحقيق احمد عبد الغفور عطار . دار الكتاب العربي
بمصر ١٣٧٦ - ١٣٧٧ / ١٩٥٦ - ١٩٥٧ م .
- ١٥٤ - صحيح مسلم - مسلم ، ابو الحسين مسلم بن الحجاج القشيري ٢٦١ هـ
تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . دار احياء الكتب العربية ١٣٧٤ -
١٣٧٥ هـ ١٩٥٥ - ١٩٥٦ م .
- ١٥٥ - صفة بلاد اليمن ، ومكة وبعض الحجاز (او تاريخ المستبصر) -
ابن المجاور تحقيق اوسلكر لوفغرین . ليدن مطبعة بريل ١٩٥٤ .

- ١٥٦ - صفة جزيرة العرب - المهداني ، ابو محمد الحسن بن احمد بن
يعقوب - ٣٣٤ هـ ، تحقيق محمد بن عبد الله بن بلية البجدي .
مطبعة السعادة بمصر ١٩٥٣ م .
- ١٥٧ - الصناعتين - العسكري ، ابو هلال الحسن بن عبد الله بن سهل -
٣٩٦ هـ ، تحقيق علي محمد البحاوي ، محمد ابو الفضل ابراهيم
دار احياء الكتب العربية ١٣٧١ / ١٩٥٢ م .
- ١٥٨ - صورة الارض - ابن حوقل ، ابو القاسم ابن حوقل النصيبي -
٣٦٧ هـ . ط ٢ ليدن ، مطبعة بريل ١٩٣٨ م .
- ١٥٩ - طبقات خول الشعرا - ابن سلام ، ابو عبد الله محمد الجحبي
البصرى . دار المعارف للطباعة والنشر .
- ١٦٠ - الطبقات الكبرى - ابن سعد ، محمد - ٢٣٠ هـ . تحقيق ادوارد
سخو ليدن ، مطبعة بريل ١٣٢١ هـ .
- ١٦١ - الطب النبوى - الذهبي ، ابو عبد الله محمد بن احمد - ٧٤٨ هـ
القاهرة ، مطبعة مصطفى البابى الحلبي ١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ١٦٢ - الطرائف الادبية (مجموعة من الشعر تشتمل على ديوان الأفوه
الأودي وديوان الشنفرى وقصائد ودواوين اخرى) - نشر
عبد العزيز الميموني . القاهرة . مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
١٩٣٧ .
- ١٦٣ - العشر مقالات في العين - منسوب لحنين بن اسحاق - ٢٦٤ هـ
تحقيق ماكس مايرهوف ، القاهرة ، المطبعة الاميرية ١٩٢٨ م .
- ١٦٤ - العمدة - ابن رشيق القرطافى ، ابو علي الحسن - ٤٦٣ هـ . تحقيق
محمد محى الدين عبد الحميد . مطبعة حجازي ١٣٥٧ / ١٩٣٤ م .

- ١٦٥ - العين - الخليل بن احمد الفراهيدي ١٧٥ هـ . ونسب الى الایت
ابن المظفر بن نصر بن سيار الحراساني . تحقيق الأب انتساس
ماري الكرملي . بغداد ، مطبعة دار الأيام ١٩١٤ م .
- ١٦٦ - عيون الأثر في فنون المغازي والشمائل والسير - ابن سيد الناس -
٧٣٤ هـ القاهرة مكتبة القدسى ١٣٥٦ .
- ١٦٧ - عيون الأخبار - ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم
الدينوري ٢٧٦ هـ القاهرة ، دار الكتب المصرية ١٣٤٣ - ١٣٤٩ | هـ ١٩٣٠ - ١٩٢٥ م .
- ١٦٨ - غريب الحديث - ابو عبيدة القاسم بن سلام - ٢٢٤ هـ تحقيق
محمد عبد المعيد خان . دائرة المعارف العثمانية بمحيدر آباد الدكنجي
١٣٨٤ / هـ ١٩٦٤ م .
- ١٦٩ - غريب القرآن المسمى بنزهة القلوب - السجستاني ، ابو بكر محمد
بن عزيز ٣٣٠ هـ . مطبعة محمد علي صبيح مصر ١٣٧٢ هـ /
١٩٥٢ م .
- ١٧٠ - الفاخر - ابو طايب المفضل بن سلمة بن حاصم ٢٧١ هـ . تحقيق
عبد العليم الطحاوي . القاهرة ، وزارة الثقافة والارشاد
١٣٨٠ / هـ ١٩٦٠ م .
- ١٧١ - الفاضل - البرد ، ابو العباس محمد بن بزيد - ٢٨٥ هـ تحقيق
عبد العزيز الميمني . القاهرة ، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٧٥ هـ
١٩٥٦ م .
- ١٧٢ - فخر السودان - الجاحظ ، ابو عثمان عمرو بن بحر ٢٥٥ هـ .
نشر ضمن رسائل الجاحظ . تحقيق عبد السلام هارون مكتبة

الخانجي ١٣٨٤ / ٦ ١٩٦٤ م :

- ١٧٣ - فقه اللغة وسر العربية - النعالي ، ابو منصور عبد الملك بن محمد النيسابوري ٤٢٩ هـ . تحقيق مصطفى السقا . وإبراهيم الأبياري ، وعبد الحفيظ شابي . مطبعة مصطفى البابي الحلبي
١٣٥٧ / ٦ ١٩٣٨ م .
- ١٧٤ - الفهرست : ابن النديم ، محمد بن اسحاق - نحو ٣٨٧ هـ . القاهرة مطبعة الاستقامة .
- ١٧٥ - في طريق الميثولوجيا عند العرب - الحوت ، محمود سليم - بيروت ١٩٥٥ .
- ١٧٦ - قاموس الكتاب المقدس - ترجمة وتأليف الدكتور جورج بوست بيروت المطبعة الامريكية ١٩٠١ .
- ١٧٧ - القرآن الكريم .
- ١٧٨ - قشرة الأرض - محمد صفي الدين . مصر ، دار الطباعة ١٩٥٧ .
- ١٧٩ - الكامل في التاريخ - ابن الأثير ، علي بن أبي الكرم محمد بن محمد الشيباني - ٦٣٠ هـ القاهرة ، دار الطباعة ١٢٩٠ .
- ١٨٠ - الكامل في اللغة والأدب - المبرد ، ابو العباس محمد بن يزيد - ٢٨٥ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر يمسر . مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٩٣٧ .
- ١٨١ - الكتاب المقدس .
- ١٨٢ - الكشاف - الزمخشري ، ابو القاسم جار الله محمود بن عمر ٥٣٨ هـ القاهرة مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٦٧ هـ - ١٣٧١ هـ .
- ١٨٣ - لباب الآداب - اسامه بن منقذ - ٥٨٤ هـ ، تحقيق احمد محمد

- شاكر ٠ مصر المطبعة الرحمانية ١٩٣٥ م - ١٣٥٤ ه
- ١٨٤ - لسان العرب - ابن منظور ، ابو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم - ٧١١ ه ، بولاق ، المطبعة الاميرية ١٣٠٠ ه
- ١٨٥ - لسان الميزان - ابن حجر احمد بن علي المتوفى سنة ٨٥٢ ه
- جيدر اباد الدكّن ٠ مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٣٠ - ١٣٣١ ه
- ١٨٦ - اللغات في القرآن - ابن عباس ، عبد الله ، تحقيق صلاح الدين المتعدد ٠ مطبعة الرسالة ١٩٤٦ م
- ١٨٧ - متشابهات القرآن - ابن شهر اشوب ، محمد بن علي المازندراني ٠ ابران مطبعة شركة سامي ١٣٢٨ ه
- ١٨٨ - مجاز القرآن - ابو عبيدة : محمر بن المنفي التميمي سنة ٢١٠ ه
- تحقيق محمد فؤاد سرکین ٠ مصر ٠ محمد ابن الحانجی ١٣٧٤ ه - ١٩٥٥ م
- ١٨٩ - مجالس ثعلب : ثعلب ، ابو العباس احمد بن يحيى - ٢٩١ ه
- تحقيق عبد السلام محمد هارون ٠ القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٠
- ١٩٠ - مجالس العلماء - الزجاجي ، ابو القاسم عبد الرحمن بن اسحاق - ٣٤٠ ه ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ٠ الكويت ، وزارة الارشاد والآباء ١٩٦٢
- ١٩١ - مجمع الأمثال - الميداني ، ابو الفضل محمد ٥١٨ ه ٠ القاهرة ١٣٥٣ - ١٣٥٢ ه
- ١٩٢ - المحسن - البرقي ، ابو جعفر احمد بن خالد ٠ نشر محمد كاظم الكتبني ٠ النجف الاشرف ٠ المطبعة الجيدرية ١٣٨٤ ه
- ١٩٣ - المحسن والأضداد - الجاحظ ، ابو عنان عمرو بن بحر -

- ٢٠٥ - تصحيح محمد امين الحانجبي . المطبعة الجمالية .
- ١٩٤ - محاضرات في تاريخ العرب - العلي ، صالح احمد . بغداد مطبعة المعارف ١٩٥٩ .
- ١٩٥ - الخبر - ابن حبيب ، ابو جعفر محمد بن حبيب بن امية البغدادي -
- ٢٤٥ - تحقيق الدكتورة ايلزه ليحقن ستيتر بحيدر آباد الدكن . مطبعة جمعية دائرة المعارف العثمانية ١٣٦١ هـ - ١٩٤٢ م .
- ١٩٦ - الحكم - ابن سيدة ، علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ ج ١ ، تحقيق مصطفى السقا ، حسين نصار . مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي ١٣٧٧ هـ ج ٢ ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ١٩٥٨ -
- ١٣٧٧ مصر ، مطبعة مصطفى البابي الحلبي .
- ١٩٧ - مختصر البلدان - ابن الفقيه ، ابو بكر . احمد بن ابراهيم ٣٦٥ هـ ليدن . مطبعة بريل ١٣٠٢ .
- ١٩٨ - الخصوص - ابن سيدة . علي بن اسماعيل ٤٥٨ هـ . بولاق .
المطبعة الأميرية سنة ١٣١٦ هـ .
- ١٩٩ - المدخلات او المدخل - غلام ثعلب ، ابو عمر . محمد بن عبد الواحد الزاهد المطرز - ٣٤٤ - ٣٤٥ هـ تحقيق عبد العزيز المبعني الراجحوني . نشر في مجلة الجمع العلمي العربي . دمشق الجلد ٢٩١ ج ٨ ، ج ٩ . ١٩٢٩ م ١٣٤٨ .
- ٢٠٠ - مراصد الاطلاع على اسماء الاممكنة والبقاع - عبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي ٧٣٩ تحقيق علي البعاوي . مصر ، دار الكتب العربية ١٩٥٤ .
- ٢٠١ - المزهر في علوم اللغة العربية - السيوطي ، عبد الرحمن جلال الدين

- ٩١١ - تحقيق محمد احمد جاد المولى وآخرون . مصر دار احياء الكتب العربية ١٩٥٨ م - ١٣٧٨ ه
- ٢٠٢ - المسالك والمالك - ابن حزدادة ، ابو القاسم عبيد الله بن عبد الله .
٣٠٠ ه . ليدن ، مطبعة برييل ١٨٨٩ م
- ٣٠٢ - المستقى في امثال العرب - الزخنثري : جار الله محمود بن عمر .
٥٣٨ ه ، تحقيق محمد عبد الرحمن خان . حيدر آباد الدكن ،
مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٩٦٢ - ١٣٨١ ه
- ٢٠٤ - المسلسل في غريب لغة العرب - التميمي ، ابو الطاهر محمد بن يوسف بن عبد الله . ٦٣٨ ه . تحقيق محمد عبد الجواد . مصر
وزارة الثقافة والارشاد القومي .
- ٢٠٥ - مسند الامام احمد بن محمد بن حنبل - ٢٤١ ه
- ٢٠٦ - مشاهد القيامة في القرآن الكريم - سيد قطب . القاهرة ١٩٦٠
- ٢٠٧ - المفضل الضبي ، تحقيق احمد محمد شاكر وعبد السلام
محمد هارون ط ٣ . القاهرة ، دار المعارف ١٩٦٤ م
- ٢٠٨ - المعارف - ابن قتيبة ابو محمد عبد الله بن مسلم - ٢٧٦ ه
تحقيق ثروت عكاشه ، مصر . وزارة الثقافة والارشاد القومي
١٩٦٠ م
- ٢٠٩ - معاني الشعر - الاشنانداني ، ابو عثمان سعيد بن هارون سنة
٣٢١ ه ، تحقيق صلاح الدين المنجد . بيروت . دار الكتاب
الجديد ١٩٦٤ م
- ٢١٠ - معاني القرآن - الفراء ابو زكرييا يحيى بن زياد سنة ٢٠٧ ه ،
تحقيق احمد يوسف نجاشي ، ومحمد علي التجار . القاهرة دار

الكتب المصرية ١٩٥٥ م

- ٢١١ - المعاني الكبير : ابن قتيبة ، ابو محمد عبد الله بن مسلم -
- ٢٧٦ - حيدر آباد الدهن . مطبعة دائرة المعارف العثمانية ١٣٦٩ هـ
- ٢١٢ - معجم البلدان - الحموي ، ابو عبد الله ياقوت بن عبد الله ٦٢٦ هـ .
لبيزج ١٨٦٨ .
- ٢١٣ - معجم الشعراء - المرزباني ، ابو عبد الله محمد بن عمران بن موسى . تحقيق ف . كرنوك . القاهرة . مكتبة القديسي ١٣٥٤ هـ
- ٢١٤ - معجم ما استعجم : البكري ابو عبيد عبد الله بن عبد العزيز ابن أبي مصعب - ٤٨٧ هـ . المقرب ، محمد الحليفي للباحثين المغاربية ١٣٦٤ هـ - ١٩٤٥ م .
- ٢١٥ - المعجم المفهرس للفاظ القرآن - محمد فؤاد عبد الباقي . مطابع الشعب ١٣٧٨ هـ .
- ٢١٦ - معجم مقاييس اللغة - ابن فارس ، ابو الحسين احمد بن فارس ابن زكريا - ٣٩٥ هـ ، تحقيق عبد السلام محمد هارون . القاهرة دار احياء الكتب العربية ١٣٦٩ هـ .
- ٢١٧ - المعرب عن الكلام الأعمجي - الجوابي ، ابو منصور ، موهوب ابن احمد بن محمد - ٥٤٠ هـ ، تحقيق احمد محمد شاكر . القاهرة . مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٦١ هـ .
- ٢١٨ - المعروون - السجستاني ، ابو حاتم سهل بن عثمان - ٢٥٠ هـ . تحقيق عبد المنعم طامر . مصر ، دار احياء الكتب العربية ١٩٦١ .
- ٢١٩ - مغني اللبيب عن كتب الأعaries - ابن هشام ، ابو محمد عبد الله جمال الدين بن يوسف - ٧٦١ هـ . تحقيق محمد محی الدین

عبد الحميد .

- ٢٢٠ - المفردات في غريب القرآن - الراغب الأصفهاني : محمد بن الفضل -
٥٠٢ هـ كراجي ١٩٦١ .
- ٢٢١ - المقدمة - ابن خلدون عبد الرحمن بن خلدون - ٨٠٨ هـ تحقيق
نصر الموريني ١٣٧٤ هـ .
- ٢٢٢ - الملادي واسماؤها - المفضل بن سلمة - ٢٩٠ هـ . تحقيق عباس
العزاوي . مع كتاب الموسيقى العراقية . بغداد شركة التجارة
والطباعة المحدودة ١٣٧٠ هـ - ١٩٥١ .
- ٢٢٣ - من حديث الماء في الأدب العربي - جميل سعيد (مستل من مجلة
المجمع العلمي العراقي) . بغداد مطبعة المجمع العلمي العراقي
١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- ٢٢٤ - المنازل والديار - اسامة بن منقذ بن مرشد بن مقلد . نشر انس
ابن خالدوف . موسكو ، دار النشر للاداب الشرقية ١٩٦١ .
- ٢٢٥ - المنق في اخبار قريش - ابن حبيب : محمد ابو جعفر البغدادي
٢٤٥ هـ . حيدر آباد الدكن . دائرة المعارف العثمانية -
١٣٨٤ هـ .
- ٢٢٦ - المؤتلف والمخالف - الامدي : ابو القاسم الحسن بن بشر بن
يجي ٣٧٠ هـ تحقيق عبد الستار احمد فراج القاهرة . دار احياء
الكتب العربية ١٣٨١ هـ - ١٩٦١ م .
- ٢٢٧ - الموطأ - مالك بن انس . بتحقيق محمد فؤاد عبد الباقي . القاهرة
دار احياء الكتب العربية .
- ٢٢٨ - النبات - (قطعة من الجزء الخامس) ابو حنيفة . احمد بن

- داود الدينوري ٢٨٢ هـ . نشر بـ . لوبن ، ليدن . مطبعة بريل ١٩٥٣ م .
- ٢٢٩ - نخبة عقد الجياد في الصافنات الجياد - الجزائر ، محمد . بيروت
المطبعة الأهلية ١٣٢٦ .
- ٢٣٠ - ترجمة الآباء في طبقات الأدباء - ابن الأباري ، أبو البركات
كال الدين عبد الرحمن بن محمد . تحقيق إبراهيم السامرائي بغداد
مطبعة المعارف ١٩٥٩ م .
- ٢٣١ - نزهة العمر في التفضيل بين البيض والسود والسمرا - السيوطي ،
عبد الرحمن جلال الدين - ٩١١ هـ . دمشق المكتبة العربية .
- ٢٣٢ - نسب قريش - الزيري ، أبو عبد الله المصعب بن عبد الله بن
مصعب - ٢٣٦ هـ تحقيق ليفي بروفنسال . القاهرة . دار المعارف
١٩٥٣ م .
- ٢٣٣ - نظام الغريب - الربعي ، عيسى بن إبراهيم ٤٨٠ هـ . تصحيح
بولس برونل . مصر . مطبعة هندية .
- ٢٣٤ - النهاض - (نقائض جرير والفرزدق) - أبو عبيدة ، معمر
بن المنى ٢١٠ هـ ليدن . مطبعة بريل ١٩٠٥ م .
- ٢٣٥ - النهاية في غريب الحديث - المبارك بن محمد الجزرى . تصحيح
عبد العزيز بن اسماعيل الطهطاوى . مصر . المطبعة العثمانية ١٣١١ م .
- ٢٣٦ - التوادر - أبو مسحيل الاعرابي ، عبد الوهاب بن حريش .
تحقيق الدكتور عزة حسن . دمشق . مطبوعات مجمع اللغة العربية
١٣٨٠ هـ - ١٩٦١ م .
- ٢٣٧ - هذا العالم - الشرقاوى ، محمد عبد المنعم ، و محمد محمود الصياد .
القاهرة دار المعارف . ١٩٥٩ م .

- ٢٣٨ - مع الموامع في شرح بجمع الجوامع في علم العربية - السيوطي ،
جلال الدين عبد الرحمن ابو بكر - ٩١٠ هـ . تحقيق محمد
بدر الدين التعمسي ، مصر ، مطبعة السعادة - ١٣٢٧ هـ .
- ٢٣٩ - الوحيشيات (وهو الحمامة الصغرى) - ابو تمام ، حبيب بن
اوسم . تحقيق عبد العزيز اليماني الراحلوني . القاهرة . دار
المعارف ١٩٦٣ .
- ٢٤٠ - الوصف في شعر العراق في القرنين الثالث والرابع الهجريين -
جعيل سعيد . بغداد . مطبعة الملال ١٩٤٨ .
- ٢٤١ - وفاء الوفا باختبار دار المصطفى - السمهودي : علي بن احمد
المصري - ٩١١ هـ تحقيق محمد عبي الدين عبد الحميد .
- ٢٤٢ - البنابع - السجستاني ، ابو يعقوب اسحاق ٣٣١ هـ تحقيق مصطفى
غالب . بيروت . المكتب التجاري للطباعة والنشر ١٩٦٥ .

ج - المقالات :

- ٢٤٣ - احساس الشعراء . العرب بالألوان والأصوات - جعيل سعيد . مجلة
كلية الآداب العدد الأول لسنة ١٩٥٦ بغداد مطبعه وزارة المعارف . ١٩٥٦ .
- ٢٤٤ - الألفاظ السريانية في المعاجم العربية - مار اغناطيوس افرام الأول
برصوم مجلة الجمع العلمي العربي بدمشق مجلد ٢٣ ج ٢ ، ج ٣ ، ج ٤ لسنة ١٩٤٨ .
- ٢٤٥ - الأنسجة في القرنين الأول والثاني - صالح احمد العلي مجلة الابحاث
ج ٤ كانون الأول السنة ١٤ لسنة ١٩٦١ .
- ٢٤٦ - البيئة العربية في القرآن الكريم - ابراهيم السامرائي . مجلة البيئة

السنة الأولى العدد العاشر ١٩٦٣ م - ١٣٨٢ هـ

٢٤٧ - الدخيل في اللغة العربية - فؤاد حسين علي . مجلة كلية الآداب
المجلد ١١ ج ١ مايو سنة ١٩٤٩ م . مطبعة جامعة فؤاد الأول
١٩٤٩ م

٢٤٨ - ذيل اللافاظ السريانية في المعاجم العربية - مار اغناطيوس :
افرام الأول بوصوم . مجلة الجمع العلمي العربي م ٢٦ ج ٤
لسنة ١٩٥١ .

الكتب الأجنبية :

- 249 - Arabic English Lexicon - Edward William Lane . Edinburgh ,
England , 1956 .
- 250 - Encyclopaedia of Islam , vol . I . Eb . Leiden , Brill 1960 .
- 251 - Encyclopaedia of Religion and Ethics , Art : Religion of the
Semites . Smith Vol . I .
- 252 - Travels in Arabia Desert , Charles , M . Doughty . London ,
1936 .

D. V.

الفهرس

- ١ - الاحاديث النبوية .
- ٢ - الاشعار .
- ٣ - الاعلام .
- ٤ - التعبير القرآنية .
- ٥ - المحتوى .

نَكْفَا

فهرس الاحاديث النبوية

٢٩٦	اذا اكل احدكم طعاماً
٣٠	دع داعي اللبن
٢٠٦	شدة الحر
٣٠٥	عليكم بالشفائم
٥٥	عيادة المريض
٣٠٩	من اراد
٢٠٦	من صبر على حر
٥٥	من قاتل في سبيل الله

فهرس الاشعار

الصادر	الجزء	الشاعر	الصفحة
(الالف)			
أسدٌ	غباءُ	الحارث بن حلاة	١٣٧
بارزة	خلاءُ	زهير بن أبي سلمى	١٢٠
بشيبٌ	القاءُ	بشر بن أبي خازم	٤١
فلما أن	الظباءُ	زهير بن أبي سلمى	١٩٥
لئن أك	دواءٌ	عنترة بن شداد	١٤٤
فلما حا الله	بالدهاءِ	أبو زيد	٧٣
(الباء)			
وانا الأخضر	العربُ	اللهي	٢٧٧
ولا تنقرني	المغيَّبُ	عامر بن عمرو	٢٢
كأن بها	متعَبُ	غير منسوب	٢١٥
فباتوا	متحدَبُ	طفيل الغنوبي	٤٢
يطيف	تشيَّبُ	المثقب العبدى	١٠٩
فلمساق	منبُ	امرأة القيس	٤٨
زرق	كذبوا	ذو الرمة	١٥٥
فلا تعدي	تصوَّب	علقمة الفحل	١٨١
اذ غبقةه	شاربها	عدي بن زيد	٣٠٣
لا تذكرني	الاجرب	عنترة بن شداد	٢٩٦

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢٧٤	امرأة القيس	شعب	تبصر
١٨١	غير منسوب	التراب	لاغدوت
١٢٧	انيف بن جبلة	مشدب	بمهاطن
	(الجيم)		
٦٦	التابعة الجعدي	تهماج	بأرعن
٢٩٣	الحارث بن حلزة	النازج	لا تكسع
	(الماء)		
٦٨	غير منسوب	يطلحوا	ومهمه
٢٦١	عنترة بن شداد	النوافع	تركنا
٤٥	التابعة الذهبياني	صيحا	كان على
١٥٨	بشار بن برد	القباح	تراخت
	(الدال)		
١٤٢	الاعشى	سود	فأأشمت
٢٤٧	قيس بن خويلد	حرود	وححسن
١٥٨	بشار بن برد	سود	وللبحيل
١٠٩	الطرماح	جده	طوف
١٥٥	الاعشى	اسادها	تنخلها
٢٣٤	غير منسوب	المبردا	وانى
١٥٨	مسلم بن الوليد	سودا	اذا سيل
١٤٣	الكميت بن زيد	سودا	رمى
١٤٣	ابو زيد	بسود	بدل
٢٦١	عنترة بن شداد	بالصفاد	وعدنا

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١٩	دريد بن الصمة	المدد	فجئت
٢٣٣	القطامي	الصادي	فهنَّ
١٥٥	الاعشى	المعمد	ويروي
٨٧	طرفة	اليد	صهابية
٢٩٨	طرفة	تصطد	وان تغنى
١٤٤	عنترة بن شداد	جلدي	يعيبون
١٧٦	طرفة	غدي	فلو كان

(الراء)

١٢٢	طرفة	فقر	واذا تلستني
٢٤	ابن ماوية	زمر	انا آبن
٣٢	طرفة	الذعر	حين نادى
٢٩	طرفة	منقعر	واذا قامت
٨٦	الخطيبة	المورُ	لمن الديار
٢٨١	حاتم الطائي	صرَّ	اوقد
٢٣	عمرو بن الأهمَّ	عورُ	وقوم
١٤٥	عنترة بن شداد	الفجرُ	يعيبون
٢٧٧	ذو الرمة	اخضر	اتراب
٢٩٤	عنترة بن شداد	تعار	فن يلث
٢٩٣	الخطيبة	مشاfore	قرروا
٣٠٣	ابو ذؤيب	سوارها	ترى
٢٦٢	يريد بن عمرو بن الصعق	اسيرا	وضرجنا

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢٧٥	امرؤ القيس	ف شبّهتْهُمْ فَقَبِيرًا	
١٦٢	غير منسوب	انَا ملوك نصرا	
٢٩١	الاعشى	كأن القرنفل مشورا	
١٦٣	الاعشى	و سبتك ستارة	
١٢١	الاعشى	و رأياً الفقارا	
٢٥٢	طرفة بن العبد	تلعب قفر	
٢٤٣	زيبان بن صبار الفزارى	كأنك حادر	
١٧٥	عوف بن عطية	ومكيل أيصر	
١٦٣	ظالم بن البراء	فيامن النضر	
٤٥	التابعة الذبياني	قوم الأنفار	
٢٧	طرفة بن العبد	يالك أصفرى	
١٦٢	الاعشى	والشافعون الناضر	
٤٨	الخزنق بنت هفان	قوم الزجر	
٢١٤	قيس بن الخطيم	ونصدق جمر	
٨٦	زهير بن أبي سلمى	لعب القطر	
٩٣	غير منسوب	لو كنت كدر	
٣٠٦	التابعة الذبياني	كأن مشتار	
(السين)			
١١٧	العجاج	ابلاس و جمعت	
٢٣	المرقش الاكبر	حادس وجيف	
١٣٦	ابو زيد	هموس فباتوا	
٧٥	غير منسوب	نفسا عنس	

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢٢٣	تابعة الجعدي	نحاسا	تضيئكم
٧٢	غير منسوب	بسا	لا تخبرنا
١١٥	غير منسوب	ابلسا	يا صاح
١٣٨	امرأة القيس	الهمس	أجد
	(الصاد)		
٢٤	امرأة القيس	غضيض	اخفضه
	(الطاء)		
٤٩	غير منسوب	منحط	لما سمعت
	(الظاء)		
٢٢٢	أميمة بن خلف	عكاظ	الآمن
٢٢٢	حسان بن ثابت	عكاظ	فتائيه
	(الغين)		
١٢٩	غير منسوب	مهبط	تعبدني
١٢١	غير منسوب	لاتضيع	ان الصلاة
٢٩٥	متهم بن نويرة	لا يخلع	فله ضريب
٢٩٦	الاعرج المعنى	توجع	ارى
١٣٣	رؤبة	مقنعا	اشرف
٤١	الكلحبة العربي	اجها	ونادي
٣٠	متهم بن نويرة	افرعا	وقد كان
٥٤	الاعشى	رضعا	حتى اذا
١٧٢	غير منسوب	مجموع	جزى
١٢٨	غير منسوب	منع	بمستهبط

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١٢٨	يزيد بن مفرغ	السماع	بدجلة
٢٤٩	مالك بن عمود الغامدي	بالضرير	الا منعت
٢٤٤	الخادرة	الاذرع	اودى
١٣٢	الشماخ	الواقع	يياكرن
	(الفاء)		
٢٥٣	غير منسوب	أعرف	عيز
٢٩٥	مالك بن نويرة	هاتف	اعلل
١٤٣	غير منسوب	كلف	يزملون
	(القاف)		
١٦٢	غير منسوب	طوالق	يرشح
١٥٧	سويد بن أبي كاهل	ازرق	لقد زرقت
١٥٧	الاعشى	تزرق	كذلك
١٥٥	المزرد بن ضرار	مطرق	وما كنت
٢٩	زهير بن أبي سلمى	فانخرقا	يمري
٢٩٤	غير منسوب	اورقا	ويشربه
٢٦٢	المهامل بن ربيعة	الوثاق	واليلك
٢٤٧	امرؤ القيس	شعرق	فابتعتهم
١٦٣	امرؤ القيس	يحرق	فقمنا
	(الكاف)		
١٩٨	ابن الدمية	شمائلك	أبني
	(اللام)		
١٠٤	النابغة الجعدي	فَمَنْسِلٌ	عسان

الصفحة	الشاعر	الجزء	الصدر
٣٢	النابغة الجعدي	نزلٌ	يستخون
٢٩١	امرؤ القيس	غللٌ	كانَ
٧٤	عبدة بن الطيب	براطيلٌ	اذا أبسَّ
٢٥٩	الشافري	فاذهلٌ	اديم
٢٤٤	غير منسوب	يتصلصلٌ	فا وجد
٨٦	الاعشى	عجلٌ	كانَ
٣٠٢	طفيل الغنوبي	غولٌ	ولا أخالف
٦٤	غير منسوب	تنهلٌ	لم زحلوقة
٦٤	الحساء	تقناها	قان تلك
١٨١	امرؤ القيس	الجبالا	نفت
١٨٦	الريبع بن زياد	طولا	لئن رحلت
٢٥٤	امرؤ القيس	اغوالا	ايقتاني
١٤١	امرؤ القيس	المخل	كبكر
٢٩٩	طرفة بن العبد	مخلدي	الا ايهدنا
١٤١	امرؤ القيس	كالسجنجل	مهفهمة
١١٣	الاسلح بن سالم	علٌ	كانَ
٤١	دريد بن الصمة	اتغفلٌ	اني اذا
٣٠١	غير منسوب	بالاول	وما زالت
١١٤	جزير	المصطي	ان الفرزدق
١١٢	غير منسوب	المصطي	اودى
	(الميم)		
٦٧	الاعشى	يطمٌ	فطار

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
٢١٤	الاعشى	جامح	بمشعلة
٢٦٧	علقمة الفحل	ترسم	قد أذر
٢٤٤	لبيد	هيم	الجزت
٢٢٤	غير منسوب	السلام	الا يانحطة
٣٧	بشر بن أبي خازم	فتام	وما يندوهم
٢٤٥	لبيد	هياها	تجناف
٢٤٣	غير منسوب	هيها	كانك
٦٨	لبيد	اكامها	فبتلك
٢٥٣	التابعة الذيباني	الحزما	تحيد
٢٩	التابعة الذيباني	فانهدما	تحقني
٢٥٩	ابو خراش الحذلي	جريمي	وانى
٣٠٣	عنترة بن شداد	يكلم	فاذاسكرت
٧٧	زهير بن أبي سلمى	يحيط	كأن
٣٢	غير منسوب	صيام	متى
٢٩٩	عنترة بن شداد	المعلم	ولقد شربت
٥٤	الطرماح	اجسامها	تخور

(النون)

١٩	غير منسوب	لقد نطحناهم الصورين
١٤٣	القتال الكلابي	اراك
١٥٦	غير منسوب	يقولون

الصفحة	الشاعر	العجز	الصدر
١٤١	عمرو بن كلثوم	تهونا	على آثارنا
٢٩٨	عمرو بن كلثوم	الاندرينا	لا هي
٩٣	عمرو بن كلثوم	طينا	وانا الشاربون
٣٨	ذو الاصبع العدواني	المون	عف
٢٤٦	لبيد	الكتبان	يزع
١٤٥	عنترة بن شداد	العيون	وما وجد
	(الياء)		
١٥٤	سحيم	عاريا	رأت قبأ
٢٣٤	امرأة القيس	ريا	ل عمرك
١٤٥	سحيم	بسواديها	فلو كنت
٢٣٢	غير منسوب	أتي	تبشري

فهرس الاعلام

<p>٣٠١ ، ٢٤٧٦ ، ٢٤٢ ، ٢٢٧ ، ٢٢٢ ، ٢١٢</p> <p>ابن فارس ، ٥٣ ، ٤٤ ، ٤٠ ، ٢٢ ، ٧</p> <p>، ١٣٤ ، ٩١ ، ٩٤ ، ١١٦ ، ١٢٩ ، ١٢٩</p> <p>. ١٦٤ ، ١٩١</p> <p>ابن الفقيه . ١٤٢</p> <p>ابن قتيبة . ١٨٠ ، ١٥٦ ، ١٥٠ ، ١٥٠</p> <p>٢٥٢ ، ٢٤٨ ، ٢٤٧ ، ٢٢٧ ، ٢٢٦ ، ٢١٢</p> <p>. ٢٧٨</p> <p>ابن الكابي . ١٠٨</p> <p>ابن ماوية . ٢٥ ، ٢٤</p> <p>ابن الحجاور . ٣٠٤</p> <p>ابن مسعود . ٨٣ ، ٨٧</p> <p>ابن منظور . ٢٩ ، ٣٠ ، ١٠٤ ، ١٢٨</p> <p>. ١٢٩ ، ١٤٢ ، ١٥٠</p> <p>ابن النديم . ١٩٤</p> <p>ابن هشام . ٢٧</p> <p>ابو تمام . ١٧٢</p> <p>ابو جهل . ٢٥٢ ، ٢٥١</p> <p>ابو حاتم الرلزي . ٢١٢</p>	<p>(١)</p> <p>ابراهيم السامرائي (الدكتور) . ٢٠ ، ١٢ ، ٨</p> <p>ابن الاعربى . ١٦١ ، ١٢٥ ، ٩٣ ، ٢٢</p> <p>. ١٦٢ ، ١٨٠</p> <p>ابن الاثير . ٢٠ ، ١٩٥</p> <p>ابن بري . ١٢٧</p> <p>ابن جني . ٤٠</p> <p>ابن حبان . ٢٦٣</p> <p>ابن خلدون . ٦ ، ١٧١</p> <p>ابن دارة . ١٧٢</p> <p>ابن دريد . ٦٢ ، ٦٣ ، ٢٩٢</p> <p>ابن المدينة . ١٩٧</p> <p>ابن رسته . ٦</p> <p>ابن السكريت . ١٦١ ، ٧٢</p> <p>ابن سيدة . ٤٧ ، ١٤٩</p> <p>ابن عباس . ١١ ، ٦٩ ، ٦٦ ، ٦٣ ، ٤٤</p> <p>. ٧٩ ، ٩١ ، ٨٩ ، ٨٥ ، ٨٣ ، ٨٢ ، ٨٠ ، ٨٠</p> <p>١٢٨ ، ١٢٧ ، ١٢٠ ، ١١٥ ، ١١١ ، ١٠٣</p> <p>١٨٤ ، ١٦٠ ، ١٣٧ ، ١٣٦ ، ١٣٥ ، ١٣٢</p>
--	--

- | | |
|--|--|
| <p>الاشعث بن قيس . ١٧٥</p> <p>الاعرج المعنى . ٢٩٦</p> <p>الاعشى ١٤٢ ، ١٢١ ، ٨٦ ، ٦٧ ، ٥٤</p> <p>١٥٤ ، ١٥٥ ، ١٥٧ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٣ . ٢٩١</p> <p>الاصمعي ١٧٩ ، ١٣٣ ، ٩٦ ، ٨٠ ، ٧٨ . ٢٥٣ ، ٢٤٥ ، ٢٣٢ ، ١٩٨</p> <p>أكثم بن صيفي . ١٧٠</p> <p>امرأة القيس ، ٢٤ ، ٤٧ ، ٢٥ ، ٢٤ ، ١٦٣ ، ٤٧ ، ٢٥</p> <p>٢٥٤ ، ٢٤٧ ، ٢٣٣ ، ١٨١ ، ١٤١ ، ١٣٧ . ٢٩١ ، ٢٧٥ ، ٢٧٤</p> <p>أمية بن خلف . ٢٢٢</p> <p>انيف بن جهله . ١٢٧</p> <p>(ب)</p> <p>بجير بن عبد الله العامري . ٢٦٢</p> <p>البخاري . ١٥٤</p> <p>البسوس . ١٥٣</p> <p>بشار بن برد . ١٥٧ ، ١٥٨</p> <p>بشر بن أبي خازم . ٤١ ، ٣٧</p> <p>بشر بن عمرو بن مورثد . ٤٨٣</p> <p>بلال الحبشي . ٢٢٢</p> <p>بنت الشاطئ . ٩٠ ، ٨٤</p> <p>بني بكر بن وائل . ١٨٢</p> | <p>ابو حنيفة الدينوري ٢٦٢ ، ١٦١ ، ٨٩</p> <p>ابو ذؤيب . ٣٠٣</p> <p>ابو زيد الطائي ١٤٣ ، ٧٣ ، ١٣٦</p> <p>ابو زيد الانصاري ٣٧ ، ٣٥</p> <p>ابو عبد الرحمن بن سهل (احمد بن سهل) . ١٢٤</p> <p>ابو عبيدة القاسم بن سلام ١٢٤ ، ٣٥ . ١٢٥</p> <p>ابو عبيدة ٥٣ ، ٤٥ ، ١٨ ، ١٦ ، ٦ ، ١٠٤ ، ٨٦ ، ٨٣ ، ٨١ ، ٧٩ ، ٧٢ ، ٦٢</p> <p>١٣٧ ، ١٣٢ ، ١٢٧ ، ١١٦ ، ١١٤ ، ١١٢</p> <p>٣٠١ ، ٢٥٤ ، ٢٣٨ ، ٢١٥ ، ١٨٥ ، ١٤٦</p> <p>ابو عثمان المازني . ٤٨</p> <p>ابو مججن التقفي . ٢٦٢</p> <p>ابو مسححل (عبد الوهاب بن حريش) . ١٢٤</p> <p>ابو الحيث . ١٣٧ ، ٣٧ ، ١٨</p> <p>ابليس . ١١٦</p> <p>الاحوص . ٢٣٤</p> <p>الاخفشن . ٨٦</p> <p>الازهري . ٨٥ ، ٧٤ ، ٣٠ ، ٢٧ ، ٢٣</p> <p>١٤٢ ، ١٧٩ ، ٢٦٤</p> <p>الاسلم بن سالم الضبي . ١١٣</p> |
|--|--|

جوراد علي (الدكتور) .	٣٠٤	بنو تغلب . ١٨٢
الجواليقي .	٢١	بنو خلف . ٢٧٨
الجوهري ١٩ ، ٨٦ ، ١١٦ ، ١٣٣ ،	٣٠٤	بنو سلامان . ١٧٦
١٣٥ .	٣٠٤ ، ١٩١ ، ١٨٨ ، ١٧٩	بنو سليم . ٩٧
(ح)		بنو لؤي . ٢٢٢
حاتم الطائي .	٢٨١	بنو مازن . ١٧١
الخادرة .	٢٤٣	بنو محزوم . ٩٧
الحارث بن حلزة ١٣٧ ،	٢٩٣	ميربي . ٩٦
حام (ابن النبي نوح) .	١٤٧	(ت)
حسان بن ثابت .	٢٢٢	تأبط شرآ . ٢٤٨
الحسن البصري ١٦ ، ١٨ ،	٢٤٧	التستري . ٧
الحسن المؤدب .	١٦١ ، ١٦٠	(ث)
حسين نصار .	١٢	ثعلب ٨٧ ، ١٢٢ ، ١٤٩ ، ١٢٩ ، ١٩٠ ، ١٤٩ ، ١٢٢
الخطيبة .	٢٩٣ ، ٨٦	. ٢٣٤
حنين بن اصحاب الطبيب .	١٥٠	عمود . ٣٤
(خ)		(ج)
خالد القسري .	١٥٦	الباحث . ٦ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٢٦
خالد بن سنان .	٩٧ ، ٩٨	٢٠٥ ، ٢٠٤ ، ١٨٩ ، ١٥٣ ، ١٤٦ ، ١٤٢
الخرنقى بنت هفان .	٤٨	. ٢٧٩ ، ٢٥٥ ، ٢٥٤
الخطابي .	٢٠٣	جبريل . ١٥٤
الخطيب البغدادي .	١٦٠	جرير . ١١٤
الخفاجي .	٢١	جساس . ١٨٢
الخليل بن احمد .	٤٤ ، ٤٠ ، ٢٤ ، ٢٣	جحيل سعيد (الدكتور) . ٢٥٧ ، ١٢ ، ٨

- | | |
|--|---|
| الزمخشري ١١ ، ٤٩ ، ٤٦ ، ٤٢ ، ٥٣ ، ٥١ ، ٤٩ ، ٤٦ ، ٦٣
١١٦ ، ١١٣ ، ١٠٤ ، ٨٧ ، ٧٣ ، ٦٣
١٦٣ ، ١٥٤ ، ١٥٢ ، ١٤٠ ، ١٣٥ ، ١٢٨
٢١٨ ، ٢١٥ ، ١٩٤ ، ١٨٩ ، ١٨٥ ، ١٧٩
. ٣٠١ ، ٢٨٩ ، ٢٦٧ ، ٢٦٤ ، ٢٣١
زهير بن أبي سلمى ٢٩ ، ٧٧ ، ٨٦ ، ١٢٠ ، ١٩٥
(س) | ، ١٨٦ ، ١٤٩ ، ١٣٠ ، ١٢٩ ، ١٢٨ ، ٤٦
. ٢١٦
الحنساء ، ٦٤
(د)
الدجال ١٦ .
دريد بن الصمة ٤١ ، ١٨
(ذ)
ذو الأصبع العدواني ٣٨ .
ذو الرمة ١٥٥ ، ٢٧٧
ذهل بن مالك ١١٣ .
(ر)
الرازي ٧ .
الراغب الاصفهاني ٤٧ ، ٨٠ .
الربيع بن زياد العبسي ١٨٦ .
الربيع بن سليمان ٧٤ .
ربعة بن مقرن ٢٤٤ .
رؤبة ١٣٣ .
رؤبة بن رومانس ٢٦٢ .
(ز)
زبان بن صبار الفزارى ٢٤٣ .
الزجاج ٤٩ ، ٤٩ ، ٧٢ ، ٨١ ، ٨٥ ، ١١٢ .
. ١٥٠ ، ١٨٣ .
زرادشت ٢٠٤ . |
| السجستاني ٧ ، ٣٥ ، ٤٤ ، ٤٦ ، ٧٣ ، ٧٣
. ٢١٥
سعيم عبد بنى الحسحاس ١٤٥ .
السمهودي ٩٦ ، ٩٨ .
سمويل ١٨٦ .
سويد بن أبي كاهل ١٥٧ .
سيبويه ٣٥ .
السيد الحميري ١٢٨ .
سيد قطب ٩ .
السيوطي ٢١ .
(ش) | سعيم عبد بنى الحسحاس ١٤٥ .
السمهودي ٩٦ ، ٩٨ .
سمويل ١٨٦ .
سويد بن أبي كاهل ١٥٧ .
سيبويه ٣٥ .
السيد الحميري ١٢٨ .
سيد قطب ٩ .
السيوطي ٢١ .
(ش) |
| شداد بن معاوية العبسي ٢٩٤ .
الشرقاوى ٩٦ .
الشريف المرتضى ٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
شليفر ٩٦ . | شداد بن معاوية الع簸ى ٢٩٤ .
الشرقاوى ٩٦ .
الشريف المرتضى ٧ ، ١٢٣ ، ١٢٤ .
شليفر ٩٦ . |

- | | |
|---|---|
| عباس بن شراحيل العبدلي . ١٥٣
عبد الجبار بن احمد (القاضي المعزلي) .
. ٢٥١ ، ١٨٥
عبد الرحمن بن عوف . ٢٢٢
عبد السلام هارون . ٢٤ ، ٢٠
عبد الملك بن مروان . ٢٧٧
عبدة بن الطيب . ٧٣
عبس . ٩٧
عتبة بن أبي سفيان . ١٢١
العجاج . ١١٧ ، ١١٥
عدي بن زيد . ٣٠٣
عرام . ٢٤٣
عزرايل . ١١٦
علقمة الفحل . ٤٧ ، ١٨١ ، ٢٦٦
علي بن أبي طالب . ١٢٣ ، ٢٣٤
عمر بن الخطاب . ١٢٣ ، ٥ ، ١٥٥
عمرو بن الاهتم . ٢٣
عمرو بن كلثوم . ٩٣ ، ١٤١ ، ٢٩٨
عمرو بن هند . ١٠٩
عنترة بن شداد . ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٥٦ ، ٣٠٣ ، ٢٩٤ ، ٢٩٩ ، ٢٩٥
عوف بن عطية . ١٧٥ ، ١٨٠
عبيد الله بن زياد . ١٢٨ | الشياخ . ١٣٢ ، ١٥٥ .
الشنفرى . ١٧٦ ، ٢٥٨ .
(ص)
صحار العبدلي . ١٥٣ .
(ط)
الطبرى . ٦٦ ، ٦٢ ، ٥٣ ، ٥١ ، ١١ ، ٧
١٥٠ ، ١٢٨ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ٧٨ ، ٦٩ ، ٦٧
. ٢٤٥ ، ٢٠٢ ، ١٨٤ ، ١٦٠
طرفة بن العبد . ٤٨ ، ٣٢ ، ٢٩ ، ٢٦ ، ١٢٢ ، ٢٩٨ ، ٢٥٣ ، ١٧٦ ، ٢٩٩ ، ٨٧
الطرامح . ١٠٩ ، ٥٤
طفبيل الغنوبي . ٣٠٢ ، ٤٢
الطوسي . ٢٧ ، ١٨٤ ، ١٦٠ ، ٦٦ ، ٥١ ، ١٨٤ .
. ٢٩١
طي . ١٧٢ .
(ظ)
ظالم بن البراء . ١٦٣
(ع)
عمار بن ياسر . ٢٩٧
عائشة . ٣٤ ، ١٨٩ ، ٣٠٥ .
عامر بن صعصعة . ٢٦٢
عامر بن الضرب العدواني . ١٧٠
عامر بن الطفيلي . ٢٣٣ |
|---|---|

- الكعبي بن زيد ١٤٣ .
 ليبد ٦٨ ، ٢٤٢ ، ٢٤٥ .
 الهمي (الفضل بن عباس بن عتبة) ٢٧٧ .
 الليث بن المظفر ٢٣ ، ١١٤ ، ١١٢ ، ٢٩٢ .
 (م)
 ماجوج ١٠٣ .
 مار أغناطيوس ٧٦ ، ٢٢٩ .
 مالك بن عمود الغامدي ٢٤٩ .
 مالك بن نويرة ٣١ ، ٢٩٥ .
 المبارك بن الأثير ١٧ .
 المبرد ٢٤ ، ٨١ ، ٢٧٨ .
 متجمم بن نويرة ٣١ ، ٢٩٥ .
 المشقب العبدى ١٠٩ .
 المثنى بن حارثة ٧٣ .
 مجاهد ١٨٤ ، ١٨٥ .
 محمد (النبي وقد ترد الرسول) ١٦٠٥
 ١٦٠٦ ، ١٥٤ ، ١٤٨ ، ٩٨ ، ٣٦ ، ٣٠ ، ١٧
 ٢٣٤ ، ٢٢٤ ، ٢١١ ، ٢٠٦ ، ٢٠٥ ، ١٧٥
 ٣١٠ ، ٣٠٩ ، ٢٩٧ ، ٢٩٦ ، ٢٥٢ ، ٢٤٧
 محمد بن مروان ٣١ ، ٢٦٣ .
 الخليل السعدي ٢٥ .
 المرقش الأكبر ٢٣ .
 المزرد بن ضرار ١٥٥ .
- غطفان ٧٢ ، ٧٢ .
 غيلان بن سامة ١٧٠ .
 الفارسي (أبو علي) ٨١ ، ٢١٥ .
 الفراء ١٧ ، ١٣٧ ، ١١٥ ، ١١٢ ، ٥٣ .
 ٢٧٧ ، ٢٧٤ ، ٢١٥ ، ١٨٣ ، ١٨٢ ، ١٦٠ .
 فرات الكوفي ٧ .
 الفرزدق ١٥٧ .
 الفضل بن الريبع ٢٥٤ .
 فرعون ٣٤ ، ١١١ .
 فؤاد حسين ٢٩١ .
 قتادة ٨٥ ، ١٣٢ .
 القتال الكلابي (الحسن بن علي) ١٤٣ .
 قريط بن انيف ١٧١ .
 الفزويي ٦ .
 القسطلاني ١٥٤ .
 القطامي ٢٢٣ .
 قعنبر بن عتاب الرياحي ٢٦٢ .
 قيس بن الخطيم ٢١٤ .
 قيس بن زهير ١٥٣ .
 (ك)
 كارادي فو ٢١١ ، ٢١٠ .
 الكلحبة الغربيي ٤١ .
 كلبي ١٨٢ .

- | | | | |
|-------------------------|-------------------|------------------|-----------------------|
| النعمان بن المنذر | ١٨٦ ، ١٥٤ ، ١٠٩ . | مسلم بن الوليد | ١٥٨ . |
| نقطويه | ٧٤ . | مصطفى جواد | ٢١ ، ١٢٤ . |
| نوح (النبي) | ١٤٧ ، ٣٤ . | معاوية | ١٢١ ، ١٥٣ . |
| نوف البكالي | ٢٦٣ . | المفضل بن سلمة | ٥٥ . |
| (ه) | | مقاتل بن سليمان | ٧ . |
| هرام | ١٨٢ . | المقدسي | ٢٨١ . |
| (ي) | | موسى (النبي) | ١٩٧ . |
| ياجوج | ١٠٣ . | المهلهل بن ربيعة | ٢٦٢ . |
| ياقوت | ١٠٨ . | (ن) | |
| بزيyd بن عمرو بن الصعqi | ٢٦٢ . | النابغة الجعدي | ٣١ ، ١٠٤ ، ٦٦ ، ٢٢٣ . |
| بزيyd بن مفرغ الحميري | ١٢٨ . | النابغة الذبياني | ٢٩ ، ٤٥ ، ٧٠ ، ٢٢٣ . |
| اليعقوبي | ١٦٩ . | | ٣٠٦ ، ٢٥٣ . |
| يونس بن حبيب | ٢١٠ . | نافع بن الأزرق | ١١ ، ٢٢١ . |

فهرس التعاليم

(الباء)

برداً ٢٤١ (إن جهنم كانت مرصاداً ، للطاغين مآباً لا يثنى فيهَا احقاداً ، لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً) سورة النبأ ٧٨ : ٢١ - ٢٥ .

برق البصر ١١٨

(فإذا برق البصر ، وخفق القمر ، وجم الشمس والقمر ، يقول الانسان يومئذ اين المفر) سورة القيامة ٧٥ : ١ - ٥ .

باسرة ١١٩

(وجوه يومئذ باسرة ، تظن ان يُفعل بها فاقرة) سورة القيامة ٧٥ : ٢٤ - ٢٥ .

بُسْتَ الجبال ٧١ - ٧٥

(اذا رجت الارض رجا ، وبست الجبال بسما ، فكانت هباءً منها) سورة الواقعة ٥٦ : ٢ - ٥ .

يبلس ١١٥ - ١١٨ .

(ويوم تقوم الساعة يبلس الحرمون) سورة الروم ٣٠ : ١٢ .

تبيّض وجوه ١٣٩ - ١٤٨

(يوم تبيّض وجوه ، وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم أكفرتم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون . واما الذين ابيّضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون) سورة آل عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

(الشاء)

مثقال ذرة ١٨٧ - ١٩٠

(وما يعزبُ عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ، ولا في
السماء ، ولا أصغر من ذلك ، ولا أكبر إلا في كتاب مبين)
سورة يونس ١٠ : ٦١ .

(الجم)

الجحيم ٢١٣ - ٢١٥

(والذين كفروا بآياتنا أوائل اصحاب الجحيم) سورة المائدة
٥ : ١١ .

جراد منتشر ١١٠ - ١١١

(فتولَّ عنهم يوم يدع الداعي إلى شيء نكرٌ ، خشعاً بأبصارهم
ينخرجون من الأجداث كأنهم جراد منتشر) سورة القمر
٥٤ : ٦ - ٨ .

حالات صفر ٢٢٨ - ٢٣٠

(إنها ترمي بشر كالقصر ، كأنه حالات صفر) سورة المرسلات
٣٢ : ٧٧ .

الجنة ٢٧٣ - ٢٨٠

جهنم ٢٠٩ - ٢١١

(الحاء)

حبة خردل ١٩٠ - ١٩١

(ونضع الموازين القسط ليوم القيمة ، فلا تظلم نفس شيئاً وإن
كان مثقال حبة من خردل أتينا بها ، وكفى بنا حاسمين)
سورة الانبياء ٢٠ : ٤٧ .

الشهر ٣٧

(يوم نُحشر المتدين الى الرحمن وفدا) سورة مرثى ١٩ : ٨٥ .

الحمد ٢٣٥ - ٢٣٩

(ان شجرة الزقوم طعام الاثم ، كلمه ليل يغلي في (البطون
كغلي الحميم . . .) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ - ٤٩ .

البِحْمُوم ٢٢٣ - ٢٢٤

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سبوم وهم ، وظل من
يسمون ، لا بارد ولا كريم) سورة الواقعة ٥٦ : ٤١ - ٤٤ .
(الخاء)

خشعا ابصارهم ١٣٥ - ١٣٦

(فتول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نُكُر ، خشعا
اصواتهم يخربون من الاجداد كأنهم جراد منتشر) سورة
القمر ٥٤ : ٦ - ٧ .

خشعت الاصوات ١٣٤ - ١٣٦

(ويُسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا فيذرها قاعاً صفصفاً
لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، يومئذ يتبعون الداعي لا عوج له
وخشعت الاصوات للرحمن فلا تسمع الا همسا) سورة طه ٢٠ :
١٠٥ - ١٠٨ .

حضر ٢٧٦ - ٢٨٠

(متkickين على رفرف حضر) سورة الرحمن ٥٥ : ٧٦ .
(الدال)

الداعي ٢٨ - ٣٤

(ويُسألونك عن الجبال فقل ينسفها ربى نسفا ، فيذرها قاعاً
صفصفا ، لا ترى فيها عوجا ولا أمتا ، يومئذ يتبعون الداعي

لاعوج له ، وخشعت الاصوات للرحن فلا تسمع الا همسا)
سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٧ .

دكت الجبال ٧٦

(فإذا نفخ في الصور نفحة واحدة ، وحملت الأرض والجبال
فذلك دكة واحدة) سورة الحاقة ٦٩ : ١٣ - ١٦ .

مدحهاتان ٢٧٨

(ومن دونها جنتان ، فبأي آلاء ربكم تكذبان ، مدحهاتان)
سورة الرحمن ٥٥ : ٦٢ .

الدهان ٧٩ - ٨٢

(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) سورة الرحمن
٥٥ : ٣٧ .

(الذال)

ذرة ١٨٩ - ١٩٠

(فن يعمل مثقال ذرة خيراً يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شراً
يره) سورة الزلزلة ٩٩ : ٨ .

(الراء)

رؤوس الشياطين ٢٥٢ - ٢٥٦

(أذلك خيراً "نُزُلاً" ام شجرة الزقوم ، اذا جعلناها فتنة للظالمين
انها شجرة تخرج في اصل الجحيم ، طلعها كأنه رؤوس الشياطين)
سورة الصافات ٣٧ : ٦٢ - ٦٧ .

رجت الأرض ٦١ - ٦٥

(اذا وقعت الواقعة ، ليس لوقعتها كاذبة ، خافضة رافعة اذا
رجت الأرض رجا ، وبُسَّت الجبال بسّا) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٣ .

- ٣٧١ -

(الزاء)

الزجرة ٤٥ - ٥٠

(يوم ترجمف الراجمفة ، تتبعها الرادفة ، قلوب يومئذ واجفة
ابصارها خاشعة ، يقولون إلنا ملدودون في الحافرة . أليذا كنا
عظاماً نحرة ؟ قالوا تلك اذا كرة خاسرة فاما هي زجرة واحدة
فاذما هم في الساهرة) سورة النازعات ٧٩ : ٦ - ١٤ .

الزاجرات : ٤٧

(والصفات صفا ، والزاجرات زجرا) سورة الصافات ٣٧ : ٢-١

مزدجر : ٤٩

(ولقد جاءهم من الانباء ما فيه مزدجر) سورة القمر ٤٥:٦ .

زرقا ١٤٨ - ١٥٩

(يوم يُنفح في الصور ، ونخشر الجرمين يومئذ زرقا) سورة طه ٢٠ : ١٠١ - ١٠٢ .

الزقوم - ٢ - ٢٥٢

(ان شبرة الزقوم طعام الايثيم ، كالمهلل يغلي في البطون كغلي
الحميم) سورة الدخان ٤٤ : ٤٣ .

زلات الارض ٦٣

(اذا زلت الارض زلاتها ، واخراجت الارض انقلاتها . وقال
الانسان مالها ؟ يومئذ تحدث اخبارها . . .) سورة الزلالة

. ٤ - ١ : ٩٩

الزنجبيل ٢٩٠ - ٢٩١

(ويطاف عليهم بآنية من فضة ، وآ��واب كانت قواريرا ،
قوارير من فضة قدروها تقديرها ويسقون فيها كأساً كان مزاجها
زنجبيلا ، عينا فيها تسمى سلسبيلا) سورة الانسان ٧٦ : ١٤ .

(السين)

سبعون ٢٦٢ -

(خذوه فقلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً
فاسلكوه انه كان لا يؤمن بالله العظيم) سورة الحاقة ٦٩ : ٣٠ - ٣٤ .

سجّرت ٩٤

(اذا البحار سجّرت) سورة التكوير ٨١ : ٦ ،

السراب ٦٥ -

(اعماهم كسراب بقعة يحسبه الظمآن ماء) سورة النور ٢٤ : ٣٩ .

السعير ٢١٥ -

(كتب عليه انه من تولاه فإنه يصله ويهديه إلى عذاب السعير)

سورة الحج ٢٢ : ٤ .

سقر ٢١٩ -

(سأصلبه سقر ، وما أدرك ما سقر ، لا تبقي ولا تذر لواحة
للبشر) سورة المدثر ٧٤ : ٢٦ - ٢٩ .

سلاسل ٢٦٠

(انا اعتدنا للكافرين سلاسلًا واغلالًا وسعيراً) سورة الانسان
٧٦ : ٤ .

تسود وجوه ١٤٠ -

(يوم تبيض وجوه ، وتسود وجوه ، فاما الذين اسودت وجوههم
اكرم بعد ايمانكم فذوقوا العذاب بما كنتم تکفرون . واما الذين
اپضيـتـ وجوهـهـمـ فـفـيـ رـحـمـ اللـهـ هـمـ فـيـهاـ خـالـدـونـ) سورة آل
عمران ٣ : ١٠٦ - ١٠٧ .

أساور ٣٠٩ -

(يخلون فيها من اماور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراء)

- ٣٧٣ -

سورة الكهف ١٨ : ٣١ .

الساهرة ٤٥

(فانما هي زمرة واحدة ، فإذا هم بالساهرة) سورة النازعات

. ١٤ : ٧٩

نسير الجبال ٦٥

(يوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة ، وحشرناهم فلم نغادر
منهم احدا) سورة الكهف ١٨ : ٤٦ .

(الشين)

شاحصة ١١٩

(واقترب الوعد الحق فإذا هي شاحصة ابصار الذين كفروا)

سورة الانبياء ٢١ : ٩٧ .

شفاعة ١٧١ - ١٧٤

(وانقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا تقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينتصرون) سورة البقرة: ٤٨ .

انشققت السماء ٨٨

(وانشققت السماء فهي يومئذ واهية) سورة الحاقة ٦٩ : ١٦ .

الشمال ١٩٣ - ١٩٩

(واصحاب الشمال ما اصحاب الشمال في سموم وحميم ، وظل من
يحموم) سورة الواقعة ٥٦ : ٤٤ .

الشواظ ٢٢١ - ٢٢٢

(يرسل عليكم شواط من نار ونحاس فلا تنصران) سورة
الرحمن ٥٥ : ٣٥ - ٣٦ .

(الصاد)

صدید ۲۳۹ - ۲۴۰

(واستفتحوا و خاب كل جبار عنيد ، من و رائه جهنم و يسقى من
ماء صدید) سورة ابراهیم ۱۴ : ۱۵ - ۱۶ .

الصور ۱۵ - ۲۱

(ويوم ينفح في الصور فزع من في السموات والارض الامن
شاء الله وكل أتوه داخرين) سورة النمل ۲۷ : ۸۷ .

الصیحة ۴۳ - ۴۵

(ويقولون متى هذا الوعد ان كنتم صادقين ، ما ينظرون الا
صیحة واحدة تأخذهم وهم يخضمون) سورة یس ۳۶ : ۴۸ .

(الصاد)

ضریع ۲۴۶ - ۲۵۰

(وجوه يومئذ خاشعة ، عاملة ناصبة ، تصلي ناراً حامية تسقى
من عين آنية ليس لهم طعام الا من ضریع ، لا يسمن ولا
يعنی من جوع) سورة الغاشیة ۸۸ : ۶۲ .

(الطاء)

طمسـت ۹۱ - ۹۲

(فإذا النجوم طمسـت و اذا السماء فرجـت ...) سورة المرسلات
۷۷ : ۸ - ۱۲

(العین)

العدل : ۱۷۸ - ۱۸۳

(واتقوا يوماً لا تجزي نفس عن نفس شيئاً ولا يقبل منها
شفاعة ولا يؤخذ منها عدل ولا هم ينصرون) سورة البقرة ۴۸:۲ .

اعمى ١٥١ - ١٥٢

(ومن اعرض عن ذكري فان له معيشة ضنكها وخشوه يوم القيمة اعنى قال ربى لم حشرتني اعنى ؟ وقد كنت بصيرا ؟ .)
سورة طه : ٢٠ - ١٢٦ .

العهن ٧٦ - ٧٧

(يوم تكون السماء كالمهل وتكون الجبال كالعهن ، ولا يسأل حميم حميا) سورة المعارج ٧٠ : ٨ - ٩ .
(الغين)

الغساق : ٢٤١ ، ٢٠٧

(إن جهنم كانت مرصادا ، للطاغيين مأبا ، لا يثن فيها احقبا ،
لا يذوقون فيها بردا ولا شرابا الا حميا وغضما) سورة النبأ
٢١ : ٢٥ - ٢٥ .

الغسلين ٢٥٧ - ٢٥٨

(فليس له اليوم هننا حميم الاطعام من غسلين) سورة الحاقة
٦٩ : ٣٠٦ .

الغول ٣٠١ - ٣٠٢

(يطاف عليهم بكأس من معين ، بيضاء لذة للشاربين ، لا فيها
غول ، ولا هم عنها ينزفون) سورة الصافات ٣٧ : ٤٧ .

الاغلال ٢٦٠

(انا أعتدنا للكافرين سلاملاً واغلالاً وسعيراً) سورة الانسان
٧٦ : ٤ .

(الفاء)

تجبر ٢٩٠

(عينا يشرب بها عباد الله يفجرونها تفجيرا) سورة الانسان

. ٦ : ٧٦

الفداء ١٧٤ - ١٧٨

(إن الذين كفروا وما توا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء
الارض ذهباً ، ولو افتدى به اولئك لهم عذاب اليم) سورة
آل عمران ٣ : ٩١ .

الفردوس ٢٧٤

الفراش المبثوث ١١٠ - ١١٤

(يوم يكون الناس كالفراش المبثوث ، وتكون الجبال كالعهن
المتفوش) سورة القارعة ١٠٢ : ٥ - ٢ ،

منفطر به ٨٨ - ٩٠

(فكيف تتقون ان كفرتم يوماً يجعل الولدان شيئاً الساء منفطر
به ، كان وعده مفعولاً) سورة المزمل ٧٣ : ١٧ - ١٨ :

الفاقرة ١٢٦ - ١١٩

(وجوه يومئذ باسرة تظن ان يفعل بها فاقرة) سورة القيامة
. ٢٥ : ٢٤ - ٧٥

فوق ٥٣ - ٥٦

(وما ينظر هؤلاء الا صيحة واحدة مالها من فوق) سورة
ص ٣٨ : ١٥ .

(القاف)

قرة ١٤٠

(وجوه يومئذ عليها غبرة ، ترهقها قترة ، اولئك هم الكفرا

- ٣٧٧ -

الفجرة) سورة عبس ٨٠ : ٤٣ .

القصر ٢٢٦ - ٢٢٨

(انطلقو الى ما كنتم به تكذبون ، انطلقو الى ظل ذي ثلات
شعب لا ظليل ولا يغги من اللهب ، انها ترمي بشرر كالقصر
كأنه جحالت صفر) سورة المرسلات ٧٧ : ٢٩ - ٣١ .

قطران ٢٦٥ - ٢٦٨

(وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الاصفاد ، سرابيلهم من
قطران وتغشى وجوههم النار) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٨ .

مقنعي ١٣١ - ١٣٤

(ولا تحسين الله غافلا عما يعمـل الظالمون انما يؤخرهم ل يوم
تشخص فيه الابصار مهطعين مقنعي رؤوسهم لا يرتد اليهم
طرفهم وافتذتهم هواء) سورة ابراهيم ١٤ : ٤٢ - ٤٣ .
(الكاف)

كثيب مهيل ٧٨ : ٧٩

(يوم ترجمف الارض والجبال وكانت الجبال كثيـاً مهـيلا)
سورة المزمل ٧٣ : ١١ - ١٤ .

انكدرت ٩٢ - ٩٤

(اذا الشمس كورت ، واذا النجوم انكدرت . . .) سورة
النکویر ٨١ : ١ - ٢ .

كافور ٢٩٢ - ٢٩١

(انا اعتدنا للكافرين سلاسلـاً واغـلالاً وسعـرا ، ان الابرار
يسربون من كأسـاً كان مزاجها كافورا) سورة الانسان ٧٦:٤-٦ .

كورت ٩٥

(اذا الشمس كورت) سورة التكوير ٨١ : ١ .
(الام)

لباسهم ٣٠٨

(يخاون فيها من اساور من ذهب ولؤلؤا ، ولباسهم فيها حرير)
سورة الحج ٢٢ : ١٤ - ٢٣ .

لبن ٢٩٢ - ٢٩٢

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن ،
وانهار من لبن لم يتغير طعمه) سورة محمد ٤٧ : ١٤ .
(الم)

مسك ٣٠٤

(ان الابرار لفي نعيم ، على الارائك ينظرون ، تعرف في
وجوههم نصرة النعيم يسوقون من رحيق مختوم ، ختامه مسك وفی
ذلك فليتنافس المتنافسون) سورة المطففين ٨٣ : ٢٢ - ٢٦ .

تمور ٨٥ - ٨٨

(يوم ثور السماء موراً ، وتسير الجبال سيراً ، فويل يومئذ
للمكذبين) سورة الطور ٥٢ : ٩ - ١١ .

المهل ٨٢ - ٨٥

(انهم يرونها بعيدا ونراها قريبا ، يوم تكون السماء كالمهل وتكون
الجبال كالعهن ولا يسأل حيم حميا) سورة المعارج ٧٠:٧٧ - ١١

المهل ٢٤٠

(وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوي الوجه ، بشن الشراب
وسمات مرتفقا) سورة الكهف ١٨ : ٢٩ .

(الواو)

واحدة ٥٢

(وما ينظر هؤلاء الاصيحة واحدة مالها من فوائق) سورة ص

. ٣٨ : ١٥ - ١٢

وردا : ٢٣٠

(يوم نخسر المتقين الى الرحمن وفدا ، ونسوق المجرمين الى جهنم

وردا) سورة مريم ١٩ : ٨٦

وردة كالدهان ٧٩ - ٨٢

(فإذا انشقت السماء فكانت وردة كالدهان) سورة الرحمن

. ٣٧ : ٥٥

الموازين ١٨٣ - ١٨٧

(فن ثقلت موازيته فاولئك هم المفلحون ، ومن خفت موازيته

فاولئك الذين خسروا انفسهم في جهنم خالدون) سورة المؤمنون ٢٣:١٠٣

يوفضون ١١٠

(كأنهم الى نصب يوفضون) سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .

(النون)

انتشرت ٩٤

(اذا السماء انفطرت ، واذا الكواكب انتشرت) سورة الانفطار

. ٣ - ٨٢ : ١

المنادي ٣٤ - ٤٣

(واستمع يوم ينادي المنادي من مكان قريب ، يوم يسمعون

الصيحة بالحق ذلك يوم الخروج) سورة ق ٤١ : ٤٢ - ٤٠ .

- ٣٨٠ -

يُنْزَفُونَ ٣٠٢ - ٣٠٤

(لا فيها غول ، ولا هم عنها يُنْزَفُونَ) سورة الصافات ٣٧:٤٧
يُنْسَفُهَا ٦٩ - ٧١

(وَيُسَأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يُنْسَفُهَا رَبِّ نَسْفًا ، فَيُنْدِرُهَا قَاعًا
صَفَصَفًا . . .) سورة طه ٢٠ : ١٠٥ - ١٠٦ .
يُنْسَلُونَ ١٠٣ - ١٠٦

(وَنَفْخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يُنْسَلُونَ)
سورة يس ٣٦ : ٥٢ .

نَصْبٌ ١٠٦

(يَوْمَ يُخْرَجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ سَرَّاً كَانُوهُمْ إِلَى نَصْبٍ يَوْفَضُونَ)
سورة المعارج ٧٠ : ٤٣ .
نَاضِرَةٌ ١٥٩ - ١٦٤

(وَجْهَهُ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ) سورة القيامة ٧٥ :
٢٢ - ٢٣ .

النَّعِيمُ ٢٣٢

(كَلَا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ، لَتَرَوْنَ الْجَحِيمَ ، ثُمَّ لَتَرَوْنَهَا عَيْنَ
الْيَقِينِ ، ثُمَّ لَتَسْأَلُنَّ عَنِ النَّعِيمِ) سورة التكاثر ١٠٢ : ٨ - ٥ .
النَّاقُورُ ٢١ - ٢٨

(فَإِذَا نَقَرَ فِي النَّاقُورِ فَذَلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ، عَلَى الْكَافِرِينَ
غَيْرِ يَسِيرٍ) سورة المدثر ٧٤ : ٧ - ٨ .
انهار من خر ٢٩٨ - ٣٠٤

(مِثْلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وَعَدَ الْمُتَقْوِنَ فِيهَا انْهارٌ مِنْ مَاءٍ غَيْرِ آسِنٍ وَانْهارٌ
مِنْ لَبَنٍ لَمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمَهُ ، وَانْهارٌ مِنْ خَرٍ لَذَّةٌ لِلشَّارِبِينَ)

سورة محمد ٤٧ : ١٥ .

انهار من عسل ٣٠٤ - ٣٠٨

(مثل الجنة التي وعد المتقون فيها انهار من ماء غير آسن ،
وانهار من لبن لم يتغير طعمه ، وانهار من خمر لذة للشاربين ،
وانهار من عسل مصفى) سورة محمد ٤٧ : ١٤ - ١٥ .

(الماء)

مقطعين ١٢٧ - ١٣١

فتيول عنهم يوم يدع الداعي الى شيء نكر خشعا ابصارهم
مقطعين الى الداعي يقول الكافرون هذا يوم عسر) سورة القمر
٥٤ : ٦ - ٨ .

الخمس ١٣٦ - ١٣٨

(وخشت الاصوات للرحم فلا تسمع الا همسا) سورة طه
٢٠ : ١٠٨

الهاوية ٢١٣ - ٢١١

(فاما من خفت موازينه فامه هاوية ، وما ادرك ما هي نار)
حامية) سورة الفارعه ١٠١ : ٨ - ١١ .

الميم ٢٤٢ - ٢٤٦

(ثم انكم ايها الضالون المكذبون ، لا كلون من شجر من
زقوم فالثون منها بطون فشاربون عليه من الحميم ، فشاربون
شرب الميم . .) سورة الواقعة ٥٦ : ٥١ - ٥٦ .

(الياء)

اليمين ١٩٢ - ١٩٩

(يوم ندعو كل اناس بما مفهم ، فن اولى كتابه بيمينه فاوئلث
يقرأون كتابهم ، ولا يظلمون فتيلا) سورة الاسراء ١٧ : ٧١ .

المحتوى

- | | |
|-----------|---|
| ١٢ - ٥ | ١ - المقدمة |
| ٥٧ - ١٥ | ٢ - الفصل الاول : النفي (بعث الناس من القبور) |
| ٩٩ - ٦١ | ٣ - الفصل الثاني : اضطراب السماوات والارض |
| ١٦٥ - ١٠٣ | ٤ - الفصل الثالث : صفة الناس يوم القيمة |
| ١٩٩ - ١٦٩ | ٥ - الفصل الرابع : القضاء بين الناس |
| ٢٦٩ - ٢٠٣ | ٦ - الفصل الخامس : العقاب بالنار |
| ٣١٠ - ٢٤١ | ٧ - الفصل السادس : الثواب بالجنة |
| ٣١٥ - ٣١١ | ٨ - الخاتمة |
| ٣٤٧ - ٣١٦ | ٩ - المراجع والمصادر |
| ٣٨٢ - ٣٥٠ | ١٠ - فهارس الكتاب |

التصويات

Book

الصفحة السطر الخطأ	الصواب	الصفحة السطر الخطأ	الصواب	الصفحة السطر الخطأ	الصواب
٢٣ ٢٤	أثابي	١ ١٥٨	ننلها	٢٣ ٢٤	ننلها
٣١ ٣٢	إن	١١ ١٧٧	لربهم	١٣ ٣١	لربهم
٦٦ ٦٧	٢٧	٢٢ ١٨٠	قديمة	١٣ ٦٦	قديمة
٦٧ ٧٠	البيئة	١٢ ١٨٦	بن	٥ ٦٧	بن
٧٠ ٧٠	الطلية	٥ ٢٣٦	صور	٥ ٧٠	صور
٧٠ ٧٠	بروضة	٨ ٢٤٣	مطرد	٧ ٧٠	مطرد
٧٠ ٧٠	ملست	٣ ٢٦٥	للله	٨ ٧٠	للله
٧٥ ٨٣	ويكون	٢ ٢٦٧	رسم	١٢ ٧٥	رسم
٨٣ ٨٩	العلا	٢٧٩	لقد اغفلت الاشارة الى	١٧	العلا
٨٩ ١٠٥	ويعكسه		مصدر النص الاول وهو مأخوذ من فخر	١٢	ويعكسه
١٠٥ ١٢٥	سبر		السودان : رسائل الجاحظ ١ : ٢٠٤ .	٤	سبر
١٢٥ ١٣٦	مشفره		قوارير	٦ ١٢٥	قوارير
١٣٦ ١٣٨	تسُمَعُ		١٥ ٢٩٠	٩ ١٣٦	تسُمَعُ
١٣٨ ١٤٩	أجد		١٢ ١٨٢	٢ ١٣٨	أجد
١٤٩ ١٥٣	الزَّرَق		لقد قطعت بعض العبارات	٧ ١٤٩	الزَّرَق
١٥٣ ١٥٥	يا أحمر		وصواب النص : ومعناه فداء ذلك والعدل	٧ ١٥٣	يا أحمر
١٥٥ ١٥٥	زرق		المثل وذلك ان تقول عندي عدل غلامك	١٥ ١٥٥	زرق
	جاورتهم		وعدِل شاتك اذا كانت شاة تعدل شاة		جاورتهم
			او غلام يعدل غلاماً .		



NYU - BOBST



31142 02884 3723

PJ6696 .S3

al-Ta'zabi